

# تفسير الفخر الرازي

## المشهور بالتفسير الكبير وسفاح القب

لهذه المصنف محمد بن محمد الرازي قرطبي بن العاصم بن ضياء الدين عم  
المشهور بخطيب الرقي نفع الله به المسلمين  
٥٤٤ — ٦٠٤ هـ



حقوق الطبع محفوظة للناسخ  
الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م

المطبعة الكائن في

دار الفكر

طبع في دار الفكر في بيروت

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ  
وَالْآصَالِ ﴿١﴾ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ  
وَأَنْشَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٢﴾ لِيَجْزِيَهمُ اللَّهُ  
أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ . وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣﴾

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : ﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال ، رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ، ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾  
اعلم أن في الآية مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ قوله تعالى ( في بيوت أذن الله ) يقتضي محنوفاً يكون فيها وذكروا فيه وجوه ( أحدها ) أن التقدير كشكاة فيها مصباح في بيوت أذن الله وهو احتياط كثير من المحققين ، اعترض أبو مسلم بن عمر الأصمغاني عليه من وجهين ( الأول ) أن المقصود من ذكر المصباح المثل وكون المصباح في بيوت أذن الله لا يزيد في هذا المقصود لأن ذلك لا يزيد المصباح إثارة وإضاءة ( الثاني ) أن ما نضم ذكره فيه وجوه يقتضي كونه واحداً كقوله ( كشكاة ) وقوله ( فيها مصباح ) وقوله ( في زجاجة ) وقوله ( كأنها كوكب دري ) ولفظ البيوت جمع ولا يصح كون هذا الواحد في كل البيوت ( والجواب ) عن الأول أن المصباح الموضوع في الزجاجة الصافية إذا كان في المساحد كان أعظم وأنجم فكان أضراً ، فكان التثنية به أنتم وأكل ( وعن الثاني ) أنه لما كان القصد بالتثنية هو الذي له هذا الوصف فبدخل تحت كل كشكاة فيها مصباح في زجاجة ترعد من الرعب ، وتكون الفائدة في ذلك أن صراخها يظهر في هذه البيوت ، اللبالي عند الحاجة إلى عبادة الله تعالى ، ولما أن رجلاً قال الذي يصلح لخدمتي رجل يرجع إلى علم وكفاية وقناعة بأنهم بيته . أمكن وإن ذكره لفظ الواحد والمراد النوع فكذلك ما ذكره طبعه سبحانه في هذه الآية ( وثانيها ) التقدير نوحه من شجرة مباركة في بيوت أذن الله أن ترفع ( وثالثها ) وهو قول

أبى الله وأجمع إلى قوله (وملا من الذين خلوا من قبلكم) أى وملا من الذين حلوا من قبلكم في بيوت أذن الله أن ترفع . ويكون أمراء العرب خلوا الأثنياء والمؤمنين والبيوت المساجد . وقد اقتصر الله أخبار الأئمة عليهم الصلاة والسلام وذكرهم كلما كتبهم فيها عارضا . قوله (وإذا نسوروا المحراب) و (كلما دخل عابدا ذكر بالمحراب) معقول : (وإذا نسوروا) أيكم آيات ميقات . وأزنا أفاضلهم من أئمة فلكم من الأثنياء والمؤمنين في بيوت أذن الله أن ترفع (ورأيتهم) قول الحنفى أنه كلام مستأنف لا يتعلق له بما تقدم . والتقدير صدقوا في بيوت أذن الله أن ترفع (وعامة) وهو قول القراء والراجح أنه لا يخفى في الآية بوجه تقديم وتأخير . كأنه قال يسبح في بيوت أذن الله أن ترفع رجال صوم . كنت ذكرت . وأما قول أبى مسلم فقد اعترض عليه القاضي . ووجهون (الآول) أن قوله (وملا من الذين خلوا من قبلكم) المراد منه خلا من المسلمين من الرسل . لأنه مما تقدم من الإكرام على الرثة أهل الدنيا فلا يأتى ذلك بوصف هذه البيوت لأنها بيوت أذن أن يذكر فيها اسمه (الثاني) أن هذه الآية صارت مفضة عن تلك الآية بما قبل بها من قوله تعالى (الله نور السموات والأرض) وإنما قول الحنفى ففيل الاستمرار لا يجوز المصير إليه إلا عند الضرورة وعلى الأول الذي ذكره عمر بن الخطاب لا حاجة إليه إلا يجوز المصير إليه وإن قل على قول الرجاج . وجهه عليه الإشكال أيضا لأن على قوله يصير الذى في بيوت أذن الله يسبح له فيها حكوى قوله فيها شكر الله . غير فائدة . لم أقم ابن محمد مثل هذه الرتبة أول من نحل ذلك التفسير . قلت : رتبة لأجل أنها أكبر كثيرة . فكان المصير إليها أولى .

المسألة الثانية : أكثر المفسرين قالوا المراد من قوله (في بيوت) المساجد وعن غيره في بيوت قال من البيوت كلها والأول أولى لو جئنا (الآول) أن في البيوت حالا يمكن أن يوصف بأن الله تعالى أذن أن ترفع (الثاني) أنه تعالى وصفها بالذكر والتدريج والتمهيد وذلك لا يلقى إلا ما ساجد ثم الثقاتين بأن المراد هو المساجد . ولأن (أحدهما) أن المراد أربع مساجد الكعبة منها إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام . وبيت المقدس . وبيت داود . وبيتان عليهما الصلاة والسلام . ومسجد المدينة بناء النبي ﷺ ومسجد قباء الذى أسس على التقوى بناء نبي ﷺ وعن الحسن هو بيت المقدس يدرج فيه عشرة آفاق قدس (والثاني) أن المراد هو جميع المساجد والأول ضعيف لأنه تخصيص بالأول من مائة على جميع المساجد . قال ابن عباس رضى الله عنهما المساجد بيوت الله في الأرض وعن نصى . لأهل المدينة . المعوم لأهل الأرض .

المسألة الثالثة : اختلفوا في المراد من قوله (أن ترفع) على أقوال (أحدها) المراد من رفعها بإذن الله قوله (بناها مع حكماء صوابها) وقوله (وإذا رفع باربعهم القواعد من البيت) وعن ابن عباس رضى الله عنهما من المساجد أمر الله أن تبنى (وثانيها) ترفع أى تعظم وتظهر عن الأعماس وعن بقية من الأقوال عن الرجاج (وثالثها) المراكم معوم الأمرين .

(وَالْقَوْلُ الثَّانِي: أَوَّلُ لَانْ قَوْلَهُ) فِي: بَوْتِ (أَيْ: ائْتَمَانِ رَفْعٍ) ظَاهِرُهُ أَنَّهَا كَانَتْ يَوْمَ الْقِيَامِ  
الرَّفْعَ فَذَلِكَ أَنَّ رَفْعَ.

﴿السَّأَلَةُ الرَّابِعَةُ﴾ اخْتَلَفُوا فِي الْفَرْقِ مِنْ قَوْلِهِ (وَيَذْكُرُ فِيهَا اسْمَهُ) ظَاهِرُهُ (الْأَوَّلُ) أَنَّ عَامًّا فِي  
كُلِّ ذِكْرٍ (وَالثَّانِي) أَنَّ بَقِيَّةَ كِتَابِهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ (وَالثَّلَاثُ): لَا يَتَكَلَّمُ فِيهَا بِعَمَّا لَا يَبْنِي  
وَالْأَوَّلُ أَوَّلُ لَعَمْرُكَ لِلْفَرْقِ.

﴿السَّأَلَةُ الْخَامِسَةُ﴾ قَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَأَبُو بَكْرٍ عَنْ بَعْضِهِمْ بِسْمِ اللَّهِ بِفَتْحِ الْهَاءِ وَالْفَرْقِ تَكْسِيرَ هَا فَعَلِي  
الْقِرَاءَةُ الْأَوَّلُ يَكُونُ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى آخِرِ الْفُرُوفِ الثَّلَاثَةِ أَغْنَى لَهُ فِيهَا: الْقُدُّوْا وَالْإِصْلَاحُ، ثُمَّ قَالَ  
"لَزَجَاجٍ وَجَالٍ مَرْفُوعٍ لِأَنَّهُ لَمَّا قَالَ يَسْبَحُ لَهُ فِيهَا فَتَكُنْ لَهُ مِنْ يَسْبَحٍ: يَقُولُ يَسْبَحُ رَحْمَةً".

﴿السَّأَلَةُ السَّابِعَةُ﴾ اخْتَلَفُوا فِي هَذَا: يَسْبَحُ: لَا أَكْثَرُونَ حُلُولَهُ عَلَى غَيْرِ صَلَاةٍ، لَمْ  
يُخْتَلَفْ فِيهِمْ مِنْ حِلِّهِ عَلَى كُلِّ مَعْنَوَاتِ الْخَمْسِ وَمِنْهُمْ مَنْ حِلُّهُ عَلَى صَلَاتٍ أَصَحَّحَ وَالْمَصْرُفُ عَلَى كَلَامِ  
وَالْحَدِيثِ فِي ابْتِدَاءِ الْحَالِ ثُمَّ زَيْدٌ فِيهَا. وَمِنْهُمْ مَنْ حِلُّهُ عَلَى السَّجْدِ الَّذِي هُوَ تَزْيِيدٌ فِيهِ تَعْدِلُ عَمَّا  
لَا يُلِيقُ بِهِ فِي ذَاتِهِ وَمَعْنَاهُ: وَاصْبِرْ عَلَيْهِ بِأَنَّ الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ قَدْ عَطَفَتْهُمَا عَلَى ذَلِكَ مِنْ حُبِّهِ فَالْحَلُّ مِنْ  
ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِذْنِ الزَّكَاةِ وَهَذَا تَوْحِيدٌ أَشْبَهَ.

﴿السَّأَلَةُ السَّابِعَةُ﴾ الْإِصْلَاحُ بِحِلِّ الْأَصْلِ وَالْأَصْلُ جَمْعُ أَصْبَرٍ وَهُوَ الْعِشْيُ وَإِلَيْهَا وَجَدَ الْخُدُوعَ  
لِأَنَّهُ فِي الْأَصْلِ مَصْدَرٌ لَا يَجْعَلُ وَالْأَصْلُ اسْمٌ جَمْعٌ، قَالَ صَاحِبُ الْكَشَافِ بِالْمَعْنَوِي بِأَوَّلَاتِ  
الْعَدَاةِ بِالْعَدَوَاتِ وَقَرَأَ: وَالْإِصْلَاحُ وَدَوَّ: الدَّخُولُ فِي الْأَصْلِ بِقَالَ أَصْلُ كَأَنْتُمْ وَالْظُّوْرُ: قَالَ  
ابْنُ عَبَّاسٍ وَرَحِمَهُ اللَّهُ إِنَّ صَلَاةَ "فَضَحَى" إِلَى كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى مَذْكُورَةٌ وَبَلَاغُهُ الْآيَةُ وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ  
عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "عَامَسُ أَحَدٍ يَتَدَبَّرُ وَرُوحُهُ إِلَى الْمَسْجِدِ يَرْثُهُ عَلَى حَسْوَاهُ إِلَّا وَلَهُ عَدَاةٌ  
زَلَّ بِسَلَامَةٍ فِي الْحَيَاةِ" وَفِي رِوَايَةٍ مِنْ مَعْنَى مَرْفُوعَةٍ عَنْ غَدَاةٍ إِلَى الْمَسْجِدِ وَرَاحَ لِيَسْمَعَ خَيْرَ أَلْوٍ  
لِسَلَامَةٍ كَانَ كَائِلًا لِلْمَجَاهِدَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِجَمْعٍ غَائِظَةٍ.

﴿السَّأَلَةُ الثَّلَاثَةُ﴾ اخْتَلَفُوا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) فَقَالَ بَعْضُهُمْ: نَزَّاهُ عَنْهُمْ نَحَارًا  
وَبَلَاغَةً أَصْلًا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلَّ أَثْنَيْهِمْ نَحَارًا وَبَلَاغَةً وَبَلَّ أَنْهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يَسْتَعْلِمُونَ بِهَا شَأْنًا مِنْ  
ضُرُوبِ مَنَافِعِ التَّجَارَاتِ، وَهَذَا قَوْلُ الْأَكْثَرِينَ، قَالَ الْخَلِيفَةُ أَبُو وَائِلَةَ إِنَّ أَكْثَرًا نَجَسُوا، وَلَكِنْ  
إِذَا جَاءَتْ فَرَضُ اللَّهِ لَمْ يَلْزَمُهُمْ عَمَّا نَحْنُ: فَصَارُوا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، وَعَنْ سَلَمَةَ فَظَرَ إِلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ  
أَسْطُورٍ نَزَّاهُ عَنْهُمْ وَذَعَبُوا إِلَى الصَّلَاةِ فَقَالَ لَمْ يَلْزَمُهُمْ قَالَ تَعَالَى فِيهِمْ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) نَحَارًا، وَعَنْ ابْنِ  
مَسْرُودٍ مِثْلَهُ، وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا قَوْلُ أَوَّلَى مِنَ الْأَوَّلِ، لِأَنَّهُ لَا يَقَالُ لِي غَلَاةً لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَجَارَةً عَنْ كَيْتٍ  
وَكَيْتٍ إِلَّا تَوَهَّاهُ تَجَارَةً، وَإِنْ احْتَمَلَ الرَّجْعُ الْأَوَّلُ وَهَذَا نَزَّاهُ عَنْهُ:

(السُّؤَالُ الْأَوَّلُ) لَمَّا قَالَ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) دَخَلَ فِيهِ الْإِيحَاءُ فَلَمْ يُعَادْ ذِكْرُ الْإِيحَاءِ؟ فَقَالَا  
(الْجَوَابُ) عَنْهُ مِنْ وَجْهِهِ (الْأَوَّلُ) أَنَّ التَّجَارَةَ جِنْسٌ يَدْحِي تَحْتَهُ أَوَّلُ التَّجَارَةِ وَالْإِيحَاءُ لَا أَنَّهُ

سبحانه عنس البيع بالذكر لأنه في الإلهاء أو الغفل . لأن أروع الحماض في البيع يعني باعز ، وأروع الحماض في الشراء . شك مسبق ( الثاني ) أن البيع بمعنى تدبير الرضى بالتقيد ، والشراء بالتعكس ، وفيه في تحصيل الخفاء أكثر من العكس ( الثالث ) قال العلماء : التجارة لأهل الجلب . يقال : أخرج فلان في كذا إذا جله من غير بده . والبيع ما باعه على يده .

( في سؤال الثاني ) ثم يخص الرجل بالخفاء في الجواب لأن الخفاء ليس من أهل التعاريف أو الجمل .

﴿ المسألة التاسعة ﴾ اختلفوا في المراد بذكر الله تعالى ، فذهب قوم : المراد الله تعالى على الله تعالى والذوات ، وقال آخرون : المراد اصطلاحات ، فإن قيل : ما معنى قوله ( وإقام الصلاة ) ؟ هنا منه جوابان ( أحدهما ) قال ابن عباس رضي الله عنهما : المراد بإقام الصلاة إقامتها لموافقتها ( والثاني ) يجوز أن تكونت قوله ( وإقام الصلاة ) تحسية لذكر الله ، فم يذكر الله تعالى بين الصلاة وبين الصلاة .

﴿ المسألة العاشرة ﴾ قد ذكرنا في أول تفسير سورة النور في قوله ( ويقومون الصلاة ) أن إقام الصلاة هو القيام بعمها على شروطها ، ونحوه في حذف الخاء ما قاله الزجاج ، يقال أقم الصلاة إقامة ركائز الإسلام أو أقمها . ولكن قلت : أو أقمها حيث أقمها فقلت : إقامتها لا إقامتها . السالكين فني . أقم الصلاة بعمها ، وأدخلك الخاء عوضاً عن الضمير ، وقاب : الإضافة هنا في الضمير من مقام الخاء المحذوف . قال وهذا إجماع من أئمة الدين .

( المسألة الحادية عشرة ) اختلفوا في الصلاة تدبر من قال هي التمراض ، ومنهم من أدخل فيه الفاعل على ما حكاه في صلاة النقص عن ابن عباس ، والذوق أقرب لأنه إلى التبرؤ أقرب وكذلك القول في الزكاة أن المراد المرفوع لأن المرفوع في الشرع الله من ذلك . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : المراد من الزكاة ما دنا لله تعالى والإخلاص ، وكذلك في قوله ( وكان بأمر أهل الصلاة والزكاة ) وقوله : ( ما ذكر حكم من أهد ) وقوله ( فلهم هم وتزكيتهم بها ) وهذا متعجب لما تقدم ، ولأنه تعالى على الزكاة بالإيمان ، وهذا لا يحد إلا معنى بمعنى من حقوق المال . ثم المسألة الثانية عبارة به أنه سبحانه بين أن هؤلاء الرجال وإن تعبدوا بذكر الله والصلوات قائم مع ذلك من خوفه ولو جلى وأخوف مما . ( يخافون يوماً تنقلب الأبصار ) ( الآية ) وذلك الخوف إنما كان لطلبهم أنهم ، وعبدوا الله حق عبادته . واسلموا في المراد مغيب القلوب والأبصار على قول : فالقول الأول أن القلوب تضطرب . القول والفرع ونقص الأبصار لقوله ( وإذا زادت الأبصار وبلغت القلوب الحياض ) ( الثاني ) أنها تتغير أحوالها تخفف القلوب بعد أن كانت مضبوطة عليها لا تهمه وتبصر الأبصار بعد أن كانت لا تبصر ، فكأنهم اغفلوا من البصيرة إلى الغفل . ومن أغفل إلى اليقين ، ومن يقين إلى المداينة ، لقوله ( وبدا لهم من الله ما لم

وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَصْحَابُ كَسْرَابٍ رَافِقَةٌ يَمْسَسُهَا الْفُطُوحُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ لَمَّةٌ

يَكُونُوا يَحْمِلُونَ ( وقوله ( فقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك ) . ( الثالث )  
أن القلوب تنقلب في ذلك اليوم طمعاً في الدنيا وحضراً من الهلاك والأبصار تنقلب من أي ناحية يؤمرهم ، فمن ناحية المؤمنين أم من ناحية المشركين ؟ ومن أي ناحية يعطون كتابهم أم من قبل الإيمان أم من قبل الشك ؟ والفتنة لا يرحلون بهذا التأويل ، فانهم قالوا إن أهل الثواب لا خوف عليهم البتة في ذلك اليوم ، وأهل العقاب لا يرحلون العفو ، لكننا بينا غشاد هذا المدح غير مرة ( الرابع ) أن القلوب تزول عن أماكنها فتبلغ الحناجر ، والأبصار تصير زرغاً ، قال الضحاك : يحتر الكفار ويصره حديد وترقى عيشه ثم يعصى ، وينقلب قلب من الخوف حيث لا يجد محلاً حتى يقع في الحجرة فهو قوله ( إذ القلوب لدى الحناجر كالظن ) . ( الخامس ) قال الجبائي المراد بقلب القلوب والأبصار تغير هياتهما بسبب ما ينالها من العذاب ، فتكون مرة بهيمة ما ألتصق بالدار ومرة بهيمة ما اشتق ، قاله ويجوز أن يريد به قلبها على بحر جهنم ، وهو معنى قوله تعالى ( وقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ) .

( المسألة الثالثة عشرة ) قوله ( ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ) أي يملكون هذه الجزيات ليجزيهم الله ويقيمهم على أحسن ما عملوا ، وفيه وجه ( الأول ) المراد بالأحسن الحسنات أجمع ، ومن الطاعات فرضها ونفلها ، قال مقاتل : إما ذكر الأحسن تنبيهاً على أنه لا يجزيهم على ما سوى أعمالهم بل بغير ما لهم . ( الثاني ) أنه سبحانه يجزيهم جزاء أحسن ما عملوا على الواحد عنراً إلى سببائه ( الثالث ) قال القاضي : المراد بذلك أن تكون الطاعات بهم مكفرة لمصائبهم وإنما يجزيهم بقلة أعمال أحسن الأعمال ، وهذا مستقيم على مذهبه في الإحباط والموازنة .

أما قوله تعالى ( ويزيدهم من فضله ) فالمراد أنه تعالى يجزيهم بأحسن الأعمال ولا يقتصر على قدر استحقاقهم بل يزيدهم من فضله على ما ذكره تعالى في سائر الآيات من التضعيف . . . . . فإن قيل فهذا يدل على أن أهل الطاعة أترأ في استحقاق الثواب ، لأنه تعالى عيّن الجزاء عن الفضل وأتم لا يقولون بذلك ، فإن صدقكم البعد لا يستحق على ربه شيئاً ، فلما عيّن ثبوت الاستحقاق لم يكن بالوعد ذلك القدر هو المستحق والزائد عليه هو الفضل ثم قال ( ورافقه برزق من يشاء بغير حساب ) فيه به على كمال قدرته وكمال جوده ونفاذ مشيئته وسعة إحسانه ، فكان سبحانه لنا ومضهم بالجد والاجتهاد في الطاعة . ومع ذلك يكونون في نهاية الخوف ، فالحق سبحانه يعطيهم الثواب العظيم على طاعتهم ، ويزيدهم الفضل الذي لا حده في مقابلة خرفهم .

قوله تعالى : والذين كفروا أعمالهم كسرابٍ هائلةٍ تظنها ماءً حتى إذا جاءهم لم يشعروا

يَجِدُهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ قُوَّةَهُ حَابِرٌ وَاللَّهُ مَرِيحُ الْحَسَابِ ⑤ أَوْ كَطُلُوتٍ  
 فِي بَحْرِ لُجِّي يَفْتُلُهُ مَوْجٌ مِّنْ قُوَّتِهِ مَوْجٌ مِّنْ قُوَّتِهِ تَحَابُّ طُلُوتٍ بَعْضُهَا فَوْقَ  
 بَعْضٍ إِذَا أُتْرِجَ بَدَمٌ لَمْ يَكُنْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ⑥

شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ قُوَّةَهُ حَابِرٌ وَاللَّهُ مَرِيحُ الْحَسَابِ ، أَوْ كَطُلُوتٍ فِي بَحْرِ لُجِّي يَفْتُلُهُ مَوْجٌ مِّنْ قُوَّتِهِ مَوْجٌ مِّنْ قُوَّتِهِ تَحَابُّ طُلُوتٍ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أُتْرِجَ بَدَمٌ لَمْ يَكُنْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ .

اعلم أنه سبحانه لما بين حال المؤمن ، وأنه في الدنيا يكون في الدور وبسببه يكون متمسكاً بالعمل الصالح ، ثم بين أنه في الآخرة يكون فائزاً بالنعيم العظيم واثواب العظيم ، أتبع ذلك بأن بين أن الكافر يكون في الآخرة في أشد الخسائر ، وفي الدنيا في أعظم أنواع الطلقات ، وصرف لكل واحد منهما مثلاً ، أما المثال الذي على غيبته في الآخرة فهو قوله : والذين كفروا أعمالهم كسرابٍ بضيقه قال الأزهري ( السراب ) ما يترأى للعين وقت الضيق الأكبر في العذات شبه الماء الجاري وليس بماء ، وإنما الذي ينظر إليه من بعيد يظنه ماء حارياً ، فإذا سرب الماء يسرب مروباً فإذا جرى فهو سارب ، أما ( الال ) وهو ما يترأى للعين في أول النهار فيرى الناظر الصغير كبراً ، وظاهر كلام الحنفية أن الال والسراب واحد ، وأما ( لعيبة ) فصل القراءة هو جمع قاع مثل جبار وحيرة وقاع القديس من الأرض وقال صاحب الكشاف الآية معنى القاع ، وقال الزجاج ( الطمان ) قد يحدف حمزة ، وهو التشديد البطش ، ثم وجه التفسير أن الذي يأتي به الكافر إن كان من أعمال البر فهو لا يستحق عليه ثواباً ، مع أنه يعتقد أنه ثواباً عليه ، وإن كان من أعمال الإثم فهو يستحق عليه عقاباً مع أنه يعتقد أنه يستحق عليه ثواباً ، فكيف كان فهو يستحق أن ثواباً عند الله تعالى ، فإذا وافى عرشه استبان ، ولم يجد الثواب بل وجد العقاب العظيم جعلت حسرة ونهاه عنه ، فبقية حاله حال الظلمات الذي تشدد ساعته إلى الله ، فإذا شاهد السراب تعلق قلبه به ورجوه به النجاة ، بقوى طمعه فإذا حابه وأيسر مما كان يرجوه ، ففهم ذلك حاله ، وهذا المثال في غاية الحسن ، قال مجاهد السراب عمل الكافر وإنيانه إياه مودة ومعارفة الدنيا فان قيل قوله ( حتى إذا جاءه ) يدل على كونه شيئاً وقوله ( لم يجد شيئاً ) ما مضى له ؟ قلنا الجواب عنه من وجوه ثلاثة : ( الأول ) المراد معناه أنه لم يجد شيئاً تماماً كما يقال فلان ما عمل شيئاً ، وإن كان قد اجتهد ( الثاني )

حتى إذا جاءه أى ياد موضع السراب فيجد السراب شيئاً فاكثف يذكر السراب عن ذكر مرضه (الثالث) الكتابة فسراب لأن السراب يرى من بعيد فكتب الكتابة كأنه منباب وهذا وإذا قرب منه رقى واشتر وصار كالخود .

أما قوله ( ووجد الله عنده ثوبه حسابه ) أى وجد عذاب الله الذى توجد به الكافر عند ذلك فغير ما كان فيه من ظل النور العظم إلى نيف الضرر العظيم ، أو وجد ذبابة الله عنده يأخذونه فيقبلون به إلى جهنم فيسقونه أخيراً والناسق ، وهما الذين قال الله تعالى فيهم (عائلة ناصية) . (ويحسبون أنهم يحسنون صنأً) ، (وقدما إلى ما عملوا من عمل) وقيل نزلت في عتبة بن ربيعة بن أبة ، كان قد قتل وليس المسوح والنس الدين في الجاهلية ثم كفر في الإسلام .

أما قوله ( وانه مريع الحساب ) فذلك لأنه سبحانه عالم بجميع المعلومات فلا يشق عليه الحساب ، وقال بعض المشككين مناه لا يشغله حساب واحد عن آخر كنهن ، ولو كان يتكلم بآلة كما بقوله المشبه لما صح ذلك . وأما المثل الثانى فهو قوله (أو كظلمات في بحر لجي) وفي لفظه أو هنا وجوه : (أحدها) أعلم أن الله تعالى بين أن أعمال الكفار إن كانت حسنة فثقل السراب وإن كانت قبيحة فهي الظلمات (وثانيها) تقدير الكلام أن أعمالهم إما كسراب بغيره وذلك في الآخرة . وإما كظلمات في بحر وذلك في الدنيا (وثالثها) الآية الأولى في ذكر أعمالهم وأهم لا ينحسرون مما عمل ثم ، والآية الثانية في ذكر عقابهم فلما تده أعمالهم كما قال (بحر جهنم من الظلمات إلى النور) أى من الكفر إلى الإيمان يدل عليه قوله تعالى (ومن لم يعمل الله له نوراً قبالة من نور) وأما البحر اللجى فهو ذو اللجة التى هي مقام الماء الغمر تبعيد القمر ، وفي اللجى لغتان كسر اللام وحسبها ، وأما تقرير المثل فهو أن البحر اللجى يكون قمره مظلماً جداً بسبب غمورة الماء ، فإذا ازدقت عليه الأمواج إردادت الظلمة فإذا كان فوق الأمواج حجاب بفتة الظلمة النهاية القصوى ، فالواقع في قمر هذا البحر اللجى يكون في نهاية شدة الظلمة ، ولما كانت العادة في إردائها من أقرب ما يراها ومن أبعد ما يظن أنه لا يراها ، فقال تعالى (ثم يراها) وبين سبحانه بهذا الجرح تلك الظلمة إلى أقصى لهايات ثم شبه به الكافر في اعتقاده وهو عند المؤمنين في قوله تعالى (نور على نور) وفي قوله (يسمى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم) ولهذا قال أبي بن كعب الكافر يقبل في خمس من الظلم كلامه وعمله ومدخله وعزله ومضيقه إلى النار ، وفي كنفية هذا التفسير وجوه أخر : (أحدها) أن الله تعالى ذكر ثلاثة أنواع من الظلمات ظلمة البحر وظلمة الأمواج وظلمة الحساب وكذا الكافر له ثلاث ظلمة لا اعتقاد وظلمة القول وظلمة العمل عن الحسن (وثانيها) شهدوا قلبه وبصره وسمعه بهذه الظلمات الثلاث عن ابن عباس (وثالثها) أن الكافر لا يبرى ، ولا يبرى أنه لا يبرى ، ويعتقده ببرى ، فهذه المراتب الثلاث تشبه تلك الظلمات (ورابعها) أن هذه الظلمات متراكمة فكذا الكافر لئدة بإصراره على كفره ، قد تراكت عليه



أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْبِحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالشَّيْرُ صَافَّاتٌ كُلُّ قَدْ  
عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٩﴾ وَفِي مَلِكِ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾

الاضلالات حتى أن أظهر الدلائل إذا ذكرت عنده لا يدرى (وخاصة) قلب معلّم في صنوه فلم .  
أما قوله (طلمات بعضها فوق بعض) هروى عن ابن كتي أنه قرأ عجب وقرأ طلمات  
بالحر على ابدال من قوله (نور كطلمات) (وعدّه أبداً أنه قرأ عجب طلمات كما ضلّ عجب راحة  
وعجب عذاب على الإضافة وقرأة ابائين عجب طلمات كما هما بالرفع والتوبيع وعدم الكلام  
عبد قوله (عجب) ثم أبداً (طلمات) أي ما تقدم ذكره (طلمات) عجباً فوق بعض) .  
أما قوله (لم يكدر رايها) فيه قولان . (أحدهما) أن كاد فيه إثبات وإثباته في قوله (وما كادوا  
يفعلون) نفي في الغبط ولكنه إثبات في المعنى لأنهم فسوا ذلك وقوله عليه الصلاة والسلام : كان أقفر  
أن يكون كغفر أنه إثبات في المعنى لأنه من في المعنى لأنه لم يكفر فكيف عجباً قوله (لم يكدر رايها)  
معناه أنه راعها (والثاني) أن كاد معناه المقاربة فهو له (لم يكدر رايها) معناه لم يقارب الوقوع وهو معلوم  
أن الذي لم يقارب الوقوع لم يقع أبداً وهذا القول هو الخار والآخر صديق لرحمن (الأول) أن  
ما يكون أقل من هذه ظلمات فانه لا يرى فيه شيء فكيف مع هذه الظلمات (الثاني) أن المقصود  
من هذا التحليل المدافعة في جهالة الكفار وذلك إنما يحصل إذا لم توجد الرؤية البتة مع هذه الظلمات .  
أما قوله (ومن لم يجعل الله نورا فما له من نور) فقال أصحابنا إنه سبحانه لما وصف هداية  
المؤمن بأن في ساية الجلاء والظهور عظم بأن قال (يهدى الله لنوره من نهار) ولما وصف  
ضلالة الكافر بأنها أن ساية الظلمة عظم بقوله (ومن لم يجعل الله نورا فما له من نور) والمقصود  
من ذلك أن يعرف لاسان أن ظهور الدلائل لا يفيد الايمان وخالة الطريق لا تجمع منه . فان  
الكل مربوط بخلق الله تعالى وهدايته ونكوته . وقال العاصمي المراد بقوله (ومن لم يجعل الله  
نورا) أي في الدنيا بالأطراف (فما له من نور) أي لا يهدى فيتبعه ويحتمل (ومن لم يجعل الله  
له نورا) أي خلاصاً في الآخرة وفوراً بالشواب (فما له من نور) والكلام عليه تزيهاً وتبريراً معقول .  
قوله تعالى : ألم تر أن الله يسبح له في السموات والأرض والشَّيْرُ صَافَّاتٌ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ  
وتسبيحه والله علّم شئاً يفعلون وفي تلك السموات والأرض وإلى الله المصير ﴿١٠﴾

اعلم أنه سبحانه لما وصف أولئك المؤمنين وظلمات قلوب المخالفين تبع ذلك بدلائل التبريد :  
(فالتسبيح الأول) كما ذكره في هذه الآية ولا شبهة في أن المراد ألم تعلم . لأن التسبيح لا

تتناوله الرؤية بالهر ، ويتناول علم بالقلب ، وهذا الكلام وإن كان ظاهره استغناء ما المراد انقريب  
والبيان ، فيه ثقل على ما يرم من منطجه بأن من في السموات يسبح له وكفلاك من في الأرض ،  
واعلم أنه إما أن يكون المراد من التوسيع دلالة هذه الأشيد على كونه تعالى مزمعا على  
التفانيس موصوفاً بشعوت الجلال ، وإما أن يكون المراد منه أنها تنطق بالتوسيع وتنكلم به ، وإما  
أن يكون المراد منه في حق البعض الدلالة على كونه في حق الباقين العن باللسان ، والقسم  
الأول أقرب لأن القسم الثاني ، معطوف ، لأن في الأرض من لا يكون متكلماً لا يسبح بهذا المعنى ،  
والمشكفون منهم من لا يسبح أيضاً بهذا المعنى كالكفار ، أما القسم الثالث وهو أن يقال إن من  
في السموات وهم الملائكة يسبحون باللسان ، وأما الذين في الأرض فمنهم من يسبح باللسان ومنهم  
من يسبح على سبيل الدلالة فهذا يقتضي استعمال اللفظ الواحد في الحقيقة والجزاء معاً ، وهو غير  
جائز ، فلم يبق إلا القسم الأول وذلك لأن هذه الأشياء مشتركة في أن أجسامها وصفاتها المعنى  
تزيه الله سبحانه وقال وعلم قدرته وإجلته وتوحيده ، وعده فسمى ذلك تزيهاً على وجه التوسيع ،  
فإن قبل فالتوسيع بهذا المعنى حاصل لجميع المخلوقات فبما وجه تخصيصه هنا بالعباد ؟ فلما لأن  
خلقته العفلا ، أشد دلالة على وجود الصانع سبحانه لأن الإعجاب والقرائب في خلقهم أكثر وهي  
المفعل والتعلق والفهم .

أما قوله تعالى ( والظير صافات ) فليقتل أن يقول ما وجه اتصال هذا بما قبله ؟ ( والجواب )  
أنه سبحانه لما ذكر أن أهل السموات وأهل الأرض يسبحون ذكر أن الذين استغفروا في الهواء  
الذي هو بين السماء والأرض وهو الظير يسبحون ، وذلك لأن إعطاء الجرم القليل القوة التي بها  
يقوى على التعرف في جو السماء صفة باسطة أجنحتها بما فيها من القبض واللبط من أعظم  
الدلائل على قدرة الصانع المعبّر سبحانه وجعل طيراتها مجوداً منها له سبحانه ، وذلك يؤكد كونه  
من أن المراد من التوسيع دلالة هذه الأحوال على التزيه لا التعلق بالساق .

أما قوله ( كل قد علم صلاته وتسبيحه ) فيه ثلاثة أوجه ( الأول ) المراد كل قد علم الله  
صلاته وتسبيحه قالوا ويملك عليه قوله سبحانه ( والله عليم بما يفعلون ) وهو اختيار جمهور  
المشككين ( والثاني ) أن يورد الضمير في الصلاة والتسبيح على فقط كل أي أنهم يعلمون ما يجب  
عليهم من الصلاة والتسبيح ( والثالث ) أن تكون الملاءمة على ذكر الله يعني قد علم كل  
سبح وكل فعل صلاة الله التي كلفه إياها وعلى هذين التقديرين قوله ( والله عليم ) استئناف  
وروي عن أبي ثابت قال كنت جالساً عند محمد بن جعفر الباقر رضى الله عنه فقال لي : أتدري  
ما تقول هذه التعابير عند طلوع الشمس وبعد طلوها ؟ قال لا ، قال فأنشدني من جبريل وميكائيل  
قوت يومين . واستبعد المشككون ذلك فقالوا الظير لو كانت عارضة بآلة تعالى لكأن كالعفلا ، الذين  
يضمون كلامنا وإشارتنا لكنها ليست كذلك ، فإنا نعلم بالضرورة أنها أشد تقصاً من الصبي الذي

لا يعرف هذه الأمور فأن ينتج ذلك بها أولى ، وإذا ثبت أنها لا تعرف الله تعالى استحال كونها مصدقة له بالحق ، فثبت أنها لا تسبح الله إلا ما كان الخلق على ما تقدم تقريره .

قال بعض العلماء : شاهد أن الله تعالى أعلم الطيور وسائر اختراعات أعمال الطبيعة بمجوز أعما أكثر العقلاء ، وإذا كان كذلك لم لا يجوز أن يلهمها معرفة ودعاء وتسبيحه ، وبأن أنه سبحانه ألهمها العمل بالطبيعة من وجوه وأحدهم احتياجا في كيفية الاصطياد فأولئك السمكوت كيف يأخذ من الخيل الطبيعة في اصطياد الدياب . ويقال إن الدب يسلي في نر النور فإذا ألتزم سطحه بيت غرائبه بقرينه ولا يزال ينهش ما بين ذراعيه حتى ينغصه . وأنه يرى بالحجارة ويأخذ العصا ويضرب الإنسان حتى ينزعم أنه مات فيركه وربما عاد دبت معه ويخوض من نفسه ويسعد البحر ألحاف صوته وبهم الطيور بين كفه قمره أيضا يأخذ من صدفة الأخرى ثم يفتح فيه جدير فذره ويسعه له . ويتكلم عن الدار في سرده أمور غريبة (روايتها) أم التحل ومالها من الرياحة وبها السيوت المسندة التي لا يسكن من ربها فأخذ من المندسين (روايتها) فقال الكراكي من طرف من أطراف الدار إلى أطراف الآخر طائرا يرافقه من الأوبة . وقال ابن من خواص الخيل أن كل واحد منها يعرف صوت الحرس الذي قابله وهما من الكلاب تنصيح بالنية المروفة ها ، والهدوء إذا سبي أو نرب من الدواد المروفة بحاشي القود عند إلى زيل الإنسان فأكله ، وأنما سيج يذبح أمورها فاعاز مع عندها كانه من وينض ما بين أسنانه . وعلى رأس ذلك العليم كالشمس فإذا هم التماس ذلك العليم : نذر من ذلك شجرة بعضهم يخرج الطائر ، والسحابة تناول بعد شكل الخية صديرا حليا ثم تعود وقد عرف من ذلك ، وحكي بعض التفات الجربين قصد أنه شاهد الحماري تفادى الأملى . وسيم من به في بقعة تناول منها ثم تعود ولا يزال ذلك . أنه فكان ذلك تسبيح فاعاد في كل غار قبل الفهد وكبار . بقعة قريبة من مكته فلما استعمل الحماري ما لا يسمي تلعب بالغة فضادت الحماري إلى مينا خفة دمه وأحدث نذير حول منبتها دورا منابها حتى حرمها فتم تسبيح أنه كان يتأخر . كشكها من المصمة . وذلك البقرة كانت هي الحرجير الهوى ، وأما ابن حرم من يستظهر في ذال الحية بأكل السداب فإن تشككه الشايية مع دهر من الألفى والكلاب إذا دردت بطونها أكلت من النقم . وإذا خرجت القذافي بعض ، بصا دأوت حراسها بالصبر الحلي (روايتها) فذا من قد تحس بالتحال والجرب قبل الهوى وغير المند من إلى جحره وكان بالفسطاطية رجل قد جرى بساب أنه كان ينفر الرياح بين هجره وينتفع الناس بالمداد وكان سبب بوهة غذاء في دله فعمل الصنيع المذكور يستدل به . وألحطاف صانع بيدي أعاد الله من الطائر . وعظم الحشيش من أعورده طير ابل ونمرغ في التراب يهمل حاسدا قدما من الطائر . وإذا أخرج بالغ في نهم الفراج يأخذ شرفا عنقه فاره ويربها عن العنق . ثم يهلهلها إلى الفاء الذي نحو طرف العنق . وإذا زاد الصائد من مكان فراج القبة طربت له القبة وغربت منه مصدقة له

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْسِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِطَائِهِ وَيَنْزِلُ مِنْ أَسْمَاءٍ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَافِرُهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ ﴿١٦﴾ يُغْلِبُ اللَّهُ الْبَيْلَ وَالْأَنْهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٧﴾

ليعلمنا ثم تذهب إلى جانب آخر سوى جانب فراخها . وتأثر الخشب فتأثر مع على الأرض بل على الفصح ينظر الموضع الذي يعلم أن فيه دوداً . وتأثر أنق تصدق في الجو جيداً عند الطيران قال حبيب بعضها من بعض ضباب أو صحاب أحدثت عن أجنتها خفيفاً مدوراً يذهب بعضها بعضاً . فإذا نالت على جبل طامها تنقع رزوقها تحت أجنحتها إلا القليل فإنه ينهم مكشوف الرأس فيسرع اتجاهاه . وإذا سمع حرساً صاح . وحال الخيل في الذهاب إلى مواضعها على خط مستقيم يحفظ بعضها بعضاً أمر عجيب . واعلم أن الاستقصاء في هذا الباب مذكور في كتاب طائع الحيوان . والمقصود أن الأكاسير من العقلاء . يميزون عن أمثال هذه الحيل . فإذا جاز ذلك فلم لا يجوز أن يقال إنها ملهمة من عند الله تعالى بمعرفة وإنشاء خلقه . وإن كانت غير عارفة بمسائر الأمور التي يعرفها الناس ؟ والله در شهاب الإسلام السعداني حيث قال : حل جانب الجلال . عن أن يكون من غير أن لا يزال .

أما قوله سبحانه ( والله ملك السموات والأرض ) وإلى الله المصير فهو مع وجازة فيه دلالة على تمام علم الجبر والتمدد . وقوله ( والله ملك السموات والأرض ) تنبيه على أن الكل منه لأن كل ما سواه ممكن ومحدث والملك والوجود لا يوجدان إلا عند الاشياء . إلى تقديم الواجب فدخل في هذه القضية جميع الأحرار والأعراس وأعمال العباد وأهوالهم وغيرها من .

وأما قوله ( وإلى الله المصير ) فهو عبارة عامة في معرفة المبدأ وهو أنه لا بد من مصير الكل إليه سبحانه . وله وجه آخر وهو أن الوجود بدأ من الانشراح فالأشرف . لا إلا إلى الأخس فالأخس ثم يأخذ من الأخس فالأخسر منزقاً إلى الأشرف فالأشرف . فإنه يكون بسماً ثم يصيره موصوفاً بأنانية ثم الحيوانية ثم الانسانية ثم الملكية ثم ينهي إلى واجب الوجود لذاته . فالأخسر فالأول هو قوله ( والله ملك السموات والأرض ) (وإن كان هو قوله ( وإلى الله المصير ) .

قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْسِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِطَائِهِ وَيَنْزِلُ مِنْ أَسْمَاءٍ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَافِرُهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ . يُغْلِبُ اللَّهُ الْبَيْلَ وَالْأَنْهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾

اعلم أن هذا هو النوع الثاني من الجلال وفيه مسائلان :

❖ المسألة الأولى ❖ قوله ( ألم تر ) تعين هناك والمراد القوية والإجزاء السوق قليلاً قليلاً .  
ومنه البضاعة المزجاة التي يذهبها كل أحد وإجزاء البحر في الإنزال المرفق بها حتى تصير شيئاً شيئاً  
ثم يؤلف به . قال الغراء بين لا يصحح إلا مضافاً إلى اسمين مضافاً . وإنما قال بينه لأن  
السحاب واحد في اللفظ . ومما أجمع والواحد محابة . قال الله تعالى ( وجعل السحاب انفال )  
والنائب ضم شيء إلى شيء . أي يجمع بين قطع السحاب ويجعلها محاباً واحداً ثم يجعله ركناً أي  
مجتزئاً . والركم جمع شئاً فوق شئ . حتى يجعله مركزاً . والركن : المقار . قاله ابن عباس وعن  
بجاء : القطر . وعن أبي مسلم الأصمعي : انفال ( من خلافة ) من شقوق وعوارق جمع خال يقال  
في جمع جبل ، وقرى . من خلقه .

❖ المسألة الثانية ❖ اعلم أن قوله ( يرحي محاباً ) يجعل له سبحانه يفسه شيئاً يدنى .  
ويجوز أن يعبره من سائر الأقسام لا في حالة واحدة . وفي الوجه الأول يكون نفس السحاب  
محدثاً . ثم إنه سبحانه يؤلف بين أجزائه . وعلى الثاني يكون الحدث من قبل الله تعالى تلك الصفات  
التي باعتبارها صارت تلك الأقسام محاباً . وفي قوله ( ثم يؤلف بينه ) دلالة على وجوبها  
متقدماً متفرقاً إذ التأليف لا يصح إلا بين موجودين . ثم إنه سبحانه يجعله ركناً . وذلك بتركيب  
بعضها على البعض . وهذا ما لا بد منه لأن السحاب إذا جعل الكثير من الماء إذا كان بهذه  
الصفة وكل ذلك من عجائب خلقه ودلالة ما لا يحصى والاعتداد . قال أهل الطوائع إن تكون السحاب  
والهمل والتنج والبرد والنمل والصفير في أكثر الأمر يكون من تكاثف البخار وفي الأقل من  
تكاثف الهواء . أما الأول فالبخار الصاعد إن كان قليلاً وكان في الهواء من الحرارة ما يحلل ذلك  
البخار حينئذ ينحل ويقلب هوالاً . وأما إن كان البخار كثيراً ولم يكن في الهواء من الحرارة  
ما يحلل ذلك البخار ذلك الأخرى المتصاعدة إما أن تبلغ في صعودها إلى الطبقة الباردة من  
الهواء أولاً فيبلغ فان بلغت فاما أن يكون البرد هناك قوياً أولاً يكون ، فان لم يكن البرد هناك  
قوياً تكاثف ذلك البخار بذلك القدر من البرد . واجتمع وتقاطر فالبخار المتجمع هو  
السحاب . والمقطر هو المطر . والذينة والوايل إنما يكون من أمثال هذه الغيوم . وأما  
إن كان البرد شديداً فلا يخفى إما أن يصل البرد إلى الأجسام الحارة قبل اجتماعها والمحللها  
سبباً كثيراً أو بعد مرورها كذاك . فان كان على الوجه الأول نزل الثلج . وإن كان  
على الوجه الثاني نزل برداً . وأما إذا لم تبلغ الأبخرة إلى الطبقة الباردة فهي إما أن تكون  
كثيرة أو تكون قليلة . فإن كانت كثيرة فهي قد تصعد محاباً ما حاراً وقد لا تصعد . أما الأول  
فذلك لأحد أسباب حدة ( أحدها ) إذا مع هبوب الرياح عن تصاعد تلك الأبخرة ( وثانيها )  
أن تكون الرياح صاعدة إماها إلى الاجتماع بسبب وفرض جهات تدوم الريح . ( وثالثها )

أف تكون هناك رياح متعاقبة متصادمة فتخرج سموك الأبخرة جيداً (ورائهما) أن يمرض بلغم المخدم وقوف الفقه وبها حركته ، ثم يلتصق به سائر الأجزاء الكثيرة المتد (وعاصمها) شدة برد الغواص القريب من الأرض . وقد شاهد البحار بعدد في بعض الجبال صموداً كبيراً حتى كأنه ملكة مرصوعة على وحدة . ويكون الناطق إليها فوق تلك النماة والمين يكونون تحت الفخامة يعطون والمين يكونون فوقاً يكونون في الشمس . وأما إذا كانت الأبخرة الغليظة الارتفاع فليها لطيفة ، فإذا صيرها برد التبريد كغليظها وعقدتها ما يحسوها فربما لا مفرقاً لا يحسرها إلا بعد اجتماع شيء يعتد به . فإن لم يجد ذلك طلاء ، وإن جد كان صعباً . وقد قيل المصنع إلى الغلظ نسبة الناج إلى الماء . وأما تكون السحاب من انقباض الهواء فذلك عند ما يبرد الهواء وينقبض ، وجبت يحصل منه الأقسام المذكورة (والجواب) أنها لما دلت على حدوث الأجسام وتوحيدها بذلك إلى كونها قادراً على اعتبارها بكونها إيجاد الأجسام لم تكن الانقباض مما ذكرناه لاحتمال أنه سبحانه خلق أجسام السحاب دالة لا يخلط بين الذي ذكرناه ، وأيضاً هو أن الأمر كما ذكرتم ، ولكن الأجسام بالانقباض تنكس في ذواتها فلا بد مما من مؤثر . ثم إنها مثبته ، فاحتمال كل واحد منها بصفته المعنية من السمو والوسط واللطافة والكثافة والخزيرة والبرودة لا بد له من مخصص ، فإذا كان هو سبحانه خالق تلك الصفات وتلك القبايع موزعة في هذه الأحوال وخالق تشييب خالق السحب ، فكذلك سبحانه هو الذي يرحي سحاباً . لأنه هو الذي خلق تلك القبايع المحركة لتلك الأبخرة من باطن الأرض إلى جو الهواء . ثم إن تلك الأبخرة إذا تراصفت في صمودها والتصنعه بعضها بالدمع فهو سبحانه هو الذي جعلها ركناً ، فنتج عن تجميع تلك قدرات أن وجه الاستدلال بدمع السحاب على القدرة والحكمة ظاهر بين .

أما قوله سبحانه : وينزل من السماء من جبال (من برد) فهو مبنيان :

**في المسألة الأولى** في هذه الآية قولان : أحدهما : أن في السماء جبلاً من برد خلقها الله تعالى كذلك ، ثم ينزل منها ما شاء ، وهذا القول عليه أكثر المفسرين ، قال جماعة من الكلبي : جبال من برد في السماء (والهوال تعالى) أن السماء هو العرم المزمع على رءوس الناس حتى بذلك لسوره وأمرنا ، وأنه تعالى أول من هذا التغيير الذي هو سحاب البرد وأراد بقوله من جبال السحاب البطالم لأنها إذا علمت أشبهت الجبال ، كما يقال فلان ينزل جبلاً من مال ووصفت بذلك توسعاً وذهبوا إلى أن البرد ما جاهد خلقه الله تعالى في السحاب ، ثم أنزله إلى الأرض ، وقال بعضهم إنما سمى الله ذلك التغيير جبلاً ، لأنه سبحانه خلقها من البرد ، وكل جسم شديد متجمد فهو من الجبال ، ومنه قوله تعالى (وانفخوا الذي خلقكم الجبل الأولين) ومنه فلان يجول على كذا ، قال المفسرون (والآتون أول لان السماء) ثم هذا الجسم المخصوص ، فجعله اسماً للسحاب بطريقة الاشتقاق مجازاً ، وكما يصح أن يجعل الله الماء في السحاب ثم ينزله برداً ، فقد يصح أن يكون في

وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي

السما. جبال من برد ، وإذا صبح في القدره كما الأخرى ملا وجه لترك الظاهر .

﴿ المسألة الثانية ﴾ قال أبو علي الفارسي قوله تعالى ( من السماء من جبال فيها من برد ) فمن الأولى لا ابتداء العاية لأن ابتداء الإنزال من السماء ، والثانية قد يفيض لائق ما ينزل الله بعض تلك الجبال التي في السماء ، والثالثة للبين لائق جنس تلك الجبال جنس البرد ، ثم قال ومفعول الإنزال محذوف والتقدير وينزل من السماء من جبال فيها من برد ، إلا أنه حذف للدلالة عليه .

أما قوله ( فيصيب به من يشاء ويصرفه عن يشاء ) فالظاهر أنه راجع إلى البرد ، ومعلوم من حاله أنه قد يضرب ما يقع عليه من حيوان وثالث ، فينب سبحانه أنه يصيب به من يشاء على وفق المصلحة ويصرفه . أي يصرف ضرره عن يشاءه أن لا يسقط عليه ، ومن الناس من حل البرد على الحمر وجعل نزوله جارياً محرم عذاب الاختصال وذلك بعيد .

أما قوله تعالى ( يكاد سنا رقه يذهب بالأبصار ) ففيه ما نزل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ قرئ ( يكاد سنا رقه ) على الإدغام وقرئ رقه جمع رقة وهي المقادير من البرق ورقة بصوتين للإبلاغ كما قيل في جمع قطرة فقلت كقطرات ، وسنا رقه على أنه والمقصود بمعنى الضوء والمقصود بمعنى التلويح والارتفاع من قولك سنى للارتفاع ( يذهب بالأبصار ) على زيادة الباء كقوله ( ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ) عن أبي حنيفة الملقى .

﴿ المسألة الثانية ﴾ وجه الاستدلال بقوله ( يكاد سنا رقه يذهب بالأبصار ) أن البرق الذي يكون صفته ذلك لا بد وأن يكون ناراً عظيمة خالصة ، والنار حس الماء والبرد فظهوره من البرد يقتضي ظهور العند من العند ، وذلك لا يمكن إلا بقوة قادر حكيم .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ اختلف التحويلات في أنك إذا قلت ذهبت يريد إلى الدار قبل يجب أن تكون ذاهباً منه إلى الدار ، فانسكروا احتجوا بهذه الآية :

أما قوله ( يذهب الله الليل والنهار ) فقيل فيه وجوه : منها فتانها ومعني أحدهما بعد الآخر وهو كقوله ( وهو الذي يجعل الليل والنهار خلفه ) ومنها ولوج أحدهما في الآخر ، وأخذ أحدهما من الآخر ، ومنها تغير أحوالهما في المرة والخروج لغيرهما ولا ينتفع في مثل ذلك أن يريد تعالى معنى الشكل لأنه في الإنعام والاعتبار أولى وأغوى .

أما قوله تعالى ( إن في ذلك لآية لأولى الأبصار ) فاعلم أن فيها تقدم ذكره دلالة لمن يرجع إلى بصيرة فمن هذا الوجه يدل أن الواجب على المرء أن يضر ويقتدر في هذه الأمور ، ويدل أيضاً على نسيان التغليب .

قوله تعالى : ﴿ والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ﴾

عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ  
 ﴿١٥﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾

ومهم من يهدي على أربع يخلق الله ما يشاء . والله على كل شيء قدير . لقد أرسلنا آيات مبينات والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

اعلم أن هذا هو النوع الثالث من ثلاث على الوعدانية وذلك لأنه لما استدل أولاً بأحوال العباد والأرض وثانياً بالآيات النبوية ثم ثالثاً بأحوال الحيوانات ، واعلم أن على هذه الآية سؤالات :

١- لماذا الأول : فذلك أنه تعالى : ( والله خلق كل دابة من ماء ) مع أن كثير من الحيوانات غير مخلوقة من الماء ، أما ثلاثكم فم أعلم الخمسات عدداً وهم يحويون من النور . وأما الجن فم مخلوقون من النار . وسأله آدم من الملائكة : ( أخلق عيسى من المربع ) لقوله : ( دفعناه من روحنا ) أيضاً ترى أن كثيراً من الحيوانات يتولد لا عن الطائفة (والجواب) من وجود : (أحداهما) وهو الإحس ما قاله الفعلا وهو أن قوله ( من ماء ) صفة كل دابة وليس حرم من صفة خلق ، والماء أن كل دابة متولدة من الماء فهو مخلوقة لله تعالى ( وثانها ) أن أصل جميع المخلوقات الماء على ما يروى قول ما علوه الله تعالى حورقة : فطر بها بعين الحية فصارت ماء ثم من ذلك الماء خلق النار والحواء والنور . ولما كان المقصود من هذه الآية بيان أصل الخلقة وكان الأصل الأول هو الماء لا حرم ذكره على هذا الوجه ( وثالث ) أن المراد من الدابة الخدب على وجه الأرض ومكسبه ذلك فيخرج عنه الملائكة والجن . ولما كان أغلب جداً من هذه الحيوانات كونهم مخلوقين من الماء . إما لأنها متولدة من الطائفة . وإما لأنها لا تعيش إلا بالماء . لا حرم إطلاق أصل الكل فربلا فاداب من كل .

٢- السؤال الثاني : علم ذكر الماء . وقوله : ( من ماء ) وحده مع رأي قوله : ( وجعل من الماء كل شيء حي ) : (والجواب) إنما هو ذلك لأن المانع أنه خلق كل دابة من نوع من الماء يختص بخلق الدابة . وإنما هو مع رأي قوله : ( وجعل من الماء كل شيء حي ) لأن المقصود هناك كونهم مخلوقين من هذا الجنس . ودعا بيان أن ذلك الجنس يقسم إلى أنواع كثيرة .

٣- السؤال الثالث : قوله ( فأنهم ) صير الفعلا . وكذلك قوله ( من ) ( فلم أسمعه في غير الفعلا ) : (والجواب) أنه تعالى ذكر عللاً بعد مع من يعقل ويحم الملائكة والإنس والجن فغلب



اللعط اللائق من يعلى ، لأن جعله شرف أصلاً والخسيس ثمناً أول من العكس ، ويقال في الكلام : من القليل ( لرجل ) ويبر .

( السؤال الرابع ) لم سمى الزحف على الفعل شيئاً ، وبين الحق هذا السؤال أن الصبي قد يوصف بأنه يجبر ، لا يقال إنه يمشي وإن زحف على حماره زحف الجبة ( والحواب ) هذا على سبيل الاستعارة كما قالوا في الأمر المستمر قد مضى هذا الأمر ، ويقال فلان لا يمشي له أمر أو على طريق المشاكة لذلك الزحف مع المشايين .

( السؤال الخامس ) أنه لم يمدح في العفة لأنما هو ما يشي عياً أكثر من أربع مثل العساكب والقوارب والرتلات على مثل الخيولان الذي له أربعة وأربعون رجلاً الذي يسمى دخال الأذن ( والحواب ) القسم الذي ذكرتم كالنادر فكان ملحفاً بالمصم ولأن الغلاصة يبرون بأن ما له قوائم كثيرة فاعتاده إذا مشى على أربع جهاته لا غير فكانت يمشي على أربع ، ولأن قوله تعالى ( يعلى الله ما يشاء ) كالتيب على سائر الأقسام .

( السؤال السادس ) لم جاءت الأجناس الثلاثة على هذا الترتيب ١٢ ( والحواب ) قد قدم ما هو أعجب وهو المشايي بغير أنه مشى من أرجل أو قوائم ثم المشاي على رجلين ثم المشاي على أربع ، واعلم أن قوله ( يعلى الله ما يشاء ) فيه على أن الحيوانات كما اخلفت حسب كيفية المشي فكذلك هي مخلقة بحسب أمور أخرى ، فذكرها بهذا الترتيبات :

١- التقسيم الأول في الحيوانات قد افترق في أخص ، وقد تباين ، فاستطاع ، أما الشوكة مثل اشتراك الإنسان والفرس في أن لها لحم وعصب وجل ، وأما الثيابي فلما أن يكون في نفس العضو أو في صفته ، أما الثابت في نفس العضو فلي وجهين : ( أحدهما ) أن لا يكون العضو حاصلًا للآخر ، وإن كانت أجزاؤه حاصلة للثاني كالفرس والإنسان ، فإن الفرس له ذنب والإنسان ليس له ذنب وسكن أجزاؤه الذات ليست بالأعظم والعصب واللحم والحند والدم ، وكل ذلك حاصل للإنسان ( والثاني ) أن لا يكون ذلك العضو حاصلًا للثاني لا بدنه ولا أجزائه مثل أن تدخفه صدمًا محيطه ، وليس للإنسان ذلك وكذا تسلك فموس والقفزة شوك وليس شيء منها للإنسان وأما الثابت في صفة العضو ، فلما أن يكون من باب الشوكية أو الكيفية أو الوضع أو العمل أو الاتصال ، أما الذي في الشوك ، فليد أن يفعل بالقدر مثل أن عين تبوم كبيرة وعين لثياب صبرة أو فاعد مثل أن أرجل ضرب من العساكب تنه وأرجل ضرب آخر ثمانية أو عشرة ، والذي في التكيف فكما اختلافها في الألوان والأشكال والصلابة واللين ، والذي في الوضع فمثل اختلاف وضع شئ الفس فإنه يكون قريباً من الصدر وبني الفرس طوله عند الصرة ، وأما الذي في العمل فلي كون أذن الصيل حاصلًا للذنب مع كونه آلة للسمع وليس كذلك في الإنسان وكون

أنه آله لبعض دون آتيت غيره . وأما الذي في الاحتمال فأن يكون عن الخفاش سرعة العبر في الضوء وعن الخطاف خلاف ذلك .

في التفسير الثاني أن الحيوان إما أن يكون مائماً ، حتى أن مسكه الأصلي هو الماء ، أو ترصياً ، أو يكون مائماً ثم يصير أرضياً . أما الحيوانات المائية ، من أسماكها ومن دجونه (الأول) أنه إما أن يكون مأكلاً ، وعذائته ، وغذاءه مأكله بدل بنفس في المأكول فتشقى المأكول فيرغب في الماء إلى الحذاء ثم يبرده ، ولا يعيش إلا عارفاً . والسمك كله كذلك ومنه ما مأكله وعذائته مأكله وكنهه يذهب من المأكول مثل سمك الفيل المائى . ومنه ما مأكله وعذائته مأكله وليس بنفس ولا يشقى مأكله أصناف من الصدف لا تطير للهواء ولا تستدخل الماء إلى باطنها (الوجه الثاني) الحيوانات المائية بعضها مأواها مياه البحار الجارية وبعضها مياه البطائح من الضفاف وبعضها مأواها مياه البحر (الوجه الثالث) مهاطية ومنها شطية ومنها طينية ومنها صحيرية (الوجه الرابع) الحيوان المنقر في الماء ما يرسد في غوصه على رأسه وفي الساحة على أجنحته كالسمك ومنه ما يمتد في السباحة على رجله كالضفدع ومنه ما يمشي في بصر الماء كالسرطان ومنه ما يزحف مثل صرغ من السمك لا يحتاج له وكالدود ، أما الحيوانات البرية فتغير أحوالها أيضاً من وجهين (الأول) أن منها ما ينقص من طريق واحد كالغيم والخيشوم ومنها ما لا ينقص كذلك بل على نحو آخر من حسنه مثل الزبور والحمل (الثاني) أن الحيوانات الأرضية منها ما له مأوى معلوم ، ومنها ما مأواه كيب مفتوح إلا أن يله فيقيم للخصاية والمواثيق لها مأوى فبعضها مأواه شق وبعضها حفر وبعضها مأواه تارة رابية وبعضها مأواه وجه الأرض (الثالث) الحيوانات البرية كل طائر منه ذو جناح فإنه يمشي برجليه . ومن جملة ذلك ما مشى عليه كالخطاف الكبير الأسود والخفاش . وأما الذي جناحه جلد أو غشاء فقد يكون عديم الأرجل كصرب من الحيات الحفشية بعض (الرابع) الطير يختلف فيعضها يتعاضى مما كان كراكي وبعضها يؤثر العود كالعقاب وجميع الجوارح التي تتنازع على الطعام لا احتياجها إلى الاحتياط لصيد وماهتها فيه ، ومنها ما يتعاضى زوجاً ويكون مأكلاً قطعاً . ومنه ما يتجمع تارة ويفترق أخرى والحيوانات المنفردة قد تكون مدنية وقد تكون برية صرفة وقد تكون بستانية والإنسان من بين الحيوانات هو الذي لا يمكن أن يعيش وحده فإن أسباب حياته ومدينته تثتم بالمشاورة المدنية والحمل والفعل وبعض الفرائين يشارك الإنسان في ذلك لكن الحمل والكر اكي نطبع برعاً واحداً والعمل له اجتباع ولا ترنس (الخامس) الطير منه آكل لحوم ومنه لا يخط حب ومنه آكل عشب ، وقد يكون لبعض الطير عظم معين كالحنبل فإن عظامه زهر والمسكرت فإن غذاءه الذباب وقد يكون بعضه مفتق الطعام (أما القديم الثالث) وهو الحيوان الذي يكون تارة مائماً ، وأخرى ربما يقال إنه حيوان يكون في البحر ويعيش فيه ثم إنه يبرز إلى البر ويعيش فيه .

في التفسير ثالثية الحيوان من ماهر ينس بانطرح كالإنسان ومنه ماهر إيسى بالمولد كالمهرة والفرس ومنه ماهر إيسى بالفسر كالثور ومنه مالا يأكل كالنمل والسمك من ماهر من ماهر إيسى من أسماك كالبطل ومنه ماهر إيسى كالإنسان ويشبه أن يكون من كل نوع صنف إيسى وصنف وحشي حتى من الناس .

في التفسير الرابع نوع من الحيوان ماهر بصوت ومنه مالا يصوت له وكل بصوت ماله بصير . في الأغلام و حركة سمود الخزع أسد نصوباً إلا الإنسان ، وإيضاً بعض الحيوان خلق بشدة على وقت كالديك ومنه خفيف و وقت موز

في التفسير الخامس نوع من الأخلق بعض الحيوانات هادئة الطبع قليل الغضب مثل البقرة وبعضه شديد الجول مثل الغضب كالمغزى والفرس حليم بدوخ كالغزال وبعضه شدي الحركة مثل كالحية وبعضه جري قوي شبيه كبير الفرس كزيم الطبع كالأسد ومنها قوى مغال وحش كالغضب وبعضها مغال كالحمار وفي الحركات كالغضب وبعضها غريب شبيه الغضب صعب إلا أنه ملق مشود كالغضب وبعضها شديد الكيف مسان كالغزال والفرس وبعضها حديد مشد على كالأغنام و بعضه شديد التحفظ كالغزال والحمار .

في التفسير السادس نوع من الحيوان ما ناسله بأن مله أثناء حيراناً وبعضها ما ناسله بأن مله أثناء دوا كالغزال والسمك كوت لها ناسله دوناً ، ثم إن أعضاده تتشكل بعد وبعضها ناسله بأن بعض أياها بعضاً .

واعلم أن القول قاهر من الإجماع بأحوال أصغر الحيوانات على سبيل المثال . ووجه الاستدلال به على أصابع ظاهر لانه لو كان الأمر بتركيب الطوائف الأربع فذلك بالنسبة إلى شكل على السوية واختصاص كل واحد من هذه الحيوانات بأعضاده وأفرادها ومقادير أعضاده وأعمارها وأحجامها لابد وأن يكون بتدبير حديد قاهر حكيم . بعداه ومثل عما يقول الجاهلون ، وأحسن كلام في هذا الموضوع قوله سبحانه (عنه الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير) لأنه هو العاقل على التكل والتدليل لكل موز المنطق على أحوال هذه الحيوانات ، فأى عقل يقض عليها وأى حاصر يصل إلى ذمة من أمر لها . بل هو الذي يحق ما يشاء ولا يذمه منه مانع ولا دفع .

وأما قوله (لقد أنزلنا آيات مبينات) فالأولى حمل على كل الأدلة والتعريف . ولما كان القرآن كالشعر على كل ذلك صبح أن يكون هو المراد .

أما قوله (واقعه جدي من يشار إلى صراطه نقي) فالاستدلال أحسن منه كما تقدم (والجواب) أحاط القاصي عنه بأن المراد جدي من لبعه حد التكلف دون غيره . أو يكون أفراد من أقطاعه واستحق الثواب فيجده إلى الحجة على ما تقدم في نظائره . وجواباً عن هذا الجواب أيضاً كما تقدم في نظائره والله أعلم .

وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿١٨﴾ وَإِنْ يَكُنْ لَّكُمُ الْخُسُفُ بَآئِنًا إِلَى اللَّهِ مُدْرِعِينَ ﴿١٩﴾ أَلَيْسَ لِقُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَمْ أَرَأَيْتُمْ أَن يُخَافُوا أَنْ يُخَيِّفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٠﴾

قوله تعالى : ﴿ ويقولون آمنا بالله وبالرسل وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين ﴾ ، وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون . وإن يكن لهم الخسوف يأتوا إليه مدعين ، أي قلوبهم مرض ، أم لو كانوا آمنوا بخافوا أن يخيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون . ﴿

العلم أنه سبحانه لما ذكر دلائل التوحيد أتمه بذكر قوم اعتدوا بالله ، بالسنة ، ولعنهم لم يغفروهم فوجوه مائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ : قال مقاتل زلت هذه الآية في بشر المنافق وكان قد حاصم يهودياً في أرض وكان اليهودي يحرمه إلى رسول الله ﷺ ليحكم بينهما ، وجعل المنافق يحرمه إلى كعب بن الأشرف ، ويقول إن محمداً يخيف عليهما وقد مضت قصتهما في سورة النساء ، وقال الضعيف زلت في المغفرة ، وإن كان بينه وبين علي بن أبي طالب أرض قتالها الواقع إلى علي منها ما لا يصبه الماء إلا بدمه ، فقال المغفرة يعني أرضك فباعها إليه ، وبعضها بقي غصيرة أخذت سبعة لا ياتها الماء ، فقال النبي ﷺ : لك فاعلمت به إن رغبنا ولم أودها فلا ياتها الماء . فقال علي بن الأشرف يورثها ويصونها وعرفت حالها لا أحبها منك ، ودعا إلى أن يخافه إلى رسول الله ﷺ فيجوز قتال المغفرة ، فما جد قالت آية ولا أحاكم إليه فانه غضني وأنا أخاف أن يخيف علي فزلت هذه الآية . وقال الحسن رأت هذه الآية في المنافقين الذين كانوا يصفرون الإنسان بسردن الكفر .

﴿ المسألة الثانية ﴾ : قوله ﴿ ويقولون آمنا ﴾ إلى قوله ﴿ وما أولئك بالمؤمنين ﴾ . بل على أن الإيمان لا يكون بالقول بل لو كان له لما صح أن يني كراههم مؤمنين . وقد فعلوا ما لم يؤمنوا في الحقيقة ، وإن قيل إنه تعالى سكت عن قلوبهم أنهم يقولون آمنا ، ثم حكى عن فريق منهم التولي

تخيف يصح أن يقول في جميعهم ، ( وما أولئك بالمؤمنين ) مع أن الذي تولى منهم هو البعض ؟  
 قلنا إن قوله ( وما أولئك بالمؤمنين ) راجع إلى الذين تولوا لا إلى الجنة الأولى . وأيضاً ظر  
 رجع إلى الأول يصح ويكون معنى قوله ( ثم يتولى فريق منهم ) أي يرجع هذا الفريق إلى الذين  
 منهم فيظهر بعضهم لبعض الرجوع عما أظهروه ، ثم بين سبحانه أنهم إذا دعوا إلى الله ورسوله  
 ليحكم بينهم إذا فريقين منهم معرضون ، وهذا ترك لرضا بحكم الرسول . وبه بقوله تعالى ( وإن  
 يكن لهم الحق بأتوا إليه مذعنين ) على أنهم إنما يعرضون متى عرفوا الحق لغيرهم أو شكروا  
 فأما إذا عرفوه لأنفسهم عدوا عن الإعراض بل ساروا إلى الحكم وأدعوا يفتل الرضا ، وفي  
 ذلك دلالة على أنه ليس هم أتباع الحق ، وإنما يرجعون النفع المذجل ، وذلك أيضاً نفاق .

أما قوله تعالى ( أني قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله )  
 فبه سزالات :

( السؤال الأول ) كلمة أم للاستفهام وهو غير جائز على الله تعالى ( والجواب ) اللفظ  
 استفهام ومعناه الخبر كما قال جرير :

السم خير من ركب المطايا | وأندى المالكين طون راح

( السؤال الثاني ) أهملوا عانوا أن يحيف الله عليهم فقد ارتابوا في الذين وإذا ارتابوا  
 في قلوبهم مرض ، فالكل واحد ، فأى فائدة في التعدد ؟ ( الجواب ) قوله ( أني قلوبهم مرض )  
 إشارة إلى النفاق وقوله ( أم ارتابوا ) إشارة إلى أنه حدث هذا الشك والريب بعد تقرير الإسلام  
 في القاب ، وقوله ( أم يخافون أن يحيف الله عليهم ) إشارة إلى أنهم بلغوا في حب الدنيا إلى حيث  
 يتركون الدين بسبه .

( السؤال الثالث ) حب أن هذه الثلاثة متضاربة ولكنها متلازمة فكيف أدخل عليها كلمة  
 أم ، ( الجواب ) الأقرب أنه تعالى ذمهم على كل واحد من هذه الأوصاف فكان في قلوبهم مرض  
 وهو النفاق ، وكان فيها شك وارتباب ، وكانوا يخافون الخيف من الرسول عليه الصلاة والسلام  
 وكل واحد من ذلك كفر وفاق ، ثم بين تعالى بقوله ( بل أولئك هم الظالمون ) جلالة داهم عليه  
 لأن الظلم يتناول كل معصية كما قال تعالى ( إن أشركك ظلم عظيم ) إذ المار لا يغلو من أن يكون  
 عالماً لنفسه أو غافلاً لقومه ، ويمكن أن يقال أيضاً فما ذكر تعالى في الانقسام كونهم عاتقين  
 من الخيف . أبطل ذلك بقوله ( بل أولئك هم الظالمون ) أي لا يعلمون أن يحيف الرسول عليه  
 الصلاة والسلام عنهم لمعرفتهم بأمانته وصيانتهم وإبهم ظالمون يريدون أن يظلموا من له الحق  
 عليهم وهم له جعود ، وذلك نفي لا يبدل طبعونه في مجلس رسول الله ﷺ ثم يأتون المحاكاة إليه .

إِنْ كَانَ قَوْلُ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَنْفِقْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَفْسُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لِنِ أَمْرِهِمْ إِيْرَحْنُ قُلْ لَا تَهْمُوا طَاعَةَ مَرْوَةَ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا رَسُولُ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَمَا عَلَيَّ خَيْرٌ وَمَعَكُمْ مَا حُمِلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى

الرُّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾

قوله تعالى : ﴿٥١﴾ إِنْ كَانَ قَوْلُ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويضع فآؤلك هم المفلحون . وأفسووا بالله جهداً أيهم أن أمرهم إبحر عن قُلْ لَا تَهْمُوا طَاعَةَ مَرْوَةَ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ . قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَمَا عَلَيَّ خَيْرٌ وَمَعَكُمْ مَا حُمِلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ .

اعلم أنه تعالى لما حكى قول المنافقين وما قالوه وما فعلوه أتبعه بذكر ما كان يجب أن يفعلهوا وما يجب أن يسلكه المؤمنون . فقال تعالى : ﴿٥١﴾ إِنْ كَانَ قَوْلُ الْمُؤْمِنِينَ ( وفيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ قرأ الحبيب قول المؤمنين بالرفع والاصب أقوى لأن أولى الأصحاب نكوه اسمها لما كان أوغلبه في التعريف وأن يقولوا أوغل لأنه لا سبيل عليه لاسمكم بخلاف قول المؤمنين .

﴿ المسألة الثانية ﴾ قوله ( إِنْ كَانَ قَوْلُ الْمُؤْمِنِينَ ) معناه كذلك يجب أن يكون قولهم وطريقهم إذ دعوا إلى حكم كتاب الله ورسوله أن يقولوا سمعنا وأطعنا فيكون إتيانهم إليه وانقيادهم له سماعاً وحققة . ومعنى ( سمعنا ) أجبنا على تأويل قول المسلمين جميع لقدر حمده أي قبل وأجاب . ثم قال ( ومن يطع الله ورسوله ) أي إتيانا له ورسوله ( ويخش الله ) أي يخشاه من الله وبني القاضى ( ويضع ) أي يرضى ( فآؤلك هم المفلحون ) وهذه الآية على إجماعها حاوية لكل ما ينبغي المؤمنين أن يفعلهوا .

أما قوله ( وأولئك هم المفلحون ) وأولئك هم الذين إبحر عن : فقال تعالى : من طاعه الله

وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا  
 اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ  
 بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ  
 الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾

فقد أجمع في الآية ، ثم قال لما بين الله تعالى كراهية المنافقين حكم رسول الله ، فقالوا  
 والله إن أمرتنا أن نخرج من ديارنا وأموالنا ونقاتل لمرجنا ، وإن أمرتنا بالجهاد جهادنا ، ثم  
 إنه تعالى أمر رسوله أن ينهائهم عن هذا القسم فهو ( قل لا تفسموا ) ولو كان قسمهم كما يجب  
 لم يحرز النبي عنه لأن من حارب على القيام بالبر والواب لا يجوز أن ينهى عنه ، وإذا ثبت ذلك  
 ثبت أن قسمهم كان لغناهم وأن ما ظنهم خلاف ظاهرهم . ومن نوى الغنى لا الرقاة نفسه  
 لا يكون إلا قبيحاً .

أما قوله ( طاعة مبرورة ) فهو إما خبر مبتدأ محذوف ، أي المطلوب منك طاعة معروفة  
 لا أيمان كاذبة ، أو مبتدأ خبره محذوف أي طاعة مبرورة أمثل من قسمكم بما لا تصدقون فيه ،  
 وقيل معناه دعوا القسم ولا تفترؤا به وعليكم طاعة معروفة فتمسكوا بها . ونقرأ البريدي ( طاعة  
 مبرورة ) بالنصب على معنى أطيعوا طاعة الله ( إن الله خير بما تعملون ) أي بصبر لا يصح عليه  
 شيء من سرقة أو إثم وإنه فاضحكم لاجتماعه ومجانبتكم على فسادكم .

أما قوله ( قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم ) ،  
 فاعلم أنه تعالى صرف الكلام عن الفرية إلى الخطاب على طريقة الالتفات ، وهو المألوف في نبيكهم  
 ( فإن تولوا ) يعني إن تولوا عن طاعة الله وطاعة رسوله فانما على الرسول ما حل من تبليغ  
 الرسالة ( وعليكم ما حملتم ) من الطاعة ( وإن تطيعوه تهتدوا ) أي تمسكوا بالحق ، وإن عصيتموه  
 فاعلى الزمور إلا البلاغ المبين ، والبلاغ بمعنى التبليغ ، والابن الواضح ، والموضح لما يكتم  
 إليه الخاصة ، ومن تابع له قرأ ( فانما عليه ما حل ) بفتح الحاء والتخفيف أي فعله إثم محمل  
 من النصيحة .

قوله تعالى : وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليعتصمهم في الأرض كما استخلف  
 الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني  
 لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴿٥٦﴾

اعلم أن تقدير الصم بلغ أي الرسول وأطموه أيها المؤمنون ، فقد وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات أن الذين هموا بغير الإيمان والعمل الصالح أن يستخلفهم في الأرض فيجدهم الخلفاء والعلمانيين والمساكين كما استخلف عازرا من قلمهم في زمن نوح ، وسليمان عليهما السلام وغيرهما ، وأنه يمكن لهم بينهم وليكمته ذلك هو أن يؤيدهم النصرة والإعارة وسددهم من ردد خوهم من القدر أمنا بأن يصرفهم فإياهم فيقاتلهم وأمرنا بذلك نعرفهم ، فيصدقون آمين لا يشركون في شيتا ولا يخافون ( من كفر بما أنزل من ربه هذا الوعد ، وإنه قالوا لك هم القاسيون ) .

واعلم أن هذه الآية مشتملة على بيان أكثر المناهج الأوصافية الدينية ونشتر إلى مصادقها :

﴿ **المسألة الأولى** ﴾ قوله تعالى : وعد الله الذين آمنوا منكم ، يدل على أنه سبحانه جعل منكم لأن الوعد نوع من أنواع التكلام والمقصود من أنواع الوصوف ، وصف الحس ، وإلا به سبحانه تلك مطاع والملك المطاع لابد وأن يكون بحسب حكمته وعد أولياته ووعده أعدائه ذلك أنه سبحانه جعل منكم .

﴿ **المسألة الثانية** ﴾ الآية تدل على أنه سبحانه يعلم لأشياء قبل وقوعها خلافا لما علم من الحكم ، فإنه قال لا يعلم قبل وقوعها ووجه الاستدلال به أنه سبحانه أخبر عن وقوع شيء في المستقبل (حسباً على المتصديق وقد ، مع الخبر - ضابطاً للخبر - ومن هذا الخبر لا يضح إلا مع العلم .

﴿ **المسألة الثالثة** ﴾ الآية تدل على أنه سبحانه حي قادر على جميع المقدرات لأنه قال ليستخلفهم في الأرض ولهم من طم عليهم الذي لا يفسى لهم وليستخلفهم من بعد حوفهم أمناً ) وقد يدل كل ذلك وصدر عند الأسباب لا يصح إلا من القادر على كل المقدورات .

﴿ **المسألة الرابعة** ﴾ الآية تدل على أنه سبحانه هو المستحق للعبادة لأنه قال بعدوني ، وقالت المدة له الآية تدل على أن الله تعالى مطلق لا يقر من لأن المعنى لكي بعدوني وقالوا أبعداً الآية فإنه على أنه سبحانه يريد العبادة من الكل لأن من عمل صلا فرض فلا بد وأن يكون مريداً لذلك الفرض .

﴿ **المسألة الخامسة** ﴾ ذلك الآية على أنه نسأل منه عن الشريك لقوله ( لا يشركون في شيتا ) وذلك يدل على أن الآية تنافي . وعلى أنه لا يجوز عبادة غير الله تعالى وإن كان كوكباً كما تنوّه الصائبة أو صنفاً كما تنوّه عبدة الأوثان .

﴿ **المسألة السادسة** ﴾ ذات الآية على صحة نبوة محمد ﷺ لأنه أخبر عن الغيب في قوله ( بعدتظفهم في الأرض ولهم من طم عليهم الذي لا يفسى لهم وليستخلفهم من بعد حوفهم أمناً ) وقد وجد هذا الخبر موافقاً للخبر وعمل هذا الخبر معجز ، والمعجز دليل التصديق يدل على صدق محمد صلى الله عليه وسلم .

﴿ **المسألة السابعة** ﴾ ذات الآية على أن العمل الصالح سارج عن معنى الإيمان ، خلافاً منبذته لأنه عطف العمل الصالح عن الإيمان والمنطوق سارج عن المعطوف عليه .



في المسألة الثامنة : دللت الآية على إمامة الأئمة الأربعة وذلك لأنه تعالى وعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الحاضرين في زمان محمد ﷺ وهو المراد بقوله باستخلفهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وأن يمكنهم دينهم المرضي وأن يبدلهم دينه الخوف أمناً ، ومعلوم أن المراد بهذا الوعد بعد الرسول هؤلاء لأن استخلاف غيره لا يكون إلا بعده ومعلوم أنه لا يبدله لأنه خاتم الأنبياء ، فإذا المراد بهذا الاستخلاف طريقة الإمامة ومعلوم أن بعد الرسول الاستخلاف الذي هذا وصفه إما كان في أيام أبي بكر وعمر وعثمان لأن في أيامهم كانت الفرج النظمية وحصل التمكن وظهور الدين والأمن ولم يحصل ذلك في أيام علي رضي الله عنه لأنه لم يفرغ جهاد الكفار لاستغارة بحار طيه من مخالفه من أهل الصلاة ثبت بهذا دلالة الآية على صحة خلافة هؤلاء ، فإن قيل الآية تنوكة الظاهر لأنها تقتضي حصول الخلافة لكل من آمن وعمل صالحاً ولم يكن الأمر كذلك ، رداً عنه ، لكن لم لا يجوز أن يكون المراد من قوله ( يستخلفهم ) هو أنه تعالى يسكنهم الأرض ويمكنهم من التصرف لأن المراد منه خلافة الله تعالى وشايد يبدل خلقه قوله ( كما استخلف الذين من قبلهم ) واستخلاف من كان قبلهم لم يكن بطريق الإمامة فوجب أن يكون الأمر في حقهم أيضاً كذلك ، رداً عنه ، لكن هنا ما يدل على أنه لا يجوز منه على خلافة رسول الله لأن من مذهبه أنه عليه الصلاة والسلام لم يستخلف أحداً وروى عن علي عليه السلام أنه قال أمركم كما ترككم رسول الله . رداً عنه ، لكن لم لا يجوز أن يكون المراد عما عليه السلام والواحد قد يبرر عنه بلفظ الجمع على سبيل التعظيم كقوله تعالى ( إنا أنزلناه في ليلة القدر ) وقال في حق علي عليه السلام ( والذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ) رداً عنه ، ولكن نعهده على الأئمة الإثني عشر ( والجماعة ) من الأولى . أن كلمة من للتعيين فقوله ( منكم ) يدل على أن المراد بهذا الخطاب بعضهم ( وعن الثاني ) أن الاستخلاف بالمعنى الذي ذكرناه حاصل لجميع الخلق فالذكر ههنا في معرض التشارة لا بد وأن يكون مفزأ له .

وأما قوله تعالى ( كما استخلف الذين من قبلهم ) فالذين كانوا قبلهم كانوا أحقاً تارة بسبب النبوة وتارة بسبب الإمامة والخلافة خاصة في صورتين ( وعن الثالث ) أنه وإن كان من مذهبنا أنه عليه الصلاة والسلام لم يستخلف أحداً بالتعيين ولكنه قد استخلف بذكر الوصف والأمر بالاحتياط فلا يمتنع في هؤلاء الأئمة الأربعة أنه تعالى استخلفهم وإن الرسول استخلفهم ، وعلى هذا الوجه قالوا في أبي بكر خليفة رسول الله ، فالذي قيل إنه عليه السلام لم يستخلف أئمة على مره بالتعيين وإذا قيل استخلف فالمراد على طريقة الوصف والأمر ( ووص الرابع ) أن حمل لفظ الجمع على الواحد مجاز وهو خلاف الأصل ( وعن الخامس ) أنه باطل لوجوب ( أحدهما ) قوله تعالى ( منكم ) يدل على أن هذا الخطاب كان مع الحاضرين وهؤلاء الأئمة ما كانوا حاضرين ( الثاني ) أنه تعالى وعدهم القوة والشوكة والنفوذ في العالم ولم يوجد ذلك جميع فثبت بهذا صحة إمامة الأئمة

وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاطِيعُوا أَرْسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥١﴾ لَا تَحْسَبَنَّ  
الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٢﴾

الأربعة وبطل قول الرافضة للطاعين على أبي بكر وعمر وعثمان وعلي فقال قول الجوارح  
الطاعين على عثمان وعلي ، ولم صرح إلى أنفسهم .

أما قوله ( فليستخلفهم ) فظاهر أن يقول أين القسم الملتقي باللام والثبوت في استخلفهم . هذا  
هو محذوف خبره وصدم الله ليعتصمهم أو قال وعد الله في ثقته من الله القسم التالي : فليستخلفهم  
به القسم كأنه قال أقسم الله فليستخلفهم .

أما قوله ( كما استخلف الذين من قبلهم ) كاستخلف مروان ويونس والودع وسليمان .  
وتقدير الطعام ليستخلفهم استخلافاً كما بخلاف من قبلهم من هؤلاء الأعداء عليهم السلام .  
وقرى : كما استخلف منهم النار وكسر اللام . وقرئ : بالفتح .

أما قوله تعالى ( ولو لم يكن لهم دينهم الذي قرئهم لم ) فالمراد أنه ثبت لهم دينهم الذي  
أرغى لهم وهو الإسلام ، وقرأ أبو بكر وعاصم ويعقوب ( وليد لهم ) من الآية : والخفيف  
والباثون بالفتح . وقد ذكرنا الفرق بينهما في قوله تعالى ( بدلهم جلوداً غيرها ) .

أما قوله ( يمشون ) لا يمشون في ثيابهم بل في ثيابهم دالة على أن الذين عندهم لا يمشون عن  
عبادة الله تعالى إلى الفسقة . وقال القرطبي يجوز أن يكون في موضع الخبر على معنى ( وعد الله  
الذين آمنوا بشيء وعلموا الصالحات ) في حال عبادتهم وإخلاصهم لله يفعلون به كعبادة الله  
ويجوز أن يكون استخفافاً على طريق تشبيه عليهم .

أما قوله ( ومن كفر بعد ذلك ) أي جحد من هذه الأمم ( فأولئك هم الفاسقون )  
أي الناصرون

قوله تعالى : وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاطِيعُوا أَرْسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ، لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ  
كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٢﴾

أما تفسير بقية الصلاة وآيات الزكاة . ولغة لعل ولعللة لعل والرحمة . فالكل قد تقدم مراراً ،  
وأما قوله ( لا تحسب الذين كفروا معجزين في الأرض ) فظاهر لا تحسب يا محمد الذين كفروا  
سابقين فائزين حتى يجزوني عن إدراكهم . وقرئ : لا يحسب بالياء المنعجة من تحسب . وفيه  
أوجه ( أ- إما أن يكون معجزين في الأرض مما المفعولان ، والمعنى لا يحسب الذين كفروا

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَسَأَدَتِكُمُ الَّذِينَ مَلَكْتُ أَيْمَنُكُمْ وَالَّذِينَ لَا يَلْعَنُوا  
أَحْلُمُ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ  
الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْدَاتٍ لَكُمْ لَبْسٌ عَلَيْكُمْ وَلَا ظُهُمُ جُنَاحٌ  
بَعْدَهُنَّ مُطَوَّقُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ  
حَكِيمٌ ⑤ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ  
قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ⑥ وَالْفَوَاحِشُ مِنَ النِّسَاءِ  
الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ  
بِرِيشَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ⑦

أحداً يمسأد في الأرض حتى يعلموا هم في مثل ذلك ( وثالثها ) أن يكون في حميم الرسول  
صلى الله عليه وسلم لتقديم ذكره في قوله ( وأطيعوا الرسول ) والفقهاء لا يحجبون الذين كفروا  
معيدين ( وثالثها ) أن يكون الأصل ولا يحجبهم الذين كفروا معيدين ، ثم حذف الضمير  
الذي هو المفعول الأول .

ولما قرأه ( ومأوام الدار وأرض المصير ) فقال صاحب ( الكشاف ) : الظاهر لا يجعل أن  
يكون متصلاً بقوله ( لا تحسبن ) لأن ذلك نقي . وهذا إيجاب . فهو إذن موصوف بالولو على مفسر  
فيله تحذيره لا تحسبن الذين كفروا معيدين في الأرض بل هم مفهيدون ومأوام النار .  
قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَسَأَدَتِكُمُ الَّذِينَ مَلَكْتُ أَيْمَنُكُمْ وَالَّذِينَ لَا يَلْعَنُوا لِمَسَأَدَتِكُمُ الَّذِينَ  
ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ  
عَوْدَاتٍ لَكُمْ لَبْسٌ عَلَيْكُمْ وَلَا ظُهُمُ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ مُطَوَّقُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ  
اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ⑤ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ  
قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ⑥ وَالْفَوَاحِشُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ  
عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِرِيشَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ⑦

اعلم أن في الآية مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ قال القاسم : قوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم ) وإن كان ظاهره الرجال فالمراد به الرجال والنساء لأن التذكير يظبط على الآيت فإذا لم يجر فدخل تحت قوله ( يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم ) الكل . ويحذف ذلك قوله تعالى ( الذين ملكت أيمانكم ) لأن ذلك يقال في الرجال والنساء . والأولى عندي أن الحكم ثابت في النساء بقياس على . وذلك لأن النساء في باب حفظ الثورة أشد حالا من الرجال ، فهذا الحكم لما ثبت في الرسل فتبوت في النساء بطريق الأولى ، كما أناثبت حرمة الضرب بالقياس الجلي على حرمة التأنيب .

﴿ المسألة الثانية ﴾ ظاهر قوله ( الذين ملكت أيمانكم ) يدخل فيه البالغون والصغار . وحكي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن المراد الصغار . واحتجوا بأن الكبير من المالك ليس له أن ينظر من المسالك إلا إلى ما يجوز للحر أن ينظر إليه . قال ابن المسيب : لا يفرنكم قوله ( وما ملكت أيمانكم ) لا ينهي للمرأة أن ينظر عبدا إلى فرطها وشعرها وشيء من محاسنها . وقال الآخرون : بل البالغ من المالك له أن ينظر إلى شعر ماله كونه وما شاكله . وظاهر الآية يدل على اختصاص عبيد المؤمنين والأطفال من الأحرار بإباحة ما حظره الله تعالى من قبل على جماعة المؤمنين بقوله ( لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم ) فإنه أباح لهم إلا في الأوقات الثلاثة ويجوز دعوتهم مع من لم يبلغ بغير إذن ودخول المولى عليهم بقوله تعالى ( ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم ) أي يطوف بفضكم على بعضهن فيما عدا الأوقات الثلاثة . وأكد ذلك بأن أوجب على من بلغ الحلم الحرز على سفة من نهيمن من البالغين في الاستئذان في سائر الأوقات والمحض من دخل تحت قوله ( لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ) .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ قوله ( ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم ) إن أريد به العبد والإماء إذا كانوا بالغين فغير متنع أن يكون أمرا لم في الحقيقة . وإن أريد الذين لم يبلغوا الحلم لم يجوز أن يكون أمرا لم . ويجب أن يكون أمرا لنا بأن أكرم بذلك وينضم عنه كما أمرنا بأمر الصبي . وقد حقل الصلاة أن يفعلها لا على وجه التكليف لم . لكنه تكليف لنا لما فيه من المصلحة لنا ولم بعد البلوغ . ولا يبعد أن يكون لفظ الأمر وإن كان في الظاهر متوجهاً عليهم إلا أنه يكون في الحقيقة متوجهاً على المولى كقولك لارجل : لبغضك أمك . وكذلك ، فظاهر الأمر لم وحقيقة الأمر له بفعل ما يخافون عنده .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غلاماً من الأنصار إلى عمر ليدعوه فوجهه قائماً في البيت فدفع الباب وسلم ثم يستفيظ عمر فعاد ورد الباب

وقام من خلفه وحركه فلم يستيقظ فقال العلام أنهم أيقظه له ودفع الباب ثم ناداه فاستيقظ وجلس ودعى العلام فاستكشف عن عمر بنى وعرف عمر أن العلام رأى ذلك منه فقال وددت أن تقتبني أباؤنا وسادنا رغبت أن يدخلوا علينا في هذه الساعات إلا باذن ثم انطلق معه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فوجدته قد نزل عليه ( يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم ) الحمد لله تعالى عمر عند تلك فقال عليه السلام وما ذاك يا عمر ؟ فأخبره بما فعل العلام فتعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم من صنعه وعرف اسمه ومعدته . وقال : إن الله يحب الخليم الخى العفيف المتعفف . ويخفى القى الخرىء المبكى المتعفف . هذه الآية إحدى الآيات المزالة بسبب عمر . وقال بعضهم : نزلت في أسماء بنت أبي مرثد قالت لما تسد على الرجل والمرأة ولعلها يكونان في الحرف واحد . فبذل دخل عليها غلام لها كبير في وقت كرمته دخوله فيه قالت رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعلت إن خدمنا وغلبنا يدخلون علينا في حال نكروها فنزلت الآية .

﴿ المسألة الخامسة ﴾ قال ابن عمر وعاصم قوله ( ليستأذنكم ) غير به الذكور دون الإناث لأن قوله ( الذين ملكت أيمانكم ) صيغة الذكور لا صيغة الإناث . وعن ابن عباس روى الله عنها هي في الرجال وأساء يستأذنون على كل حال بالليل والنهار . وتصحيح أنه يجب إتيان هذا الحكم في النساء . لأن الإنسان كما يكره اطلاع الذكور على أحواله فقد يكره أيضاً اطلاع النساء عليها ولكن الحكم يثبت في النساء بالنسبة لا بظاهر فقط على ما قدمناه .

﴿ المسألة السادسة ﴾ من العلام من قال الأمر في قوله ( ليستأذنكم ) على التثنية والاستجاب وسبب من قال إنه على الإيجاب وهذا أولى . لما ثبت أن ظاهر الأمر للوجوب .

أما قوله تعالى ( والذين لم ينفخوا الخلم ) فيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ قرأ ابن عمر الخلم بالسكون .

﴿ المسألة الثانية ﴾ اتفق الفقهاء على أن الاحتلام يلغى واختلافوا إذا بلغ خمس عشرة سنة ولم يحتلم فقال أبو حنيفة رحمه الله لا يكون العلام بالغا حتى يبلغ ثمانى عشرة سنة ويستكملوا في التجارية سبع عشرة سنة . وقال الشافعى وأبو يوسف ومحمد رحمه الله في العلام وأجله خمس عشرة سنة قال أبو بكر الرازى قوله تعالى ( والذين لم ينفخوا الخلم ) يدل على بطلان قول من جزم عدم البلوغ خمس عشرة سنة إذا لم يحتلم لأن الله تعالى لم يفرق بين من بلغها وبين من قصر عنها بعد أن لا يكون قد بلغ الخلم . وروى عن ثنى صلى الله عليه وسلم من جهات كثيرة . ورفع الخلم على ثلاث عن ثلثهم حتى لا ينفقا . وعن النخون حتى يغبى . وعن النصى حتى يحتلم . ولم يفرق بين من بلغ خمس عشرة سنة وبين من لم يبلغها . لأن قبل هذا الكلام يعلق النقص أيضاً بثمانى عشرة سنة أجاب بأن ما قدمناه بأن العادة في البلوغ خمس عشرة سنة وكل ما كان مشابهاً على طريق العادات فقد تعممنا الزيادة فيه والنقصان منه . وقد وجدنا من يبلغ في الثمان عشرة سنة . وقد بينا أن الزيادة على

العتاد جائرة كالنفسان منه يجعل أبو حنيفة رحمه الله الزيادة كالنفسان . وهي ثلاث سنين . وقد حكى عن أبي حنيفة رحمه الله تسع عشرة سنة للتمام . وهو يجوز على الاستكمال لخمس عشرة سنة والله يقول في التاسعة عشرة . حجه القاضي رحمه الله ما روى أبي عمر أنه عرض على أبي حنيفة رحمه الله وسلم يوم أحد وله أربع عشرة سنة فلم يحرمه وعرض عليه يوم الحديق وله خمس عشرة سنة فأجابه اعترض أبي بكر الرازي عليه فقال هذا الخبر مضطرب لأن أئمة كمال في سنة ثلاث والحديث في سنة خمس فكيف يكون بينهما سنة لا تم مع ذلك فإن الزيادة في فقال لا تدعى لها بالبلوغ لأنه قد يرد البلوغ اشعه ويؤخره غير الباع لقومه لتمامه من الصلاح وبذلك على ذلك أنه عليه الصلاة والسلام ما سأله عن الاختلاف .

في البحث الثاني ثم اختلفوا في الآيات هل يكون بلوغاً بأبو حنيفة وأصحابه ما حمله بلوغاً والقاضي رحمه الله حمله بلوغاً . قال أبو بكر الرازي رحمه الله ظاهر قوله في والذين لم يبلغوا الحلم حكم : يعني أن يكون الإتمام بلوغاً إذا لم يبلغوا كما في كون خمس عشرة سنة بلوغاً وكذلك قوله عليه السلام : ومن النسي حتى يحل حجة الثاني رحمه الله تعالى ما روى عطية الذي يعني أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بفن من أثبت من قرينة واستحار من لم يأت قال فظروا إلى ألم أكن قد أثبت فاستيقن أن أبو بكر الرازي هذا الحديث لا يجوز إثبات الشرع به وبذلك لوجوده : ( أحدهما ) أن عطية هذا مجهول لا يعرف إلا من هذا الخبر لا سيما مع اعتراضه على الآية والخبر في نفي البلوغ ( لا بالاحتلام ) وإنما ( والثاني ) أنه غائب الإتمام حتى مضى أنه أمر بقتل من جرت عليه الحوص ، وفي بعضها من أخضر عذاره . يعلم أنه لا بد قومه احتال إلا وقد تقدم بلوغه ولا يكون قد جرت عليه الحوصي إلا وهو : حتى كبر . تحلل الإبلات وجرى تزويج عليه كناية عن بلوغ التقدر الذي ذكرنا من السن وهو ثلاث عشرة سنة فأكثر ( والثاني ) أن الآيات يدل على اقتراف التذنب فالأمر بالقتل لذلك لا يمنع . قال القاضي رحمه الله هذه الاستدلالات مردودة بما روى أن عثمان بن عفان رضى الله عنه سئل عن غلام فقال من أخضر عذاره ؟ وهذا يدل على أن ذلك كان كالأمر انفق عليه فيما بين الصحابة .

في البحث الثالث : روي عن قوم من أصحاب أنهم اعتبروا في البلوغ أن يبلغ الإنسان في قوله حصة أنباء . روى عن أبي حنيفة رحمه الله السلام أنه قال إذا بلغ العلام فسد أنباء فقد وقعت عليه الحدود ويقض له ويقض منه . وعن ابن سيرين عن أبيه قال أتى أبو بكر معلوم قد سرق فأمر به فحبر ففرض أربعة أشهر . وهذا المذهب أعنده القراء في قوله :

ما زال من عذاب يذره . وسما فأدرك حصة الأسير

وأكثر الفقهاء لا يقولون بهذا المذهب ، لأن الإنسان قد يكون دون البلوغ ويكون طويلاً . وفوق البلوغ ويكون صغيراً بلا عيرة به .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ قال أبو بكر الرازي ذات هذه الآية عي أن من لم يسلح ، وقد غفل يؤمر بفعل الشرائع وينهى عن ارتكاب العبايح فإن الله أمرهم بالاستئذان في هذه الأوقات ، وقال عليه السلام : « مروج بالصلاة وهم أبناء سبع وأخبرهم عنها » ولم يأذن عشر ، وعن أبي عمر رضى الله عنه قال : « لم يدرى الصلاة حتى عرف بالله » ثم قال : « وعن زين العابدين أنه كان يأمر الصبيان أن يصلوا الظهر ، والعصر ، والمغرب والمشرق جدياً ، فعليه يصوتون الصلاة للصبي ونهاه فقال هذا غير من آل بيدها » وأما قوله : « عورة » رضى الله عنه إذا بلغ الصبي عشر سنين كتبت له الحسنة ولا تكتنب عليه الحسنة حتى يحل ، ثم قال أبو بكر الرازي إنما يؤمر بذلك على وجه التحريم والعتاة ، وتدين عليه فيكون له أصل عليه بعد البلوغ وأقل نكحاً منه . وكذلك يجب شرب الخمر ولحم الخنزير ، وأما عز حائض المحظورات لأنه لو لم يمنع منه في المصير لوجب عليه الإمتناع بعد السكر ، وقال الله تعالى : ( فمراةكم ولعليكم نارا ) قيل في تفسير آدم وم وعلم .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ قال الأحفش : يقال في الحلم عوم الرجل بفتح الهمزة ، يحتم حلاً بضم اللام ، ومن الحلم علم بضم اللام ، يحلم حلاً بكسر اللام .

أما قوله تعالى : ثلاث مرات من أجل صلاة العجم وعن تصديق ثيابكم من الظهور ومن بعد صلاة النساء ثلاث عورات لكم ففيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ قوله ( ثلاث مرات ) يعني ثلاث أوقات ، الآية تعالى فسرهن الأوقات ، وإنما قيل ثلاث مرات للأوقات ، لأنه أراد مرة في كل وقت من هذه الأوقات ، لأنه يكفهم أن يصادوا في كل واحد من هذه الأوقات مرة واحدة ، ثم بين الأوقات فقال : من قبل صلاة الفجر وعن تصديق ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة النساء ، وعن العاقل في هذه الأوقات اختاره أن تكون الإنسان متجرداً عن الثياب مكشوف البدنة .

﴿ المسألة الثانية ﴾ قوله ( ثلاث عورات ) قرأ أهل الكوفة : ثلاث الذنوب عن الدل من قوله ( ثلاث مرات ) وكأنه قال : في أوقات ثلاث عورات لكم . فذا حذف المضائق أعرب انقضاء إليه ( إعرابه وإزالة الجاهل بالرفع ، أي هي ثلاث عورات فارقتهم مبتدأ محذوف ، قال الضعفاء فكان المعنى ثلاث مكشوفات والمراء وقد انكشف )

﴿ المسألة الثالثة ﴾ المودة الخلل ومنه عور الفارس وأعور الفلك والأعور الخليل يعني ، فسر الله تعالى كل واحدة من تلك الأحوال سورة : لا تلتصق الناس بحلق حفظهم واستورهم فيها .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ الآية دالة على أن الواجب التبرؤ الدال في الأحكام إذا أمكن لأنه تعالى به على التعلية في هذه الأوقات الثلاثة من وجهين ( أحدهما ) بقوله تعالى : ثلاث عورات لكم : ( والثاني ) بالنسبة عن العرف بين هذه الأوقات الثلاثة وبين ما عداها ما له اسم ذاك إلا لعله التكتشف في هذه الأوقات الثلاثة . وأنه لا يؤمن ونحوه : فكشف فيها . وليس كذلك ما عدا هذه الأوقات .

﴿ المسألة الخامسة ﴾ من الناس من قال إن قوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأذوا أو تسلموا على أهلها ) قد يدل على أن الاستئذان واجب في كل حال ، وصار ذلك منسوخاً بهذه الآية في غير هذه الأحوال الثلاثة ، ومن الناس من قال الآية الأولى لمزيد من التكليف لا من خطاب من آمن ، وما ذكره الله تعالى في هذه الآية فهو نهي عن ليس بتكليف قيل فيه إن في بعض الأحوال لا يدخل إلا يؤذن ، وفي بعضها لا يؤذن ، فلا وجه لخل ذلك على النسخ ، لأن ما تناوله الآية الأولى من المخاطبين لم يتناول الآية الثانية أصلاً ، فلو قيل بتقدير أن يكون قوله تعالى ( الذين عليكم أجمع ) يدخل فيه من قد يقع عليه النسخ لازم ، قلنا لا يجب ذلك أيضاً ، لأن قوله ( يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم ) لا يدخل إلا من تلك البيوت لغير هذه الإضافة ، وإذا صح ذلك لم يدخل تحت التبييد والإمام ، فلا يجب النسخ أيضاً على هذا القول ، فأما إن حمل الكلام على صغار المالك فالقول فيه آهين .

﴿ المسألة السادسة ﴾ قال أبو حنيفة رحمه الله : لم يصبر أحد من أنفسنا إلى أن استأذن بالاستئذان منسوخ ، وروى عطاء بن أبي نجاس أنه قال : ثلاث آيات من كتاب الله تركهن الناس ولا أرى أحداً يبدل من ، قال عطاء بن حنظلة الحنظلي ونسب واحد ، وقرأ هذه الآية وقوله ( يا أيها الناس إنا خلقناكم ) ذكر وأنتي ) وذكر سعيد بن جبير أن الآية الثالثة قوله وإذا حضر القسوة ألوها للقرى ( الآية .

أما قوله تعالى ( ليس عليكم جناح بعدهم طوافون عليكم ببعضكم على بعض ) ، فغيره من الآيات :

( السؤال الأول ) ثم أقولون في قوله ( ليس عليكم جناح ) أنه يقتضي الإباحة على كل حال ( كالجواب ) وهذا أن ذلك هو في الصغار خاصة ، فيباح لهم الدخول لخدمة غير الأذن في غير الأحوال الثلاثة ، ومباح لما تمكنهم من ذلك والدخول عليهم أيضاً .

( السؤال الثاني ) ثم نقول يقتضي ذلك إباحة كشف العورة لهم ؟ ( الجواب ) لا ، وإنما أباح الله تعالى ذلك من حيث كانت العادة أن لا تكشف العورة في غير تلك الأحوال ، فلو كشفت المرأة عورتها مع طل دخول الخدم إليها فذلك يحرم عليها ، فإن كان الخدم من يتناولونه التكليف فيحرم عليه الدخول أيضاً إذا علم أن هناك كشف عورة ، فإن قيل ليس من الناس من جاوز ما أباح من المالك أن يدخل إلى صدر مولاه ؟ قلنا من جاوز ذلك أخرج نفسه من أن يكون عورة لخلق المالك ، كما يخرج من أن يكون عورة لخلق الرحمن ، إذا عورة تعدى عليه ما يكون عورة على كل حال ، وفيه ما يختلف حاله بالإضافة فيكون عورة مع الإحزاب غير عورة مع غيره على ما تقدم ذكره .

( السؤال الثالث ) ثم أقولون هذه الإباحة مقصورة على الخدم دون غيرهم ؟ ( الجواب ) نعم



وفي قوله : ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن ، دلالة على أن هذا الحكم يختص بالسموات دون البقية على ما تقدم ذكره . وقد مرّ تعالى على ذلك من بعد فصل ( رتبة لمع الأضواء من سطح الخلق فليتأدوا كما - تأدوا النبي - من بولهم ) والمراد به : عدد من النجوم بحيث أن يكونوا منتهى من تقدم بطوعه في وجوب الاستئذان . وقد مرّ في قوله : إنما استأذن النبي من فلمهم ) وقد مرّ أن بعض فلاح أن من خدم في حال عذرة ، فإذا لم يجد له أن لا يستأذن ، وعرف حاله حال من لم يخدم ولم يملكه من تعالى ، أو كما حذر عن التأخير في الدعاء إلا بالاستئذان . وهكذا على هؤلاء إذا كانوا أن نعمت لهم من مؤثرات من ملك لهم .

( في السؤال الرابع ) الأمر بالاستئذان هل هو مختص بالمسوك . ومن لم يبلغ الخلق لم يستأذن . فكيف من دون الرحم ؟ وأما ما في قوله : لو كان المسوك من دون الرحم من يجب عليه الاستئذان ؟ في الجواب : أما بصورة الأولى فمع : أنه لو لم يقل قوله تعالى : ( لا تحزنوا يوماً غير روضكم حتى تستأذنوا ) لم يقتض على المسوك . ومن لم يبلغ الخلق من غير الأولى . وأما الصورة الثانية فيجب عليه الاستئذان لعدم الآية .

في السؤال الخامس : كما مرّ على ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن ثلاث من أمثاله ذلك في محل الرفع على توصف ، والمثني من ثلاث عوارض مخصوصة بالاستئذان ، وإذا نفدت لم يكرهه على ، وكان كلاً مفرقاً ، فلا يكره بالاستئذان في تلك الأحوال خاصة .

( في السؤال السادس ) كما مرّ قوله ( ملوئون عليكم ) في الجواب : قال الفراء : وأما ما في كلامه : مستأنف كقولك في الكلام : وما هم بملوئون عليكم . والملوئون الذين يكثر من الملوئون والخروج والفرود ، وأصد من الطواف . والملي يطرف بفتح طاء على بعض بغير إذن . ( في السؤال السابع ) بم ( ارتفع بعضكم ) ( الجواب ) بالابتداء . وخبره على بعض على معنى طائف على بعض ، وإنما حذف لأن ملوئون يدل على .

أما قوله ( والقواعد من السماء اللاتي لا يبرجون ) كما مرّ في قوله : مسائر :

( المسألة الأولى ) قال ابن السكيت : امرأة فاطمة إذا قدمت عن الخرص وأطلع قواصدها ، إذا لم تزل تقود فاطمة فاعده . وقال المفسرون : القواعد من الملوات قدس عن الخبث ولو لم يكن أنكم ولا مطمع من في الإرواج . والأولى أن لا يعتبر خبره من الخبث لأن ذلك يقطع وإراعة فيه بانيه ، فافتراد قوده من حال إرواج . وذلك لا يكون إلا إذا لم يكن في البيت لا يربح فيه الرجال .

( المسألة الثانية ) قوله تعالى في السماء ( لا يرحون ) كقوله ( إلا أن يصعقوا ) .

( المسألة الثالثة ) لا شبهة له تعالى لم يأت في أن بعض ثيابهن أصعب لمساخه من كسب كل عورة فذلك قال المفسرون : المراد بالثياب عبا الخفاف والبدن وتقاع المني فوق أحشاء ، وروى

لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى  
 أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِهْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ  
 أَخَوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ  
 أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مَعَ الْهَيْكَلِ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا  
 جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِنْ رَبِّهِمْ اللَّهُ يُبْرِكُكُمْ  
 كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾

عن ابن عباس وحكى الله سبحانه أن بعض جلايين وعن الهندي عن شيوخه أن بعض  
 خمر بن موسى وعن بعضهم أنه قرأ أن بعض من قبايس ، وإنما ضمن الله تعالى بذلك لأن  
 التهمة مرتفعة عنهم ، وقد بان هذا المبلغ فلو غلب على ظنهم خلاف ذلك لم يحل لمن وضع الثياب  
 ولذلك قال (وإن يستغفر خير لم) وإنما جعل ذلك أفضل من حيث هو أبعد من المظنة وذلك  
 يقتضي أن عند المظنة يلزم من أن لا يضمن ذلك كما يلزم مثله في الشبهة.

في المسئلة الرابعة في حذقة التبرج تكلف إظهار ما يجب إخفاؤه من قولهم سفينة بارح لا غطاء  
 عليها ، والتبرج سعة العين التي يرى يابسها محيطاً صرادها كاه ، لا يغيب منه شيء ، إلا أنه اختص بأن  
 تنكشف المرأة للرجال ألباناً زينتها وإظهار محاسنها .

قوله تعالى في ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على  
 أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت إهوانكم أو بيوت أخوانكم أو بيوت  
 إخوانكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت عمامكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم  
 مفاتيحه أو صديقكم ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم  
 تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون ﴿٣٥﴾

اعلم أن في الآية مسائل :

في المسئلة الأولى في اختلافنا في المراد من رفع الحرج عن الأعمى والأعرج والمريض حال

ابن زيد المراد أنه لا حرج عليهم ولا إثم في ترك الجهاد ، وقال الحسن نزلت الآية في ابن أم مكتوم  
 وضع الله الجهاد عنه وكان أعمى وهذا القول حذيف لأنه تعالى عطف عليه قوله ( أن يأكلوا ) فيه  
 بذلك على أنه إنما رفع الحرج في ذلك ، وقال الأكثرون المراد منه أن القوم كانوا يعطلون  
 الأكل مع هؤلاء الثلاثة وفي هذه المأزول ، طاعة تعالى رفع ذلك الحظر وإزالته ، وانطلقوا في أهم  
 لأى سبب اعتقدوا ذلك الحظر ، لما في حق الأعمى والأعرج والمريض قد كروا فيه وجوهاً  
 ( أحدها ) أنهم كانوا لا يأكلون مع الأعمى لأنه لا يبصر الطعام الجيد فلا يأخذه ، ولا مع  
 الأعرج لأنه لا يشك من الجلوس إلى أن يأكل لئلا يأكل غيره نصيبين ، وكذا المريض لأنه  
 لا يثاق له أن يأكل كما يأكل الصحيح ، قال الفراء نفى هذا التأويل لتكون على يميني في معنى ليس  
 عليكم في مواكفة هؤلاء حرج ( وثانيها ) أن العبدان والمرحان والمريض تركوا ، واكفة الأصحاء .  
 أما الإعمى فقال إنى لا أرى شيئاً فربما أخذ الأجود وأترك الأودأ ، وأما الأعرج والمريض  
 فلما أن يفسد الطعام على الأصحاء لأنهم يترى المريض . ولا مجال أن الأصحاء يشكرون منهم  
 ولاجل أن المريض ربما حله الشره على أن يذوق نظره وقلة بالقمة العير . وذلك ما يكرهه ذلك  
 العير . فهذه الأساليب احتزوا عن مواكفة الأصحاء ، طاعة تعالى أمانيهم في ذلك ( وثانيها ) روى  
 الزهري عن سعيد بن المسيب وعبد الله بن عبد الله في هذه الآية أن المسلمين كانوا إذا غزوا  
 خلعوا أزيئهم وكانوا يسلطون إليهم معانيج أمرائهم ويحولون لهم قد أحلوا لهم أن يأكلوا مما في  
 بيوتهم فكانوا يخرجون من ذلك قالوا لا يدخلونها وهم يأتون . فزيلت هذه الآية رخصة لهم وهذا  
 قول عائدة رضى الله عنها على هذا معنى الآية في الحرج عن الزمى أن أكلمهم . بيت من يدفع  
 إليهم المغنم إذا خرج إلى الغزو ( وثالثها ) نقل عن ابن عباس ومثله بن حبان زات هذه  
 الآية في الحارث بن عمرو وذلك أنه خرج مع رسول الله ﷺ غازياً وخطب بن مالك بن زيد على  
 أهله فلبس ربح وهدد بمهر رأسه له عن حاله فقال خرجت أن آكل من طعامك جنبه إذ ذلك ،  
 وأما في معنى سائر الناس جددوا وجهين ( الأول ) كان المؤمنون يذهبون منهم جند ودوى  
 العافيات إلى بيوت أنزو أجهم وأولادهم وقربائهم وأصدقائهم فيطعمونهم منها . فلا يراد له تعالى  
 ( لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ) إلا أن تكون عبادهم أى ربما بعد ذلك امتنع الناس أن  
 يأكل بعضهم من طعام بعض فزات هذه الآية ( الثانى ) قال قتادة : كانت الأصهار في أهصا  
 قرارة وكانت لا تأكل من هذه البيوت إذا استغزوا . قال السدي كان الرجل يدخل بيت أبيه أم  
 بيت أخيه أو أخنة ويحفر المراءم بنى من الطعام فيخرج ، لأنه أبس ثم رب البيت . فأذن الله  
 تعالى هذه الرخصة .

﴿ المسألة الثانية ﴾ قال الزجاج الحرج في اللغة الضيق ومعناه في الدين الإثم .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ أنه سبحانه أباح الأكل للناس من هذه الموضح وظاهر الآية يدل على

أن إباحة الأكل لا تتوقف على الاستئذان ، واختلف الدلائل فيه فغل عن قتادة أن الأكل مباح ولكن لا يجلد ، وجمهور العلماء أنكروا ذلك ثم اختلفوا على وجوه ( الأول ) كان ذلك في صدر الإسلام ، ثم نسخ ذلك بقوله عليه الصلاة والسلام : لا يجل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفس منه ، وما يدل على هذا النسخ قوله ( لا يدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إياه ) وكان في أرواح النبي ﷺ من لمس الآباء والإخوة والأخوات ، فسم بالشيء عن دخول بيوتهم إلا بعد الإذن في الدخول وفي الأكل ، فإن قيل إنما أذن تعالى في هذا لأن المسلمين لم يكونوا يعمدون فرايضهم هؤلاء من أن يأكلوا من بيوتهم حضروا أو غابوا . فجاز أن يرخص في ذلك ، فلا لو كان الأمر كذلك لم يكن لثمة بعض هؤلاء الأقارب بالذكر معنى لأن غيرهم كهم في ذلك ( الثاني ) قال أبو مسلم الأصمعيان : المراد من هؤلاء الأقارب إذا لم يكونوا مؤمنين . وذلك لأنه تعالى نهى من قبل عن عظامهم بقوله ( لا تعد قرماً يؤمنون بآفة وليريم الآخر يرايون من حاة آفة ورسوله ) ثم إنه سبحانه أباح في هذه الآية ما حظره هناك ، قال ويدل عليه أن في هذه السورة أمر بالذهاب على أهل البيوت فقال ( حتى تستأسروا وتشفوا على أهلها ) وفي بيوت هؤلاء المذكورين لم يأمر بذلك ، بل أمر أن يسلموا على أنفسهم ، والحاصل أن المقصود من هذه الآية إثبات الإباحة في الجاه ، لا إثبات الإباحة في جميع الأوقات ( الثالث ) أنه لما عل بالمادة أن هؤلاء القوم تطيب أنفسهم بكل من يدخل عليهم والمادة كالإذن في ذلك ، فيجوز أن يقال خصهم الله بالذكر ، لأن هذه المادة في الأغلب توجد فيهم وكذلك ضم إليهم أعدائهم ، ولما علمنا أن هذه الإباحة إنما حصلت في هذه الصورة لا أجل حصول الرضا فيها ، فلا حاجة إلى القول بالفتح .

**في المسألة الرابعة** : أنه تعالى ذكر أحد عشر موضعاً في هذه الآية ( أربعا ) قوله ( ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم ) وفيه سؤال وهو أن يقال أي قائمة في إباحة أكل الإنسان طعامه في بيته ؟ وجوابه المراد في بيوت أفرادكم وعيالكم أصناف إليهم ، لأن بيت المرأة كبيت الزوج ، وهذا قول المراء . وقال ابن تيمية : أراد بيوت أولادهم فذهب بيوت الأولاد إلى الآباء لأن المولد كسب والده وماله كانه . قال عليه السلام : إن أعطي ما يأكل الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه ، والدليل على هذا أنه سبحانه وتعالى عد الأقارب ولم يذكر الأولاد لأنه إذا كان سبب الرخصة هو القرابة كان الذي هو أقرب منهم أول ( وأنتها ) بيوت الآباء ( وأنتها ) بيوت الأمهات ( وأنتها ) بيوت الأخوان ( وأنتها ) بيوت الأخوات ( وأنتها ) بيوت الأعمام ( وأنتها ) بيوت الدات ( وأنتها ) بيوت الأخوال ( وأنتها ) بيوت الحلات ( وأنتها ) بيوت عاشرها ) قوله تعالى ( أو ما ملكتكم مغائره ) وقرئ مقتناه وفيه وجوه ( الأول ) قال ابن عباس رضي الله عنهما : وكل الرجل وقبه في ضيقه وما شقته ، لا بأس عليه أن يأكل من نحر

حيث ، ويشرب من لبن مائتيه ، وملك الخفاص كونه في بده وفي حفظه ( الثاني ) قال الصحاح : يريد الرائي الذين كانوا يحرسون للزنا ( الثالث ) المراد بيوت المائلك لان عان العبد لولاه قال المعجل المذبح واحدها مفتع بفتح الميم ، وواحد المغنايح مفتع بالكسر ( الجاوي عشر ) قوله ( لار صديقكم ) والمضي أو يورت أصدقائكم ، والصديق يكون واحداً وجمعاً ، وكذلك الحابط والقطين والعدا ( ويحكى عن الحسن أنه دخل داره وإذا حلقه من أصدقائه وقد أخرجوا سلالاً من تحت سريره فيها الخبيص وأغاييب الأحمسة وهم مكبون عليها يأكلون ، فملك السارير وجهه سروراً وضحك وقال هكذا وجدناهم يريد كبراء الصحابة ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما : الصديق أكثر من الإخوان . لأن أهل جهنم لما استغاثوا لم يستغيثوا بالآباء والأقارب بل بالأصدقاء . فقالوا ما لنا من شافعين ولا صديق حميم ، وحكى أن أختا لربيع بن خنيم في الله دخل منزله في حال غيبته فأنسب إلى جاريته حتى قدمت إليه ما أكل ، فلما عاد أصرته بذلك ، فطسوره بذلك قال ابن جندب دلت حرة .

**المسألة الخامسة** : احتج أبو حنيفة رحمه الله بهذه الآية ، على أن من سرق من ذى دمه محرّم أنه لا يقطع لإباحة الله تعالى لهم هذه الآية فلا كل من بيوتهم ودخلها بغير إذنيهم ، فلا يكون ماله محرراً منهم . فإن قيل يلزم أن لا يقطع إذا سرق من مال صديقه ، قلنا من أراد سرقة ماله لا يكون صديقاً له .

أما قوله تعالى ( ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعاً أو أشتاباً ) فقال أكثر المفسرين : زلت الآية في بني لبيد يرموهم وهم من كثافة ، كل الرجل منهم لا يأكل وحده فملك يوماً فان لم يجد من يؤاكله لم يأكل شيئاً ، وربما كانت معه الإبل المحل فلا يشرب من ألبانها حتى يجد من يشربه . فعلم الله تعالى أن الرجل إذا أكل وحده لا حرج عليه ، هذا قول ابن عباس رضي الله عنهما ، وقال عكرمة وأبو صالح رحمهما الله : كانت الأنصار إذا زن بواحد منهم ضيف لم يأكل إلا وحيفه معه . فرخص الله لهم أن يأكلوا كيف شاؤوا مجتمعين ومنفردين . وقال الكلبي : كانوا إذا اجتمعوا يأكلوا طعاماً عزّلوا للأعمى طعاماً على حدة ، وكذلك ترمي والمرضى والمجنون الله لهم أن ذلك غير واجب . وقال آخرون : كانوا يأكلون فرادى خرقاً من أن يحصل عند الخيبة ما يفر أو يؤذي . ومن الله تعالى أنه غير واجب وقوله ( جميعاً ) نصب على الحال ( وأشتاباً ) جمع شت وشي جمع شيت وشتل ثنية شت قاله الفضل وقيل الشت مصدر بمعنى التعرق ثم وصف به ويجمع . أما قوله تعالى ( فان دخلتم بيوتاً فسلوا على أنفسكم ) فالمرى أن تعالى جعل أنفس المسلمين كالنفس الواحدة على مثال قوله تعالى ( ولا تغفلوا أنفسكم ) قال ابن عباس : فان لم يكن أحد فعلى نفسه ليقل السلام علينا من قبل ربنا ، وإذا دخل المسجد فليقل السلام على رسول الله وعلينا من ربنا . قال قتادة : وحدنا أن اللاتكة ترد عنه . قال الصغاني : وإن كان في البيت أهل الذمة

يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَلِيلٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنْ لَنْ شَيْءٍ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦١﴾ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلُونَ مِنْكُمْ لَوْ آذَا قَلِيلًا الَّذِينَ يَخْلِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مِنْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ رَاجِعُونَ إِلَيْهِ فَيُصِيبُهُمْ بِمَا غَلَبُوا وَاللَّهُ يَكُلُ شَيْءٌ عَلِيمٌ ﴿٦٣﴾

ظنننا إسلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وفوته نحية نصب علي المفضل . كأنه قال : فلو أن نحية من عدا الله . أي إذا أمر الله به . قال ابن عباس رضي الله عنهما : من قال بالسلام عليكم معناه سلم الله عليكم وقوله ( مباركة طيبة ) قال الضحاك : معنى البركة فيه . أي بركة . وقال الزجاج : أعلم الله سبحانه أن سلامه مبارك ثابت لما فيه من الأجر والثواب . وأن إذا أسمع الله فيه أكثر خيره وأجره . ( كذلك بين الله لكم الآيات ) أي يفصل الله شأناكم لكم ( ذلكم ما قلون ) لنصير الله أمره حجة . وروى حماد عن أنس قال : جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين عاما قال لي في شيء . فقلت لم فعله ولا قال لي في شيء . فزكته لم ركبته . وكتب وانفأ على رأس النبي صلى الله عليه وسلم أصب الماء . على يديه فرفع رأسه إلي وقال : ألا أعتلك ثلاث حصان تقطع به . قلت بآبي وأبي أمي يا رسول الله لي . فقلت لم فعلت من أمي فسلم عليهم بطر عمرك . وإذا دخلت بيتا فسلم عليهم بكم خير بئسك . وصل صلاة الصلح فيها صلاة الأوابين .

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَلِيلٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ ﴾ . قال ابن عباس رضي الله عنهما : أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم . لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا . قد يعلم الله الذين يستأذنونكم . أي لو آذنا قليلا . الذين يخالفون عن أمره أن نصيبهم فتنة أو نصيبهم عذاب أليم . ألا إن لله في السموات والأرض قد يعلم ما أنتم عليه ويوم راجعون إليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم ﴿ وفي الآية مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ فردّ على أمر جميعهم ذكره في قوله على أمر جميعهم وجوهاً (أحدها) أن الأمر الجامع هو الأمر الخارج عن الحاجة عليه فرفضه الأمر بائع على سبيل الجواز . وذلك نحو مسألة عدد أو كشور في طلب مهم أو الأمر الذي يدر ضرره ونفعه وفي قوله (إذا كانوا معه على أمر جامع) إشارة إلى أنه صلب جليل لا يدخل رسول صلى الله عليه وسلم من أبواب الخبوت والذكر . لا يمنع شعارهم فمعرفة أحدهم في هذه الحالة مما يبنى على ظنه (وثانيها) عن الضحك في أمر جامع احبة والأخذ وكما شيء . تكون فيه الخطة (وثالثها) عن معاهد في الحرب وغيره .

﴿ المسألة الثانية ﴾ ادخلوا في سبب قوله قال تنكلى كان صلى الله عليه وسلم يرمس في حشبه بالناصين ويدهم ويظهران الفتون زياً وشيئاً لا فخر لهم أحد انسلوا وخرجوا لم يصلوا . وإن أبصرهم أحد انزلوا وصلوا خروفاً فزادت هذه الآية فكان بعد رسول الله الآفة لا يخرج الآفة حاجته حتى يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان المنافقون يخرجون بعد إذن .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ قال الجبائي هذا يدل على أن استئذان الرسول من إيمانهم . ولولا ذلك لجاز أن يكونوا كاملين الإيمان . وإن تركوا الاستئذان . وذلك يدل على أن كل فرض لله على واجبات عوم من الإيمان والجناب إحصاءه . على أن كلمة إنا محصور وأيضاً فانافقون إنما تركوا الاستئذان استخفافاً ولا نزاع في أنه كفر .

أما قوله تعالى : (إن الذين يستأذنونك) بقوله (إن الله عموهم وحيم) فيه مسائل .

﴿ المسألة الأولى ﴾ إن الذين يستأذنونك (بمعنى تعظيكم) . غاية الأذنب (أوشكهم الذين يؤمنون بالله) . قوله (أي يعمون) . وجود الإيمان ومقتضاه . حال الضحك ومقتضى المراد عمر من الخطاب رضي الله عنه . وذلك لأنه استأذن في غيرة نوث في الرجوع إلى أهله فأذن له وقال له انطلق فوالله ما أمنت بمعنى يريد أن يسمع المأخض ذلك الكلام . هذا سموا ذلك قالوا ما قال محمد بن الاستاذة أصحبه أدن لهم . وإذا استأذنه لم يأذن لما هو الله ما لم يعدل . وقال ابن عباس ومرو الله عينا إن عمر استأذن رسول الله ﷺ في الشعر فأذن له . ثم قال يا أبا حفص لا تنس من صالح ذلك . وفي قوله (واستعظم لهم الله) . وسهلاً : (أحدها) أن يستأذن لهم ثانياً على أن الأولى أن لا يقع الاستئذان منهم وإن أدن . لأن الاستئذان يدل على الطلب وروا ذكر عبد بهير الرضعي (الثاني) يعني أنه تعالى أمره بأن يستأذن لهم مقابلته على تمسكهم بأداب الله تعالى في الاستئذان .

﴿ المسألة الثانية ﴾ قال قتادة سأعت عنه الآية قوله تعالى (لم أذن بها) .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ الآية تدل على أنه سبحانه موسى إلى رسوله بعض أمر النبي يستد فيه رآه . أما قوله تعالى (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاءكم دعاء غيره) . (أحدها) وهو اختيار المبرد والفتال . ولا تجعلوا المراء إيمانكم وعادتمكم كما يكون من بعضكم لبعض إن كان

أمره رخصاً لأمرها ، والذي يدل على هذا قوله عقيب هذا ( فيحذر الذين يخالفون عن أمره ) ( وثانيها ) لا تنادوه كما ينادى بعضكم بعضاً ، يا محمد ، ولكن قولوا يا رسول الله يا نبي الله ، عن سعيد بن جبير ( وثانيها ) لاترعدوا أموراتكم في دعائه وهو المراد من قوله ( إن الذين يعصون أمراهم عند رسول الله ) عن ابن عباس ( ورأيها ) اخذوا دعاء الرسول عليكم إذا اصغىوه فان دعاءه موجب ليس كدعاه غيره ، ولوجه الاول اقرب إلى نظر الآية .

أما قوله تعالى ( قد يعلم الله الذين يستنبطون منكم لواءاً ) فمضى يستنبطون قليلاً قليلاً ، ونظير لئلا تدرج وتدخل ، واللواء الملاوذة وهي أن يولد هذا بذلك وذلك بهذا ، متى يستنبطون عن الجماعة على سبيل اتفاقية واستتار بعضهم بعضاً ، ولواءاً حال أي ملاوذين وقبل كان بعضهم يولد بالرجل إذا استأذن يؤذن له فيطلق أي لم يؤذن له معه ، وقرأ ، لواءاً بالفتح ثم اختلفوا على وجوه : ( أمرها ) قال مدائني : كان المخالفون تنقل عليهم حصبة التي يرمى بها يوم الجمعة فيلذون بغير أصحابهم رجحون من غير استئذان ( وثانيها ) قال مجاهد يستنبطون من انصف في القتال ( وثالثها ) قال ابن قتيبة هذا كان في حرم الخندق ( ورأيها ) يستنبطون عن رسول الله ﷺ وعن كتابه وعن ذكره ، وقوله ( قد يعلم الله ) معناه التهديد بالمجازاة .

أما قوله ( عليحذر الذين يخالفون عن أمره ) فعبه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ قال الأستاذ عمن عنه وأمنى ( يخالفون أمره ) وقال غيره معناه يبرحون عن أمره ، ويبلون عن معناه فدخلت عن كضمين المخالفة بمعنى الإعراض .

﴿ المسألة الثانية ﴾ كما تقدم ذكر الرسول فقد تقدم ذكر الله تعالى لكن القصد هو الرسول قاله راجع الكناية ، وقال أبو بكر الرازي الأخير أنها لله تعالى لأنه يليه ، وحكم الكناية رجوعها إلى ما يليها ، دون ما بعدها .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ ألا يعلم على أن ظاهر الأمر للوجوب ، وهو الاستدلال به أن نقول : تارك المأمور به مخالف لذلك الأمر ومخالف الأمر مستحق للعقاب فترك المأمور به مستحق للعقاب ولا معنى للوجوب إلا ذلك ، إنما قلنا إن تارك المأمور به مخالف لذلك الأمر ، لأن موافقة الأمر عبارة عن الإتيان بقصد ، والمخالفة ضد الموافقة فكانت مخالفة الأمر عبارة عن الإخلال بقصدناه ذلك ، أن تارك المأمور به مخالف ، وإنما قلنا إن مخالف الأمر مستحق للعقاب لقوله تعالى ( عليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتة أو يصيبهم عذاب أليم ) فمخالف هذا الأمر بالمعنى عن العقاب ، والأمر باحذر عن العقاب [ إنما يكون بدرام المقضي لزول العقاب ، ثبت أن مخالف أمر الله تعالى أمره قد وجد في حقه ما يقتضي لزول عذابه ، فإن قيل لا نسلم أن تارك المأمور به مخالف فلكم قوله موافقة الأمر عبارة عن الإتيان بقصدناه ومخالفة عبارة عن الإخلال بقصدناه ، قلنا لا نسلم أن موافقة الأمر عبارة عن الإتيان بقصدناه ، فما الدليل عليه ؟ ثم



إذا غسر موافقة الأمر بتفسيرين (أحدهما) أن موافقة الأمر عبارة عن الإتيان بها بقتضيه الأمر على الوجه الذي يقتضيه الأمر فإن الأمر هو اقتضاه على سبيل الدب ، وأنت تأتي به على سبيل فلو جرب كان ذلك مخالفة للأمر (الثاني) أن موافقة الأمر عبارة عن الإعراف بكون ذلك الأمر حقاً وأحب القبول فمخالفة تكون عبثاً عن إنكار كونه حقاً وأحب قبوله - سلباً أن عاذ كونه يدل على أن مخالفة الأمر عبارة عن ترك مقتضاه لكنه معارض بوجوه أمر ، وهو أنه لو كان ترك الأمر به مخالفة الأمر لكان ترك المندوب لا مخالفة عبارة للأمر الله تعالى ، وذلك باطل وإلا لاستحق العقاب على ما ينسبوه في المقدمة الثانية ، سلباً أن ترك الأمر به مخالفة للأمر فلم قلت إن مخالفة الأمر مستحق للعقاب لقوله تعالى ( فليحذر الذين يخافون عن أمره ) ؟ قل لا أعلم أن هذه الآية دالة على أمر من يكون مخالفاً للأمر فليحذر بل هي دالة على الأمر بالخذر عن مخالفة الأمر ، فلم لا يجوز أن يكون كذلك ؟ سلباً ذلك نكبتها دالة على أن المخالف عن الأمر يلزمه الخذر ، فلم قلت إن مخالفة الأمر لا يلزمه الخذر ؟ فإن قلت فلهذا عن صفة رائدة فتقول الأصل في الكلام لا سيما في كلام الله تعالى أن لا يكون ذاتاً ، سلباً دلالة الآية على أن مخالفة أمر الله تعالى مأمور بالخذر عن العقاب ، فلم قلت إنه يجب عليه الخذر عن العقاب ؟ أنفي ما في الباب أنه ورد الأمر به لكن لم قلت إن الأمر للوجوب ؟ وهذا قول المسألة ، فإن قلت هب أنه لا يدل على وجوب الخذر لكن لا بد وأن يدل على حسن الخير ، وحسن الخير إما يكون مد فإمام المقتضى لنزول العقاب ، قلت : لا أعلم أن حسن الخير مشروط بقيام المقتضى لنزول العقاب بل الخذر يحسن عند احتمال نزول العقاب ، وهذا يحسن الإحتياط ، وعندنا عرد الاحتمال قائم لأن هذه المسألة احتمالية لاضطية ، سلباً دلالة الآية على وجود ما يقتضي نزول العقاب ، لكن لا في كل أمر بل في أمر واحد لأن قوله عن أمره لا يفيد إلا أمراً واحداً ، وعندنا أن أمراً واحداً يفيد الوجوب ، فلم قلت إن كل أمر كذلك ؟ سلباً أن كل أمر كذلك ، ليس الضعيف في قوله ( عن أمره ) بمقتضى عوده إلى الله تعالى وعوده إلى الرسول ، والآية لا تدل إلا على أن الأمر للوجوب في حق أحدهما ، فلم قلت إنه في حق الآخر كذلك ؟ ( الجواب ) قوله لم قائم إن موافقة الأمر عبارة عن الإتيان بمقتضاه ؟ قلنا الدليل عليه أن العبد إذا اعتلى أمر السيد حسن أن يقال إن هذا العبد موافق السيد ويجرى على وفق أمره ، ولو لم يمثل أمره يقال إنه موافقه بل مخالفه ، وحسن هذا الإحاطة معلوم بالضرورة من أهل اللغة ثبت أن موافقة الأمر عبارة عن الإتيان بمقتضاه ، قوله الموافقة عبارة عن الإتيان بما يقتضيه الأمر على الوجه الذي يقتضيه الأمر ، قلنا لما سلم أن موافقة الأمر لا تحصل إلا عند الإتيان بمقتضى الأمر ، فتقول لاشك أن مقتضى الأمر هو الفعل لأن قوله ( أفضل ) لا يدل إلا على اقتضاه الفعل ، وإذا لم يوجد الفعل لم يوجد مقتضى الأمر ، فلا يوجد الموافقة فوجب حصول المخالفة لأنه ليس بين الموافقة والمخالفة واسطة قولنا الموافقة عبارة عن اعتقاد كون ذلك

الأمر حقاً واجب القول . قلنا هذا لا يكون موافقة للأمر بل يكون موافقة للدليل الدال على أن ذلك الأمر حق ، فإن موافقة الشيء عبارة عن الإتيان بما يقتضيه ، فإنا دل على حجية الشيء . كان الإعتراف بحجتيه يقتضي تقرير مقتضى ذلك الدليل ، أما الأمر فلما اقتضى دخول الفعل في الوجود كانت موافقته عبارة عما قرر ذلك الدخول وإدخاله في الوجود يقتضي تقرير دخوله في الوجود وكانت موافقة الأمر عبارة عن فعل موافقه . قوله لو كان كذلك لكان نازك المنسوب عما أوجب أن يستحق العقاب ، قلنا هذا الإلزام إنما يصح أن لو كان المنسوب مأموراً به وهو متروك ، قوله لم لا يجوز أن يكون قوله (فليحذر) أمراً بالخير عن المخالف لأمر للمخالف بالخير ؟ قلنا : لو كان كذلك لصار التقدير فليحذر المسلمون لو أذن عن الذين يخالفون أمره ، وحجته يبقى قوله (أن تصيهم فتنة أو يصيهم عذاب أليم) هنا أمراً لأن الخير ليس فلا يقتضي إلى ما مولين . قوله كناية عن ليست برائدة ، قلنا ذكرنا اختلاف الناس فيها في المسألة الأولى . قوله لم قلتم إن قوله (فليحذر) يدل على وجوب الخير عن العقاب ؟ قلنا لا يدعي وجوب الخير ، ولكن لا أقل من حواجز الخير وذلك مشروط بوجود ما يقتضي وجوع العقاب . قوله لم قلت إن الآية تدل على أن كل مخالف للأمر يستحق العقاب ؟ قلنا لأنه تعالى فعل ربك عقاب على المخالفة فوجب أن يكون معطلاً به ، فإلزام غيره لعموم اللفظ . قوله هب أن أمر الله أمر رسول الله وجوب ، فلم قلتم إن الأمر كذلك ؟ قلنا لأنه لا قال بالقرى والله أعلم .

في المسألة الرابعة يجاز من الناس من قال لفظ الأمر مشترك بين الأمر القول ، وبين الشأن والعرض ، كما يقال أمر فلان مستقيم وإذا ثبت ذلك كان قوله تعالى (عن أمره) يتناول قول الرسول وقوله وطريقته ، وذلك يقتضي أن كل ما فعله عليه الصلاة والسلام يكون واجباً علينا ، وهذه المسألة مبينة على أن الكناية في قوله عن أمره واسمه إلى الشيء صلى الله عليه وسلم ، أما لو كانت راجعة إلى الله تعالى فالجواب سافه بالكثرة ، وتسام تقرير ذلك ذكرناه في أصول الفقه ، والله أعلم .

أما قوله تعالى (أن تصيهم فتنة أو يصيهم عذاب أليم) فإفراد أن مخالفة الأمر توجب أحد هذين الأمرين ، والمراد بالفتنة العقوبة في الدنيا ، وبالعذاب العقاب الآخرة ، وإنما ردد الله تعالى حال ذلك المخالف بين هذين الأمرين لأن ذلك المخالف قد يموت من دون عقاب الدنيا وقد يعيش له ذلك في الدنيا ، فلهذا السبب أوردته تعالى على سبيل التبريد ، ثم قال الحسن : الفتنة هي ظهور فتناتهم ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما : الفتن : الزلازل والأموال ، وعن جعفر بن محمد يسلط عليهم سلطان جائر .

أما قوله تعالى (ألا إن الله ما في السموات والأرض) فذلك كالدلالة على قدرته تعالى عليها

وعلى ما بينهما وما فيهما . واقتداره على التكلف فيما يماثل به من المجازاة بثواب أو عقاب ، وعلى ما يخفيه ريعه ، وعلى ذلك كازجر عن مخالفة أمره .

أما قوله تعالى ( قد يعلم ما أنتم عليه ) غائبا أدخل قد لتوكيد نفعه بما هم عليه من المخالفة في الدين والتفاني . ويرجع توكيد العلم إلى توكيد الوعيد : وذلك لأن قد إذا أدخلت على المضارع كانت بمعنى ربما ، فوافقت ربما في خروجها إلى معنى التكثير . كما في قول الشاعر :

فإن يس مجرود للفناء فربما أقام به بعد الوفود وفود

والخطاب والتنبه في قوله تعالى ( قد يعلم ما أنتم عليه ويرم يرجعون إليه ) يجوز أن يكونا جبراً للتعاضد على طريق الالتفات . ويجوز أن يكون ما أنتم عليه عاماً ويرجعون للمتقين . وقد تقدم في غير موضع أن الرجوع إليه هو الرجوع إلى حيث لا حكم إلا أنه فلا وجه لإعادته والله أعلم .

وصلّى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم

(٢٥) سُورَةُ الْفِرْقَانِ كَثِيرًا  
قَالَهَا شَيْخٌ وَسَمِعَهُ عَوْنٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ الَّذِي لَهُ مَلَأَتْ  
الْسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ تَحْضُدْهُنَّ وَلَمْ يَحْضُدْهُنَّ وَلَمْ يَحْضُدْهُنَّ وَلَمْ يَحْضُدْهُنَّ  
فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : ﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا ﴾ الذي له ملك  
السموات والأرض ولم يحد لها ولم يكن له شريك في الملك وكان كل شيء بقدره تقديرًا ﴿  
اعلم أن الله سبحانه وتعالى تكلم في هذه السورة في التوحيد والنبوة وأحوال القيامة ، ثم  
ختمها بذكر صفات المبدأ المخلصين المؤمنين ، ولما كان إثبات الصانع وإثبات صفات جلاله  
يجب أن يكون مقدمًا على الكل لا حرم افتتاح الله هذه السورة بذلك فقال ( تبارك الذي نزل  
الفرقان على عبده ) وفيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ قال الزجاج : تبارك : تفاضل من البركة ، والبركة كثرة الخير وزيادته  
وفيه معنيان ( أحدهما ) زائد خيره وتكاثر ، وهو المراد من قوله ( وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها )  
( والثاني ) زائد عن كل شيء ، ولما لم يحد في ذاته وصفاته وأعماله ، وهو المراد من قوله ( ليس  
كلمة شيء ) وأما تعالى عن كل شيء في ذاته ، فيجوز أن يكون المعنى جل يوجب وجوده وتقدمه  
عن سائر الصانع والتغير عليه ، وأن يكون المعنى جل يفرد به ووحده عن مشابهة شيء من  
الأمكنات ، وأما تعالى عن كل شيء في صفاته فيجوز أن يكون المعنى جل أن يكون عليه ضروريًا  
أو كسبيًا أو تصورًا أو تصديقًا وفي قدرته أن يحتاج إلى مادة ومدة ومكان وجلب غرض ومكان ،  
وأما في أخاته فيجل أن يكون التوحيد والبغاء وحلاص سائر الموجود إلا من قبله ، وقال آخرون : أصل  
المكلمة بكسر على التثنية ، وهو مأخوذ من برك العير ، ومن برك العاير على الماء ، وصحبت  
البركة بركة الثبوت المساء فيها ، والمعنى أنه سبحانه وتعالى باق في ذاته أزلا وأبدًا متع التغير وابق

في صفاته تتمتع التذلل ، ولما كان سبحانه وتعالى هو الخالق لوجود المانع والمصلح ، والحي والميت ، وجب وحده سبحانه أنه تبارك وتعالى .

❖ **المسألة الثالثة** ❖ قال أهل الفقه : كلمة الذي موصولة للاشارة إلى التي ، عند محالها تعريفه بضمية مبنية ، وعند هذا يتوجه الإشكال ، وهو أن القوم ما كانوا عالمين بأنه سبحانه هو الذي نزل الفرقان فكيف حسن هذا لفظ الذي ؟ (و جوابه) أنه لما قامت الدلالة على كون القرآن معجراً طاهر عسب الدليل كونه من عند الله ، فقفرة الدليل وظهره أجراه سبحانه و أنزل بحجج المعلوم .

❖ **المسألة الثالثة** ❖ لا ريب أن الفرقان هو القرآن وصح بذلك من حيث إنه سبحانه عز وجل من الحق والباطل في موه محمد صلى الله عليه وسلم وبين الحلال والحرام ، أو لانه فرق في العزل كما قال ( وقرآنا فرقاه نشرأه على الناس على ملك ) وهذا التأويل أقرب لأنه قال (نزل الفرقان) ونقطة نزل نزل عن التفریق ، ولما لفظه ( أنزل ) نزل على الجمع ، ولذلك قال في سورة آل عمران ( نزل عليك الكتاب بالحق وأنزل النوراة والإنجيل ) واعرف أنه سبحانه وتعالى لما قال أولاً ( تبارك ) ومعناه كثرة الخير والبركة ، ثم ذكر عقبه أمر القرآن دل ذلك على أن القرآن منقلاً للخيرات وأمر البركات ، لكن القرآن ليس إلا منقلاً للعلوم والمعارف والحكم ، فدل هذا على أن العلم أشرف المخلوقات وأعظم الأنبياء خيراً وبركة .

❖ **المسألة الرابعة** ❖ لا ريب أن المراد من العبد هنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وعن ابن الزبير على عباده وهو رسول الله وأمه ، كما قال ( لقد أنزل إليكم ) ، ( فمروا أمانياته وما أنزل إلينا ) ، وقوته ( ليسكن للعلمين نذراً ) والمراد ليكون هذا معيداً للعلمين ، وقول من قال : إنه راجع إلى الفرقان فأنصف الإنذار إليه كما أنصف الهداية إليه في قوله ( إن هذا القرآن يهدي ) فبيده وذلك لأن المنذر والتذير من صفات الفاعل للتخويف ، ولما وصف به القرآن فهو مجاز ، وحمل الكلام على الحقيقة إذا أمكن هو الواجب ، ثم قالوا هذه الآية نزل على أحكام : ( الأول ) أن العالم كل ما سوى الله تعالى يتناول جميع المكلفين من الجن والإنس والملائكة ، لكننا أجمعنا أنه عليه السلام لم يكن رسولاً إلى الملائكة فوجب أن يكون رسولاً إلى الجن والإنس جميعاً ، ويطلق بهذا قول من قال إنه كان رسولاً إلى البعض دون البعض ( الثاني ) أن لفظ العلمين يتناول جميع المخلوقات فدلّت الآية على أنه رسول للعقل إلى يوم القيامة ، وجب أن يكون خاتمه الانبياء والمرسل ( الثالث ) قالت المفسرة ذلت الآية على أنه سبحانه أراد الإيذان وفعل الطاعات من الكل ، لأنه إنما حث إلى الكل ليسكون نذراً للكل ، وأراد من الكل الاشتغال بالحسن والإعراض عن السيئ وعارضهم أمحاً بقوله تعالى ( ولقد ذرأنا لهم ) الآية ( الرابع ) لفتايل أن يقول إن قوله تبارك في دل على كثرة الخير والبركة لا بد وأن يكون الله كور عليه ما يكون سبباً لكثرة الخير

والمنافع ، والإنذار بوجوب التمسك والخوف فكيف بابق هذا الموضع ؟ ( حواشي ) في هذا الإنذار يجري مجرى تذكير الولد ، وثمة على كتاب الملائكة في تذكير الولد ، أكثر كان الأحسان إليه فأكثر ، فبما أن ذلك يؤدي في المستقبل إلى المنافع العظيمة ، فكذلك ما هنا كما كان الإنذار كثيراً ما كان رجوع المخلوق إلى الله أكثر ، فكذلك السادة الأخروية أسمى وأكثر ، وهذا كما تبينه على أنه لا تمنع من المنافع المباحة ، وذلك لأنه سبحانه لما وصف نفسه بأنه الذي يعلو الخيرات فكثيرة لم يذكر إلا منافع الخير ، ولم يذكر إلا شياً من منافع الدنيا .

ثم إنه سبحانه وصف ذاته بأربع أنواع من صفات الكبرياء : بأولها ( قوله ) الذي له ملك السموات والأرض ( وهذا كالكبر على التلا له على وجوده سبحانه لأنه لا طريق إلى إثباته إلا بواسطة امتزاج أمهاته إليه ، فكان تقديم هذه الصفة على سائر الصفات كالأسر الواجب وقوله ) له ملك السموات والأرض ( إشارة إلى احتياج هذه المخلوقات إليه سبحانه بزمان حيويتها ورحمتها فثابتاً في ما هيها وهي وجودها ، وأنه سبحانه هو المنصرف بها كيف يشاء ، وثالثها ) قوله ( ولم يتخذ ولداً ) فيه سبحانه أنه هو المعبود وليداً ، ولا يصح أن يكون غيره معبوداً ولو أننا للمشتك عنه . فتكون هذه الصفة كأنها كلمة لقوله ( برك ) وأقره ( الذي له ملك السموات والأرض ) وهذا كالأمر على العبادي ( وثالثها ) قوله ( ولم يكن له شريك في الملك ) والمراد منه هو الشفاعة بالإلهية ، وإذا عرف سبحانه ذلك فتمنع خوفه ورجاؤه عن الكل ، ولا يبق مشغول قلب إلا برحمته وإحسانه . وجه لزم على التوبة . والثالثين زيادة العجز ، والثالثين بعبادة الأوثان ( وراجعها ) قوله ( وخلق كل شيء فقدره تقديراً ) وفيه مؤلات :

أولها ( قوله ) خلق كل شيء ( دلالة على أنه سبحانه جالني لأعجل لا يذوق ) ( وأجواب ) نعم من وجهين الأول ، أنه قوله ( وخلق كل شيء ) يتناول جميع الأشياء فبما تناول أفعال العباد ، ( والثاني ) وهو أنه تعالى بعد أن بيّن أن شريك ذكر ذلك ، والقدر أنه سبحانه لم يبق الشريك كذاً فالتأني : هو أن هؤلاء يدعون بني الشريك والأنداد ، ومع ذلك يقولون إنهم يخفون أفعال أنفسهم . وذكر الله تعالى هذه الآية لتكون مكية في إرداعهم ، قال : قل انصروا الآية لا تدل عليه لوجه ( أحدهما ) أنه سبحانه صرح بكون الخلق خالقاً في قوله ( وخلق كل شيء من الطين كهيئة الطير ) وقال ( فبارك الله أحسن الخالقين ) ( وثالثها ) أنه سبحانه تمدح بذلك فلا يجوز أن يرد به خلق الفساد ( وثالثها ) أنه سبحانه تمدح بأنه قدير تقديراً ولا يجوز أن يرد به إلا الحسن والحكمة دون غيره . ثبت بهذا الوجه أنه لا بد من التأويل لمودات الآية بظاهرها عليه ، فكيف ولا دلالة فيها البتة ، لأن الحق عبارة عن التقدير فهو لا يتناول إلا ما يظهر فيه التقدير ، وذلك إنما يظهر في الأجسام لأن الأعراض . والمجواب :

أما قوله ( ولا تخفى ) وقوله ( أحسن الخالقين ) فهما مدارحان بهونه ( الله خالق كل شيء )

وجوابه ( هل من حال غير الله ) وأما قوله لا يجوز التحدج بخلق النقاد ، فإن لم لا يجوز أن يقع التحدج به نظراً إلى تقدير القدرة وإلى أن صفة الإيجاد من العلم والاعتماد من الوجود ليست إلا له ؟ وأما قوله : الخلق لا يقتضي إلا الأحكام ، فنقول لو كان كذلك لكان قوله خلق كل شيء حاصلاً لأنه يقتضي إضافة الشيء إلى جميع الأقسام مع أنه لا يصح في العقل إضافة إليها . في السؤال الثاني كم في الخلق معنى القدرة فعليه ( وخلق كل شيء بقدره تقديرأ ) معناه وقدر كل شيء بقدره تقديرأ ( والجواب ) الذي أحدث كل شيء إحداثاً راعى فيه التقدير والتسوية ، فقدره تقديرأ وهباً لما يصاح به . معناه أنه خلق الأشياء على هذا الشكل فقدره القدرى الذي تراه . فقدره للتكاليف والمصالح المعلقة به في باب الدين والدنيا ، وكذلك كل حيوان وجماد ، بما به على الطبيعة المستوية المقدرة بأداة الحكمة والتدبير فقدره الأمر ما ، ومعصلحة ما . معانفاً لما قدر غير متخلف عنه .

( السؤال الثالث ) هل في قوله بقدره تقديرأ دلالة على مذهبيكم ؟ ( الجواب ) نعم وذلك من وجوه ( أحدها ) أن التحدير في حقنا يرجع إلى العلم والحسبان ، أما في حق سبحانه فلا معنى له إلا العلم به والاختيار عنه ، وذلك شفق عليه بين وبين الممتزلة ، فلا علم في الشيء القلاني أنه لا يقع . فلو وقع ذلك الشيء لازم الغلاب عليه جهلاً وانقلاب خبره تصديق كذباً ، وذلك محال مقتضى إلى المحال محال فاذن وقوع ذلك الشيء محال والمحال غير مراد فذلك الشيء غير مراد وبه مأمو به . ثبت أن الأمر والارادة لا يتلانان ، وظهر أن السديد من سعد في بطن أمه ، وأنشئ من شئ في بطن أمه ( وثانيها ) أنه عند حصول القدرة ، المباشرة الجالفة بين وجب التفضل ، كان فعل العبد واجب فعل الله تعالى ، وحينئذ يجعل قول الممتزلة ، وإن لم يجب فإن امتنع عن المرجع فقد وقع الممكن لا عن مرجع وتجويزه بسبب إتيان الصانع وإن لم يستثن عن المرجع . فالكلام يعود في ذلك المرجع ، ولا ينقطع إلا عند الانتهاء إلى واجب الوجود ( وثالثها ) أن فعل العبد لو وقع يتغيره لما وقع إلا الشيء الذي أراد تذكيره وإجباره . لكن فالإنسان لا يريد إلا العلم والخلق فلا يحصل له إلا الجهل والاعمال ، ولو كان الأمر بقدره لما كان كذلك ، فإن قيل إنسان كان لأنه اعتقد شبهة أوجبت له ذلك الجهل ، فذا إن اعتقد تلك شبهة لشبهة أخرى لازم التسلل وهو محال فلا بد من الانتهاء إلى جهل أول ، ووقع في قلب الإنسان لا بسبب جهل سابق ، بل الإنسان أسأته ابتداء من غير موجب ، وذلك محال لأن الإنسان فاع لا يرضى لنفسه بالجهل ولا يحاول تحصيل الجهل لنفسه بل لا يحاول إلا العلم ، فوجب أن لا يحصل له إلا ما قصده وأراد . وحيث لم يكن كذلك عدنا أن الفعل قضاء ، سار ونحوه ، وهو المراد من قوله ( وخلق كل شيء بقدره تقديرأ ) .

وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْتَفِيسَهُمْ  
ضَرّاً وَلَا نَفْعاً وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُوراً ﴿٢٠﴾

قوله تعالى : ﴿ واتخذوا من دونه آفة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ولا يملكون الانتفيس حراً ولا ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً ﴾ .

اعلم أنه سبحانه وتعالى لما وصف نفسه بصفات الحلال والذرة والظفر أوقف ذلك بتزييف مدعى عبدة الأوثان ومن نقصانها من وجوه (أحدها) أنها ليست عاقلة للأشياء ، والإله يجب أن يكون قادر على الخلق والإيجاد (وثانيها) أنها مخلوقة والمخلوق يحتاج ، والإله يجب أن يكون غنياً (وثالثها) أنها لا تملك لأنفسها ضراً ولا نفعاً ، ومن كان كذلك فهو لا يملك لغيره أيضاً . وهذا ، ومن كان كذلك فلا فائدة في عبادته (ورابعها) أنها لا تملك موتاً ولا حياة ولا نشوراً ، أي لا تغدر على الإحياء ، والامتناع في زمان التكليف وثانياً في زمان التجزأة ، ومن كان كذلك كيف يسمى إلهاً ؟ وكيف يحسن عبادته مع أن حق من يحق له العبادة أن ينعم بهذه النعم المخصوصة ، وهنا سؤالان :

(الاول) قوله ( واتخذوا من دونه آفة ) هل يختص بعبدة الأوثان أو يدخل فيه المنصاري وعبدة الكواكب وعبدة الملائكة ؟ (والجواب) قال القاضي : يجب أن يدخل به المنصاري لأنهم لم يتخذوا من دون الله آفة على الوجه ، فالأقرب أن المراد به عبادة الأصنام ، ويحتمل أن يدخل فيه من عبدة الملائكة لأنهم قد قدم كثرة . ولقائل أن يقول قوله واتخذوا حليفة جمع وقوله آفة جمع ، والجمع إذا قوبل بالجمع يقابل المفرد بالمفرد ، فلم يكن معبود المنصاري واحداً مانعاً من دخوله تحت هذا اللفظ .

(السؤال الثاني) احتج بعض أصحابنا بقوله ( واتخذوا من دونه آفة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ) على أن تدل العبدة بخلافه تعالى . فقالوا إن الله تعالى عاب هؤلاء التكلف من حيث عبسوا ما لا يخلق شيئاً ، وذلك يدل على أن من خلق يستحق أن يعبد ، ولو كان العبد خائفاً لكان معبوده إلهاً . أجاب الحكمي عنه بأن لا تطلق اسم الخالق إلا على الله تعالى . وقال بعض أصحابنا في الخلق به الإسنادات لا بصلاح وغيره وتعب ، ولا يكون ذلك إلا لله تعالى ، ثم قال : وقد قال تعالى ( ألهم أروجن يشون بها ) في وصف الأصنام قبل ذلك على أن كل من له وجه يستحق أن يعبد ؟ فإذا علموا لا قيل فذلك ما ذكرتم . وقد قال تعالى ( فبما نزلنا من آياتنا ) هذا كله كلام الحكمي (والجواب) قوله لا يخلق اسم الخالق على عبدة ، فلا بد من ذلك لأن الخلق في اللغة هو الزيادة ، والتقدير يرجع إلى الظن والحسبان ، فوجب أن يكون اسم الخالق حفيضة في



وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ وَأَعْلَاهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا  
 ظُلُمًا وَزُورًا ① وَقَالُوا أَنْطِيرُوا آلَ أَدْرِيْنَ أَكُنْتُمْ بِهَا تُحْيِي تُمِيتُ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا  
 ② قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ③  
 وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رُسُولٌ يَأْكُلُ أَنْطَعَامًا وَيَمْنَحِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَهُكَ إِلَهُكَ مَلَكٌ  
 فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا ④ أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كُرًا أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ بِأَكْلٍ مِنْهَا وَقَالَ  
 الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْجُورًا ⑤ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلَ فَضَلُّوا  
 فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ⑥

ثم بعد هذا في الله تعالى . فكيف يمكنكم منع إطلاق لفظ الخلق على المد ؟ لما قوله تعالى ( ألم  
 أرجل يشون ) فالجيب إنما وقع عليهم بالعجز فلا جرم أن كل من تحقق التجزؤ حقه من هذه  
 الوجوه لم يحسن عبادته . ولما قوله تعالى ( فبارك الله أحسن الخالقين ) فقد تدمد التكلام عليه .  
 واعلم أن هذه الآية لا تقوى السلال أشخاصها لا جنات أن العيب لا يحصل إلا بتدريج  
 أسرين . أحدهما أنهم لم يوافقوا الخلقين . والثاني أنهم مخلوقون . والعبد وإن كان خالقاً إلا أنه مخلوق  
 منهم أن لا يكون إلهاً معبوداً .

( السؤال الثالث ) هل يدل هذه الآية على اليقين ؟ ( الجواب ) نعم لأنه تعالى ذكر الشور  
 وعنده أن العبد يجب أن يكون قادراً على إيهال الثواب إلى المظلمين والعتاب إلى المعتدين . فمن  
 لا يكون كذلك رجب أن لا يصلح للاضحية .

قوله تعالى : وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأما عليه قوم آخرون فقد جاءوا  
 ظُلُمًا وَزُورًا . وقالوا أَنْطِيرُوا آلَ أَدْرِيْنَ أَكُنْتُمْ بِهَا تُحْيِي تُمِيتُ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا . قل أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ  
 السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا . وقالوا مَا هَذَا إِلَّا رُسُولٌ يَأْكُلُ أَنْطَعَامًا وَيَمْنَحِي  
 فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَهُكَ إِلَهُكَ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا . أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كُرًا أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ بِأَكْلٍ  
 مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْجُورًا . أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا  
 فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا .

اعلم أنه سبحانه تكلم أولاً في التوحيد ، وثانياً في الرد على عبدة الأوثان ، وثالثاً في هذه الآية ، تكلم في مسألة عبادة الأصنام ، وعكس سبحانه شبههم في إنكار نبوة محمد ﷺ (الشبهة الأولى) فوهم (إن هذا إلا إنك اصراء) وأعانهم عليه قوم آخرون ، ونظيره قوله تعالى (إنما يبدلن بشر) واعلم أنه يحصل أن يبدلوا به أمه كذب في نفسه ، ويحصل أن يبدلوا به أمه كذب في إضافته إلى الله تعالى ، ثم ههنا بحثان :

(البحث الأول) قال أبو حنبل : الاقرار بقصدان من قرئت ، وقد يقال في تقدير القديم قرئت القديم ، وإنما أريد قطع الإسناد قبل القرئت والقرئت وحلفت واحتلفت ، ويقال قيس ثم امرأ بما ليس فيه اقترى عليه .

(البحث الثاني) قال الكلبي ومقاتل : نزات في النصيرين الخاروت ، فهو الذي قال هذا القول (وأعانهم عليه قوم آخرون) يعني عداس مولى حويعب بن عبد الغزي ويسار غلام عامر بن الحضرمي ، وجبر مولى عامر ، وهؤلاء الثلاثة كانوا من أهل الكتاب ، وكانوا يقرأون التوراة ويعبدون آصافيت منها نفساً أسلبوا وكان النبي ﷺ ينههم ، فمن أجل ذلك قال النصير ما قال . واعلم أن الله تعالى أجاب عن هذه الشبهة بقوله ( فقد جاءوا ظلماً وزوراً ) وفيه إجماع :

(القول) إن هذا التقدير أيضاً يكتفي سوابقاً عن الشبهة المذكورة ، لأنه قد علم كل حافظ أنه عليه السلام يحدهم بالقرآن وهم النهاية في الفصاحة . وقد بانوا في الحرص على إبطال أمره كل غاية ، حتى أخرجه ذلك إلى ما وصفوه به في هذه الآيات ، فلو أمكنهم أن يبدلوا صورته ، وكان ذلك أقرب إلى أن يبدلوا مرادهم فيه لما أوردوه في هذه الآية وغيرها . ولو استعان محمد عليه السلام في ذلك بخبره لأمكنهم أيضاً أن يستعينوا به ، لأن محمداً ﷺ كان ذلك المشكرين في معرفة اللغة وفي المسكنة من الاستعانة . فلما لم يفعلوا ذلك وأخاله هذه علم أنس القرآن قد بلغ انتهاء في الفصاحة وأشبه إلى حد الإعجاز . ولما تضمنت هذه الدلالة مرات وكررات في القرآن وظهر بديع ما يحق هذا السؤال ، ظهر أن إعادة هذا السؤال بعد تقدم هذه الأدلة الواضحة لا يكون إلا لتهدئة في الجهن والعتاد ، فذلك أكبر في الجواب بقوله ( فقد جاءوا ظلماً وزوراً )

(البحث الثالث) قال الكلبي : قوله تعالى ( فقد جاءوا ظلماً وزوراً ) أي أتوا ظلماً وكذباً وهو كقولهم ( فقد جاءوا ظلماً ) أي ظلماً وكذباً ، وقيل الزجاج : انصب بديع الخافض ، أي جاءوا بالظلم والزور .

(البحث الثالث) أي أن الله تعالى وصف كلامهم بأنه ظلم وبأنه زور ، وأما أنه ظلم فلاهم نسبوا هذه القول لتفويض إلى من كان مبرأه ، فقد وجدوا الشيء في غير موضعه وذلك هو الظلم ، وأما الزور فلاهم كذبوا فيه . وقال أبو مسلم : قالوا تكذبهم الرسول ، الرد عليه . والزور كذبهم عليه .

(الشيعة كاتبه لهم) قوله فقال (وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا) وفيه أبحاث :

(البحث الأول) في الأساطير ما يظنه المتقدمون كالحديث وسنن وأسماء بار . جمع أساطير أو أسطورة كالحديث (الكتيب) انسخها محمد من أهل الكتاب يعني علماء وساراً وجبراً ومعنى الكتاب هنا أمر أن يكتب له كما يقال انسخم وانسخه (أي أمر بذلك (فهي تملى عليه) أي غرأ عليه وكتبوا أنها كتبت له وهو أي موسى تلقى عليه من كتبه ليحفظ ذلك صورة الإنفاذ على الحافظ كصورة الإنفاذ على الكتاب .

أما قوله (بكرة وأصيلا) قال الضحاك ما يملئ عليه بكرة يقرؤه عنكم عشية . وما يملئ عليه عشية بقرؤه عليكم بكرة .

(البحث الثاني) في قال الحسن (فهي تملى عليه بكرة وأصيلا) كلام الله ذكره جرباً عن قوله كأنه أنشأ قال بن عبد الإيات تملى عليه . والمرحى خلافة حال . فكيف ينسب إلى أنه أساطير الأولين . وأما جمهور المفسرين فقد اعلموا على أن ذلك من كلام القوم . ولأدلة به أن أهل الكتاب أعلموا به في هذه الأوقات هذه الكتب . ولا شك أن هذا قول أقرب لوجوه (أحدها) أنه تعالى في هذا الكلام بما قاله . فكأنهم قالوا : كتبت أساطير الأولين فهي تملى عليه (وثانيها) أن هذا هو المراد بقوله . (وأما علماء قوم آخرون) (و(ثالثها) أنه تعالى : يجب بعد ذلك عز كلامه قوله (قل أنزلني الذي يعلم السر) قال صاحب التفسير : وقول الحسن إنما يستقيم أن لو كانت المعرفة الاستفهامية في معنى الإسكاد . وحق الحسن أن تنق على الأولين . وأما ما يجب أنه عن هذه الشبهة بقرؤه (قل أنزلني الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفواً رجلاً) وفيه أبحاث :

(البحث الأول) في بيان أن هذا كيف يصح أن يكون جرباً عن تلك الشيعة أو تفرقة ما وجدنا أنه عليه السلام قد علمه بالقرينة وظهر عجزهم عنه . ولو كان عليه السلام إلى القرآن بأن يستعان بأحد سكان من الواجب عليهم أيضاً أن يستعينوا بأحد قبائل بمثل هذا القرآن . فلما عجزوا عنه ثبت أنه وحى الله وكلامه . فلما قال (قل أنزلني الذي يعلم السر) وذلك لأن العباد على تركيب الفاظ القرآن لابد وأن تكون عالماً بكل المعلومات فافهموا ما فيها من وجوه (أحدها) أن مثل هذه القصص لا يتأتى إلا من اتصال بكل المعلومات (وثانيها) أن القرآن مشتمل على الإخبار عن الغيوب . وذلك لا يتأتى إلا من اتصال بكل المعلومات (وثالثها) أن القرآن مبرأ عن النقص وذلك لا يتأتى إلا من اتصال على ما قال تعالى (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) (ورابعها) الإشارة على الأحكام التي هي منتزعة بأصناف العالم وتمام العباد . وذلك لا يكون إلا من العالم بكل المعلومات (وحامسها) الإشارة على أنواع العلوم وذلك لا يتأتى إلا من العالم بكل

المعلومات، هذا دل القرآن من هذه الناحية على أنه ليس بالكلام العام بكل المعلومات لا جرم الكنى في جواب شبههم بقوله: انظر كيف ضربوا لك الأمثال.

(البحث الثاني) اختلفوا في المراد بالسر، فهم من قال المعنى أن العالم بكل سر في السموات والأرض هو الذي يمكنه إزالة مثل هذا الكتاب، وقال أبو مسلم المعنى أنه أنزل من إله السر فهو كدب عليه لا تنقم منه لقوله تعالى: أولو نقول علينا بصير الأقاويل لاخذنا منه بالبين) وقال آخرون المعنى أنه يعلم كل سر خفي في السموات والأرض، ومن جهة ما تسرونه أنتم من الكيد لرسوله مع علمكم بأن ما يقول حق ضرورة، وكذلك باطل أمر رسول الله ﷺ وإرادته مما تسرونه به، وهو سبحانه يجازيكم بمجازيه على ما علم منكم وعلم منه.

(في البحث الثالث) إنما ذكر المغفور الرحيم في هذا الموضع لوجهين (الأول) قال أبو مسلم المعنى أنه إنما أنزله لأجل الإظهار فوجب أن يكون مغفراً رحماً غير مستحق في العقوبة (الثاني) أنه نبيه على أنهم استوحوا بما يكيدونهم هذه أن يعجب عليهم العذاب صفاً وذكر صرف ذلك عنهم كونه مغفراً رحماً يهمل ولا يدخل.

(في شبهة الثالثة) وهي في نهاية الزكاة ذكر كرواله صفات خمسة فوعوا لها محل بالرسالة (أحدها) قولهم (مال هذا الرمول يأكل الطعام) وقابض) قولهم (ويمنى في الأسواق) يعني أنه لما كان كذلك فمن أيسر له الفضل علينا وهو ملك في هذه الأمور (ورتاب) قولهم (لولا أنزل إليه ملك فيكون منه خيراً) بصدقه أو يشهد له ورد على من عاينه (ورابعها) قولهم (أرأيت إليه كثر) أي من الدنيا، فيعنه فلا يحتاج إلى الله (والمطلب المباش) أو غامضها) قولهم (أرأيت كثر له جنة يأكل منها) قرأ حرة والكسائي يأكل منها بالنون وقرأ الباقون مايلد والمعنى إن لم يكن لك كثر فلا أقل من أن تكون كثر أحد من المذمومين فيكون لك بيتان تأكل منه (وسادسها) قولهم (إن تقبّلوا إلا رجلاً مسحوراً) وقد تقدمت هذه القصة في آخر سورة بني إسرائيل فأجاب الله تعالى عن هذه الشبهة من وجوه (أحدها) قوله (انظر كيف ضربوا لك الأمثال ضلوا فلا يستطيعون سبيلا) وقيل أمثال:

(في الأول) أن هذا كرم يصلح أن يكون جرمياً عن تلك الشبهة، وبما أن الذي ينبغي الرسول به عن غيره هو المدحزة وحده الأشياء التي ذكروها لا يمدح شيء منها في المعجزة فلا يكون شيء منها قادحاً في إثارة فكأنه تعالى قال انظر كيف اشتغل القوم بضرب هذه الأمثال التي لا فائدة فيها لأجل أنهم لما ضلوا وأرادوا الفتح في نبيك لم يجمعوا إلى الفتح به سبيلا بل إنهم طعنوا عليه إنما يكون بما يقدم في المعجزات التي ادعاهوا لأجلها الخلق من القول وغيره آخر وهو أنهم لما ضلوا لم يبق لهم استطاعة قبول الحق، وهذا إنما يصح على مذهبي وتفرقه بالعقل ظاهر، وذلك لأن الإنسان، إما أن يكون منسوقاً للمادى إلى الحق والباطل، وإما أن يكون داعية إلى أحدهما أرجح من داعية إلى الثاني، فإن كان الأول حال الإستواء متبع الرجحان فيستع ثلث

تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ فُصُورًا ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَوْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾

وإن كان الثاني طائفة وجعان أحد الطرفين يكون حصول الطرف الآخر متناهي ، ثبت أن حال وجعان الضلالة في قلبه استحال من قبول الحق ، وما كان محالاً لم يكن عليه قدرة ، ثبت أنهم لما ضلوا ما كانوا مسلمين .

قوله تعالى : ﴿ تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصوراً ﴾ ، بل كذبوا بالساعة وأعدنا لمن كذب بالساعة سعيراً . إذا رأوهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً ، وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً مقرنين دعوا هنالك ثبوراً ، لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً ﴿ ١٤ ﴾ .

أعلم أن هذا هو الجواب الثاني عن تلك الشبهة فقوله ( تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك ) أي من الله ذكره من نعم الدنيا كالكنز والجنة وفسر ذلك الخير بقوله ( جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصوراً ) فيه بذلك سبحانه على أنه قادر على أن يعطي الرسول كل ما ذكره . ولكنه تعالى يدير عياده بحسب الصالح أو على وفق المشيئة ولا افتراض لأحد عليه في شيء من أفعاله ، فيفتح على واحد أبواب المعارف والعلوم ، ويسد عليه أبواب الدنيا ، وفي حس الآخر بالعكس وما ذلك إلا لأنه تعالى لما يريد ، وجهاً مستتراً :

﴿ المسألة الأولى ﴾ قال ابن عباس غير من ذلك لما عيرك بفقد الجنة ، لأنهم عيروك بفقد الجنة الواحدة وهو سبحانه قادر على أن يعطيك جنات كثيرة ، وقال في رواية عنكرمة ( غيراً من ذلك ) أي من الشيء في الأسرار ، وانفاد الغش .

﴿ المسألة الثانية ﴾ قوله ( إن شاء ) معناه أنه سبحانه قادر على ذلك لأنه تعالى شاء لأن الشك لا يجوز على الله تعالى ، وقال قوم ( إن ) هنا بمعنى إذا ، أي أعدنا لك في الآخرة جنات وبنيانا لك قصوراً وإنما أدخل أن تنبيهاً للعباد على أنه لا يبال ذلك إلا برحمته ، وأنه مطلق على

محض مشيئة وأنه ليس لأحد من العباد على الله حق فلا في الدنيا ولا في الآخرة.

في المسألة الثالثة في التصور جماعة مصر وهو الممكن الرابع ويحتمل أن يكون لكل حنة  
مصر فيكون ممكناً ومنتهياً، ويجوز أن يكون التصور مجموعة والحانات مجموعة، وقال بعد  
(إن شاء الله تعالى) في الخاتمة في التصور في الدنيا.

في المسألة الرابعة في اختلاف النهر في قوله ويجعل رفع ابن كبير وابن عامر وعاصم اللام وحرمه الآخرى . فمن حرم فلا ينفع إن شاء يجعل لك حلت ويجعل لك قصوراً ومن رفع فعل الاستئناف والمعنى يجعل لك قصوراً . هذا قول الزحاج . قال الواحدي وبين ابنه ابنه في قوله . فمن حرم فالمعنى إن شاء يجعل لك قصوراً في الدنيا ولا يحسن الوقوف على الآثار . ومن رفع حسنه الوقوف على الآثار . والمستأحب أن يجعل لك قصوراً في الآخرة . وفي مصحف أبي وابن مسعود : ثم إن شاء يجعل لك .

**( المسألة الخامسة )** عن طلوس بن أن عباس قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وجبريل عليه السلام عنده قال جبريل عليه السلام هذا ملك قد نزل من السماء استأذن به في زيارتك فلم يثبت إلا قليلا حتى جاء الملك وسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بن الله بحمرك بين أن يعطيك ما تشاء كل شيء لم يعطه أحدا منك ولا يعطيه أحدا بعدك من غير أن يفصلك عما دخر لك شيئا . فقال عليه السلام بن محمد ما جئنا في الآخرة . فقل قوله يبارك الذي إن شاء الآية . وعن ابن عباس قال صلى الله عليه وسلم : عرض علي جبريل بهذا ملكا فقلت لي شعة وثلاث جوارح . وذلك لأكثر الذكرى . وماتني لذي ، وفي رواية صفوان بن سليم عن عبد الوهاب قال صلى الله عليه وسلم : أُنشع برما وأحرج ثلاثا ، فأخذت إذا شبع . وأُنشع إليك إذا جوع . وعن الضحك . وما سمع التمركون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقافه حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك . فزل جبريل عليه السلام معزأ له ، وقال إن الله يقرؤك السلام ويقول ( وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلوا الطعام ) الآية . قال فيها جبريل عليه السلام وأتني صلى الله عليه وسلم . فحدثني أن فتح باب من أبواب السماء . لم يكن فتح قبل ذلك . ثم قال أبشر يا محمد هذا رضوان حارث الجنة قد أتاك بالرضا من ربك . وسلم عليه وقال إن ربك بحمرك بين أن تكون نبيا ملكا وبين أن تكون نبيا عبدا . ومع سقط من نور يتلأل ثم قال هذه مفاتيح : إن الدنيا فاة فيها من غير أن يفصلك الله عما أعدك في الآخرة جناح دعوة فطر النبي صلى الله عليه وسلم إلى حميريل كالاستبصار فأوما يده أن تواضع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . بل جأ عبدا . قال فكان عليه السلام بعد ذلك لم يأكل متكئا حتى وافق الدنيا . لما قوله تعالى ( بل كذبوا بالباءة وأخفوها كذب بالباءة صغيرا ) فيه جواب ثالث عن تلك التهمة كأنه سبحانه قال ليس ماتلقوا به شبهة عيلة في عرض المسألة . بل الذي ملهم على تكذيبك تكذيبهم بالباءة استقلالاً للاستعداد لها . ونعم أن يكون المعنى أنهم يكذبون

بالساعة فلا يرجون موتاً ولا عقاباً ولا يشعرون كلفة النظر والسكر ، هكذا لا يشعرون بما يورث عليهم من الازلال ، ثم قال : ( وأعدنا لمن كذب بالساعة سعيراً ) وفيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ قوله أبو مسلم : ( وأعدنا ) أي جعلناها عقاباً ومعدة لهم ، والسعي السار الشديده الاستعداد ، وعن الحسن أنه اسم من أسماء جهنم .

﴿ المسألة الثانية ﴾ نحتاج أصحابنا على أن الحجة عقوبة ، بقوله تعالى ( أعدت للعشقين ) وعلى أن الآية هي دار العقاب عقوبة هذه الآية وهي قوله : ( وأعدنا لمن كذب بالساعة سعيراً ) وقوله ( أعدنا ) إخبار عن فعل وقع في الماضي ، فثبت الآية على أن دار العقاب عقوبة قال الجاني يحصل وأعدنا النار في الدنيا وبها تعذب الكفار والغشاق في قبورهم ويحصل نار الآخرة ويكون معنى ( وأعدنا ) أي سمعنا لهم كقولهم ( وتنادى أصحاب الجنة أصحاب النار ) واعلم أن هذا الدوزان في غاية السخوط لأن المراد من السعي ، إما دار الدنيا وإما دار الآخرة ، فإن كان الآخرة فيما أن يكون الهادئة تعالى ينزههم في الدنيا دار الدنيا أو ينزههم في الآخرة بدار الدنيا . والاول باطل لأنه تعالى ما ينزههم بالنار في الدنيا ، والنار أيضاً باطل لأنه لم يقل أعد من الآخرة أنه تعالى يعذب الكفرة في الآخرة بنيران الدنيا ، فثبت أن المراد نار الآخرة ونبت أنها معدة . وحمل الآية على أن الله سبحانه أعد لها معدة ، ترك للظاهر من غير دليل ، وعلى أن الحسن قال سمع اسم من أسماء جهنم قوله ( وأعدنا لمن كذب بالساعة سعيراً ) صريح في أنه تعالى أعد جهنم .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ نحتاج أصحابنا بهذه الآية على أن السعد من سعد في بطن أنه قالوا إن الذين أعد الله تعالى لهم السعي وأجرهم عن ذلك وحكمه أن صاروا مؤمنين من أهل التواب أغلب حكم الله بكونهم من أهل السعي كما ما وأغلب بذلك عليه جملته ، وهذا الانقلاب محال والموتى إلى النجاة محال ، ضرورة أن الله مؤمن من أهل التواب محال ، فثبت أن السعي لا يغلب حقاً ، ونحن لا نغلب سعيه ، ثم إنه سبحانه وتعالى وصف السعي بصدقات إلهية وقوله ( إذا رَأَيْتُمْ مِنْ سُكَّانٍ مُبْعِدٍ سَمِعُوا لَهَا نَغِيظاً وَزَفيراً ) وفيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ السعي مذكر ولكن جاء بها مؤنثاً لأنه تعالى قال ( رَأَيْتُمْ ) وقال ( سَمِعُوا لَهَا ) وإنما جاء مؤنثاً على معنى النار .

﴿ المسألة الثانية ﴾ مذهب أصحابنا أن الآية ليست سرّاً في الحساب ، فإن على حاملي حيله ، يحزن أن تخفى الله الحيلة والعقل والطق فيها ، وعند المعزلة ذلك جيد جائز ، وهذا المعزلة ليس لهم في هذا تباب حجة إلا استقراء العادات ، ولو صدق ذلك لوجب التكذيب بانحراف العبادات في حق الرسل ، فهو لا قولهم متناقض ، بل إنكار العادات لا ينافي إلا بأصول مختلفة . فعلى هذا قال أصحابنا قول الله تعالى في صفة النار ( إذا رَأَيْتُمْ مِنْ سُكَّانٍ مُبْعِدٍ سَمِعُوا لَهَا نَغِيظاً وَزَفيراً ) يجب إحراره على الظاهر ، لأنه لا يحتاج في أن تكون النار صفة رافة نازلة على الكفار ، إنما

المتولة فقد احتجوا إلى التأويل وذكروا فيه وجوهاً ( أحدها ) قالوا معنى رأسهم ظهرت لهم من قولهم دوم غزاي وتنظار . وقال عليه السلام : إن المؤمن والكافر لا تراهي ناراهما أي لا تتقابلان لما يجب على المؤمن من محبة الكافر والمشرک . ويقال دور فلان متناظرة ، أي متقابلة ( وثانيها ) أن القار لثمة اضطرامها وغليانها صارت ترقى الكفار وتطلمهم وتنفذ عليهم ( وثالثها ) قال الجبائي : إن الله تعالى ذكر النار وأراد الحفرة الموكدة بنهب أهل النار ، لأن الرؤية تصح منهم ولا تصح من النار ، فهو كقوله ( وأسل القربة ) أراد أهلها .

❖ **المسألة الثالثة** ❖ : فنقال أن يقول التفسير عبارة عن شدة الغضب وذلك لا يكون مسموعاً ، فكيف قال الله تعالى ( سمعوا لها تغيظاً وزفيراً ) ؟ ( الجواب ) عنه من وجوه ( أحدها ) أن التغيظ وإن لم يسمع فإنه قد يسمع ما يدل عليه من الصوت وهو كقوله : وأبى غضب الأمير على فلان إذا رأى مايدل عليه . وكذلك يقال في نوبة مكذبا عنها ، والذي سمعوا لها صوتاً يشبه صوت الخيظ وهو قول الزجاج ( وثانيها ) المعنى ضموا لها تغيظاً وسمعوا لها زفيراً ، وهذا قول قطرب ، ومر كقول الشاعر : متغلاً - يفاً ورعاً ( وثالثها ) المراد تغيظ الحفرة .

❖ **المسألة الرابعة** ❖ : قال عبيد بن عمير : إن جهنم لنزفر زفرة لا يبقى أحد إلا ورعد فرائضه حتى أن إبراهيم عليه السلام يجر على ركبته ويقول مني نفسي . ( الصفة الثانية للسمر ) قوله تعالى ( وإذا القوا منها مكاناً ضيقاً مقرين دعوا هنالك ثبورا ) واعلم أن الله سبحانه لما وصف حال الكفار حينما يكونون بالبعد من جهنم وصف حالهم عند ما يبلغون فيها ، فعز يائه منه بما لا شيء . ألمح منه ، وفيه مسائل :

❖ **المسألة الأولى** ❖ : في ضيقاً قرأنا في التشديد والتخفيف ، وهو قراءة ابن كثير . ❖ **المسألة الثانية** ❖ : نقل في تفسير الضيق أمور ، قال قتادة : ذكر لنا عبد الله بن عمر قال : إن جهنم لضيق على الكافر كضيق الزوج على الزرع ، وستر النبي ﷺ عن ذلك فقال : والذي نفسي بيده إنهم يشكرون في النار كما يشكروا التود في الحائط ، قال الثعلبي : الأسفلون يرغمهم اللب ، والأعوان يحتمهم المهاجرون فيرددهون في تلك الأبواب الضيقة ، قال صاحب الكتاب : الكرب مع الضيق ، كما أن الروح مع السفة . ولأنك وصف الله الجنة بأن هربها السموات والأرض ، وما في الأحدث وإن لكل مؤمن من تقصير والجنان كذا وكذا ، ولقد جمع الله على أهل النار أنواع البلاء حيث ضم إلى المذاب الشديد الضيق .

❖ **المسألة الثالثة** ❖ : قالوا في تفسير قوله تعالى ( مقرين في الأصفاق ) إن أهل النار مع ما هم فيه من المذاب شديد والضيق الشديد . يكونون مقرين في السلاسل قرنت أيديهم إلى أعناقهم وقيل يقرن مع كل كافر شيطانه في سلسلة ، وفي أرجلهم الأصفاق هم ( أي سبيلك ) حكم عن أهل النار أنهم حين ما يشاهدون هذا النوع من العقاب الشديد دعوا ثبورا ، والثبور الهلاك ، ودعاهم



قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَأَنَّ لَهُمْ جَزَاءً وَصِيْرًا ﴿١٥﴾

لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا ﴿١٦﴾

أَن يَقُولُوا وَأَنْتُمْ لَهُ . أَيْ يَقُولُوا يَا بُرِّ هَذَا جَنَّتُكَ وَزَمَانُكَ . وَرَوَى أَنَّهُ مَرْفُوعًا وَأَوَّلُ مَنْ  
يَكْسِي دَلَّةً مِنَ النَّارِ يَلْبِسُ فَيَضَعُهَا عَلَى حَائِيَتِهِ وَبَدَنُهَا مِنْ حُلْفَةِ ذَرِيَّتِهِ وَهُوَ يَقُولُ يَا بُرِّ زَاهِ وَيَتَدَوَّى  
يَا بُرِّ زَاهِ حَتَّى يَرُدُّهُ النَّارُ ٤ .

أَمَّا قَوْلُهُ ( لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ بُرًّا وَارْتَدُّوا ) أَيْ يَقَالُ لَهُمْ ذَلِكَ . وَهُوَ أَحَقُّ . بَأَنَّ يَقَالُ لَهُمْ ذَلِكَ  
وَأَن لَمْ يَكُنْ ثُمَّ قَوْلُ . وَمَنْ يَدْعُوا بُرًّا كَثِيرًا ، أَنْتُمْ وَقَتُّنَّهَا لَيْسَ بُرِّكُمْ مِنْهُ وَاحِدًا ، إِنَّمَا  
هُوَ بُرٌّ كَثِيرٌ ، إِنَّمَا لَانَ الْمَذَابَ أَمْوَاجَ وَأَمْوَاجَ لِكُلِّ نَوْعٍ مِنْهَا بُرٌّ لِحَدِّثِهِ وَفَضْلَتِهِ . أَوْ لَأَنَّهُمْ كَلَّمَا  
تَضَيَّحَتْ جَنُودُهُمْ بِقَوْلِهِمْ غَيْرُهُمْ . أَوَّلَ ذَلِكَ الْمَذَابَ دَائِمٌ خَالِصٌ مِنْ الشُّبُوبِ فَلَهُمْ فِي كُلِّ رَدَّتٍ مِنْ  
الْأَوْقَاتِ الَّتِي لَا نَهَابَ لَهَا بُرٌّ . أَوْ لَأَنَّهُمْ وَمِمَّا يَعْدِلُونَ بِسَبَبِ ذَلِكَ الْقَوْلِ نَوْعًا مِنَ الْخَفَةِ . فَإِنَّ  
الْمَذَابَ إِذَا صَاحَ وَبَكَى وَحْدَ سَبَبِهِ نَوْعًا مِنَ الْخَفَةِ فَيُزَيِّمُونَ عَنْ ذَلِكَ ، وَيَحْمَرُّونَ بِأَنَّ هَذَا الْبُرِّ  
مِيزَادُ كُلِّ يَوْمٍ لِيَزِدَّ حَرَّتَهُمْ وَعَمَّهُمْ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْهُ . قُلْ السَّكَايَ نَزَلَ هَذَا كُلُّهُ فِي سَبَبِ أَلِيٍّ جَهْلٍ  
وَالْكَفَّارِ الَّذِينَ ذَكَرُوا تِلْكَ التَّشْبِهَاتِ .

قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَأَنَّ لَهُمْ جَزَاءً وَصِيْرًا ، لَهُمْ فِيهَا  
مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كُلٌّ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا ﴾ فِي آيَةِ هَذِهِ :

﴿ الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى ﴾ اعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى قَدْ وَصَفَ حَانَ الْمَقَابِلِ الْمَعْدِ لِلْمَكْنُذِينَ بِالسَّاعَةِ أَنَّهُ  
بِمَا يَزِيدُ الْخُسْرَةَ وَالْعُدَّةَ . فَهَذَا رَسُولُهُ ( قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ ) أَنْ يَدْمُسُهَا بِالْمَصْدُوقِ  
وَالْعَرَافَةِ ، فَإِنَّ قُلْ : كَيْفَ يَقَالُ لَهُ ذَابِ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ . وَهِيَ تَجُوزُ أَنْ يَقُولَ الْعَاقِلُ السَّكْرَ أَحْسَنُ  
أَمْ مَحْضَرٌ فَلَمَّا هَذَا يَحْسَنُ فِي مَعْرِضِ الْفَرِيعِ ، كَأَنَّمَا أَجْلَى الشُّبُوبِ عِنْدَهُ حَالًا تَصَرُّدَ رَأْيٍ وَاسْتِكْبَارٍ  
فَيُضَرِّهُ فَرِيًّا وَجِيمًا ، وَيَقُولُ عَلَى سَبِيلِ التَّوْبِخِ : هَذَا أَطْلُبُ أَمْ ذَلِكَ ؟

﴿ الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَّةُ ﴾ أَجْتَبِ أَهْمًا بِقَوْلِهِ ( وَعِدَ الْمُتَّقُونَ ) عَلَى أَنَّ الثَّوَابَ غَيْرُ وَاجِبٍ عَلَى اللَّهِ  
تَعَالَى . لَأَنَّ مَنْ قَالَ السُّلْطَانُ وَعِدَ لِعَلَّامٍ أَنْ يُعْطِيَهُ كَذَا . فَإِنَّهُ يَعْمَلُ ذَلِكَ عَلَى التَّفَضُّلِ ، فَلَمَّا لَوْ كَانَ  
ذَلِكَ الْإِعْطَاءَ وَاجِبًا لَا يَقَالُ لَهُ وَعْدُهُ بِهِ . أَمَّا الْمُعْتَرِثُ فَقَدْ احْتِمَرَّ لَهُ أَيْضًا عَلَى مَفْهَمِهِمْ قَوْلُهُ لِأَنَّ  
سَجَاتِهِ أَتَيْتُ ذَلِكَ الْوَعْدَ فَمَوْصُوفِينَ بِصِفَةِ الْفَقْرِ . وَتَرْتِيبِ الْحُكْمِ عَلَى الْوَصْفِ مُشْعَرًا بِالتَّوْبَةِ .  
فَكَذَا بَدَلُ هَذَا عَلَى أَنَّ ذَلِكَ الْوَعْدَ إِنَّمَا حَصَلَ مَعْلًا بِصِفَةِ الْفَقْرِ . وَالتَّفَضُّلِ غَيْرُ مُخْتَصٍ بِالْمُتَّقِينَ .  
فَوَجِبَ أَنْ يَكُونَ الْمُخْتَصُّ بِهِمْ وَاجِبًا .

﴿ الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ ﴾ قَالُوا أَوْ سَلِمَ : جَنَّةُ الْخُلْدِ . مِنْ تِلْكَ لَا يَنْقَطِعُ تَعْدِيمُهَا ، وَالْخُلْدُ وَالْخُلُودُ سَوَاءٌ ، كَالشَّكْرِ

والشكور قال الله تعالى ( لا يريد مسكم جزاء ولا شكراً ) فإن قيل : الجنة اسم لدار الثواب وهي مخلقة فأى فائدة في قوله ( الجنة الحلة ) ؟ قلنا : الإضافة قد تكون للتمييز وقد تكون لبيان صفة الكمال كما يقال الله الخالق البارئ ، وما هنا من هذا الباب .

أما قوله ( كانت لهم جزاء ومصيراً ) ففيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ المستزادة استجوا هذه الآية على إثبات الاستحقاق من وجهين ( الأول ) أن اسم الجزاء لا يقول إلا المستحق ، فإما الوعد بمحض التفضل فإنه لا يسمى جزاء . ( والثاني ) لو كان المراد من الجزاء الأمر الذي يصيرون إليه بمجرد الوعد لفيته لا يفي بين قوله ( جزاء ) وبين قوله ( مصيراً ) تفاوت مصير ذلك تكثرأ من غير فائدة . قال أصحابنا وحهم أنه لا نزاع في كونه جزاء ، وإنما النزاع في أن كونه جزاء ثبت بالرعد أو بالاستحقاق ، وليس في الآية ما يدل على التعين .

﴿ المسألة الثانية ﴾ ظلت المأمثلة الآية تدل على أن الله تعالى لا يفر عن صاحب الكبيرة من وجهين ( الأول ) أن صاحب الكبيرة يستحق العقاب فوجب أن لا يكون مستغفراً للثواب ، لأن ثواب هو التمتع بالهدائم الخالصة عن شوب الضرر ، والعقاب هو المنعور الدائم الخالص عن شوب النعم ، والجمع بينهما محال ، وما كان تمتع الوجود امتنع أن يحصل استغفانه ، فإذا منى فقد استحقاق العقاب وجب أن يزول استحقاق الثواب ، فنقول : لو عفا الله عن صاحب الكبيرة لكان إما أن يخرج من النار ، ولا يدخل الجنة ، وذلك باطل بالإجماع لأهم أجمعوا على أن المكافئين يوم القيامة ، إما أن يكونوا من أهل الجنة أو من أهل النار ، لأنه تعالى قال ( فربني في الجنة ورفيق في السعير ) وإما أن يخرج من النار ويدخل الجنة وذلك باطل لأن الجنة حق المؤمن لقوله تعالى ( كانت لهم جزاء ومصيراً ) لجعل الجنة لهم ومخصصة بهم ومن أنها إنما كانت لهم ألكونها جزاء لهم على أعمالهم فكانت حقاً لهم ، ولهذا حتى الإنسان فقير لا يجرز ، ولما بطلت الأقسام ثبت أن العفو غير جائز ( أجاب ) أصحابنا لم لا يجرز أن يقال : الذنون برضوخ بأدخال الله أهل العفو في الجنة ؟ فثبت لا يمنع دخولهم فيها ، ( الوجه الثاني ) قالوا : الذي في عرف الشرع يخص بمن اتى التكفر والكبائر ، وإن اختلفنا في أن صاحب الكبيرة هل يسمى مؤثماً أم لا ، لكننا اختلفنا على أنه لا يسمى متبئاً ، ثم قال في وصف الجنة ( إنها كانت لهم جزاء ومصيراً ) وهذا للعصر ، والمعنى أنها مصير للمؤمنين لا للمعصين . وإذا كان كذلك وجب أن لا يدخلها صاحب الكبيرة ، قلنا أقصى ما في الباب أن هذا الموعود صريح في الوعد ، فخصه بآيات الوعد .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ قلنا أن يقول : إن الجنة مصير للمؤمنين جزاء ومصيراً ، لكنها بعد ما حارت كذلك ، فلم قال الله تعالى ( كانت لهم جزاء ومصيراً ) ؟ جوابه من وجهين ( الأول ) أن ما وعد الله فهو في تحفته كأنه عد كان ( والثاني ) أنه كان مكتوباً في التوح قبل أن يخلقهم

الله تعالى بأزمته متطاوله أن الجنة جزاؤهم ومصيرهم .

أما قوله تعالى ( لم فيها ما يشاءون خالدين ) فهو نظير قوله ( وأحكم فيها ما تشتهى الأنفس ) وفيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ لغتان أن يقول أهل الدرجات النازلة إذا شاهدوا الممرجات العسالية لا يد وأن يريوها ، فإذا سألوها ما ربيهم ، فإن أعظام إياها لم يبق رب شاقص والكاس تنبأت في الدرجة . وإن لم يعطها فدهج ذلك في قوله ( لم فيها ما يشاءون ) وأبداً غالب إذا كان ولده في درجات التبرين وأشد العذاب إذا انتهى أن يخلصه الله تعالى من ذلك العذاب فلا يد وأن يدرك أنه أن يخلصه منه ، فإن فعل الله تعالى ذلك فدهج في أن عذاب الكافر عديد ، وإن لم يفعل فدهج ذلك في قوله ( ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ) وفي قوله ( هم فيها ما يشاءون ) و ( جوابه ) أن الله تعالى يزيل ذلك الخطر عن قلوب أهل الجنة بل يكون اشتغاله كل واحد منهم بما فيه من اللذات شاغلا عن الانشغال إلى حال غيرة .

﴿ المسألة الثانية ﴾ شرط بعيم الجنة أن يكون دائماً ، إذ لو انقطع لكان مشواً بضرب من التعم ولذلك قال المتن :

أشد التعم عدى في سرور تبين عنه حاجته انقطاعاً

ولذلك اعتبر الخلد فيه فقال ( لم فيها ما يشاءون خالدين ) .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ قوله تعالى ( لم فيها ما يشاءون ) كالتبعية على أن حصول المراتب بأسرها لا يكون إلا في الجنة فأما في غيرها فلا يحصل ذلك ، بل لا بد في الدنيا من أن تكون راحاتها مشوية بالجراسات ، ولذلك قال عليه السلام : من طلب ما لم يتحقق أنصب نفسه ولم يرزق ، قيل وما هو بأرسول الله ؟ فقال سرور يوم .

أما قوله ( كان على ربك وعدة مسئولا ) ففيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ كلمة على للوجوب قال عليه السلام : من نذر وصي فعله الوفاء بها سمي ، قوله ( كان على ربك ) يفيد أن ذلك واجب على الله تعالى ، والواجب هو الذي لو لم يفعل لاستثنى تاركه ففعله الذم ، وأما الذي يكون عدمه منسباً ، فإن كان الوجوب على التصدير الأول كان تركه محالاً ، لأن تركه لما استلزم استحقاق الذم واستحقاق الله تعالى الذم محال . ومسلزم المحال حال كان ذلك الترك محالاً والمحال غير مقدور ، فلم يكن الله تعالى قادراً على أن لا يفعل فلزم أنه يكون ملجأ إلى الفعل ، وإن كان الوجوب على التصدير الثاني وهو أن يقال الواجب ما يكون عدمه منسباً يكون القول بالإلزام لازماً ، فلم يكن الله تعالى قادراً ، فإن قيل إنه ثبت بحكم الوعد ، فنقول لو لم يفعل لا يغلب خبره الصدق كذباً وعليه جهلا ذلك محال ، والمؤدى إلى المحال حال فالترك محال . فلزم أن يكون ملجأ إلى الفعل والمحال إلى الفعل لا يكون قادراً ، ولا يكون مستحقاً للثناء والمدح .

وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قِيْقُولُ ؕ أَنْتُمْ أَضَلُّنَا عَنْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ  
 أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٥﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْفَعِي لَنَا أَنْ نَخَذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ  
 أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَعَاقَبَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٦﴾ فَقَدْ  
 كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِم مِثْرَ نَجْدٍ نَذَرُهُ عَذَابًا  
 كَبِيرًا ﴿١٧﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي

تمام السؤال ( و جوابه ) أن فعل الحشر مقدم على الإحلال عن فعله وعن العلم بفعله ، يكون  
 ذلك العمل فعلاً لا على سبيل الإلزام ، فكان قادراً ومستحقاً لعقابه ، والملاح .

﴿ المسألة الثانية ﴾ قوله ( وعداً ) يدل على أن الحق حصلت بحكم الوعد لا بحكم الاستحقاق  
 وقد تقدم تقريره .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ قوله ( مسئولاً ) ذكروا فيه وجوباً ( أحدها ) أن المكلفين سألوهم  
 قولهم ( ربنا آتانا وعدتنا على رسلك ) . ( وثانيها ) أن المكلفين سألوهم ببيان الحال لأنهم لما  
 فعلوا المفسدة الشديدة في مخالفة ذلك قائماً مقام السؤال . قال المفتي :

وفي النفس حاجات وحيث ففاعة مكوتى كلام عندها وخطاب

( وثالثها ) إغلاطك سألوها الله تعالى ذلك بخوفهم ( ربنا وأذلهم جنات عدن ) ( ورابعها )  
 ( وعداً مسئولاً ) أى واجباً ، يقال لأعطينك العا وعداً مسئولاً أى واجباً وإن لم تسأل . قاله القراء .  
 وسائر الوجوه أقرب من هذا لأن سائر الوجوه أقرب إلى الخفية . وما قاله القراء محال ( وخامسها )  
 مسئولاً أى من حقه أن يكون مسئولاً لأنه حق واجب ، إما بحكم الاستحقاق على قول المعتزلة ،  
 أو بحكم الوعد على قول أهل السنة .

قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ يَقُولُ أَنْتُمْ أَضَلُّنَا عَنْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْفَعِي لَنَا أَنْ نَخَذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَعَاقَبَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا . فلهذا كذبكم بما تقولون فما تستطيعون صرفاً ولا  
 نصراً ومن يظلم مثقال ذرة عذاباً كبيراً . وما أرسنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام

## الأسواق وجعلنا بمعصركم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيراً ﴿٥٥﴾

ويحشرون في الأسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيراً ﴿٥٥﴾  
 اعلم أن قوله تعالى (ويوم يحشرهم) راجع إلى قوله (واتخذوا من دونه آلهة) ثم هنا مسائل:  
 ﴿المسألة الأولى﴾ (يحشرهم) فنقول كلاهما بالنون والياء، وقرئ: (يحشرهم) بكسر الشين.  
 ﴿المسألة الثانية﴾ ظاهر قوله (وما يعبدون) أي الأصنام. وظاهر قوله (ويقول أأنتم أضللتم عبادي) أنه من عدد من الآحاد كاللائكة والمسيح وغيرهما، لأن الإضلال وعلاقته بهم يصبح فلا من هنا اختلفوا، في الناس من جعله على الأوثان، فإن قيل لهم الوثن جدد فكيف خاطبه الله تعالى. وكيف تدر على الجواب؟ فنجد ذلك ذكره الوجهين (أحدهما) أن الله تعالى يخلق فيهم الحياة، فبعد ذلك يحاط بهم فيردون الأجواب (وثانيها) أن يكون ذلك الكلام بالحقول بالساعة بل على سبيل نسيان الملائكة كما ذكر بعضهم في تسييح المواضع وكلام الأبدى والأزلي. وكما قيل: هل الأرض من شئ أنهارك. وغرس أشجارك؟ فإن لم تجلبك حواري، لمساتك اعتباراً، وأما الأكترون فرحموا أن المراد هو الملائكة وعيسى وعزير عليهم السلام. فلو رأيت كنه هذا القول بقوله تعالى (ويوم يحشرهم جميعاً) ثم قول الملائكة أهولاً. (أي كما كانوا يعبدون) وإذا قيل لهم: لعلنا ما لا نسلم في العقلاء أحباؤه من وجهين (الأول) لا نسلم أن كلمة ما لا لا يعقل دليل أنهم قالوا من لما لا يعقل (والثاني) أريد به الوصف كنهه قيل ومعهدهم. وقوله تعالى (والسبا وما بناها) (ولا أنتم عابدين ما أعد) لا ينبغي إلا على أحد هذين الوجهين، وكيف كان فالمراد ما قلناه.

﴿المسألة الثالثة﴾ حاصل الكلام أن الله تعالى يحشر المعبودين. ثم يقول لهم أأنتم أضللتم عبادي في الضلال على طريق الحق، أم هم ضلوا عنه بأنفسهم؟ قالت المعتزلة: وفي كسر بين لقول من يقول إن الله يصل عباده في الحقيقة لأنه لو كان الأمر كذلك لكان الخواب الصحيح أن يقولوا إنما هتأفم ثالث غير ما هو الحق وهو أنك أنت أضللتم، لما لم يقولوا ذلك برأسوا اضلالهم (لأنفسهم). علينا أن الله تعالى لا يصل أحداً من عباده. فإن قيل لا نسلم أن المعبودين ما تعرضوا لهذا القسم بل ذكروه. فإجابهم قالوا (ولكن منتهى آياتهم حتى بسوا الله ذكر) وهذا تصريح بأن ضلالهم إنما حصل لأجل ما فعل الله بهم وهو أنه سبحانه وتعالى مشهم وآبهم بنعيم الدنيا. فتأ: لو كان الأمر كذلك لكان يترتب أن يصير الله تعالى في يد أولئك المعبودين. وهو معلوم أنه ليس الغرض بذلك في الغرض أن يصير الكفار مجموعاً معجزة هذا تمام تقرير المعتزلة في الآية. أجاب أصحابنا بأن المعتزلة على الضلال إن لم تصح للاعتقاد، فالإضلال من الله تعالى. وإن صحت له لم ترجع مصدريتها للاضلال على مصدريتها للاعتقاد. إلا المرجح من الله تعالى. وعند

ك يمود السؤال ، وأما ظاهر هذه الآية فهو وإن كان لم يكن معارضاً بمسألة الظواهر ، والطائفة لقولنا .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ ظاهر الآية يدل على أن هذا السؤال - من الله تعالى ، وإن احتمل أن يكون ذلك من الملائكة - بأمر الله تعالى - بنى على الآية سؤالات .

( الأول ) ما فائدة أنتم وم ؟ وهلا قيل أنظلم جدي هؤلاء . أم ضلوا السبيل ؟ ( الجواب ) ليس السؤال عن الفعل ووجوده ، لأنه لو لا وجوده لما توجه هذا الغتاب ، وإنما هو عن غايته فلا بد من ذكره ، وإلّا لم عرف الاستفهام حتى يعلم أنه المسئول عنه .

( السؤال الثاني ) أنه سبحانه كان عالماً في الأزل بحال المشرك عنه فافهم هذا السؤال ؟ ( الجواب ) هذا استفهام على سبيل التقرير لتعبر كين كمال ليعسى ( أنت قلت للناس اتخذوني وأولي إلهين من دون الله ) ولأن أولئك المعبودين لما برؤا أنفسهم ، وأحاطوا ذلك الضلال عليهم صار يتردد المعبودين عنهم أشد في حسرتهم وحريرتهم .

( السؤال الثالث ) قال تعالى ( أم هم ضلوا السبيل ) والقياس أن يقال ضل عن السبيل ، ( الجواب ) الأصل ذلك ، إلا أن الإنسان إذا كان متاهياً في التفریط وقلة الإعتباط ، يقال ضل السبيل .

أما قوله ( سبحانه ) فاعلم أنه سبحانه حكى جوابهم ، وفي قوله ( سبحانه ) وجوه ( أحدها ) أنه تعجب منهم فقد تعجبوا بما قيل لهم ملائكة وأنبياء معصومون لما أبعدهم عن الإضلال الذي هو مختص بالأنبياء وحزبه ( وثانيها ) أنهم تعلقوا بسبحانك ليدلوا على أنهم المعبودون المقصودون بذلك فكيف يلبق بهم أن يضلوا عبادهم ( وثالثها ) قصدوا به تزجيه عن الإنذار ، سواء كان رتاً أو نبياً أو ملكاً ( ورابعها ) قصدوا تزجيه أن يكون مقصوده من هذا السؤال استفادة علم أو زيادة من كان بريئاً عن الجرم ، بل إنه إنما سألهم تقريباً للكفارة وتوبيخاً لهم .

أما قوله ( ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ) ففيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ القراءة المعروفة أن تتخذ بفتح التون وكسر الحاء وعن أبي جعفر وابن عامر بفتح التون وفتح الحاء على ما لم يسم غايته ، قال الزجاج أخطأ من قرأ أن تتخذ بضم التون لأن من إنما تدخل في هذا الباب في الأسماء إذا كانت مفعولاً أو لا تدخل على مفعول الحال تقول ما اتخذت من أحد ولياً ، ولا يكون ما اتخذت أحداً من ولي ، قال صاحب الكشاف اتخذ بمعنى إلى مفعول واحد كقراك اتخذ ولياً ، وإلى مفعولين كقراك اتخذ فلاناً ولياً ، قال الله تعالى ( واتخذ الله إبراهيم خليلًا ) وقرآنه الأول من متعدٍ إلى واحد وهو من أولياء ، والأصل أن تتخذ أولياء . فريدت من التأكيده معنى الشئ والثانية من متعدٍ إلى مفعولين ، الأول عاني له الفعل ، والثاني من

أولاد من التمييز ، لم لا تتخذ بضعاً أولاداً وتكبر أولاداً من حيث إنهم أولاد عاصرون وم  
الجن والأصنام .

﴿ المسألة الثانية ﴾ ذكرنا في تفسير هذه الآية وجوهاً ( أولها ) وهو الأصح الآخرى ، أن  
المعنى إذا كنا لا نرى أن نتخذ من دونك أولاداً فكيف ندعو غيرنا إلى ذلك ( وثانيها ) ما كان  
ينبغي لنا أن نكون أمثال الشياطين في توليهم الكفار كما يوليهم الكفار ، قال تعالى ( فقلوا أولاد  
الشيطان ) يريد الكفرة ، وقال والمؤمن : كفروا أولادكم الطاغوت عن أبي مسلم ( وثالثها ) ما كان  
لنا أن نتخذ من دون رضاك من أولاد ، أي لما علينا أنك لا ترضى بهذا ما فعلناه ، والحاصل أنه  
حذف المضائق وأتم المضاف إليه مقامه ( ورابعها ) قالت الملائكة ( إنهم عبدك ) ، فلا ينبغي لعبدك  
أنت بتخذوا من دونك ولياً ولا حبباً . فعلا عن أن يتخذ عبد عبداً آخر إلا لنفسه  
( وخامسها ) أن على قراءة أبي جعفر الإشكال زائد ، فإن قيل هذه القراءة غير جائزة لأنه لا مدخل  
لهم في أن يتخذهم غيرهم أولاداً ، قلنا : المراد لنا لا نصلح لذلك ، فكيف ندعوم إلى عبادتنا  
( وسادسها ) أن حقا قول الأصنام : وأنها قالت لا يصح ت أن نكون من العابدین ، فكيف  
تلكم ادعونا أنا من المعبودين .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ الآية تدل على أنه لا يجوز الولاية والعداوة إلا بإذن الله ، فكل ولاية  
مبينة على ميل النفس وتبعية الطبع ذلك على خلاف الشرع .

أما قوله تعالى ( ولكن متعهم وآباءهم حتى نسوا ما نذكروا ) وكانوا قوماً زناد ( فبقية مسائل :  
﴿ المسألة الأولى ﴾ معنى الآية أنك يا إلهنا أكثرنا عنهم وعلى آياتهم من نعم وهي توجب  
الشكر والإنسان لا الإعراس والكفران ، والمقصود من ذلك بيان أنهم ضلوا من عند أنفسهم  
لا بإصلاحنا ، بله لولا عذابهم الظاهر ، وإلا فمع ظهور هذه الحجة لا يمكن الإعراس عن طاعة الله  
تعالى . وقال آخرون إن هذا الكلام كالمز فيا صرح به موسى عليه السلام في قوله ( إن من إلا  
فتنتك ) وذلك لأن الحبب قال : إلهي أنت الذي أعطيتني جميع مطالبه من الدنيا حتى صار كالمرين  
في بحر اشبهوات ، واستمر الله فيها صار صاداً له عن التوجه إلى طاعتك والإشغال بحمدك ،  
فإن من إلا فتنتك .

﴿ المسألة الثانية ﴾ تذكر ذكر الله والإيمان به والقرآن والشرائع ، أو ما فيه حسن ذكرهم  
في الدنيا والآخرة .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ قال أبو عبيدة : يقال رجل يور ورجلان يوران وهو حال يور ، وكذلك  
الأنثى ، ومما هو ذلك ، وقد يقال رجل يور وقوم يور ، وهو مثل ضرر وهور ، واليوار الملاك .  
وهذا احتج أصحابنا بهذه الآية في مسألة العضا والفقر ، ولا شك أن المراد منه وكأثر من الذين  
حكم عليهم في الآخرة بالعذاب والملاك ، فالذي حكم الله عليه بجذاب الآخرة وعلم ذلك وأنبأه

في الزبح المحفوظ وأظلم الملائكة عليه ، لوصار مؤمناً لصار الخبر الصديق كذباً ، ولصار العلم جهلاً ، ولصاريت الكتابة المثبتة في الوح المحفوظ باطلاً ، ولصار اعتقاد الملائكة جهلاً ، وكل ذلك محال ومستلزم للمحال محال ، فصدور الإيمان منه محال ، فدل على أن السعيد لا يمكن أن يتقلب شقياً ، والصفي لا يمكن أن يتقلب سعيماً ، ومن رجه آخر هو أنهم ذكروا أن الله تعالى اتهم أسباب العنلان وهو إعطاء المراتب في الدنيا واستغراق النفس فيها ، ودعت الآية على أن ذلك السبب بلغ مبدأه بوجوب البوار ، فإن ذكر البوار عقيب ذلك السبب يدل على أن البوار إنما حصل لأجل ذلك النسب ، فراجع حاصل الكلام إلى أنه تعالى فعل بالكافر ماضياً معه بحيث لا يمكنه ترك الكفر ، وجبش طهر أن السعيد لا يتقلب شقياً ، وأن الصفي لا يتقلب سعيماً .

أما قوله تعالى ( فقد كذبوا بما يقولون ) فاعلم أنه نرى يقولون بالبد ، والثاء فبنى من قرأ بالثاء فقد كذبوا كذبوا بهم آفة ، أي كذبواكم في قولكم أنهم آفة ، ومن قرأ بالياء المذمومة من تحت ، فافهمي أنهم كذبواكم بقولكم سبحانه . ومثاله قولك كتبت بالقلم .

أما قوله ( فما يستطيعون صرفاً ولا نصراً ) فاعلم أنه نرى يستطيعون بالياء ، والثاء فبنياً ، يعني فما يستطيعون أنهم يا أيها الكفار صرف العذاب عنكم ، ولعل الصرف تنويع ، وقيل المصلحة من قولهم إنه لا يصرف ، أي يختار أو ما يستطيع أهلكم أن يصرفوا عنكم العذاب وأن يحذروا لكم ، أما قوله تعالى ( ومن يظلم منكم نذقه عذاباً كبيراً ) ففيه مسائلان :

➤ المسألة الأولى : قرئ بفتح الباء وفيه ضمير الله تعالى أو ضمير الظلم .

➤ المسألة الثانية : أن المعتزلة تسكروا هذه الآية في القطع بوعيد أهل الكفر ، فقالوا ثبت أن من الموم في معرض الشرط ، وثبت أن الكافر ظالم لقوله ( إن أشرك ظلم ظم عظيم ) والفسق ظالم لقوله ( ومن لم ينب فأولئك هم الظالمون ) ثبت بهذه الآية أن الفاسق لا يعنى عنه ، بل يعدب لا محالة ( والجواب ) أما لا نسلم أن كلمة من في معرض الشرط للموم ، والكلام فيه مذكور في أصول العقيدة . سلبنا الموم ولكن قطعاً أم ظاهر ؟ ودعوى القطع بمنع عنه : فلما نرى في الصرف العام المشهور استحالة صيغ الموم ، مع أن المراد هو إلا كذا ، أو لأن المراد أقوام مدينون ، والدليل عليه قوله تعالى ( إن الذين كفروا ساء عليهم أنفسهم لم تمسحهم ولا يؤمنون ) ثم إن كثير من الذين كفروا قد آمنوا فلا دافع له إلا أن يقال قوله ( الذين كفروا ) وإن كان يفيد الموم ، لكن المراد منه الخائب أو المراد منه أقوام محضون . وعلى التفسيرين ثبت أن استعمال الفاعل الموم في الأشب عرف ظاهر ، وإذا كان كذلك كانت دلالة هذه الصيغة على الموم دلالة ظاهرة لا خاطئة ، وذلك لا ينفي تحوير العفو . سلبنا دلالة قطعاً . ولكننا أحسننا على أن قوله ( ومن يظلم منكم ) مشروط بأن لا يوجد ما يزيله ، وعند هذا نقول مداهم . لكن لم قلت بأن لم يوجد ما يزيله ؟ كان العفو عندنا أحد الأمور التي تزيله . وذلك هو أحد الثلاثة أولها أنه سلبنا .



دلالة على ما قل ، ولكنه مدار على آيات الوعد كقوله إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات تجري من تحتها الأنهار أولئك فيها أبداً لا يخرجون عنها أبداً ولا هم فيها يفتنون ولا هم فيها يملكون ولا هم فيها يذوقون ولا هم فيها يمتدحون ولا هم فيها يمتدحون ولا هم فيها يمتدحون . فإذا ثبت أنه مستحق للمعاقبة تمت أن استحقاق التوب أمراً ما بيننا أن الخلق بين الاستحقاقين حال . قلنا لا نسلم أن السارق يقطع على سبيل التكبير . ألا ترى أنه لو ثبت فإنه يقطع لا على سبيل التكبير بل على سبيل المحرم . بل ما من هذه المقامات . ولكن قوله تعالى ( ومن يصلم منهم ) به مطلب مع قوم مخصوصين معينين يجب أنه لا يصر عنهم فلم قلت إنه لا يفرغ عن غيرهم ؟

أما قوله تعالى ( وما أروا لنا فلكاً من المرسلين إلا إيهاماً بالكفر . الطعام ريشون في الأسواق ) ففيه مسائل :

المسألة الأولى : هذا جواب عن قولهم ( ما أخذوا الرسول بأكل الطعام ويمشي في الأسواق ) . فإن الله تعالى أن هذه عادة مشهورة من الله في كل رسالة فلا وجه لهذا الظن .

المسألة الثانية : حق الكلام أن يقال ( إلا أنهم ) بفتح الهمزة لأنه متوسط والمكسورة لا تليق إلا بالإيذان . فلاحظ هذا ذكره أو سراً ( أي أنها ) قال الزجاج : الخلة بعد إلا صفة الموصوف محذوف . والمعنى وما أرسنا فلكاً أحد من المرسلين إلا آكلين وعاشين . وإنما حذف لأن في قوله ( من المرسلين ) دليلاً عليه . ونظيره قوله تعالى ( وما منا إلا له مقام معلوم ) على معنى وما منا أحد ( وثانيها ) قال القرطبي : إنها صفة لأمم متروكة ما كفى بقوله ( من المرسلين ) عنه . والمعنى إلا من أنهم كفروه ( وما منا إلا له مقام معلوم ) أي من له مقام معلوم . وكذا حذف قوله ( وإن منكم ) إلا ( وأردوا ) أي إلا من يردوا . على قول الزجاج : الموصوف محذوف . وعلى قول القرطبي : الموصوف هو المحذوف . ولا يجوز حذف الموصوف ونقطة تنصه عند الصريح . أو ثالثها ) قال ابن الأثير : تكسر إن بعد الاستثناء بإضمار ولو على تقدير ( إلا وإيهاماً ) ( وإيهاماً ) قال بعضهم المعنى ( إلا قيل إيهاماً ) .

المسألة الثالثة : قرئ . ( يشنون ) على البناء للمفعول أي يحشرون حواجمهم أو الناس . ولو قرئ . يشنون لكان أوجه قولاً للرواية .

أما قوله تعالى ( وجعلنا بعضهم لبعض فتنة ) ففيه مسائل :

المسألة الأولى : عه أقوال ( أحدها ) أن هذا في رؤساء المشركين وفراء الصحابة . فإذا رأى الشريف الوضيع قد أسلم فيه أنه أن يسمي فأقام على كفره . فلا يكون للوضيع الشفعة والفصل عليه . ودليله قوله تعالى ( لو كان حيراً ما سبقتونا إليه ) وهذا قول الكلبي والقرطبي والزجاج ( وثانيها ) أن هذا عام في جميع الناس . روى أبو البرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : **وَرَأَى لِلْعَالَمِ مِنَ الْخَاطِلِ وَوَيْلَ السُّلْطَانِ مِنَ الرَّعْبَةِ وَوَيْلَ الرِّعْيَةِ مِنَ السُّلْطَانِ وَوَيْلَ الْمَالِكِ مِنَ**

المملوك، ورذل لشديد من الضعيف، وللضعيف من الشديد، بعضهم لبعض فتنة، وقرأ هذه الآية (رواه) أن هذا في أصحاب البلاء، والدافعة، هذا يقول لم أجعل مثله في الخلق وأخلق في بعض رفق العلم وفي الرزق وفي الأجسام وهذا قول ابن عباس وأخيه (وراهما) هذا احتجاج عليهم في تخصيص محمد بالرسالة مع مساواة إياهم في الثبوت وصفاتها، فابن المرسلين بالمرسل إليهم وأنواع تدلهم على مخالفة (واسم من الدين أو تواتر الكتاب من قبلك ومن الذين أشركوا) أكثر كثيراً، والمرسل إليهم يشكون أيضاً من المرسل بسبب الحسد وصورته مكلفاً بالخدمة وبذل النفس والمال يد أن كان رئيساً محذراً، والأول حل الآية على الكل لأن بين الجميع قدراً مشتركاً

﴿ المسألة الثانية ﴾ قال أصحابنا الآية تدل على الغضا، والقدر لأنه تعالى قال (وجعلنا بعضهم لبعض فتنة) قال الجبائي هذا الجمل هو معنى التعريف كما يقال فيمن سرق (إن فلاناً أص حمله) لهذا، وهذا التأويل صحيح لأنه تعالى أضاف الجمل إلى وصف كونه فتنة لا إلى الحكم بكونه كذلك، بل لفعل يدل على أن المراد غير ما ذكره وذلك لأن فاعل السبب فاعل لنسب، فمن خلقه الله تعالى على مزاج تصعده والحرارة وخلق الغضب فيه ثم خلق فيه الإدراك الذي يظلمه على شيء المفضل فمن فعل هذا المجموع كان هو الفاعل للغضب لا محالة، وكذا القول في الحسد وسائر الأخلاق والافتعال، وعند هذا يظهر أنه سبحانه هو الذي جعل البعض فتنة لبعض، ولما أن المراد مخالفة الجبائي أن المراد من الجمل هو الحكم ولكن الجمل إن انقلب لزم انقلابه انحراف حكم الله تعالى من الصدق إلى الكذب وذلك محال، فإعقاب ذلك الجمل محال، فأعقاب الجمل أيضاً محال، وعند ذلك يظهر القول بالفضاء والتقدير.

﴿ المسألة الثالثة ﴾ الرية في تدل هذه الآية بما قبلها أن القوم ما علموا في الرسول ﷺ بأنه يأكل الطعام ويعتني في الأسواق وأنه غير كاذب هذه الكلمات جارية بحرى المخرافات، فإنه لما علمت الدلالة على نبوة لم يكن شيء من هذه الأشياء أثر في التضح فيها، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يأذى منهم من حيث أنهم كانوا يشتمونه، ومن حيث أنهم كانوا يذكرون الكلام المنعوج المفسد وما كانوا يفهمون الجواب الجيد، فلا حرم صبره الله تعالى على كل تلك الأذى، وبين أنه جعل الخلق بعضهم فتنة لبعض.

أما قوله تعالى (تصبرون وكان ريبك بصبوراً) ففيه مسائل:

﴿ المسألة الأولى ﴾ قالت المعتزلة لو كان المراد من قوله (وجعلنا بعضهم لبعض فتنة) المنع لما ذكر عقبه (تصبرون) لأن أمر المعجز غير متنازل.

﴿ المسألة الثانية ﴾ ينبغي تصبرون على البلاء هذه علم ما وعد الله الصابرين (وكان ريبك بصبوراً) أي هو العالم بين يصبر ومن لا يصبر، فيجوز كل كلامهم بما يستحقه من ثواب وعقاب

وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أُولَئِكَ عَلَى الْعَرْشِ أَوْ رَأَى رَبَّنَا لَقَدْ  
 اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَهُمْ عَصَا كَبِيرًا ﴿٦٦﴾ يَوْمَ يَوْمِ الْمُلَاقَاةِ لَا يَنْفَعُ الْكَافِرِينَ  
 لِمَجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَجَرًا عَجُوزًا ﴿٦٧﴾ وَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى النَّاسِ بِالْحَقِّ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ  
 سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾

﴿ المسألة الثالثة ﴾ قوله (أصبرون) استفهام والمراد منه التقرير وموقعه بعد ذكر ثلثة  
 موقع أيم بعد الإخلا في قوله (سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ)

قوله تعالى ﴿ وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد  
 استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا ، يوم يرون الملائكة لا يحترقون يومئذ للمجرمين  
 ويقولون حجرا عجوزا ، وقد مَنَّا إِيَّاكُمْ فَبِغْيَاءِهِمْ عَنِ غَفْلَتِهِمْ هَٰؤُلَاءِ ، أَصْحَابُ الْآخِرَةِ يَوْمَئِذٍ  
 خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾

اعلم أن قوله تعالى (وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا)  
 هو الآية الواحدة لشكرى سورة محمد ﷺ . وحاصلها : لم نزل الله الملائكة حتى يشهدوا أن محمدا  
 حق في دعواه (أو نرى ربنا) حتى يغير رأيه وأمره إليه ، وتقرر هذه الشهادة أن من أولادنا  
 نبى . وكان له إلى تخصيصه طريقان ، أحدهما بفضي إليه قطعا والآخر قد بفضي وقد لا بفضي .  
 فالحكم بيب عليه في حكمته أن يختار في تحصيل ذلك المقصود الطريق الأقوى والأحسن .  
 ولا شك أن قولهم الملائكة قبضوا بصدق محمد صلى الله عليه وسلم أكثر إقناعا من قولهم  
 لم نزل الله تعالى بصدق محمد صلى الله عليه وسلم الفعل ذلك ، وحيث لم يفعل ذلك علينا أنه ما أراد  
 تصديقه . هذا حاصل الآية ، ثم ههنا مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ قال العلماء قوله تعالى (وقال الذين لا يرجون لقاءنا) معناه لا يخافون  
 لقاءنا ووضع لرجاء في موضع الخوف لغة تامة ، إذا كان منه أحد . ومثله قوله تعالى (والمسلم  
 لا يرجون لقاءنا) وقارأهم لى لا يخافون له عطية . وقال القاصى لا رجاء لذلك ، لأن الكلام متى أمكن  
 حمل على الحقيقة لم يحمل على المجاز . ومعهم أن من حال عار الاسم أنهم كما لا يخافون العقاب  
 لشكرهم المهاد . فكذلك لا يرجون لقاءنا وعدنا على الطاعة من الجنة والنار . ومعهم أن من

لا يرجو ذلك لا يخاف العقاب أيضاً ، فالحقوف تابع لهذا الراجد .

**المسألة الثانية** في المجسمة تسكروا بقوله تعالى ( لقاءنا ) أنه جسم وظهور الظاهر هو الوصول يقال هذا الجسم لي ذلك أي وصل إليه واتصل به ، وقال تعالى ( فالتقى الناس على أسر قد قدر ) فذلك الآية على أنه سبحانه جسم ( والجواب ) على طريقين ( الأول ) طريق بعض أصحابنا قال المراد من اللقاء هو الرؤية . وذلك لأن الرائي يصل برؤيته إلى حقيقة المرئي فسمى اللقاء أحد أنواع الرؤية والنوع الآخر الاتصال والمماس ، فذلك الآية من هذا الوجه على جواز الرؤية ( الطريق الثاني ) وهو كلام المعتزلة ، قال القاضي تفسير اللقاء برؤية العسر جهل باللقاء ، فيفاد في اللفظ ، فذلك الله الخبير وقد يقول القائل لم تكن الأمير وإن وآء من بعد أو حجب عنه ، ويقال في الضرر لي الأمير إذا أدركه ولم يحجب وقد يفتاه في القيلة للظلال . ولا يراه بل المراد من اللقاء هنا هو التصير إلى حكمه حيث لا يحكم لغيره ( في يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً ) لأنه رؤية البصر ، واعلم أن هذا الكلام ضيف لأن لا يفسر اللقاء برؤية البصر بل بفسره بمعنى مشترك بين رؤية البصر ، وبين الاتصال والمماس وهو الوصول إلى الشيء . وقد بينا أن الرائي يصل برؤيته إلى المرئي واللفظ الموضوع لمعنى مشترك بين معاني كثيرة ، ينطلق على كل واحد من تلك المعاني فيصبح قوله لذلك الغير . ويصح قول الأعمى لقيت الأمير ، ويصح قول البصير لقيته بمعنى رأيت . وما لقيته بمعنى ما وصلت إليه . وإذا ثبت هنا فقول قوله ( وقال الذين لا يرجون لقاءنا ) مذكور في معرض الذم لم ، فوجب أن يكون ترجاء اللقاء حاصل . وسمى اللقاء مشترك بين الوصول المكاني . وبين الوصول بالرؤية . وقد تضمن الأول هذين الشأن ، وقوله المراد من اللقاء الوصول إلى حكمه صرف اللفظ عن ظاهره بتبريد دليل . فثبت دلالة الآية على صحة الرؤية بل على وجوبها ، بل على أن إنكارها ليس بالإمن دين الكلام .

**المسألة الثالثة** في قوله ( فولا أنزل ) معناه علا أنزل ، قال السكاكي ومقاتل نزلت هذه الآية في أبي جهل والوليد وأصحابهما الذين كانوا منكبين للنبوة والبعث .

أما قوله تعالى ( لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً ) فاعلم أن هذا هو الجواب عن تلك الشبهة . وفيه مسائل :

**المسألة الأولى** في تقرير كونه جواباً ، وذلك من وجوه : ( أحدها ) أن القرآن لما ظهر كونه معجزاً فقد ثبتت دلالة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، فبعد ذلك يكون اقتراح أمثال هذه الآيات لا يكون إلا محض الاستكبار والتعنت ( وثانيها ) أن نزول الملائكة لو حصل لكان أيضاً من جهة المعجزات ولا يثبت على الصدق لمصوح كونه بنزول الملائكة . بل لمصوح كونه معجزاً ، فيكون قبول ذلك المعجز ورد ذلك المعجز الآخر ترجيحاً لأحد المثلين على الآخر من غير مزيد فائدة ومرجع ، وهو محض الاستكبار والتعنت ( وثالثها ) أنهم بتقدير أن يروا الرب ويسألوه عن

صدق محمد صلى الله عليه وسلم وهو سبحانه يقول نعم هو رسولى . فذلك لا يريد في التصديق على إظهار المعجز على يد محمد صلى الله عليه وسلم ، لأننا بينا أن المعجز يقوم مقام التصديق بالقول إذ لا فرق وقد ادعى النبوة بين أن يقول منهم إن كنت صادقاً فأخس هذا البيت فيجيبه الله تعالى والعادة لم تجر مثله . ومن أن يقول له صدقت ، وإذا كان التصديق المأخوذ بالقول أو المأخوذ بالمعجز - بين في كونه صدقاً للمدعى كان تعيين أحدهما محض الاستكبار والتعنت ( ورأيها ) وهو أننا نقصد أن الله سبحانه وتعالى يفعل بحسب المصالح على ما يقوله المعزلة ، أو نقول إن الله تعالى يفعل بحسب انشئته على ما يقوله أصحابنا ، فإن كان الأول لم يعرفهم أن يبينوا المعجز لأمرنا كان إظهار ذلك المعجز مستلزماً على مفسدة لا يعرفها إلا الله تعالى ، وكان التعيين استكباراً وهتواً من حيث إنه لما طه مصلحة قطع بكونه مصلحة . فمن قال ذلك فقد اعتقد في نفسه أنه عالم بكل المعلومات ، وذلك استكبار عظيم ، وإن كان الاثن وهو قول أصحابنا ليس قلده أن يقترح على ربه منه سبحانه فقال لما يريد حكايا الاقتراح استكباراً وهتواً ونحوه وجاء عن حد التبريد إلى مقام المازعة والمأرعة ( وخامساً ) وهو أن المقصود من بعض الأنبياء الإسماعيل إلى خلقه لمفك الكبير إذا أحسن إلى بعض الضعفاء راحة عليه فأخذ ذلك الضعيف إلى اللجاج والزجاج ، ويقول لا أريد هذا بل أريد ذلك حسن أن يقال إن هذا المكدي قد استكبر في نفسه وعت هتواً شديداً من حيث لا يعرف قدر نفسه ومنهى دوحته فكذا ههنا ( وسادساً ) يمكن أن يكون المراد أن الله تعالى قال لو علمت أنهم ماذكروا هذا السؤال لأجل الاستكبار والعتو الشديد لأعطيهم مقترحاتهم ، ولكنى علمت أنهم ذكروا هذا الاقتراح لأجل الاستكبار والتعنت فلأعطيهم مقترحاتهم لما انتقموا به فلا جرم لا أعطيهم ذلك ، وهذا التأويل يعرف من اللفظ ( وسابعها ) أعلمهم صنواً من أهل الكتاب أن الله تعالى لا يرى في الدنيا ، وأنه تعالى لا يزن الملائكة في الدنيا على عوام الخلق ، ثم إلهم عطفوا بهاهم على ذلك على سبيل التعنت أو على سبيل الاستهزاء .

**في المسئلة الثانية** قالت المعزلة الآية ذلك على أن الله تعالى لا يجوز رؤيته لأن رؤيته لو كانت جائزة لما كان سؤالها عتواً واستكباراً ، قالوا وقوله ( فقد استكبروا وأفسههم ) وهتواً هتواً كبيراً ليس إلا لأجل سؤال الرؤية . حتى لو أنهم انصرفوا على نزول الملائكة لما سألوا بذلك ، والتدليل عليه أن الله تعالى ذكر أمر الرؤية في آية أخرى على حدة وذكر الاستعظام وهو قوله ( انؤمن لك حتى ترى الله جهرة فأخضعهم للصاعقة ) وذكر نزول الملائكة على حدة في آية أخرى فلم يذكر الاستعظام وهو قوله ( لولا أنزل علينا الملائكة ) وهل نرى الملائكة ثبت بهذا أن الاستكبار والعتو في هذه الآية إنما حصل لأجل سؤال الرؤية .

واعلم أن الكلام على ذلك قد تقدم في سورة البقرة ، والذي نريده ههنا أن بينا أن قوله

(وقال الذين لا يرجون لقاءنا) يدل على الرؤية . وأما الاستكبار والعن . فلا يمكن أن يدل ذلك على أن الرؤية مستحيلة لأن من طلب شيئاً محالاً . لا يقال إنه عتوا واستكبروا . ألا ترى أنهم لما قالوا (اجعل لنا إلهاً) لم يأتهم أنهم يطلبون هذا الخلق عتواً واستكباراً . بل قالوا (إنكم هم تعبدون) بل العتو والاستكبار لا يثبت إلا إذا طلب الإنسان ما لا يليق به من قوة أو مكان لا يتناسب به . ولكنه يطلب على حيل الخسيسة . والجملة فقد ذكرنا وجوهاً كثيرة في تحقيق معنى الاستكبار والعن سواء كانت الرؤية شائعة أو ممكنة . وما يدل عليه أن موسى لما سأل الرؤية ما رآه الله تعالى بالاستكبار والعن . لأنه عليه السلام طلب الرؤية خوفاً . وهو لا يطلبها استعداناً واعتناً . لا حرم وصفهم بذلك فثبت صداد ما قاله المعتزلة .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ إما قال في أنفسهم لأنهم أصبروا الاستكبار في قلوبهم واستفدوه كما قال (إن في صدورهم إلا كبر ما به يفتخرون) وقوله (وعتوا عتواً كبيراً) أي تعادوا المجد في العالم يقال عتوا غلافاً وقد وصف العتو بالكبر بالغ في إفراطه . يعني أنهم لم يخشوا على هذا القول العظيم إلا لأنهم طغوا بحجة الاستكبار وأقصى العتو .

أما قوله تعالى (يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمهمزين ويقولون حجارةً ممجوداً) فمر جواب نقولهم (ولولا أنزل علينا الملائكة) بين تعالى أن الذي سأله سيوجد . ولكنهم يقولون ما يكفرون . وهذا مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ ذكرنا في انتصاب يوم وسجين (الأول) أن العامل مادل عليه لا بشرى أي يوم يرون الملائكة يقولون البشرى ويومئذ للتكرير (الثاني) أن التقدير اذكر يوم يرون الملائكة .

﴿ المسألة الثانية ﴾ اختلفوا في ذلك اليوم . فقال ابن عباس يريد عند الموت . وقال الباقون يريد يوم القيامة .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ إما يقال للكافر لا بشرى لأن الكافر وإن كان حالاً معزلاً إلا أنه يستفيد في نفسه أنه كان هادياً متهتداً . فكان يطمع في ذلك الثواب العظيم . ولأنهم ربما عملوا ما جوا فيه النفع كصبرة المظلوم وحب الفقير وعنه الرحم . ولكنه أبطلها بكفره بين سبحانه أنهم في أول الأمر يشاهدون بما يدل على نهاية اليأس والحيرة . وذلك هو النهاية في الإلزام وهو المراد من قوله (وبدلهم من الله عالم يكتفون) .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ حق الكلام أن يقال يوم يرون الملائكة لا بشرى لهم . لكنه قال لا بشرى للمهمزين ويقع جهل (أحدهما) أنه ظاهر في موضع خبر (والثاني) أنه عام فقد تناولهم بعمومه . قالت المعتزلة تدل الآية على القطع بوعيد الفساق وهدم العتو . لأن قوله (لا بشرى للمهمزين) نكرة في شيئي التي . فبعض جميع أنواع البشرى في جميع الأوقات . بدليل أن من

أراد تكذيب هذه القضية قال بل له بشرى في الوقت . الخلاق . فلما كان نبوت البشري في وقت من الأوقات يذكر تكذيب هذه القضية ، علمنا أن قوله تعالى ( لا بشرى ) يقتضى نفي جميع أنواع البشري في كل الأزمان ، ثم إنه سبحانه أكد هذا نفي بقوله ( حجراً محجوراً ) والغفوة من الله من أعظم البشري ، والخلاص من التوريب دخولها من أعظم البشري . وشهادة الرسول ﷺ من أعظم البشري . فوجب أن لا يثبت ذلك لأحد من المجرمين . والكلام على التسليم بصح العموم قد تقدم غير مرة . قال المفسرون المراد بالمجرمين ههنا الكفار بدليل قوله ( إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ) .

﴿ المسألة الخامسة ﴾ في تفسير قوله ( حجراً محجوراً ) ذكر سيوطي في باب المصادر غير المنصرفة المنصورة بأفعال متروكة إظهارها نحو معاذ الله وقدك وحركه ، وهذه كلمة كانوا ينكحون بها عند لقاء عدو أو هجوم بارقة ونحو ذلك يضعونها موضع الاستعانة ، قال سيوطي يقول الرجل لرجل بفعل كذا وكذا فيقول حجراً . وهي من حجره إذا عنه لأن المشتبه طالب من الله أن ينجح الكثرة فلا ينجح . فكان المني أسأل الله أن ينجح ذلك منى وحجره حجراً . وعجه على فعل أو فعل في غزاة الحسن فسرف فيه لاختصاصه بموضع واحد . فإن قيل لما ثبت أنه من باب المصادر فما معنى وصفه بكونه محجوراً ؟ قلنا جاءت هذه الصفة لتأكيد معنى الحجر كما قالوا ذبل دابة الفيل الموت موت ماتت وحرام محرم .

﴿ المسألة السادسة ﴾ اختلفوا في أن الذين يقولون حجراً محجوراً من هم ؟ على ثلاثة أقوال : ( القول الأول ) أنهم هم الكفار وذلك لأنهم كانوا يطالبون نزول الملائكة ويقترحونه . ثم إذا رأوهم عند الموت ويوم القيامة كرهوا الظاهر وفزعوا منهم ، لأنهم لا يلقونهم إلا بساكرهون . قالوا عند رؤيتهم ما كانوا يقولونه عند لقاء العدو ونزول الشدة ( القول الثاني ) أن القاتلين هم الملائكة ومناه حراماً محرماً عليكم الغفران والجنة والبشري . أي جعل الله ذلك حراماً عليكم ، ثم اختلفوا على هذا القول فقال بعضهم إن الكفار إذا خرجوا من قبورهم ، قالت الجنة لهم حجراً محجوراً . وقال الكافي الملائكة على أبواب الجنة يمشرون المؤمنين بالجنة ويقولون ثم يمشرون حجراً محجوراً . وقال عطية إذا كان يوم القيامة يلقي الملائكة المؤمنين بالبشري فإذا رأى الكفار ذلك قالوا لهم يمشروننا فيقولون حجراً محجوراً ( القول الثالث ) وهو قول الثعلبي والواحدى وروى عن الحسن أن الكفار يوم القيامة إذا شاهدوا ما يخافونه فيمضون منه ويقولون حجراً محجوراً . فتقول الملائكة لا بعداً من شر هذا اليوم .

أما قوله تعالى ( وقدما ) فقد استدللت المحمدية بقوله ( وقدما ) لأن القدم لا يصح إلا على الأحسام ، وجوابه أنه لما قلعت الدلالة على استباح القدم عليه لأن القدم حركة والحوادث بالحركة حدث ، ولذلك استدلت الخليل عليه السلام بأقول الكواكب على حدثها ونبت أن الله عز

وحل لا يجوز أن يكون محدثاً . فوجد ، تأويل لفظ المقدم وهو من وجوه ( أحدها ) ( وقدمنا إلى ما عملوا من عمل ) أي وقدمنا إلى أعمالهم ، فإن تقدم إلى شيء ، فاحمله . فالقصد هو المؤثر في المقدم إليه وأطلق المسبب على السبب محاذراً ( وثانيها ) المراد تسمو الملائكة إن موطن الحساب في الآخرة ، ولما كانوا بأمره يقدمون على أن يقول . وقدمنا على سبيل توسيع ونظيره قوله ( قدما أنفسنا انفسنا منهم ) ( وثالثها ) إن الملوك إذا دخلوا قرية أقدموها ، فلما أراد الله أعمالهم وأقدمها بالسكينة صارت شبيهة بالواقع التي يقدمها الملك فلا حرم قال وقدمنا .

أما قوله ( إلى ما عملوا من عمل ) يعني الأعمال التي انتقدوها ، وأظن أنها تفرجهم إلى الله تعالى ، والله تعالى إلى ما عملوا من أي عمل كان .

أما قوله ( الجنة عبارة مشتركة ) فالمراد أبطلناه وحملناه بحيث لا يمكن الانزعاج به كاللهاء المشور الذي لا يمكن القبض عليه ونظيره قوله تعالى ( كسر اب قبضة ) ( كرمه استندت به الرمح ) ( كصف ما كزل ) قال أبو عبدة والزجاج : الهاء مثل الغبار يدخل من السكوة مع ضمة الضمسين ، وقال مقاتل : إياه الغبار الذي يندطير من حوافر البواب .

أما قوله ( أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً ) فاعلم أنه سبحانه لما بن حال الكفار في الحصار الكلي والحيلة النائمة شرح وصف أهل الجنة تنبيهاً على أن المصير لكل المخط في طاعة الله تعالى ، وهذا هو الآلات :

( الأول ) كيف يكون أصحاب الجنة خيراً مستقراً من أهل الدار ، ولا خير في الدار ، ولا يقال في السبل هو أحلى من الخلق ؟ ( والجواب ) من وجوه ( الأول ) ما تقدم في قوله ( أذلك خير أم حنة الخلد ) ( والثاني ) يجوز أن يريد أهم في غاية الخير ، لأن مستقر خير من النار ، كقول الشاعر :  
 إن الذي سلمك الشقاء بني لنا بيتاً دجانه أعر وأطون

( الثالث ) تفاضل الذي ذكر بين المأثورين ( ما يرجع إلى الموضع ، والموضع من حيث إنه موضع لا شرف فيه ( الرابع ) هذا التفاضل واقع على هذا التقدير ، أي لو كان لهم مستقر فيه خير لكان مستقر أهل الجنة خيراً منه .

( السؤال الثاني ) الآية دللت على أن مستقرهم غير مقبليهم فكيف ذلك ؟ ( والجواب ) من وجوه ( الأول ) أن المستقر مكان الاستقرار ، والمقبل زمان قبلته . فبما إشارة إلى أهم من المكان في أحسن مكان ، ومن الزمان في أطيب زمان ( الثاني ) أن مستقر أهل الجنة غير مقبليهم ، فانهم يقيمون في الفردوس ، ثم يعودون إلى مستقرهم ( الثالث ) أن بعد الفراغ من المعاشية والذهاب إلى الجنة يكون الوقت وقت القبول ، قال ابن مسعود : دلا ينصف النهار من يوم القيامة حتى يغيب أهل الجنة في الجنة ، وأهل النار في النار ، وقيل ابن مسعود : ثم إن مقبليهم ، لا إلى المحجيم .



وَيَوْمَ تَنْشَقُّ السَّمَاءُ يَنْفُثُ رِزْقًا ۖ وَالْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا ۚ الْمَلَكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ  
 لِلرَّحْمَنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَذَابًا ۚ وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ  
 يَلْبِسَنِي أَنفَعْتُ مَعَ الرُّسُلِ سَبِيلًا ۚ يَتَوَبَّلُ لِنَفْسِي لَئِنِ اتَّخَذْتُ غُلَامًا حَبِيلًا  
 لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ۚ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ۚ

وقال سعيد بن جبير : (إن الله تعالى إذا أخذ في فعل الفضل قضى بينهم بقدر ما بين صلاة العداة إلى انقضاء النهار ، فيقبل أهل الجنة في الجنة ، وأهل النار في النار . وقال مقاتل : يخفف الحساب على أهل الجنة حتى يكون مقدار نصف يوم من أيام الدنيا ، ثم يقبلون من يومهم ذلك في الجنة . (في السؤال الثالث) كيف يصح القبول في الجنة والنار ، وعندكم أن أهل الجنة في الآخرة لا ينامون ، ولأهل النار إذا في عذاب يعرفونه ، وأهل الجنة في نعيم يعرفونه ؟ (والجواب) قال الله تعالى (ولهم دوزنهم بها بكره وعسا) وليس في الجنة نكرة وعسى ، لقوله تعالى (لا يرون فيها شمساً ولا ظهراً) بولانه إذا لم يكن هناك شمس لم يكن هناك نصف النهار ، ولا وقت القبول ، بل المراد منه بيان أن ذلك الموضع أطيب المواضع وأحسنها . كما أن موضع القبول لا يكون أطيب المواضع والله أعلم .

قوله تعالى : ﴿ ويوم تنشق السماء بالغمام ونزل الملائكة تزيلاً ، الملك يومئذ الحق للرسم وكان يوماً على الكافرين عذراً ، ويوم يعص الظالم على يديه يقول باليقين انفعت مع الرسول سبيلاً . ياريتني ليتني لم اتخذ غلاماً خليلاً ، لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولاً ﴾

اعلم أن هذا الكلام مبنى على ما استدعاه من إزال الملائكة طين سبحانه أنه يحصل ذلك في يوم له صفات :

(الصفة الأولى) أن في ذلك اليوم تنشق السماء بالغمام ، وفيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ قوله (إذا السماء انشقرت) يدل على التشقق وقرنه (هل ينظرون) إلا أن يأتيهم الله في ظل من الغمام) يدل على الغمام قوله (تنشق السماء بالغمام) جامع لمبنى الآيتين وظاهره قوله تعالى (وقدحت السماء فكانت أبواباً) وقوله (فهي يومئذ واحدة) .

﴿ المسألة الثانية ﴾ قرأ أبو عمرو وأهل الكوفة بتخفيف الشين ههنا . وفي سورة في والباقرين بالتشديد ، قال أبو عبيدة : الاختيار التخفيف كما يخفف تصالون ومن شدد فعناه تشفق .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ قال القرطبي : المراد من قوله ( بالغمام ) أى عن الغمام ، لأن السماء لا تشفق بالغمام بل عن الغمام ، وقال القاسمي : لا يمنع أن يحمل نداء الغمام بحيث تشفق السماء باعتدائه عليه وهو كقوله ( السماء متفطره ) .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ لا بد من أن يكون لهذا التشقق تنطق بزلزلات الملائكة ، فصل الملائكة في أيام الآخرة ، عليهم السلام كانوا يزولون من مواضع مخصوصة والسماء على اتصالها ، ثم في ذلك اليوم تشقق السماء فإذا انشقت خرج من أن يكون حائلا بين الملائكة وبين الأرض فزالت الملائكة إلى الأرض .

﴿ المسألة الخامسة ﴾ قوله ( وزل الملائكة ) صفة عموم فتناول الكل ، ولأن السماء مقر الملائكة فإذا تشقق وجب أن يزولا إلى الأرض ، ثم قال مقاتل : تشقق سماء الدنيا فيزال أهلها وهم أكثر من سكان الدنيا ، كذلك تشقق سماء سواد ، ثم يزول الكروبيون وحنه العرش ، ثم يزل الرب تعالى . وروى البخاري عن ابن عباس : قال تشقق كل سماء ، ويزول سكانها فيجطون بالعالم ويعبرون سبع صفوف حول العالم ، واعلم أن يزول الرب بالذات باطل قطعا ، لأن الزوال حركة والفصوص بالحركة محدث والإله لا يكون محدثا . وإنما يزول الملائكة إلى الأرض فليبه سؤال ، وذلك لأنه ثبت أن الأرض بالقياس إلى سماء الدنيا كقفة في فلاة ، فكيف بالقياس إلى الكرسي وأعرش فلائكة هذه المواضع بأسرها كيف تنزع لهم الأرض جمدا ؟ فقل الله تعالى يزيد في طول الأرض وعرضها ويبلغها ملأاً ينسع لكل هؤلاء ، ومن المفسرين من قال : الملائكة يكونون في الغمام ، والله تعالى يمكن الغمام فوق أهل القباع فيكون ذلك الغمام مقر الملائكة . قال الحسن : والغمام منزلة بين السماء والأرض تفرج الملائكة فيه ينسع أعمال بني آدم والخمسة تكون في الأرض .

﴿ المسألة السادسة ﴾ أما نزول الملائكة فظاهر ، ومعنى تنزيل تأكيد تنزول ودلالة على إسماعهم فيه .

﴿ المسألة السابعة ﴾ الألف واللام في الغمام ليس بعموم فهو اليهود ، والمراد حاد كروه في قوله ( هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة ) .

﴿ المسألة الثامنة ﴾ قرئ : ونزل الملائكة ، ونزل الملائكة ، ونزل الملائكة ، وزل الملائكة ونزل الملائكة على حذف الثنون الذي هو ظاه الفعل من نزل فزاد أهل مكة .

﴿ التاسعة ﴾ الآية لذلك اليوم ( الملك يومئذ الحق الرحمن ) قال الزجاج الحق صفة للملك وتندبره الملك الحق يومئذ الرحمن ، وبحور الحق بالتعصب على تقدير أنني ولم يقرأه ، ومعنى

وصفه بكونه حياً لأنه لا يزول ولا يتغير . فإن قيل مثل هذا الملك لم يكن قط إلا لرحمن فالضائدة في قوله يومئذ ؟ قلنا لأن في ذلك اليوم لا مال لك سواء لا في الصورة ولا في المعنى ، تخضع له الملوك وتسر له الوجوه ، وتذل له الجبابرة بخلاف سائر الأكام ، واعلم أن هذه الآية دالة على فساد قول المعتزلة في أنه يجب على الله التواب والتموض وذلك لأنه لو وجب لاستحق الدم بتركه فكان خاتفاً من أن لا يفعل فلم يكن ملكاً مطلقاً . وأيضاً فقوله ( الملك يومئذ الحق للرحمن ) يفيد أنه ليس لغيره ملك وذلك لا يتم على قول المعتزلة . لأن كل من استحق عليه شيئاً فإنه يكون مالكا له ، ولا يكون هو سبحانه مالكا لتلك المستحق ، ولأنه سبحانه إذا استحق على أحد شيئاً أمكنه أن يغير عنه ، أما غيره إذا استحق عليه شيئاً فإنه لا يصبح إرأوه عنه . فكانت البردية هنا آتم . ولأن من كفر حقه إلى آخر عمره ثم في آخر عمره عرف الله لحظة ومات فهو سبحانه لو أعطاه ألف ألف سنة أنواع التواب ولم أراد بعد ذلك أن لا يمتطيه لحظة واحدة صار سفيهاً . وهذا نهاية تمجيدية والذل فكيف يليق بمن هذا سأل أن يخالفه ( الملك يومئذ الحق للرحمن ) وأيضاً فكل من فعل ضلوا لم يفعل لكان مستوجباً للدم وكان بذلك الفعل مكتسباً للكمال ويتركه مكتسباً للتقصير فلم يكن ملكاً بل فقيراً مستحقاً . فثبت أن قوله سبحانه ( الملك يومئذ الحق للرحمن ) غير لائق بأصول المعتزلة .

( الصفة الثالثة ) قوله ( وكان يوماً على الكافرين عسيراً ) فالعنى ظاهر لأنه أسال عالم بالأسوال قادر على كل ما يريد . وأما غيره فالكل في رتبة العسر والحجم العسر ، فكان في نهاية العسر على الكافر .

( الصفة الرابعة ) قوله ( ويوم بعض الظالم على يديه ) وفيه مسائل :

المسألة الأولى ( الألف واللام في الظالم فيه قولان ( أحدهما ) أنه للعموم ( والثاني ) أنه للعمود . والثاني ( الأول ) بالعمود على قولين ( الأول ) قال ابن عباس المراد عقبة بن أبي معيط ابن أمية بن عبد شمس كان لا يقدم من مقر إلا صنع طعاماً يدعو إليه جيرانه من أهل مكة ويكثر بحالة الرسول ويمنجه حديثه فصنع طعاماً ودعا الرسول فقال صلى الله عليه وسلم ما آكل من طعامك حتى تأني بالشهادتين ففعل فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم من طعامه فبلغ أمية بن خلف فقال صبرت بأخبة . وكان خليله . فقال إنما ذكرت ذلك لباأكل من ما دعى فقال لأرضى أبداً حتى تأني به ففرق في وجهه وسطاً على عنقه ، فصل ، فقال عليه السلام لا ألتذكك خارجاً من مكة إلا علوت وأسلت بالسيف فزول ( ويوم بعض الظالم على يديه ) إذاً يعني عقبة يقول : باليتى لم ألتذم أمية خليلاً لقد أضلني عن الذكر . أي صرفني عن الذكر وهو القرآن والإيمان بعد إذ جالست مع محمد صلى الله عليه وسلم فأسر عقبة يوم بدر فقتل صبراً ولم يقتل يومئذ من الأماري غير مو غير النضر بن الحارث ( الثاني ) قالت الرافضة : هذا الظالم هو رجل بعينه . وإن المسلمين غيروا اسمه

وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنِّي قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٣٥﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣٦﴾

وكنتموهم عدواً فلا من اسمه . وذكر واضحين من أصحاب رسول الله . واعلم أن إجماع المفسرين على العموم ليس لنفس اللفظ ، لأننا بنا في أصول الفقه أن الالكاف واللام إذا دخل على الاسم المفرد لا يبيد العموم بل إنما يفيد التفرقة من حيث إن ترتيب الحكم على الوصف يشير بعلية الوصف ، فدل ذلك على أن المؤثر في البعض على البعض كونه ظاهراً وحيث يسمي الحكم للعموم عنه . وهذا القول أولى من التخصيص بصورة واحدة لأن هذا الذي ذكرناه يقتضي العموم ، ونزوله في واقعة أخرى خاصة لا ينافي أن يكون المراد هو العموم حتى يدخل فيه تلك الصورة وغيرها . ولأن المقصود من الآية زجر الكل عن الظلم وذلك لا يحصل إلا بالعموم ، وأما قول الرافضة ذلك لا يتم إلا باطل من القرآن وإنبات أنه غير مدلل ولا نزاع في أنه كفر .

﴿ المسألة الثانية ﴾ استدل المتزعم بقوله ( ويرى بعض الظالم على يديه ) قالوا الظالم يتناول الكافر والفاسق ، فدل على أن الله تعالى لا يفرق بين صاحب الكبيرة والكلامة عليه تقدم .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ قوله ( يرى بعض الظالم على يديه ) قال الصحاح : يأكل يديه إلى المرفق ثم ثبت فلا يزال كذلك كلما أكلها يبت ، وقال أهل التحقيق هذه اللفظة مشعرة بالفساد والهم ، يقال مضى أكله وبعض على يديه .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ كما بينا أن الظالم غير مخصوص بشخص واحد بل يضم جميع الظلمة فكذلك المراد بقوله فلا تأكل من أموال كل من أطع في معصية الله . واستشهد القفال بقوله ( وكان تكافراً على ربه ظهراً ) . (ويقول الكافر باليقين كنت زانياً) يعني به جماعة الكفار .

﴿ المسألة الخامسة ﴾ فرى . ياريتى بآيا . وهو الأصل لأن الرجل ينادى ويلك وهي ملكته يقول طأ : تعالى فهذا أوانك ، وإنما قلبت آيا لأنها في محاري وعذارى .

﴿ المسألة السادسة ﴾ قوله ( عن الذكر ) أي عن ذكر الله أو القرآن وموعظة الرسول ويحوز أن يريد بلفظه شهادة الحق وغيره على الإسلام والشيطان . إشارة إلى خطبه سماء شيطاناً لأنه آمنه كما يعتدل الشيطان ثم حذله ولم يضعه في المأفة . أو أراد إبليس فإنه هو الذي حلف على أن صار خيلاً لذلك المخل وعائلة الرسول ثم حذله . أو أراد الجنس وكل من تشبه من الجن والإنس . ويحتمل أن يكون ( وكان الشيطان ) حكاية كلام الظالم وأن يكون كلام الله .

قوله تعالى : ﴿ وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً ، وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين وكفى بربك هادياً ونصيراً ﴾

اعلم أن الكلام هنا أكثر وأما الاعتراضات الفاسدة ووجوه التفتت حاشي مصدر الرسول  
**عليه** وشكاهم إلى الله تعالى ، وقال ( يارب إن قومي المخشرون ) وفيه مسائل :

**المسألة الأولى** : أكثر المفسرين أنه قول واقع من الرسول **عليه** وقال أبو مسلم بن الحراد  
 أن الرسول عليه السلام يقوله في الآخرة وهو كقولهم ( فكيف إذا جئنا من كل أمة بشيعة وجئنا  
 بك على هؤلاء شيعتنا ) والأول أولى لأنه موافق للفظ ولأن ما ذكره الله تعالى من قوله ( وكذلك  
 جعلنا لكل نبي عدواً من المخشرون ) نسبة لرسول **عليه** ولا يليق إلا بذلك قال وقع ذلك القول منه .  
**المسألة الثانية** : ذكروا في المجهوز قولين ( الأول ) أنه من الضمير إن أي تركوا الإيمان به  
 ولم يبقوا وأثر ضوا من شيعته ( الثاني ) أنه من أخرج أي مبعوراً فيه ثم حذف الجاء . ويؤكد قوله  
 تعالى ( منكم من به سائر أجهرون ) ثم يجرم فيه أنهم كانوا يقولون إنه محرم وشعر وكذب  
 ومجرى عنده . وروى أنس عن النبي **عليه** أنه قال ومن يلعن الفريسي وعلى مصغره لم يصبه  
 ولم ينظر فيه جاز . يرمي القبيح متصفاً به يقول يارب عالمي عندك هذا المخشرون مبعوراً . قصص بيني  
 وبينه . ثم إنه تعالى قال مبدأ رسوله سبه الصلاة والسلام ومعنيانته . وكذلك حصناً لكل نبي  
 عدواً من أجهرين . وبين بذلك أنه له أدوة بسائر الرسل . فليصبر على ما بلغه من قومه كما صبروا  
 ثم فيه مسائل :

**المسألة الأولى** : احتج أصحابنا بهذه الآية على أنه تعالى خالق الخير والشر لأن قوله تعالى  
 ( جعلنا لكل نبي عدواً ) يدل على أن تلك المداوة من جعل الله . ولا شك أن تلك المداوة كغير  
 قال الخبائي : المراد من الجعل التخصيص . فانه تعالى لما بين أنهم أعداؤه . جاز أن يقول جعلناهم  
 أعداءه . كما إذا بين الرجل أن فلاناً خص به فإلّا خص به فإلّا خص به فإلّا خص به فإلّا خص به فإلّا  
 وجرحه . قال الكشي : إنه تعالى لما أمر بالانبياء بدعوة الكفرة وهداوتهم لما كفروا بتقصير عدلوه  
 الكفار لهم . ولهذا جاز أن يقول ( وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المخشرون ) لأنه سبحانه هو  
 الذي حمله ودعا إلى ما استعجب تلك العداوة . وقال أبو مسلم : يحتفل في العدو أنه البعد لا القرب  
 إذ العداوة المشاهدة كما أن الصبر القرب والمظاهرة . وقد باعد الله تعالى بين المؤمنين والكافرين  
 ( والجواب عن الأول ) أن التخصيص لا يسمونه أنه جعلنا لأن من بين تغييره وجود التصانيع ونفسه  
 لا يقال إنه حمل التصانيع وجعل نفسه ( والجواب عن الثاني ) أن ادعى أنه أنه تعالى هل له تأثير  
 في وضع المداوة في قلوبهم أو ليس له تأثير ؟ فان كان الأول لفقدتم الكلام لأن عدلوههم برسول  
**عليه** كفر فادعى أنه الرسول . بما له أثر في تلك المداوة فقد أحره بما له أثر في وضع الكفر  
 وإن لم يكن به تأثير البتة كان منقطعاً عنه بالكيفية ليستع إسماءه إليه . وهذا هو الجواب عن  
 قول أبي مسلم .

**المسألة الثانية** : لما قيل إن قول محمد عليه السلام ( يارب إن قومي المخشرون )

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ  
فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴿٦٦﴾ وَلَا يَنْتُزِعُكَ مِنْهُ لِيْلٌ يُعْطِلَكَ يَاقُوتَ أَخْسَنُ  
تَفْسِيرًا ﴿٦٧﴾ الَّذِينَ يُخَشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ أَنِّي جَهَنَّمَ لَوْلِيكَ شَرٌّ مِّمَّا وَأَنْتَ  
مَسِيئًا ﴿٦٨﴾

الفرقان مهوراً) في المعنى كفول روح عليه السلام (رب اني دعوت قوماً نبلا ونهاراً لم يردعهم دعائي إلا مراءاً) وكان المقصود من هذا إيصال العذاب فكذلك هنا فكيف يثبت هذا من رصمه الله بالرحمة في قوله (وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين) (جوابه) أن نوحاً عليه السلام لما ذكر ذلك دعا عليهم ، وأما محمد عليه الصلاة والسلام فلما ذكر هذا ما دعا عليهم بل انتقم فلما قال تعالى (وكذلك جعلنا لكل نزعاً من الجحيم) كان ذلك كالأمر له بالنصر على ذلك وترك الدعاء عليهم فظهر الفرق .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ قوله جعلنا صيغة تعظيم ، والتعظيم إذا ذكر نفسه في كل معرض من التعظيم وذكر أنه يعطي فلا بد وأن تكون تلك الصيغة مضمرة كقوله ( ولقد أتيناك به من أمثالي ) وقوله ( إنما أعطيتك الكثير ) فكيف يلحق هذه الصيغة أن تكون تلك الصيغة هي العداوة التي هي متبادرة في الدين والدنيا (جوابه) أن خلق العداوة سبب لازماً لزيادة المشقة التي هي موجبة لمزيد التوابع والله أعلم .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ يجوز أن يكون العدو واحداً وجمعاً كقوله ( فإنهم عدول ) وجاء في التفسير أن عدو الرسول يتبع أبو جهل .

أما قوله ( وكنى ربك هادياً ونصيراً ) يقال الإضاح إذا رائد يعني كنى ربك هادياً ونصيراً منصوبان على الحال هادياً إلى مصالح الدين والدنيا ، ونصيراً على الاعتداء ، وظهيره ( يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين ) .

قوله تعالى : ﴿ وقال الذين كفروا لنولا نزل عليه الفرقان جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً ، ولا يأتوك بمثل إلا جفاً بالحق وأحسن تفسيراً ، الذين يخشرون على وجوههم إلى جهنم أبليس شر مما كانوا وأصل سبيلاً ﴾ .

اعلم أن هذا هو الشبهة الخاصة لمسكني نوبة محمد ﷺ . وأن أهل مكة قالوا نزع الملك رسول من عند الله أهلاً نبينا بالفرقان جملة واحدة فأنزلت التوراة حملة على موسى والإنجيل على عيسى

والزبور على داود . وعن ابن جريج عن أوله وآخره اثنتان أو ثلاث وعشرون سنة وأجابه الله  
يقوله ( كذلك أنزلناه ) ( وترتلناه ) ( وترتلناه ) ( وترتلناه ) ( وترتلناه ) ( وترتلناه ) ( وترتلناه ) ( وترتلناه )  
نزل على نوح عليه السلام لم يكن من أهل العراة والكثافة فزول على ذلك جمل واحدة كان لا يسطه ولجار عليه النطق  
والسير . وأما نزلت التوراة على موسى ( وناتيا ) أن من كان الكتاب  
عنده . فربما اعتمد على الكتاب وتداول في المصاط فانه تعالى ما أعطاه الكتاب دفعة واحدة بل  
كان ينزل عليه وطرفة عين ليكون سعة له . أكل فيكون أبعد له عن المسألة وقلة التحصيل ( وناتيا )  
أنه تعالى لو أنزل مكتوباً دفعة واحدة على الخلق لكانت التوراة فاسدة فأنزل الله تعالى ما أعطاه دفعة واحدة  
فكانت بقولهم ذلك . أما لما نزل مفرقاً مجزأ لا حرم زلت التكاليف قليلاً قليلاً فكانت لهم  
أسهل ( ورابها ) أنه إذا شاهد جبريل حالاً بعد حال يقوى قلبه بمشاهدته فكان أقوى على أداء  
ما حمله . وعلى من يصبر على عوارض الشدة وعلى احتياله أذية قومه وعلى الجهاد ( وحامها ) أنه  
لما تم شرط الإخلاء فيه مع كونه منجماً ثبت كونه معجزاً . فانه لو كان ذلك مقدراً لغيره لوجب  
أن يأتيوا بمثلته معجزاً مفرقاً ( وسادها ) كان القرآن ينزل بحسب أسألهم والوقائع نزائفة لهم  
فكانوا يزادون صيرة . لأن بسبب ذلك كان ينصم إلى الله صراحة الإخبار عن العيوب  
( وسادها ) أن القرآن لما نزل منجماً مفرقاً وهو عليه السلام كان ينداهم من أول الأمر  
فكانت تصام كل واحد من نجوم القرآن غلباً عزوا عنه كان يحجزهم عن معارضة الشكل أولاً  
فهذا الضرب من نعت في قوله أن تقوم بالحزم من المعارضة لا بحالة ( وناتيا ) أن المسألة  
برأيه تعالى ومن أنبأه وتبلغ كلامه إلى الخلق . نصب عظم فيجعل أن يقال إنه تعالى لو أنزل  
القرآن على محمد بن مريم دفعة واحدة ليعال ذلك المنصب على جبريل عليه السلام فليأمر مفرقاً  
منجماً بن ذلك المنصب العالي عليه فلا من ذلك جعله الله سبحانه وتعالى مفرقاً منجماً .

أما قوله ( كذلك ) فعبارة وجهاً ( الأول ) أنه من تمام كلام المفسرين أي حلة واحدة  
كذلك أي كالتوراة والإنجيل . وعلى هذا لا يحتاج إلى إختصار في الآية وهو أن يقول : أنزلناه  
مفرقاً لأنبت به فؤادك ( الثاني ) أنه كلام الله تعالى ذكره جواباً لهم أي ( كذلك أنزلناه مفرقاً )  
فإن قيل ذلك في كذلك يجب أن يكون إشارة إلى شيء تقدمه والذي تقدمه هو قوله حلة فكيف  
وسر . كذلك أنزلناه مفرقاً قلنا لأن قولهم لولا نزل عليه جملة واحدة معناه لم نزل مفرقاً  
وكذلك إشارة إليه .

أما قوله تعالى ( وترتلناه نرتيلاً ) فمعنى الترتيل في الكلام أن يأتي بعضه على أثر بعض على  
ترتبه ونحوه وأصل الترتيل في الأسماء وهو تنجيها يقال تترتلل وهو عند القرائن . ثم إنه  
سبحانه وتعالى لما بين فساد قولهم بالحوادث الواضح قال ( ولا يأتونك بمثل ) من الجنس الذي تقدم  
ذكره من الشبهات . لا مثلاً بالحق الذي يذوق قولهم . كما قلنا تعالى ( بل تعذب بالحق على الباطل

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿٢٥﴾ فَقُلْنَا

أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٢٦﴾

فيدهمه فإذا هو زانق ) وبين أن الذي يأتي به أحسن نصيراً لأجل ما فيه من المزية في البيان والظهور ، ولما كان التفسير هو الكشف عما يدل عليه الكلام وضع موضع معناه . فقلنا :  
نفسر هذا الكلام كيت وكيت كما قبل معناه كذا وكذا .

أما قوله ( الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم ) فله مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ : يحشر الناس على ثلاثة أصناف صنف على الدواب وصنف على الأقدام وصنف على الوجوه . ومعناه عليه السلام : إن الذي أُنشئهم على أرجلهم قادر على أن يشبههم على وجوههم .

﴿ المسألة الثانية ﴾ الأقرب أنه صفة تقوم للذين أوردوا هذه الأمثلة على سبيل التمثيل ، وإن كان غيرهم من أهل النار يدخل معهم .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ حله بعضهم على أنهم يحشرون في الآخرة مغلوبين ، وجوههم إلى القراد وأرجلهم إلى فوق ، روى ذلك عن الرسول ﷺ وقال آخرون المراد أنهم يحشرون ويحبسون على وجوههم ، وهذا أيضاً مروى عن الرسول عليه الصلاة والسلام وهو أول . وقال الصنفية : الذين نعلقت قلوبهم بما سوى الله فإذا أتوا بقى ذلك لقلبهم فحصر عن تلك الحالة بأنهم يحشرون على وجوههم إلى جهنم : ثم بين تعالى أنهم شر مكاناً من أهل الجنة وأهل سبيل وطريقاً . والمقصود منه الجزع عن طريقهم والسؤال عليه كما ذكرناه على قوله ( أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً ) وقد تقدم الجواب عنه .

واعلم أنه تعالى بعد أن تكلم في التوحيد وتفي الأعداد وإثبات النبوة والجواب عن شبهات المشركين لما في أسوال القضاة شرع في ذكر القصص على السنة المنطوقة .

﴿ القصة الأولى - قصة موسى عليه السلام ﴾

قوله تعالى : ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً ﴾ قلنا لذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٢٦﴾

اعلم أنه تعالى لما قال ( وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً ) أتبعه بذكر جماعة من الأنبياء وعرفه بما زال بين كذب من أعينهم فقال ( ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً ) والمعنى : لست بأحد بأول من أرسلاه فكذب ، وآتيناه الآيات فرد ، قد آتينا موسى التوراة وغوبنا عبده بأخيه هارون ومع ذلك فقد رد ، وفيه مسائل :



وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَخْرَجْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ عَابَةً وَأَعَدْنَا

لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٧﴾

﴿ المسألة الأولى ﴾ كونه وزيراً لا يمنع من كونه شريكاً في البؤس ، فلا وجه لقول من قال في قوله (وقوم نوح) إنه خطاب لموسى عليه السلام ، وحده بل يجري مجرى قوله (اذها إلى فرعون) إنه طغي ، فإن قيل إن كونه وزيراً كافياً فيكونه شريكاً في بؤس أن جعل فيه نصيباً من شركاء شريكاً خرج عن كونه وزيراً ، قلنا لا منافاة بين الصفتين لأنه لا يمنع أن يشترك في البؤس ويكون وزيراً وخبراً ومعبداً له .

﴿ المسألة الثانية ﴾ قال الزجاج الوزير في اللغة الذي يرجع إليه ويتحصن برأيه ، وتوزر ما ينصهر به ، ومنه (كلا لا وزير) أي لا منجي ، ولا ملجأ ، قال القاضي ، ولذلك لا يوصف تعالى بأن له وزيراً ولا يقال فيه أيضاً بأنه وزير لأن الإجماع عليه في المشاورة والتأري على هذا الحد لا يصح .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ (ودرياهم) أهلكهم إهلاكاً فإن قيل لماذا للتعذيب والإهلاك لم يحصل عقيب ذهاب موسى وهرون إليهم بل بعد مدة مديدة ، قلنا التعذيب محمول هنا على المحكم لا على التوفيق ، وقيل إنه تعالى أراده اختصار القصة فذكر حاشيتها أولها وآخرها لانهما المقصود من القصة بطولها أعنى إلزام الحجة بدعوة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ قوله تعالى ( اذها إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا ) إن حلتا تكذيب الآيات على تكذيب آيات الإلهية فلا إشكال ، وإن حلتاه على تكذيب آيات النبوة فلا عطف ، وإن كان لخاصة إلا أن المراد هو المتفضل .

﴿ القصة الثانية - قصة مرج عليه السلام ﴾

قوله تعالى : ﴿ وقوم نوح لما كذبوا الرسل أَخْرَجْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ عَابَةً وَأَعَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ اعلم أنه تعالى إنما قال ( كذبوا الرسل ) إنما لاسم كانوا من الجماعة المذكورين لكل الرسل أو لأنه كان تكذيبهم الواحد منهم تركبياً للجميع ، لأن تكذيب الواحد منهم لا يمكن إلا بالقدح في الجميع ، وذلك يقتضي تكذيب الكل ، أو لأن المراد بالرسل وإن كان نوحاً عليه السلام وحده ولكنه كما يقال ملان يركب الأفراس .

فما قوله ( أَخْرَجْنَاهُمْ ) فقال الكلبي : أضر الله عليهم تسليماً أربعين يوماً وأخرج ما لا أرض أيضاً في تلك الأربعين أصارت الأرض محرراً واحداً ( وجه الثاني ) أي وحلوا إخراجهم أو قصتهم آية ، وأعدنا لظالمين أي لكل من ذلك سبيلهم في تكذيب الرسل عذاباً أليماً ، ويحتمل أن

وَعَدًا وَنَمُودًا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴿٢٥﴾ وَكَلَّا ضَرَبْنَاهُ  
الْأَمْثَلَ وَكَلَّا تَبَرَّنَا تَبِيرًا ﴿٢٦﴾

﴿ القصة الثالثة - قصة عاد ونمود وأصحاب الرس ﴾

قوله تعالى : ﴿ وعداً ونموداً وأصحاب الرس ﴾ ومرتباً بين ذلك كثيراً وكلاً ضربناه  
والأمثال ﴿ كلاً تَبَرَّنَا تَبِيرًا ﴾ في الآية مضاف :

﴿ المسألة الأولى ﴾ عطف عاداً على ( هم ) في ( و ) ( جملتهم ) أو على ( الظالمين ) لأن المفسر  
ووعداً للظالمين .

﴿ المسألة الثانية ﴾ قرئ : ونمود على تأويل القصة ، والمعنى المختصر في تأويل الخبر  
أو لأنه اسم للكب الأكبر .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ قال أبو عبيدة الرس هو البرغز المطوية . قال أبو مسلم : في البلاد موضع  
يقال له الرس فجاء أن يكون ذلك الوادي سكناً لهم ، والرس عند العرب المدفن ، واسمى به الحرس  
يقال رس لميت إذا دفن وغيب في الحفرة ، وفي التفسير أنه نهر ، وليس شيء كان هذا الخبر أنه تعالى  
عن أهل الرس بالهلاك انتهى .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ ذكر المفسرون في أصحاب الرس وجوهاً ( أحدها ) كانوا قوماً من  
عبدية الأصنام أصحاب آبار رموش . فبنت لهم عملاً عليهم شيئاً عليه السلام فدعاهم إلى الإسلام  
فقاتلوا في حنابهم وفي إبدانهم فبينهم حول الرس حشف شام وبذرهم ( وثانيها ) الرس قرية  
بفلس الجبامة فتوابعهم فهلكوا هم بغية ثمود ( وثالثها ) أصحاب أسود كخاتمة بن صفوان كانوا  
مبتلين بالعقار ، وهي أعظم ما يكون من الطير سميت بذلك لفارق عقها . وكانت تسكن جملهم  
الذي يقال له فتح وهي تنقض على صلبهم فتخطفهم إن لم يوردها فصبغ فدا عليها حنقها  
فأصابها الصاعقة . ثم إجماع فتوابع حنقها فأهلكوا ( ورابعها ) هم أصحاب الأعدود ،  
والرس من الأعدود ( وخامسها ) الرس أظلمة قتلتوا فيها حبة الشعير . وفي كذبوه ورسوه  
في برأي سدود فيها ( وسادسها ) عن علي عليه السلام أنهم كانوا قوماً يهودون حخرة العنبر  
وإنما سموا بأصحاب الرس لأنهم رسوا نبيهم في الأرض ( وسابعها ) أصحاب الرس قوم كانت  
لهم عرى على شاطئ البحر يقال له الرس من بلاد المشرق فبنت لهم عملاً عليهم نياً من ولد يهودا  
أمر يعقوب فكذبوه فبنت لهم زناً فشكى إلى الله تعالى منهم فعمدوا برأى ورسوه فيها . وقالوا  
زوجوا أن يرضى عنا إلهاً وكانوا عامة يومهم يسمون آيين نبيهم يقول : إلهي وسيدتي ترى ضيق  
سكاني وشدة كربي وضيق قلبي وفله حبيبي فحبل بعض رومي مات ، أو من الله تعالى رجلاً

وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرًا سَوِيًّا فَلَمْ يَكُونُوا بِرُؤُسِهَا بَلْ كَانُوا

عاصفة شديدة أخرقة فصارت الأرض من تحتهم حفر كبريت، وقد وصفنا حالهم بحالة سواد فجابات أقدامهم كما يذوب الرصاص (وأنعموا) روى ابن جرير عن الرسول صلى الله عليه وسلم أن الله بعد أن أتوا على القرية التي لم يؤمن بها من أهلها أحد إلا بعد أسوء ثم عدوا على الرسول فمروا له بها فأفترقه، ثم افترقه عليه حجراً ضحكاً، وكان ذلك السيد يحتلب فيشترى له صاعاً وشرباً ويضع الصخرة ويبدله زلف فكان ذلك ما شاء الله فامطت يوماً فصار أن يجمها، وجر يوماً فاضطجع فصرخ الله على أنه سبع سنين تأماً، ثم أتته وعطى وتحول كسبه الآخر منه سبع سنين أخرى، ثم حبس فعمل حرمة حتى أنه نام سبعة من نهار جبال إلى القرية فباع حرمة واشترى صاعاً وشرباً ودفع إلى الحفرة فلم يجد أحداً، وكان قومه قد استخرجوه وأتوا به وصدفوه، وكان ذلك الذي يسلم من الأسر، فمخولون لا تدرى حاله حتى فصر الله التي وقص ذلك الأسر، فقل عليه سلام فإن ذلك الأسر، لأول من يدخل الجنة، وأعطى أن يقول ما قاله المسلم وهو أن شيئاً من هذه الروايات غير معنوم بالقرآن، ولا يغير فري الإسناد، ولكنهم كيف كانوا فقد أجبر الله تعالى عليهم أنهم أنهكوا بسبب كفرهم.

﴿المسألة الخامسة﴾ قال النحوي: القرن أربعون سنة. وقال علي عليه السلام: إن سجون سنة، وأربع مائة وعشرون.

﴿المسألة السادسة﴾ قوله: من ذلك أي من ذلك المذكور وقد ذكرنا أن ذلك أثر في مخالفة ثم يشير إليها بذلك وبحسب الحاسب أمثالاً متكررة، ثم يقول: فذلك كبت وكبت على معنى ذلك الخسوف أو المفرد.

أما قوله: (ولا ضرباً له الأمتال) فالمراد بينا لهم وأدخلكم فسادهم فساداً كبيراً ثم تدرأ ويعتدل (ولا ضرباً له الأمتال) بأن أحداً من أئمة أورده من نفسه في تكذيب رسول كما أورده قومك يا محمد، فلا يمنع فيهم تبرأهم تبرأ، فحذر تعالى بذلك قوم محمد صلى الله عليه وسلم في الأسرار على تكذيبه فلا يزل بهم مثل الذي نزل ما تقوم عاجلاً وأجلاً.

﴿المسألة السابعة﴾ فلا الأول منصوب بما دل عليه ضرباً له الأمتال وهو أنفوساً أو حثرة، والثاني خبراً لأنه خارج له.

﴿المسألة الثامنة﴾ التذير التفتيت والتكسير، ومنه التبر وهو كدابة الذهب والفضة والرياح.

﴿الفصل الرابعة قصة لوط عليه السلام﴾

قوله تعالى: ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء فلم يَكُونُوا بِرُؤُسِهَا بَلْ كَانُوا

لَا يَرْجُونَ فُتُورًا ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِذْ يَنْخَلِئُونَ مِنْكَ إِلَّا هُمْ وَأُفٍّ لَهُمُ الَّذِينَ بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا  
 ﴿١١﴾ إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ ءِلَافِنَا إِذْ لَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْفَ  
 الْعَذَابَ مَنْ أَضَلَّ سَبِيلًا ﴿١٢﴾ أَوَلَمْ يَكُنْ مِنْ أَجْلِهِمْ هَوًى أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ  
 وَكِيلًا ﴿١٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنْ أَكْثَرُهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْلَمُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ  
 بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿١٤﴾

لَا يَرْجُونَ فُتُورًا ﴿١٠﴾

واعلم أنه تعالى أراد بالقفرة - سدوم من قرى قوم لوط عليه السلام وكانت هماً - أهلكت الله  
 تعالى أرباعاً بأهلها وبقيت واحدة - (ومضر السود) - الحجارة - يعني أن قريباً مروا مراراً كثيرة  
 في حاجرهم إلى السلام عن تلك القفرة التي أهلكت بالحقارة من تسلياً - (أهل يكونوا) - في  
 سدومهم ينظرون إلى آثار عذاب الله تعالى ومكاه - (على كانوا قوماً) - كفرة (لا يرجون فُتُوراً)  
 وذكروا في تفسير (يرجون) - وجوها (أعداء) وهو الذي قاله القاضي وهو الأولي أنه يحول  
 على حقيقة الرجال لأن الإنسان لا يتحمل مناعب - الكآبم ومشاق السفر والاشتغال إلا رجاء  
 ثواب الآخرة ، فإذا لم يزل من والآخرة لم يرج ثوابها فلا يتحمل تلك المشاق والمناعب (وقادها)  
 مناه لا يتوقعون شوقاً - موضع تزيلاً - موضع يتوقع لأنه إنما يرفع العافية من يؤمن ،  
 (ونالها) مناه لا يتحملون على الأمة الهامة - وهو ضعيف الأول هو الحق .

قوله تعالى: ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِذْ يَنْخَلِئُونَ مِنْكَ إِلَّا هُمْ وَأُفٍّ لَهُمُ الَّذِينَ بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا  
 عَنْ أَفْئَتِنَا إِذْ لَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْفَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلَّ سَبِيلًا  
 أَوَلَمْ يَكُنْ مِنْ أَجْلِهِمْ هَوًى أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا أَمْ تَحْسَبُ أَنْ أَكْثَرُهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْلَمُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا  
 كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿١٤﴾

اعلم أن سبحانه لما بين مبالغة المشركين في إنكار نبوته وفي إيراد الكهات في ذلك - بين بعد  
 ذلك أنهم إذا رأوا الرسول يخفونه هرواً هل يقتصروا على ترك الإيمان به بل زادوا عليه  
 الاستهزاء والاستعجاب ، ويقول بعضهم لبعض (أهذا الذي بعث الله رسولا) - وبه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ قال صاحب الكشاف إن الأولى نافية والثانية مخففة من التثنية واللام  
 هي تارة بينهما .

﴿ المسألة الثانية ﴾ جواب إذا هو ما أضم من القول يعني وإذا وأوك مستترين قالوا أبت الله هذا رسولا . وقوله ( إن يتحذرك ) جملة اعترضت بين إذا وجوابها .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ اعترضه عزرائي معنى استنزاه به . والأصل انظره موضع هن . أو مهزوا به .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ اعلم أن الله تعالى أخبر عن المشركين أنهم متى رأوا الرسول أنوا بنوعين من الأعمال أحدهما أنهم يستنزئون به . وقصدت الاستنزاء بقوله ( لهذا الذي بعث الله رسولا ) وذلك جهل عظيم . لأن الاستنزاء إما أن يقع بصورة أو بصفة . أما الأول فيأطل لأنه عليه الصلاة والسلام كان أحسن منهم صورة وخلفه . وبقتير أنه لم يكن كذلك . لكنه عليه السلام ما كان يدعي التميز بهم بالصورة بل بالحجة . وأما الثاني فيأطل . لأنه عليه السلام ادعى التميز عنهم في ظهور التميز عليه دونهم . وأهم ما قدروا على الفضح في حجته ودلالته . في الحقيقة هم الذين يستحقون أن يبرأ بهم . ثم إنهم لو أحتم فلبوا القضية واستنزوا بالرسول عليه السلام . وذلك يدل على أنه ليس للبطل في كل الأوقات إلا السفاعة والوقاحة . وثانيهما أنهم كانوا يقولون فيه ( إن كاد يضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها ) وذلك يدل على أمر ( الأول ) أنهم سموا ذلك إحلالا . وذلك يدل على أنهم كانوا مبالغين في تعظيم آلهتهم وفي استعظام صفة <sup>عليه</sup> في صرفهم عنه . وذلك يدل على أنهم كانوا يعتقدون أن هذا هو الحق . فمن هذا الوجه يتخل قول أصحاب المنافق في أنه لا يكفر إلا من يرمي الدلائل لأهم جهله . ثم نسبهم الله تعالى إلى الكفر والافتراء . وقولهم ( لولا أن صبرنا عليها ) يدل أيضاً على ذلك ( الثاني ) يدل هذا القول منهم على جد الرسول عليه السلام واجتهاده في صرفهم عن عبادة الأوثان . ولولا ذلك لما قالوا ( إن كاد يضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها ) وهكذا كان عليه السلام بابه في أول الأمر بالغ في إيراد الدلائل والجواب من الشبهات وتحميل ما كانوا يفعلونه من أنواع السفاعة وسوء الأدب ( الثالث ) أن هذا يدل على اعتراف القوم بأنهم لم يعترضوا إية على دلائل الرسول <sup>عليه</sup> وما عارضوها إلا بحصص الجعود والتفليد لأن قولهم ( لولا أن صبرنا عليها ) إشارة إلى الجعود والتفليد . ولو ذكروا اعتراضاً على دلائل الرسول عليه السلام لكان ذكر ذلك أول من ذكر مجرد الجعود والإصرار الذي هو دأب الجهال . وذلك يدل على أنه القوم كانوا متقربين تحت حجته عليه السلام . وأنه ما كان في أيديهم إلا مجرد الوقاحة ( الرابع ) الآية تدل على أن القوم صاروا في ظهور حجته عليه تسليم عليهم كالمجاهدين لأنهم استنزوا به أولاً . ثم وصفوه بأنه كاد يضلنا عن آلهتنا لولا أن قابله بالجعود والإصرار . فهذا الكلام الأخير يدل على أن القوم سلوا له قوة الحجة وكان أفضل والكلام الأول وهو ذاخرة والاستنزاء لا يليق إلا بالجاهل العاقر . فالقوم لما جحدوا بين هذين الشكلين دل ذلك على أنهم كانوا كالتحيرين في أمره . فشارة بالوقاحة يستنزئون منه وتزاد بصحة صحة لا يليق إلا بالجاهل الكاذب . ثم إنه سبحانه كما حكى عنهم هذا

الكلام زيف طريقتهم في ذلك من ثلاثة أوجه ( أولها ) قوله ( وحرف يدلون حين يرون العذاب من أضل سبيلا ) لأهم لنا وصفوه بالإضلال في قولهم ( إن كاذبينا ) بين تعالى أنه سيظهر لهم من الضلال ومن الضلال عدد مشادة العذاب التي لا يحصى لهم منه فهو وعيد شديد لهم على التماس والإعراض عن الاستدلال والتفكير ( وثانيها ) قوله تعالى ( أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ) فأنت تكون عليه وكيفا ) والمعنى أنه سبحانه بين أن بلوغ هؤلاء في جملة أفعالهم وإعراضهم عن الدلائل إنما كان لاستيلاء التقليد عليهم وأهم اتخذوا أهواءهم آلهة ، فكل ما دام الهوى إليه اتخاذه آله . سواء مع الدليل منه أو لم يمنع ، ثم هنا أبحاث :

( الأول ) قوله ( أفرأيت ) كلمة أصلح للاعلام والمؤال . وهذا هو تعجب من جهل من هذا وصفه وفسته .

( الثاني ) قوله ( اتخذ إلهه هواه ) معناه اتخذ إلهه ما هواه أو إلهه هواه . وقبل هو مغلوب ومعناه اتخذ هواه إلهه . وهذا ضيق . لأن قوله ( اتخذ إلهه هواه ) يعيد المحصر ، أي لم يتخذ نفسه إلهاً إلا هواه . وهذا المعنى لا يحصل عند القاب . قال ابن عباس : الهوى إله عبده . وقال سعيد بن جبيرة كان الرجل من المشركين يعبد الصنم فإذا رأى أحسن منه وماه واتخذ الآخر وعبد .

( الثالث ) قوله ( فأنت تكون عليه وكيفا ) أي سافهاً تحفظه من اتباع هواه أي لست كذلك ( الرابع ) فغير هذه الآية قوله تعالى ( لست عليهم بمبصر ) وقوله ( وما أنت عليهم بمبار ) وقوله ( لا إكراه في الدين ) قال الكاظمي : نسخنا آية القتال ( وثالثها ) قوله ( أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ) أم هنا متقطعة . معناه بل تحسب ، وذلك يدل على أن هذه الآية أشد من التي تقدمنا حتى حقت بالإضراب عما إليها ، وهي كونهم مسلوبو الأسماع والعقول ، لأنهم لشدة غناهم لا يصغون إلى الكلام ، وإذا سمعوه لا يفكرون فيه ، فكأنه ليس لهم عقل ولا سمع البتة ، فبعد ذلك شبههم بالانعام في عدم انتفاعهم بالكلام وعدم إغنائهم عن التدبر والتفكير وإقبالهم على الذات المحاصرة الحسية وإعراضهم عن طلب السعادات الباقية العلية وهما عناصر الآلات :

( السؤال الأول ) لم قال ( أم تحسب أن أكثرهم ) تحكم بذلك على الأكثر دون الكل ؟

( والجواب ) لأنه كان بينهم من يعرف الله تعالى ويعقل الحق ، إلا أنه ترك الإسلام لمجرد حب الرئاسة لا للجهل .

( السؤال الثاني ) لم جعلوا أضل من الأنعام ؟ ( الجواب ) من وجوه ( أحدها ) أن الإنعام تنقاد لأمر ربها ولذات يدها وتبذلها وتبذلها بين من يحسن إليها وبين من يسيء إليها . وتطلب ما ينفعها وتجنب ما يضرها ، وعقولا لا يتقاعدون لربهم ولا يميزون بين إحسانه إليهم وبين إساءة الشيطان إليهم الذي هو عدوهم ، ولا يعطون الثواب الذي هو أعظم المنافع ، ولا ينجرون من العقاب الذي هو أعظم المضار ( وثانيها ) أن قلوب الأنعام كما أنها تكون غائبة عن المطهي

أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٨٧﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٨٨﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٨٩﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٩٠﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ بَقْعَةً مِيثَاقًا وَنُغَيِّرَ بِهَا خَلْقًا آخَرَ وَأَنَّا بِيَوْمِ كَيْدِهِمْ

حالة من الجبل الذي هو اعتقاد المعتقد على خلاف ظاهر عليه مع الصميم ، وأما هؤلاء ، فكلهم كما حلت من العلم فقد انقضت بالجلل فإنهم لا يعلمون ولا يعلمون أنهم لا يعلمون ، من هم بصرون على أنهم يعلمون ، وإثباتها بأن عدم علم الأعلام لا يضر أحدا ، أما جعل هؤلاء ، فانه مشأ للضرورة العظيم ، الأسماء يسدون الناس عن سيرة الله ويغريها عوجاً ( ورأينا ) أن الأعلام لا تعرف شيئاً ونكتهم ما حرون عن الطلب ، وأما هؤلاء ، الجاهل فإنهم ليسوا عاجزين عن الطلب والمخروم من طلب المراتب الدنية إذا عجز عنه لا يكون في استحقاق المم كالفقر عليه التارك في سوء اختياره ( ورأينا ) أن جهالة لا تصحقي عقاباً عن عدم العلم ، أما هؤلاء ، فإنهم يستحقون عليه أحسن العقاب ( ورأينا ) أن اليهائم تصبح الله تعالى على مذهب بعض الناس على ما قال ( وإن من شيء إلا يسبح بحمده ) وقال ( ألم تر أن الله يجعل له من في السموات ) إلى قوله ( والدواب ) وقال ( والطيور صافات كل قد علم صلواته وتسبحه ) وإذا كان كذلك فعدال المكلف أحد وأعلم من خلال هذه الأعلام .

في السور الثلاث ( ) أنه سبحانه ما ياتي عن عدم السمع والعقل ، فكيف ندمهم على الإغراض عن الحق وكيفية بعد الرسول ( لهم فتن من شرط تشكك العقل ) ( الخواص ) ليس المراد أنهم لا يعلمون بل باسم لا يفهمون بذلك العقل ، فهو كقولنا انزل الله من السماء بغيره ، وإلا لم يفهم ، إنما أنت أممي وأصم

قوله تعالى : ﴿ ألم تر إلى ربك كيف مده الظل ولو شاء لجعله ساكناً ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً ﴾ ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً ، وهو الذي جعل لكم الليل لباساً والنوم سباتاً وحصل السبات نشوراً وهو الذي أرسل الرياح دفراً بين يدي رحمته وأنزلنا من السماء ماء طهوراً ، انتهى به هذه الآية وقضية ما حدثنا الأستاذ وأستاذ كبراً ﴿

اعلم أنه تعالى لما بين جمل المرصدين عن دلائل الله تعالى وفساد طريقتهم في ذلك ذكر بعده أنواعاً من الدلائل الدالة على وجود الصانع .

( النوع الأول ) الاستدلال بحال أصل في زيادته وقصافته وتغيره ، من حال إلى حال . وفيه مسائل :

❖ المسألة الأولى ❖ قوله ( الم تر ) فيه وجهان ( أحدهما ) أنه من رؤية العين ( والثاني ) أنه من رؤية القلب يعني العلم ، فإن حملناه على رؤية العين فالتعني الم تر إلى الظن كيف سمع ذلك وإن كان يخرج لفظه على عادة العرب أفصح وإن حملناه على العلم وهو اختيار الزجاج ، فالتعني الم تعلم وهذا أولى وذلك لأن الظن إذا جمعتاه من البصرات فتأثير قدرة الله تعالى في عهده غير مرفى بالإغنى . ولكنه معاروم من حيث إن كل متغير جازر وكل جازر طه مؤثر فحمل هذا المعط على رؤية القلب أولى من هذا الوجه .

❖ المسألة الثانية ❖ اختطّب بهذا الخطاب وإن كان هو الرسول عليه السلام بحسب ظاهر اللفظ ولكن الخطاب عام في المعنى ، لأن المقصود من الآية بيان نعم الله تعالى بالظن ، وجميع المكلفين مشتركون في أنه يجب عليهم لهذه الهدية وتمكنهم من الاستدلال بها على وجود الصانع

❖ المسألة الثالثة ❖ الناس ما كثروا في تأويل هذه الآية والكلام المختص يرجع إلى وجهين ( الأول ) أن الظن هو الأمر المتوسط بين الصور الحاصلة وبين الظن الخاصة وهو ما بين ظهور الفجر إلى طغوع الشمس ، وكذلك الكميات الجامعة داخل الصفات وأقرب المادرات وهذه الحالة أصيب الاحتال لأن الظن الخاصة يكرها الطمع ويفر عنها الخس . وأما الصورة المختص وهو كيفية انقائض من الشمس فهي نفوتها نهر الخس البصري وفيد السخونة القوية وهي مؤذنة . فادّ أصيب الأحوال هو الظن ولذلك وصف الجانب به فقال ( وظن بسود ) وإذا ثبت هذا فنقول إنه سبحانه بين أنه من نعم العظيمة والمنافع الجليلة ، ثم إن الأمر إلى الجسم الملوب وفقد الظن كأنه لا يشاهد شيئاً سوى الجسم وسوى اللون . ونقول الظن ليس أمراً ثابتاً ، ولا يعرف به إلا إذا طغيت الشمس ووقع هدوءها على الجسم زال ذلك الظن فلول الشمس ووقوع ضوئها على الأجرام لما عرف أن للظل وجوداً ومهابة لأن الأشياء إنما تعرف بإصداها ، فلول الشمس لما عرف الظن ، ولولا الظن لما عرف النور ، فكأنه عبادله وتعالى لما طلع الشمس على الأرض زال الظن ، حينئذ ظهر للقول أن الظن كيفية زائدة على الجسم واللون . فلماذا قال سبحانه ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً أي خلقنا الظن أولاً بما فيه من المنافع والهديات ثم إننا هدينا القول إلى معرفه وجوده بأن أمالنا الشمس فكانت الشمس دليلاً على وجود هذه النعمة ، ثم جعلناه أي أنزلنا الضل لا دفعه بل يسيراً يسيراً قال كلما ازداد ارتفاع الشمس ازداد نقصان الظن في جانب المغرب ، ولما كانت الحركات الكائنة لا توجد دفعة بل يسيراً يسيراً فكيفما زوال الإطلاق لا يكون



فمنه من يسيراً يسيراً ، ولأن بقض الليل لو حصل دفعة لا خلت المصالح . ولكن بعض يسيراً يسيراً بقدر منه أن يحاص المصالح العام . والمراء ما نقص الإزالة والإعدام . هذا أحد التأويلات .

( التأويل الثاني ) وهو أنه سبحانه وتعالى لما خلق الأرض والسماء وحقق أنكموا كب والشمس ، وانهم واقع الض على الأرض ، ثم إنه سبحانه خلق الشمس دليلاً عليه وذلك لأن بحسب حركات الأجواء تتحرك الأطلال . فاجها متعاقبان ملازمان لا فاعله جها . وبغضار ما يزاد أحدهما ينقص الآخر . وكما أن الملهدي يتقدم بالحسنى والتأليل وبلازمة . فكذا الأطلال كأنها موهنية وملازمة للشمس ، فلهذا جعل الشمس دليلاً عليها .

ولما قوله ( ثم قبضها أيضاً قبضاً يسيراً ) فإذا أن يكون المراد من أنها الأطلال يسيراً يسيراً إلى غاية نقصانها . فمن إرادة الأطلال قبضاً لها أو يكون المراد من قبضها يسيراً قبضاً عند قيام الساعة . وذلك بقض أسبها وهي الأجرام التي تلي الأطلال وقوله ( يسيراً ) هو كقوله ( ذنبت حشر عذاباً يسيراً ) وهذا هو التأويل الملتزم .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ وجه الاستدلال في على وجود المصالح المحسن أن حصول تظليل أمر يقع الاحياء والتغلاء ، وأما حصول الضرر المحسن ، أو العلة العارضة ، فهو ليس من باب المنافع ، فمصول ذلك الظل ، إما أن يكون من الواجبات أو من الجائزات ، والاول باطل وبلا ما تشارك في التغيير إليه ، لأن الواجب لا يغير فوجب أن يكون من الجائزات ، فلا بد له في وجوده بعد عدمه . وعدمه بعد الوجود . من مصالح قادر مبدع فمنه يتصور ما هو منافع . وما ذاك إلا من يقدر على تحريك الأجرام العلوية وتدير الأديم الضخمة وترقيتها على الوجه الأمثل . والترتيب الأكمل ، وما هو إلا أنه سبحانه وتعالى . فإن قيل الظل عارضة عن عدم الضم . مما شأنه أن يضيئ . فكيف يستدل بالأمر المدس على ذاته . وكيف عدوه من الضم ؟ فلما تظلل ليس عدماً محضاً ، بل هو أضواء مخلوطة بظلم ، والمرتبة أن تظلل عارضة عن ضوء . حتى وهو أمر وحيد ، وفي تحقيقه وبسطه كلام دقيق يرجع فيه إلى كتب العقلة .

﴿ النوع الثاني ﴾ قوله تعالى : وهو الذي جعل لكم الليل نائماً ، وأنتم سائناً وجعل أنهاراً تتدفق ( اعلم أنه تعالى في الليل من حيث إنه يستر الكون ويغطي بالظلمة السائر مدد ، وبه على ما نأهجه من انفع بقوته ( وأنتم سائناً ) والسائت هو الراحة وجعل النوم سائناً لأنه حسب الراحة ، قال أبو سلم السائت الراحة . ومنه يوم السبت لما جرت به العادة من الاستراحة فيه ، ويقال للليل إذا استراح من تعب العلة مديوت . وقال صاحب الكتاب السائت الموت والموت الميت لأنه معطوح أخيه قال . وهذا كقوله ( وهو الذي يشوقكم بالليل ) وإنما خلا إن تفسيره بلموت لول من تفسيره بتراحة . لأن الشوق في مقابلته بألمه . قال أبو مسلم : وجعل النهار نشوراً . هو معنى الانتصار والحركة كما سمي تعالى يوم الإنسان وفاة . فقال زافه بنو الأعرس

حين موتها ( والو لم تبت في مناهي كذبت وفي بين تقابل من البرق والقيام من الموت في القسبة بالشور ، وهذه الآية مع دلالتها على قدرة الخالق بها إظهار شدة غيظه ، لأن الاحتجاب بشراً الليل كرم فيه الكثير من الناس من فولد ديبية ودعوية ، واليوم والبقعة شهما بالموت وأخيه ، وعن الخزان أنه قال لآلته : أذا تمام فواقض ، كذلك تموت متحترق .

في شروع الثالث في قوله ( وهو الذي أرسل الرياح بشراً بين يدي رحمة ) وقد تقدم تفسيره في سورة الأعراف ، ثم فيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ في : الرياح والرياح : قاله الزجاج : وفي آخره حصة أو وجه يصنع النون ويقضيها ويقض نون ويندب ويهله الموحدة مع ألف والموت ويوترا بالتنون : قال أبو مسلم من وأبشرا أراد مع بشير مثل قوله تعالى ( ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات ) وأما ذلك فن ظهر في معنى قوله ( وتبشيرات فترا ) وهي الرياح ، والرحمة الخفيف والماء ، والمطر .

﴿ المسألة الثانية ﴾ قوله ( وأنزلنا من السماء ماء طهوراً ) نص في أنه تعالى يرسل الماء من السماء ، لأن السحاب . وفول من يقول : سحاب سماء صوب لأن ذلك بحسب الاشتقاق ، وأما بحسب وضع اللفظ والسماء اسم لهذا السقف المعلوم فصره عنه ترك للظاهر .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ اختلفوا في أن الطهور ما هو ؟ قال : كثير من العلماء : الطهور ما يظهر به كالماء وما يظفر به ، والحر ما يتحجر به وهو مروي أيضاً عن أنس ، وأبو بصير صاحب الكشاف ذلك . وقال ليس قول من التعميل في شيء . والظاهر عن وجوه في تعرية صفة واسم غير صفة ملصقة قولك ( ماء طهور ) كذلك ظاهر ، والاسم قولك طهور لما يظهر به . كالموسى والموثود لما يترسأ به ويولد به الماء . حجة نقول لأول قوله بأنه السلام والقراب طهوراً فاسم ولولم يحد الماء عشر حجج ، ولو كان معنى الطهور الطاهر لكان معناه قراب طاهر للمسلم وسواء لا ينظم الكلام ، وكذلك قوله غلبه السلام « طهور إذا أحدكم إذا وقع الكلب فيه أن يمسسه به » ، ولو كان الطهور الطاهر لكان معناه طاهر إذا أحدكم ، حيث لا ينظم الكلام . ولاه تعالى قال ( وينزل عليكم من السماء ماء فاعلموا أنه من الماء ) ، ومن أن اقتصر من الماء إنما هو الطهور ، فوجب أن يكون المراد من قوله طهوراً أنه هو الطهور ، لأنه تعالى ذكره في معرض الإنعام ، فوجب عمله على الوصف الأكمل . ولا شك أن الطهور أكمل من الطاهر

﴿ المسألة الرابعة ﴾ نعم أن الله تعالى ذكر من منافع الماء أربع : ( أحدها ) ما يتعلق بالحيات ( والثاني ) ما يتعلق بالخيرات ، أما أمر شيك قوله ( لحيي به بلدة ميتاً ) وفيه حوالاة : في السؤال الأول لم قال لحيي به بلدة ميتاً ولم يقل ميتة ؟ ( الجواب ) لأن الميتة في معنى الذي في قوله ( فضاء إلى عذب ) .

في السؤال الثاني في ما المراد من حياة البلد وموتها ؟ ( الجواب ) الناس يسمون ما لا حارة فيه من الأرض موتاً ، وسببها المعنى شأنتها إحياء لما

(الحوال ثالث) أن جماعة الطبائعين (١) وكذا الكهني من المعتزلة قالوا إن جميع الأرض والماء وتأثير الشمس فيها يحصل بالبات وتمسكوا بقوله تعالى (لحي به بدة مبت) فإن الباء في به تقتضي أن الماء تأثيراً في ذلك (الحوال ث) طاهر وإن دل عليه السكت استكملون تركوه لقيام الدلالة على فساد الطبع. وأما أمر الحيو ان حوله سبحانه (و سببه ما خلقنا أنعاماً وأناسي كثيراً) فنه من الآلات :

(السؤال الأول) : فحسن الإنسان والإنعام هنا بالذكر نوع الطير والوحش مع اشتعاع الكل بالإنعام (الجواب) لأن الطير والوحش يبعد في طلب ما لا يعوزها تشرب بخلاف الإنعام لأنها خبة الأناسى وطاعة منافعهم مختلفة بما فكان الإنعام عليهم حتى أناسهم كالإنعام عليهم بنعيم .

(السؤال الثاني) : ما معنى تشكير الإنعام والالاسى وصفها بالكثرة ؟ (الجواب) معناه أن أكثر الناس يحتمسون في البلاد القريبة من الأودية والأنهار وما يقع لديهم في خفة في شرب المياه عن المضار وكثير منهم لا لون في المياه فلا يجدون المياه تشرب إلا عند نزول المطر وذلك قوله (فشيء من يشرب) يريد به بعض بلاد هؤلاء المشايخ عن مظان الماء ويحتل في كثير أن يرجع إلى قوله (وسقيته) لأن المطر يحتاج إلى الماء حالاً بعد حال وهو مخالف لقائات الذي يكفيه من الماء قدر معين ، حتى لو ريد عليه بعد ذلك لكان إلى تصرف أقرب ، والحيوان يحتاج إلى حاله بعد حاله مادام حياً .

في الموعظة الثالثة لم قدم إحياء الأرواح، وحتى الأنعام على خلق الإناسي (الجواب) لأن إحياء الإناسي حياة أرواحهم وإحياء أرواحهم، فقدم ما هو سبب حياتهم ومميتهم عن سببهم لأنهم إذا ظفروا بما يكون سبباً لأرواحهم وموتهم فقد ظفروا أيضاً لسقياتهم وأيضاً فقولته تعالى (واذا صرفناه بهم) يعني صرف البطار كل سنة إلى حارة أخرى، وإذا كان كذلك فلا يسبق لكل منه ما ينسب كل سنة إلى إنسان كثيره.

(سؤال الرابع) ما الإنسي؟ (الجواب) قال الفراء والزجاج الإنسي والأنسي كل كرسى  
والنكرسي، ولم يبق كثيرين لأنه قد جاء قبل معددا وبرز به كثرة كقولهم (وقروا بينك  
كثيرا) (وحسن أو شك ربيعا) وأعلم أن الغداة قد استعملت أحكاما منها من قوله تعالى (وأولها  
من السماء ماء مظهر) ونحوه فذكر ابن مسعود تلك المسائل فقولهم مظهر (أوحدها) لأن  
الماء مظهر (وتثاني) لأن ماء الماء من هو مظهر أم لا؟ (الغفر الأول) لأن قول الماء يمان  
لا يغير أو يغير الغفر الأول وهو الذي لا يغير هو ظاهر في ذاته مظهر شيء، إلا أن الماء المتعدي

[illegible]

فيه عند الشافعي طاهر وليس يطهر . وقال مالك والثوري يجوز الوضوء به ، وقال أبو حنيفة في رواية أن يوسف إنه نجس فيها سائل :

❦ **المسألة الأولى** ❦ في بيان أنه ليس يطهر ، ودليلنا قوله عليه السلام : لا يتصل أحدكم في الماء الدائم وهو نجس ، ولو بقي الماء كما كان طاهراً طاهراً لما كان للنجس منه معنى . ومن وجه القياس أن النجاسة كانتا يتوضؤون في الأسفار وما كانوا يجمعون تلك النجاس مع عليهم باحتياهم بعد ذلك إلى الماء ، ولو كان ذلك الماء طاهراً لمخلو ليوم الحاجة ، واحتج مالك بالأية والحبر والقياس . أما الآية فمن وجهين ( الأول ) قوله تعالى ( وانزلنا من السماء ماء طهوراً ) وقوله ( وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ) فذلك الآية على حصول وصف الطهيرة للماء . والأصل في الثابت بخلافه . فوجب الحكم بقدر هذه الصفة للماء . بعد صيرورته مستملاً ، وأيضاً قوله ( طهوراً ) يقتضي جواز التطهر به مرة بعد أخرى ( والثاني ) أنه أمر بالتفصيل مطلقاً في قوله ( فاعلموا ) واستعمال كل الماءات غسل ، لأنه لا معنى للماء بل إلا أنسار الماء على العذر . قال الشاعر :

فيا حسنبا إذا يغسل الدمع كلها

فمن اغتسل الماء المستعمل فقد أتى بالغسل ، فوجب أن يكون مجزئاً له لأنه أتى بما أمر به فوجب أن يخرج عن العبرة ( وأما السنة ) فإروى أنه عليه السلام : توضأ فمسح رأسه بفعل ما في يده ، وعنه عليه السلام : أنه توضأ فأخذ من بلل لحية فمسح به رأسه ، وعن ابن عباس أنه عليه السلام : اغتسل فرأى لحة في جسده لم يصبها الماء ، فأخذ شجرة عابها بال فأمسها على تلك اللحة . ( وأما القياس ) فإنه ماء طاهر نقي حسناً طاهراً طاهراً ما إذا نزل حواء أو حديداً . وكذا الماء المستعمل في الكثرة الرابعة والمستعمل في شربة والتطبخ ، ولأنه لا خلاف أنه إذا وضع الماء على أعلى وجهه وسقط به فرض ذلك الموضع ، ثم نزل ذلك الماء بيته إلى بقية الوجه فإنه يجزيه مع أن ذلك الماء صار مستملاً في أعلى الوجه .

❦ **المسألة الثانية** ❦ الدليل على أن الماء المستعمل طاهر ، قوله تعالى ( وانزلنا من السماء ماء طهوراً ) ومن السنة أنه عليه السلام : أخذ من بلل لحية ومسح به رأسه ، وقاله خلق الماء طهوراً لا ينجسه شيء ، إلا ما غير مادته أو ربحه أو لونه ، وقال الشافعي : إنه عليه السلام توضأ ولا شك أنه أصابه ما قد احتل منه ، ولم ينقل أنه غير نوبه ولا أنه غسله ، ولا أحد من المسلمين فعل ذلك . فثبت أنهم أجبروا على أنه ليس بنجس . ولأنه ماء طاهر لقي نجس طاهراً فأشبه ما إذا لاق حجارة .

❦ **المسألة الثالثة** ❦ الماء المستعمل إما أن يكون مستملاً في أعضاء الوضوء أو في غسل الثياب ، أما المستعمل في أعضاء الوضوء فإما أن يكون مستملاً فيها كان فرضاً وعبادة ، أو فيها كان فرضاً ولا يكون عادة ، أو فيها كان عبادة ولا يكون فرضاً ، أو فيها لا يكون فرضاً ولا عبادة .

( وأما القسم الأول ) وهو المستعمل فيما كان فرضاً وعبادة فهو غير طاهر باتفاق أصحاب الشافعي . ( وأما القسم الثاني ) فهو كالسائل الذي استعملته الذميمة التي تحت أزواج المسلم ، أي في غسل

حيثما جعل للروح غشائها : ولما غشم ثلثات ) في كل سنة المستعمل في الكثرة التامة والثبات .  
 وإما المستعمل في تجريد الوضوء ، ولما استعمل في الأفعال المندوبة ، فالحساب التام في  
 هذين القسمين وحده . ( ولما غشم الرابع ) هو كلمة المستعمل في الكثرة الزائدة . وفي التبريد  
 والتلطيف . فذلك الثاني المحل الثاني غير مضمحل . وهو مادة مطهر . أما لفظ المستعمل في  
 عمل الثياب ، فاعلم أن من مادة مطهر إضافة واحدة ، يستحب أن يضاف ثلاثة . فالمضطر  
 في الكثرة التامة والثالثة مطهر على الأصح ( الضم الثاني ) الماء الذي يتغير بقول الله إذا تبرأ  
 وما أن يتغير نفسه أو غيره . أما الأول فكالتغير بطول المكث فحور الوضوء به ، لأنه عبء  
 السلام كان يوشع من أثر فضائه . وكان ماؤها كأنه فضاة لحاء . وأما الثاني فسبب جود مكث  
 الغير لما أن لا يكون متصلا به أو يكون متصلا به . أما الثاني لا يكون متصلا به فهو كالو فاع  
 بقرب الماء جبهة فصل الماء متصلا به أو يكون متصلا به . وأما إذا تغير بسبب شيء متصل به  
 فذلك المتصل إما أن يكون طاهرا أو نجسا أو قديرا أو كونا ( إما أن كان طاهرا فهو إما أن لا يخالطه  
 أو يخالطه ، فإن لم يخالطه فهو ككلام الغير بسبب رفع اليد واللبس والماء والغبر والنجاسة  
 السلب فيه . وهذا أيضا مطهر كما لو كان قرب الماء جبهة . ولأن نظرية إلهة نورية أو ثبات  
 من أسماء ما شهوراً ) والأصل في ثلثات بقاءه . وأما الغير بسبب شيء يخالطه . وذلك فالحال  
 إما أن لا يمكن صوته فلا يسمع أو يمكن . أما الذي لا يمكن فكالمسح بالتراب والنجاسة ، أو الأوراق  
 التي تقع فيه و"طحلت العين نوليه فيه . وهذا أيضا مطهر . لأن الظهور في ثبت بالآية ولا حرج  
 عن ذلك غير . فكون مرصعا أهله ( ما جعل عليكم في الدين من حرج ) وكذا لو جرى الماء  
 في طريقه على معدن زبرج أو نورة أو نكل أو وقع شيء ما فيه أو نزع من معدنها . أما إذا  
 تغير الماء بسبب مخالطه ما يستعمل الماء عن جنبه نظر إن كان الغير طيلا . فحينئذ لا يصدق الماء  
 إليه بأن وقع فيه . فغيره . فاسفر طيلا . أو دمع فايض طيلا . حار الوضوء . وعلى الصحيح من  
 المذهب . لأنه ما يسلطه طلاق اسم الماء . وأما إن كان الغير كسرا فإن استحدثت شيئا حديثا  
 كالمزقة لم ينج الوضوء به بالاحتياط . وإن لم يستحدث شيئا حديثا فقد اتفق لا يجوز الوضوء  
 به . وعند أبي حنيفة يجوز .

( في حجة الثاني ) من وجود ( أحدها ) له عليه السلام نوحاً ثم قال وهذا وضوء لا يقبل  
 الله الصلاة إلا به . فذلك الوضوء إن كان واقعاً الماء للغير وحسب أن لا يجوز إلا به . وبالاتفاق  
 ليس الأمر كذلك . ثبت أنه كان بناء غير متغير وهو المطلوب ( وثانيها ) أنه إذا احتلط ماء  
 الوضوء بماء نجس نوحاً الإنسان به . فيعمل لأن بعض الأعضاء من الغسل ماء لورد دون الماء .  
 وإذا كان كذلك فقد وقع التشك في حصول الوضوء . كان يعني المحدث قاناً . والتشك لا يمارض  
 اليقين . وحسب أن يبقى على الحدث . بخلاف ما إذا كان قليلا لا يظهر أثره فإنه حار كالمزوم .

أما إذا ظهر أثره علينا أنه دلي على تنوجه ما ذكرناه ( ونالها ) أن الوضوء . تهـ لا يغفل معناه ، فإنه لو توجهاً بما . الورد لا يصح وضوؤه . ولو توجهاً بالمال الكدر المتدفن صبح وضوؤه . وما لا يغفل معناه . وجب الاختصار فيه على مورد النص وترك القياس .

( حجة أبي حنيفة ) وجوه ( أحدها ) قوله تعالى ( وأنزلا من السماء ماء طهوراً ) ذلك الآية على كون الماء مطهوراً والأصل في الثابت بقاؤه ، فوجب بهذا هذه الصفة بعد التعر بالخاطئة ( ونالها ) قوله تعالى ( فاعسلوا ) أمر بمطلق الغسل وقد أتى به فوجب أن يخرج عن الصفة وقد بينا تقرير هذا الوجه فيما تقدم ( ونالها ) قوله تعالى ( فلم نجدوا ماء فغلبوا ) خلق جواز التيمم بعدم وجدان الماء وواجب هذا الماء المنقور واحد للماء لأن الماء المنقور ماء مع صفة المنقور ، والموصوف بوجود حال وجود الصفة . فوجب أن لا يجوز له التيمم ( ورابعها ) قوله عليه السلام في البحر وهو الطهور ماءه . ظاهره يقتضي جواز الطهارة به وإن خالفه غيره ، لأن الذي يمتنع إطلاق ذلك ( وخاصها ) أنه عليه السلام أباح الوضوء بذكر الحرة وسؤر الحاضن وإن خالفه شيء من العلماء ( وسادسها ) لاختلاف في الوضوء بماء المملوء والسيول مع تغير لونه بمخالطة الطين وما يكون في الصحارى من الحشيش والنبات . ومن أجل مخالفة ذلك له يرى تارة متغيراً إلى السوداء وأخرى إلى الحرة والصفراء فصار ذلك أصلاً في جميع ما خالف الماء إذا لم يغلب عليه غيره .

اسم الماء القسم الثاني إذا كان المخالط للماء شيئاً نجساً فمن الناس من زعم أن الماء لا ينجس ما لم يتغير بالنجاسة سواء كان قليلاً أو كثيراً وهو قول الحسن البصري والحنفي ومالك وداود . وإليه مال للشيخ الفزاري في كتاب الإجماع ، وقال أبو بكر الرازي مذنب أصحابنا أن كل ما نقيض فيه جرأ من النجاسة أو غلب على الظن ذلك لم يجر استعماله ولا يختلف على هذا المذهب ماء البحر وماء البئر والنفير والراكد والجاري ، لأن ماء البحر لو وقعت فيه نجاسة لم يجر استعمال الماء الذي فيه النجاسة وكذلك الماء الجاري ، ولما اعتبر أصحابنا للنفير الذي إذا حرك أحد طرفيه لم يتحرك الطرف الآخر ، فأنما هو كلام في جهة تغليب الظن في بلوغ النجاسة الواقعة في أحد طرفيه إلى الطرف الآخر ، وليس هو كلامنا في أن بعض المباح الذي فيه النجاسة قد يجر استعمالها ، وبعضها لا يجوز استعماله هذا كله كلام أبي بكر ( وأقول ) من الناس من فرق بين القليل والكثير فمن عده الله بن حرم وإذا كان الماء أربعين قلة لم ينجسه شيء . وعنه ابن عباس رضي الله عنهما والخوض لا يقتل فيه جنب إلا أن يكون فيه أربعون غرباً . وهو قول محمد بن كعب القرظي ، وقال مسروق وابن سيرين : إذا كان الماء كثيراً لا ينجسه شيء . وقال سعيد بن جبيرة : الماء إذا كان لا ينجسه شيء . إذا كان قدر ثلاث قلال ( وقال القاضي ) إذا كان الماء قلتي بقلال فهو لم ينجسه إلا ما غير طعمه أو رجه أو لونه ، وإن كان أقل ينجس لظهور النجاسة فيه .

واعلم أنه يمكن نفسك الصرة قول مالك بوجوه ( أحدها ) قوله تعالى ( وأنزلا من السماء

ماء طهوراً) ترك العمل به في الماء الذي تغير لونه أو طعمه أو ريحه ظهور النجاسة فيه فيبقى فيها عذابه على الأصل (وأنشأ) نوله عليه السلام «خلق الله الماء ضوراً لا ينجسه شيء، إلا ما غمر طعمه أو لونه أو ريحه» وهو نفس في ثياب (وثائبا) قوله تعالى (فاغسلوا وجوهكم) والتموضي، بهذا الماء، قد غسل وجهه فيكون أنياً بما أمر به فيخرج عن النجاسة (ورابها) أن من شأن كل عتاقين كان أحدهما غالباً على الآخر أن يتكفي المذلول بكيفية الدالب فانقطرة من الحبل لم وقفت في الماء الكثير طلعت منه الخليفة عنها وانصفت بصفة الماء، وكون أحدهما غالباً على الآخر إنما يعرف بعلية الحواس والآثار المحسوسة وهي الطعم أو اللون أو الزرع. فلا جرم مهما ظهر طعم النجاسة أو لونها أو ريحها كانت النجاسة غالبية على الماء وكان الماء مستهلكاً فيها. فلا جرم ينبت حكم النجاسة. فإذا لم يظهر شيء من ذلك كان الدالب هو الماء وكانت النجاسة مستهلكة، فيه يغلب حكم الطهارة (وعامها) ما روى عن عمر (أنه) قرأ من جرة فصرية، مع أن نجاسة لوانى التصاري معلومة بظن قريب من العلم، وذلك يدل على أن عمر لم يقول إلا على عدم اتصاف (وسادسها) أن تقدير الماء بمقدار معلوم ولو كان معتبراً كالفئتين عند الشافعي وعشر في عشر عند أبي حنيفة وحتى الله عنه لكان أول المواضع بالطهارة مكر والمدينة لأنه لا أكثر المياه هناك لا الجارية وإلا الرائدة الكبيرة ومن أدرك عصر الرسول ﷺ إلى آخر عصر الصحابة لم ينقل أنهم غاصوا في تقدير المياه بالمقادير المعينة، ولا أنهم سألوا عن كيفية حفظ المياه عن النجاسات وكانت أولى مباهم بتعاطاها العصيان والإساءة الذين لا يعجزون عن النجاسات (وسابعها) إحصاء رسول الله ﷺ للإناء لليرة وعدم معهم الخمر من شرب الماء من أولهم بعد أن كانوا يرون أنها تأكل طاهرة ولم يكن في بلادهم حياض تبلغ السنين فيها وكانت لا تغل في الآبار (وتاسعها) أن الشافعي نص على أن غسله النجاسات طاهرة إذا لم تتغير ونجاسة إذا تغيرت، وأبي فرغ بين أن يلاقى الماء النجاسة بالورود عليها أو بورودها عليه، أي معنى يقول الغافل إن قوة الورد وتغير النجاسة مع أن قوة الورد لا تمنع المخالطة (وتاسعها) أنهم كانوا يستنجون على أطراف المياه الحاررة القليلة، ولا يزالون مذهب الشافعي إذا وقع البول في ماء حار ولم يتغير أنه يجوز لمسه، وإن كان قليلاً، وأبي فرغ بين الحار والراكد، لم يثبت شعري الخرافة على عدم التغير أرى أو على قوة الماء بسبب الجريان (وعاشرها) إذا وقع البول في قلتين ثم فرغتا فكل كوز يؤخذ منه فهو طاهر على قول الشافعي ومعلوم أن البول منتشر فيه وهو طاهر، وأبي فرغ بينه إذا وقع ذلك القليل في ذلك القدر من الماء ابتداءً، وبينه إذا وصل إليه عند اتصال غيره به (وحادسها) عشرها أن الخرافات لم تنزل في الإحصاء الخالية بتوصافها المتشعرون وبغسبون الأيدي والأواني في ذلك القليل من الماء من تلك الحياض مع علمهم بأن الأيدي الباهرة والاحدة كانت توارى عليها ولو كان القدر القليل معتبراً لأشهر ذلك وألغى ذلك إلى حد الزوال، لأن الأمر الذي شدد حاجته

الجمهور إليه يجب بطرحه فتنأى إلى حدائقه ولو لم يكن كذلك بحثنا أنه غير معتبر (وثنائي عشر هام) أننا لو حكمنا  
بجاسة الماء فلا يمكننا أن نحكم بجاسة الماء إن كان في غاية الكثرة مثل ماء الآودية الطبيعية والغدران  
الكثيرة ، فإن ذلك بالأجرام باطل ، فلا بد من التقدير بتقدير معين ، وقد قلنا عن الناس بتدبيرات  
عشقة فليس بعضها أولى من بعض فوجب التمايز والتماثل ، أما تقدير أي حذيفة يعشرون عشر  
فمعلوم أنه مجرد تحكم ، وأما تقدير الناصي بالفتن بنا على قوله عليه السلام : (إذا بلغ المسلمان فتنين لم  
يحل خبثاً) فمضموناً أيضاً لأن الناصي لما روى هذا الخبر ، قال أخيراً في رجل فيكون الراوي مجهولاً ،  
ويكون الحديث مرسلًا وهو عنده ليس بمحمود ، وأيضاً رجم كثير من المحدثين أنه موقوف على ابن  
عمر رضي الله عنه ، سلنا محقق الرواة لئلا يكتفى بحال مجهول على مجهول لأن الفتنة غير معروفة فيها تصلح  
للكون والجره ولكل ما نقل باليد ، وهو أيضاً اسم لقائمة الرجال ولفظة الجليل ، سلنا كون القدم معروفة  
ممكن في متن الخبر اضطراب فانه روى إذا بلغ المسلمان فتنين ، وروى إذا بلغ فتنه ، وروى أربعين  
فتنه ، وروى إذا بلغ فتنين أو ثلاثاً ، وروى إذا بلغ كوزين . سلنا محقق الذين ولكن مذكور الظاهر  
لأن قوله لم يجعل خبثاً لا يمكن إيجازه على ظاهره ، فإن الحديث إذا ورد عليه فقد حله ، سلنا إمكان  
إيجازه على ظاهره لكن الحديث على قسمين خبث شرعي وخبث حقيقي ، والاسم إذا دار بين المسمى  
اللفظي والمسمى الشرعي ، كان حله على المسمى اللفظي أولى ، لأن الاسم حقيقة في المسمى اللفظي  
عجز في المسمى الشرعي ، دفناً للأثر والنفق ، وإذا كان كذلك وجب حله عليه ، والمسمى الشرعي  
فتنبت المستفاد بالفتح قال عليه السلام : ما استنجذته العرب فهو حرام ، إذا ثبت هذا فنقول  
معنى قوله لم يجعل خبثاً أي لا يصير مستفاداً طهراً ، ونحن نقول بوجهه لكن لم يفتنه لا ينحس  
نوعاً ، سلنا أن أفراد من الحديث الجاسة الشرعية لكن قوله لم يجعل خبثاً أي يهتف عن حله  
ومعنى الضعف فأرداه ، فيكون هذا دليلاً على صيرورته نجساً لا على جثاته طهاراً (لا يقال)  
الجواب عن هذه الاستدلال أن يقال إن الشافعي وإن لم يذكر اسم الراوي في بعض المواضع فقد  
ذكره في سائر المواضع فخرج عن كونه مرسلًا ، ولأن سائر المحدثين قد عجزوا اسم الراوي ، فونه بأنه  
وعرف على ابن عمر . قلنا لا ندلم من يحيى بن معين قال إنه جيد الإسناد فحينئذ لم ين ابن عمر وقته  
على ابن عمر ، فقال إن كان ابن عمر وقته فحينئذ بن سلة وقته وقوله الفتنة مجهولة قلنا لا ندلم لأن ابن  
جريح قال في روايته بقلال بحر ، ثم قال ، وقد شاهدت قلال بحره فكانت الفتنة تسع قرنين أو قرنين  
وشيثاً ، قوله في منه اضطراب قلنا لا ندلم لأننا وأنتم توافقنا على أن سائر التقدير غير معتبره فينبى  
ما ذكرناه معتبراً . فونه بأنه مذكور الظاهر قلنا إذا حملناه على الحديث الشرعي اندفع ذلك ، وذلك أولى  
لأن حمل كلام الشارع على الفتنة الشرعية أولى من حمله على المعنى العقلي ، لاسيما وقد حمل على المعنى  
العقلي لزم التعطيل ، قوله المراد أنه بضعف عن حله قلنا صح في بعض الروايات أنه قال : إذا كان  
المسلم فتنين لم ينحس ، ولأنه عليه السلام جعل الفتنين شرطاً لهذا الحكم ، والمحدث على الشرط عدم



عند عدم التوسط وعلى ما ذكره لا يبقى للفتن قاعدة (لأننا نقول) لا شك أن هذا الخبر يتغير  
الصحة بتغيير تخصيص عموم قوله تعالى (وانزلنا من السماء ماء طهوراً) وعموم قوله (وامكن  
يريد بطهركم) وعموم قوله (فاغسلوا وجوهكم) وعموم قوله صلى الله عليه وسلم : خلق الله  
طهوراً لا يبيح شيء ، وهذا المخصص لابد وأن يكون مبدأ عن الاحتمال والاشتباه وفلال  
مخرجية وقول ابن جريج الفتنة سبع فريتن أو فريتين شيئاً ، ليس بمحتملة ، لأن الفتنة كما أنها محمولة  
فكذلك الفرية محمولة فالحال قد تكون كبيرة ، وقد تكون صغيرة ، ولأن الإلزامات أيضاً مخلقة فإزاء  
قال إذا بلغ الماء ثنتين ، وثلاثة أربعين قلت ، وثلاثة أربعين فإذا تداخعت وانما حست لم يجر تخصيص  
عموم الكتاب وأتت الظاهرة الإجماع عن الاحتمال ينشأ هذا الخبر ، هذا تمام الكلام في ضرورة  
قول مالك ، واحتج من حكم بفساد الماء الذي تقع التجاسة فيه بوجوه : (أولها) قوله تعالى  
(ويحرم عليهم الخبائث) والخبائث من الخبائث ، وقال تعالى (لما حرم عليكم الميتة والدم) ،  
وقال في الحر (وجس من عمل الشيطان فاحشوه) ، ومن عليه السلام بقرين قوله : إنها لعنيدان  
وما يذبان في كبر ، إن أحدهما كان لا يسرى من البول والآخر كان يمشي في الجنة ، فحرم الله  
الاشياء تحريماً مطلقاً ، ولم يفرق بين حال انحرافها واختلاطها بالماء ، فوجب تحريم استعمال كل  
ما بقى فيه جزء من التجاسة أكثر ما في الياء أن الدلائل الدالة على كون الماء مطهراً تقتضي  
جواز تطهيره به ، ولكن تلك الدلائل سبعة والدلائل التي ذكرناها حاظرة والمجروح والخطر إذا  
اجتمعوا فالغلبة للمحظر ، ألا ترى أن الحضرة بين رجلين لو كان أحدهما متباعدة جزء وللآخر جزء  
واحد ، أن جهة الخطر فيها أولى من جهة الإباحة ، وأنه غير جائز لواحد منهما وضوؤها فكذلك هنا  
(وثانيها) قوله عليه السلام : لا يبول أحدكم في الماء الدائم ثم يتصل فيه من الخبائث ذكره على  
الإطلاق من غير فرق بين القليل والكثير (وثالثها) قوله عليه السلام : إذا استيقظ أحدكم من  
منامه فليصل فيه ثلاثاً قبل أن يدخلها إلا أنه لا يسرى أبداً يد ، فأمر بقول البدأ احتياطاً  
من تحاشية قد أصابته من موضع الاستنجاء ، ومعلوم أن مثلاً إذا أد حلت الماء لم تغيره ولو لا أنها  
نفسه ما كان الأمر بالاحتياط منها معنى (ورابعها) قوله عليه السلام : إذا بلغ الماء ثنتين لم يصح  
غسله) يدل بمضمومه على أنه إذا لم يبلغ ثنتين وجب أن يحسن الحس ، أجاب مالك عن الوجه الأول  
فقال لا نزاع في أنه يحرم استعمال التجاسة ولكن الجزء المتصل من التجاسة المأثمة إذا وقع في الماء  
لم يطهر فيه لونه ولا طعمه ولا رائحته ، فلم قلتم إن تلك التجاسة بقيت ، ولم لا يجوز أن يقال إنها  
انقلبت عن صفاتها وتغيرت ما قدسناه ، وأما قوله عليه السلام : لا يبول أحدكم في الماء الدائم ،  
فلم قلتم إن هذا النهي ليس إلا ما ذكرتموه ، بل لعل النهي إنما كان لأنه ربما شربه إنسان وذلك  
ما يضر طبعه عنه ، وليس الكلام في نكرة الطبع ، وأما قوله : إذا استيقظ أحدكم من منامه فليصل  
بده ثلاثاً ، فقد أجابنا على أن هذا الأمر استحباب ، فأمر بطلب عليه كيف يكون أمر استحباب

وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٦﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥٧﴾ فَلَا تَطِيعُ الْكَافِرِينَ وَجَهْدُهُمْ بِجَهَادٍ كَبِيرًا ﴿٥٨﴾

ثم يتقدّر أن يكون أمر إيجاب ، ثم قلّم أنه لم يوجه ذلك الإيجاب إلا لما ذكرتموه ؟ ولما قوله عليه السلام : « إذا بلغ الماء ثلثين » فقد سبق الكلام عليه ، ثم بعد النزول عن كل ما نقلناه فهو تحسك بالمعروف والنهي عن المنكر التي ذكرناها متطوعة والمطلوبون راجع على المقهور ، والله أعلم .

( النظر الثاني ) في أن غير المسلم هل هو مطهور أم لا ؟ فقال الأصم والأوزاعي يجوز الوضوء بجميع الماءات . وقال أبو حنيفة يجوز الوضوء بغيره التمر في السفر ، وقال أيضاً يجوز إزالة التجمّات بجميع الماءات حتى تزال أعيان التجمّات . وقال الثوري رضي الله عنه اليهودية مختصة بالماء على الإحلاق ودليله في صورة أخذت قوله تعالى ( فإن لم تجدوا ماء فتيمموا ) أو جب التيمم عند عدم الماء ، ولو جاز الوضوء بالخل أو بغيره لفرغوا وجب التيمم عند عدم الماء ، وأما في صورة الخبث ، فلأن الخلل لو أقاد طهارة الخبث لمكان طهوراً لأنه لا معنى للطهورة إلا الطهر ولو كان طهوراً لوجب أن يجوز به طهارة الحدث لقوله عليه السلام : لا يقبل الله صلاة أحدكم حتى يصح الطهور مواضعه ، وكلية حتى لانه الغاية فوجب انتهاء عدم القبول عند استعمال الطهور وانتهاء عدم القبول يكون بمصول القبول ، ولو كان الخلل طهوراً لحصل باستعماله قبول الصلاة ، وحيث لم يحصل علنا أن اليهودية في الخبث أيضاً مختصة بالماء .

قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ ، ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيراً ، فلا تطيع الكافرين وجهدهم به جهاداً كبيراً ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴾ .

المسألة الأولى : أعلم أنهم اختلفوا في أن الماء في قوله ( ولقد صرفناه ) إلى أي شيء يرجع وذكروا فيه ثلاثة أوجه ( أحدها ) وهو الذي عليه الجمهور أنه يرجع إلى المطر ، ثم من هؤلاء من قال معنى صرفناه أنه أجره في الأجر حتى انتقصوا بالشرب وبالزراعات وأمرهم المعاش به ، وقال آخرون منه أنه سبحانه ينزله في مكان دون مكان وفي عام دون عام ، ثم في العام الثاني يضع بخلاف ما رفع في العام الأول . قال ابن عباس ما علم بأكثر مطراً من عام ، ولكن الله يصرفه في الأرض ، ثم قرأ هذه الآية ، وروى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما من عام بأكثر من عام ، ولكن إذا عمل قوم بالمعاصي حول الله ذلك إلى غيرهم ، فإذا صعدوا جباً صرف الله ذلك إلى القبايل » ( وثانيها ) وهو قول أبي مسلم : أن قوله ( صرفناه ) راجع إلى المطر والرياح والسحاب والأظلال وسائر ما ذكر الله تعالى من الأدلة ( وثالثها ) ( ولقد صرفناه ) أي هذا القول بين الناس في القرآن وسائر الكتب والنصص التي أنزلت على

رسول وهو ذكر إنشاء السحاب وإزالة الغمض ليتذكروا ويستدلوا به على الصانع، والوجه الأول أقرب لأنه أقرب المذكورات إلى الضمير.

﴿المسألة الثانية﴾ قال الجبائي قوله تعالى (ليذكروا) يدل على أنه تعالى يريد من الكل أن يتذكروا ويذكروا ويؤمنوا أن يكفروا ويعرضوا لما صح ذلك، وذلك يقتضئ قول من قال إن الله تعالى يريد للكافرين بكفر، قال ودل قوله (فأبى أكثر الناس إلا كفورا) على قدرتهم على فعل هذا الفد كراهة لو لم يندروا لما جاز أن يقال أبوا أن يفعلوه كما لا يقال في الزمن أبى أن يسي. وقال الكشي قوله (ولقد صرفناه بينهم ليعذروا) حجة على من زعم أن القرآن دال على الكافرين وأنه لم يرد بأنهم أن يؤمنوا لأن قوله (ليذكروا) عام في الكل. وقوله (فأبى أكثر الناس) يقتضى أن يكون هذا الأكثر داحلا في ذلك العام لأنه لا يجوز أن يقال أولئك على فرض ليؤمنوا، فأبى أكثر. يعنيهم - إلا كفورا. واعلم أن الكلام عليه قد تقدم مرارا.

﴿المسألة الثالثة﴾ قوله (فأبى أكثر الناس إلا كفورا) المراد كفران التهمة وجعدها من حيث لا يتذكرون بها ولا يستدلون بها على وجود الصانع وقدرته وإحسانه. وقيل أفراد من الكفور هو الكفر وذلك الكفر إما حصل لأنهم يقولون مطرنا بنو. كذا لأن من جحد كون نعم صادرة من الله، وأضاف شيئا من هذه التهمة إلى الأفلاك والكواكب فقد كفر، واعلم أن التحقيق أن من جحد الأفلاك والكواكب مستغلة بانحصار هذه الأشياء فلا شك في كفره، وأما من قال الصانع تعالى جيبها على حواصير وصفات تقتضى هذه الحوادث، فلهذا لا يبلغ خطوه إلى حد الكفر.

﴿المسألة الرابعة﴾ قالوا الآية دللت على أن خلاف معلوم الله مقدور له لأن كلمة أرادت على أنه تعالى ما شاء أن يبعث في كل قرية نذيرا، ثم إنه تعالى أخبر عن كونه قادرا على ذلك يدل ذلك على أن خلاف معلوم الله مقدور له.

أما قوله تعالى (واو شنا) معناها في كل قرية نذيرا (مألفوا) أن المراد من ذلك تنظيم النبي صلى الله عليه وسلم وذلك لوجه (أحدها) كأنه تعالى بين له أنه مع القدرة على بعثه رسول ونذير في كل قرية غصه بالرسالة وفصله بها على الكل ولذلك أتبعه بقوله (ولا نطع الكافرين) أي لا نوافقهم (والأبى) المراد ولو شنا لخصنا عنك أعيان الرسالة إلى كل العالمين (وبشنا في كل قرية بدبرا) وبشنتك تعمرنا بالامر عليك وأجنتك وفطنتك على سائر الرسل، فقابل هذا الإجلال بالشد في الدين (والأبى) أن الآية تقتضى مرجع اللطف بالنبى لأبى تدل على القدرة على أن يبعث في كل قرية نذير أمثال محمد، وأنه لا حاجة بالخصرة الإلهية إلى عهد النبى. وقوله (ولو) يدل على أنه سبحانه لا يفضل ذلك، فبالنظر إلى الأول يحصل التأديب، وبالنظر إلى الثاني يحصل الإعزاز.

وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذَبَ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحَ أُجَاعٍ وَجَعَلَ

بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَجِجًا مَحْجُورًا ﴿٥٧﴾

لما قوله ( فلا تطلع الكافرين ) فالمراد نهيهم عن طاعتهم ، ودلت هذه الآية على أن النهي عن الشيء لا يقتضي كون الشيء عنه مستثلاً به .

وأما قوله ( وجاهدكم به جماداً كبيراً ) فقال بعضهم : المراد بذل الجهد في الآداب ، والديانة وقال بعضهم : المراد القتال ، وقال آخرون : كلاهما ، والآفة الأولى لأن السورة نكية ، والآخرة بانتقال ورد بعد الهجرة بزمان وإنما قال ( جهاداً كبيراً ) لأنه لو بدت في كل قرية بذيء لوجب على كل نذير بجاهدة قريته ، فاجتمعت على رسول الله تلك الجاهدات وكثر جهاده من أجل ذلك وعظم فقال له ( وجاهدكم ) بسبب كونك نذير كافة القرى ( جهاداً كبيراً ) جامعاً لكل جهاده .

قوله تعالى : ﴿ وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج ، وجعل بينهما برزخاً وحجراً محجوراً ﴾ .

اعلم أن هذا هو ( النوع الرابع من دلائل التوحيد ) وقوله ( مرج البحرين ) أي خلطهما وأرسلهما ، يقال : مرمت الدابة إذا خلطتها نزعى ، وأصل مرسل المخرج الإرسال والخلط ، وقوله تعالى ( فهم في أمر مرج ) صحى الماديين الكبيرين النواصيين بحرين ، قاله ابن عباس : مرج البحرين ، أي أرسلهما في محاربتهما كما ترسل الخيل في المخرج وهما بالفتح ، وقوله ( هذا عذاب فرات ) والمقصود من الفرات الخليج في الددوية حتى يصير إلى الخلاوة ، والأجاج نقيضه ، وأنه سبحانه بقدرته يقصل بينهما ويمتعهما التآزج ، وجعل من عظيم اقتداره برزخاً حائلاً من قدرته ، وهذا سؤالان :

( السؤال الأول ) ما معنى قوله ( وحجراً محجوراً ) ؟ ( الجواب ) هي الكلمة التي يقولها التأمود وقد ضربناها ، وهي هنا واقفة على سبيل المجاز ، كأن كل واحد من البحرين يتمود من صاحبه ويقول له حجراً محجوراً ، كما قال ( لا يفيان ) أي لا يئيبني أحدهما على صاحبه بالمجازة فانقلا البنى كالتأمود ، وهذا جعل كل واحد منهما في صورة الباقى على صاحبه ، فهو يتمود منه وهي من أحسن الاستعارات .

( السؤال الثاني ) لا وجود للبحر العذب ، فكيف ذكره الله تعالى هنا ؟ لا يقال : هذا مدفوع من وجهين ( الأول ) أن المراد منه الأودية العظام كالليل وجيوعون ( الثاني ) أنه جعل في البحار موضعاً يكون أحد جانبيه عذبةً والآخر ملحاً ، لأننا نقول : أما الأول فضعيف لأن هذه الأودية ليس فيها ماء ملح ، والبحار ليس فيها ماء عذب ، فلم يحصل البتة موضع التعجب . وأما

وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا جَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ۚ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٨﴾  
وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۚ وَكَانَ أَتَّكَافُرُ عَلَىٰ رَبِّهِ  
ظَهِيرًا ﴿٥٩﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٦٠﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ  
إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٦١﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ  
بِحَمْدِهِ ۚ وَكَفَىٰ بِهِ يَذُنُوبَ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴿٦٢﴾

الثاني خفيف ، لأن موضع الاستدلال لا بد وأن يكون مطروفاً ، فأما بعض الجوز فلا  
يجس الاستدلال ، لأننا نقول المراد من البحر تحذب هذه الأودية ، ومن الأنجاع البحار  
الكبار ، وجعل بينهما رزخاً ، أي حائلاً من الأرض ، ووجه الاستدلال هنا بين ، لأن العذوبة  
والمالحة إن كانت بسبب طبيعة الأرض أو الماء ، فلا بد من الاستواء ، وإن لم يكن كذلك فلا  
بد من قادر حكيم يخص كل واحد من الأجسام بصفة خاصة معينة .

قوله تعالى ( وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً )

واعلم أن هذا هو ( النوع الخامس من دلائل التوحيد ) وفيه بحثان :

( الأول ) ذكروا في هذا الماء قوتين ( أحدهما ) أنه الماء الذي خلق منه أصول الحيوان ،  
وهو الذي غذاه بقوله ( والله خلق كل دابة من ماء ) ( والثاني ) أن المراد العطش لقوله ( خلق من  
ماء دافئ ) ، ( من ماء مهيئ ) .

( البحث الثاني ) المعنى أنه تعالى قسم البشر قسمين ذوي نسب ، أي ذكرنا بنسب إليهم ،  
فيقال فلان بن فلان ، وفلانة بنت فلان ، وذوات صهر ، أي إناثاً يصاهرن ونحوه ، قوله تعالى  
( لجعل منه الزوجين الذكر والأنثى ) ، ( وكان ربك قديراً ) حيث خلق من الطغفة الواحدة  
نوعين من البشر الذكر والأنثى .

قوله تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ۚ  
وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۚ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ۚ  
وَتَوَكَّلْ عَلَى الْهِلَى الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ يَذُنُوبَ عِبَادِهِ خَبِيرًا ۝ ﴾

واعلم أنه تعالى لما شرح دلائل التوحيد عاد إلى تهجين سيرتهم في عبادة الأوثان ، وفي  
الآية سائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ قيل المراد بالكافر أبو جهل لأن الآية نزلت فيه ، والأولى منه على العموم ، لأن خصوص السبب لا يقدح في عموم اللفظ ، ولأنه أوفق بظاهر قوله ( ويبشرون من دون الله ) .

﴿ المسألة الثانية ﴾ ذكروا في الظهور وجوهاً ( أحدها ) أن الظاهر بمعنى المظاهر ، كالملوك بمعنى الملوك ، وفعل بمعنى مفاعل غير غريب ، والمعنى أن الكافر يظاهر الشيطان على ربه بالعداوة . فإن قيل كيف يصح في الكافر أن يكون مملوئاً للشيطان على ربه بالعداوة ؟ قلنا إنه تعالى ذكر نفسه وأراد دسسه كقوله ( إن الذين يؤذون الله ) ( وثانيها ) يجوز أن يراد مظهر الخفاة ، كقوله ( والملائكة بعد ذلك ظهير ) كما جاء الصديق والحلي ، وعلى هذا التفسير يكون المراد بالكافر المحس ، وأن بعضهم مظهر لبعض على إظهار نور الله تعالى ، قال تعالى ( وإخوانهم يمدونهم في نحي ) ( وثالثها ) قال أبو مسلم الأسفهازي : الظاهر من قولهم ، ظهر فلان بخاص إذا فشا وراء ظهره ، وهو من قوله تعالى ( واتخذتموه وراءكم ظهرياً ) ويقال فيمن يستعين بالشيء : بذه وراء ظهره . وقياس العربية أن يقال مظهر ، أي مستخدم به متروك وراء ظهره ، فجعل فيه ظهري في معنى مظهر ، ومعناه من على الله أن يكفر الكافر وهو تعالى مسندون مكفرون .

أما قوله تعالى ( وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً ) فخلق ذلك بما تقدم ، هو أن الكفار يطلعون المؤمن على الله تعالى وعلى رسوله ، والله تعالى بعث رسوله لنفعهم ، لأنه بعثه لينبئهم على الطاعة ، وينذرهم على المعصية ، فيستحقوا الثواب ويحذروا عن العقاب ، فلا جهل أعظم من جهل من استفرغ جهده في ( إذا شخص استفرغ جهده في إصلاح مهماته دنيأً ودنياً ، ولا يسألهم على ذلك البتة أجراً .

أما قوله ( إلا من شاء ) فذكروا فيه وجوهاً مختلفة ( أحدها ) لا يسألهم على الأداة ، والدعاة أجراً ، ولا أن يشاءوا أن يتفريخوا بالإعناق في الحمد وغيره ، فيحذوا به سبيلاً إلى رحمة ربهم . ونيل ثوابه ( وثانيها ) قال القاضي : معناه لا أسألكم عليه أجراً أنفسى وأسألكم أن تعذبوا الأجر لا تنفسمكم باتخاذ السبل إلى ربكم ( وثالثها ) قال صاحب الكشف : مثله قوله ( إلا من شاء ) والمراد إلا حصل من شاء ، واستأذنه عن الأجر قول ذي شفقة عليك قد سميتك في تحصيل مال : ما أطلب منك ثواباً على ما سميت ، إلا أن تحفظ هذا المال ولا تنفقه . فليس حفظك المال لنفسك من جسر الثواب ، ولكن صورة هو بصورة الثواب ومجاهد باسمه بأداة فائدتين إحداها غلب شبهة التطلع في الثواب من أصله كأنه يقول لك إن كان حفظك ذلك ثواباً ، فاني أطلب الثواب ، والثانية إظهار الشفقة بالغة . وأن حفظك ذلك بحري الثواب العظيم الذي توصله إلى ، ومعنى اتخاذهم إلى الله - سبحانه - نفعهم إليه وطلبهم عنده فالإيمان والصناعة ، وقيل المراد التفرغ بالصدقة والشفقة في سبيل الله .

الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ  
الرَّحْمَنُ فَقُلُ بِهِ خَيْرٌ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا  
نَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿١١﴾

أما قوله ( وتوكل على الخي الذي لا يموت ) فاعلم أن سبجانه ما بين أن الكفار مظاهرون على إيدائه . فأمره بأن لا يطلب منهم أجراً لأنه . أمره بأن يتوكل عليه في دفع جميع المضار . وفي جلب جميع المنافع . وإنما قال ( على الخي الذي لا يموت ) لأن من توكل على الخي الذي يموت ، فإذا مات المتوكل على صار المتوكل ضائعاً . أما هو سبحانه وتعالى فإنه حي لا يموت فلا يصح المتوكل عليه البتة .

أما قوله ( وسبح بحمده ) فهم من حمده على غنى التسليح بالقول . ومنهم من حمده على إيدائه . فأمره أن يذبح لله تعالى عما لا يليق به في توحده وعدله وهذا هو الظاهر ثم قال ( وكني به بذنوب عباده خيراً ) وهذه كلمة يراد بها الجبابة يقال : كني بالعلم جبلاً ، وكني بالآداب عالماً . وهو بمعنى حبلك . أي لا تتعاضد معي في غيري . لأنه غير أحولهم قادر على مكافئهم وذلك وعبد شديد . كأنه قال إن أهدمت معي مخالفة أمره كفأك كله في مجازاتكم بما تستحقون من العقوبة . قوله تعالى : ﴿ الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خيراً . وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفوراً ﴾

اعلم أنه سبحانه لما أمر الرسول أن يتوكل عليه وصف نفسه بأمر ( أوها ) بأنه حي لا يموت . وهو قوله ( وتوكل على الذي لا يموت ) ( وإنا لله ) أنه عالم بجميع المستورات وهو قوله ( وكني به بذنوب عباده خيراً ) ( وإنا لله ) أنه قادر على كل الممكنات وهو المراد من قوله ( الذي خلق السموات والأرض ) قوله ( الذي خلق ) متعطل بقوله ( الخي الذي لا يموت ) لأنه سبحانه لما كان هو الخالق للسموات والأرضين ولكل ما بينهما ثبت أنه هو الخالق على جميع وجوه المنافع ودفع المضار . وأن النعم كلها من جهته فيستلزم لا يجوز التوكل إلا عليه . وفي الآية سؤالات : ( السؤال الأول ) الأيام عبارة عن حركات الشمس في السموات فتقبل السموات لأيام . فكيف قال أنه خلقها في ستة أيام ؟ ( الجواب ) يعني في مدة مقدارها هذه المدة لا يقال الشيء الذي يقتصر بمقدار محدد ويقبل الزيادة والتقصير لا يكون جدياً محضاً . بل لابد وأن يكون موجوداً يلزم من وجوده وجود مدة قبل وجود العالم وذلك يقتضي عدم الزمان ، لأننا نقول هنا

معارض نفس الزمان ، لأن الله المأزومة المحمودة ، بشره أيام لا تحمل خمسة أيام ، والدة المأزومة التي تحمل خمسة أيام لا تحمل عشرة أيام ، يلزم أن يكون للعدة مدة أخرى ، فليس يلزم هذا لم يلزم ما قلناه . وعلى هذا نقول لعل الله سبحانه خلق المدة أولاً ثم خلق السموات والأرض فيها بقدر ستة أيام ، ومن الناس من قال في ستة أيام من أيام الآخرة وكل يوم ألف سنة وهو بعد لأن التعريف لا بد وأن يكون بأمر معلوم لا بأمر مجهول .

(السؤال الثاني) لم قدر الحقن والإيجاد بهذا التدبير ؟ (الجواب) أما على فوائد ناشئة والقدرة كافة في التخصيص ، فالتدبير بل لا بد من داعي حكمة وهو أن نخصص خلق العالم بهذا التدبير أصح للممكنين وهذا بعيد لو جهن (أحدهما) أن حصول تلك الحكمة ، إما أن يكون واجباً لذاته أو جائزاً فإلّا كان واجباً وجب أن لا يتغير ويكون حاصله في كل الأزمنة ، فلا يصلح أن يكون سبباً لتخصيص زمان معين وإن كان جائزاً انقضى حصول تلك الحكمة في ذلك الوقت إلى تخصيص آخر ويلزم التسلسل (والثاني) أن التفاوت بين كل واحد من لا يصلح إليه حاطر المكلف وعنده ، لحصول ذلك التفاوت لما لم يكن مشعوراً به كيف يقدر في حصول المصالح ، واعلم أنه يجب على المكلف سواء كان على قولنا أو على قول المعتزلة أن يقطع الضم عن أمثال هذا الامثلة ، فإنه بحر لا ساحل له . من ذلك تدبير الملائكة الذين هم أصحاب النار تسعة عشر وحلة تعرض بالثانية ويظهر السبب الثاني عشر والسموات بالبيع وكذا الأرض وكذا القول في عدد المخلوقات وحفاد النصب في فركوات وكذا ما يبرر الحسود والتكفارات . فالإقرار بأن كل ما قاله أنه فعل حق هو الدين ، وترك البحث عن هذه الأشياء هو الواجب وقد نص عليه تعالى في قوله (وإن جعلنا أمثال النار إلا ملائكة وما جعلنا محذرين إلا فئة للذين كفروا لينفقوا الذين أوتوا الكتاب ويؤدوا الذين آمنوا إيماناً ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون ، ويقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلاً ثم قال (وما يعلم جنود ربك إلا هو) وهذا هو الجواب أيضاً في أنه لم يخصص في لحظة وهو قادر على ذلك ؟ وعن معبد حبيب أنه إنما خلقها في ستة أيام وهو يقدر على أن يخلقها في لحظة فليها لحظتها الرفق والثقت . فليس ثم خلقها يوم الجمعة فخلقها الله تعالى عبداً للمسلمين .

(السؤال الثالث) ما معنى قوله (ثم استوى على العرش) ؟ ولا يجوز حمله على الإستيلاء والعدرة . لأن الإستيلاء والتقدير في أو صاف أنه لم ترتب ولا يصح دخول ثم فيه (والجواب) الاستفراد غير جائز ، لأنه يقتضي التغيير الذي هو دليل الحدوث ، يقتضي التركيب والخصبة وكل ذلك على الله محال بل المراد ثم خلق العرش ورأسه وهو مستوى كقولهم تعالى (وتبارك من خلقه) فإن المراد حتى يجاهد المجاهدون ونحن هم عالمون ، فإن قبل فعل هذا التدبير يلزم أن يكون خلق العرش بعد خلق السموات . وليس كذلك لقوله تعالى (وكان عرش على الماء) فلا كلمة ثم



ما دخلت على خلق العرش، بل على رفعة على السموات .

(السؤال الرابع) كيف إعراب قوله (الرحمن فاسأل به خيراً)؟ (الجواب) الذي خلق جسداً والرحمن خبره، أو هو صفة ماضية، أو الرحمن خبر مبتدأ محذوف، ولهذا أجاز الزجاج وغيره أن يكون الوقف على قوله على المبرر ثم يندى بالرحمن أي هو الرحمن الذي لا ينفي السجود والتعظيم إلا له، ويجوز أن يكون الرحمن مبتدأ وخبره قوله (فاسأل به خيراً).

(سؤال الخامس) ما معنى قوله (عاشاك به خيراً)؟ (الجواب) ذكروا فيه وجوهاً (أحدها) قال الكلبي معناه عاشاك خيراً به، وقوله (به) يعود إلى ما ذكرنا من خلق السماء والأرض والاحتواء على العرش والبلاد من عنة الخير وذلك الخير هو الله عز وجل لأنه لا دليل في العقل على كيفية خلق الله السموات والأرض فلا يعلمها أحد إلا الله تعالى وعن ابن عباس أن ذلك الخير هو جبريل عليه السلام وإعسا قدم لرسول الآي وحسن الظن (وثانيها) قال الزجاج قوله (به) معناه عنه والمعنى عاشاك عنه خيراً، وهو قول الأخفش. ونظيره قوله (سأل سائل بعذاب واقع) وقال علقمة بن عبدة:

فإن تسألوني بالنساء قلن: يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حقا فربما تكونون تفلحون

(وإنّا) قال ابن جرير البلاء في قوله (به) حسنة والحمى فلسه حبراً ، وغيره أنصب على الحال (ورأيت) أن قوله به يعري يعري الضمير مفعوله (وانتوا) الذي تسألون به .

أما قوله (ولمّا قيل لهم استجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن) فهو خبر عن قوم قالوا هذا القول .  
ويحتمل أنهم جهلوا الله تعالى . ويحتمل أنهم وإن عرفوه لكنهم جحدوه ، ويحتمل أنهم وإن  
اعتبروا به لكنهم جهلوا أن هذا الاسم من أسماء الله تعالى وكثير من المفسرين على هذا القول  
الآخر . قالوا الرحمن اسم من أسماء الله المذكور في الكتب المنفذة . والعرب ما عرفوه قال مقاتل :  
إن أبا جهل قال إن الذي يقول محمد شر . فقال عليه السلام اشعروا بهذا إن هذا إلا كلام الرحمن  
فقال أبو جهل يخ يخ . (معنى واقعه إنه لكلام الرحمن الذي بالجماعة هو بطلانك . فقال عليه السلام  
والرحمن الذي هو إله السيد ومن عنده يأتي التوحى . فقال يا آل غالب من يعتزى من محمد يزعم  
أن الله واحد ، وهو يقول الله يعزى والرحمن . ألم تعلموا أن أسماء الجنان ثم قال ربكم الله الذى خلق  
هذه الأشياء . أما الرحمن فهو مسيب . قاله انقاض والأقرب أن المراد إنكارهم أنه لا إله إلا الله . لأن  
هذه النقطة عروية . وهم كانوا يعلمون أنها ضد المبالغة في الإلهام ، ثم إن قلنا بأنهم كانوا يمكن  
كان قولهم (وما الرحمن) سؤال طالب عن الحقيقة ، وهو يحكى بحرى قول فرعون (وما رب  
المالئتين) وإن قلنا بأنهم كانوا متقين بالله لكنهم جهلوا كونه تعالى مسمى بهذا الاسم كان قولهم  
(وما الرحمن) سؤال عن الاسم .

أعاقبه (أنسجد) تأمرنا) فاللهي للذي تأمرنا به، جوده على غيره أنه من فضله ما خير، أو لأمره

تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴿٣١﴾ وَهُوَ

الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٣٢﴾

لنا ، وقرئ : بأمرنا نابيا ، كان بعضهم قال لبعض أنسجد لها بأمرنا محمد أو بأمرنا المسمى بالرحمن ولا نسرف ماهر ، وزادهم أمره فقرأ : ومن حقه أن يكون باعثا على الفعل والقيول . قال الضحاك فسجد رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعثمان بن حلقون وعمر بن عبد الله ، ولما رأهم المشركون يسجدون تبعوا في ناحية المسجد مستهزئين ، هذا هو المراد من قوله ( وزادهم فقرأ ) أي فزادهم سجودهم خروا .

قوله تعالى : ﴿ تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرأ منيرا ﴾ وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا ﴿ ٣٢ ﴾ .

اعلم أنه سبحانه لما حكى عن التكفار مزيد المنفرة عن السجود ذكر ما لم تفكروا فيه لمرؤسا وجوب السجود والعبادة لرحمن . فقال ( تبارك الذي جعل في السماء بروجا ) أما تبارك فقد تقدم القول فيه . وأما البروج فهي منازل السيارات وهي مشهورة سميت بالبروج التي هي القصور للمالكة لأنها هذه النكوا كب كائنات لساكنها . واشتقاق البروج من التبرج لظهوره ، وفيه قول آخر عن ابن عباس رضي الله عنهما أن البروج هي النكوا كب العظام والأول أول قوله تعالى ( وجعل فيها ) أي في البروج فإن قيل لم لا يجوز أن يكون قوله بها واجبا إلى تسهيل دون البروج أفه لأن البروج أقرب فموضع الضمير إليها أوثق والبراج الشمس فقوله تعالى ( وجعل الشمس سراجا ) وقرئ ( سراجا ) وهي الشمس والنكوا كب الكبار بها وقرأ الحسن ( وقرأ منيرا ) وهي جمع ليلة فراكاه قبل وفاء منيرا . لأن الليل تكون فراق القمر فأضافه إليها ، ولا يبعد أن يكون القمر معنى القمر كاللند والرشد والعرب والندوب . وأما الخلفة فهي قولان : ( الأول ) أنها عيزة عن كون الشيين بحيث أحدهما يهدف الآخر ويأتي خلفه . يقال فلان خلفه واحتلاف إذا اختلف كثيرا إلى منبرزه ، والمضى جعلهما ذوي خلفه أي ذوي عطفية بمقابلة هذا ذاك وذلك هذا . قال ابن عباس رضي الله عنهما جعل كل واحد منهما يخطب صاحبه فبما يحتاج أن يعمل فيه من فراط في من أحدهما صاء في الآخر . قال أنس بن مالك قال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب وقد فاتته قراءة القرآن بالليل ديا من الخطاب لقد أنزل الله عليك آية وتلا : وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر . ما ذاك من التواضع بالليل فأنه في تبارك . وما ذاك من النهار فأنه في ليلك ﴿ القول الثاني ﴾ وهو قول مجاهد وقادة والكسائي يقال لكل شيتين اختفاهما خلفان فهو خلفه أي عنفتين وهذا أسود وهذا أبيض وهذا ضروب وهذا أخضر . والقول الأول أقرب

وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٣٣﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٣٥﴾

أما قوله تعالى ( أن يذكر ) فقرأه العامة بالتشديد وقراءة حمزة بالتخفيف وعن أبي بن كعب يذكر ، والمعنى ينظر التأخر في اختلافا فيعلم أنه لا بد في انتقالهما من حال إلى حال من ناقل ومغير وقوله ( أن يذكر ) راجع إلى كل ما تقدم من التمسك بين تعالى أن الذين قالوا وما لهم لم ينكروا في هذه التمسك وتذكروها لاستدلوها بذلك على عظيم قدرته . ولينكر الشاكرين على النعمة فيهما من السكون بالليل والنصرف بالنهار كما قال تعالى ( ومن رحمة جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتعبثوا من فضله ) أو ليكونا وقتين للثنا كثرين والشاكرين من فاته في أحدهما ورد من العبادة فاهم به في الآخر ، والشكر مصدر شكر يشكر شكرًا .

قوله تعالى : ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونًا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا ، والذين يبتغون لربهم سجدةً وقِيَامًا ، والذين يقولون ربنا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ، إنها سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا . والذين إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ اعلم أن قوله ( وعباد الرحمن ) مبتدأ خبره في آخر السورة كأنه قيل وعباد الرحمن الذين هذه صفاتهم أولئك يمجزون العرفة . ويجوز أن يكون خبره الذين يمشون ، واعلم أنه سبحانه خص اسم العبودية بالمشتغلين بالعبودية ، فدل ذلك على أن هذه الصفة من أشرف صفات المخلوقات ، وقرئ ( وعباد الرحمن ) واعلم أنه سبحانه وصفهم بقسمة أنواع من الصفات :

( الصفة الأولى ) قوله ( الذين يمشون على الأرض هونًا ) وهذا وصف منهم بالنهار وقرئ ، ( يمشون هونًا ) حال أو صفة للشيء بمعنى هين أو بمعنى شبة هيناً ، إلا أن في وضع المصدر موضع الصفة بهالفة . والحقن الرق والحقن . ومنه الحديث وأحب حبيبي هو نأماه . وقوله والمؤمنون مبنون لبنون ، والمعنى أن منهم يكون في لبن وسكنة ووقار وتواضع ، ولا يضربون بأعقابهم أنشأ وجراً ، ولا يتخذون لأجل الخلاء كما قال ( ولا تمش في الأرض مرحاً ) وعن زيد بن

أسلم فتمت خديرة (هوناً) فلم أجد ، فرأيت في النوم دفيل في هم الذين لا يريدون الله في الأرض ،  
وعن ابن زيد لا يسكبون ولا ينجمون ولا يريدون علواً في الأرض

(الصفة الثانية) قوله تعالى ( وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ) معناه لا يحاطلهم ولا  
خير بيننا ولا شر أي أسلم منك تسليماً . فأقيم السلام مقام التسليم . ثم يحتمل أن يكون مرادهم  
طلب السلامة والسكوت . ويحتمل أن يكون المراد التنبيه على سوء طريقهم لكي يتوبوا .  
ويحتمل أن يكون مرادهم التدول عن طريق المداينة . ويحتمل أن يكون المراد إظهار الخلق في  
مغالبة الجهل . قال الأصم ( قالوا سلاماً ) أي سلام توديع لأخيه . كقول إبراهيم لأبيه ( سلام  
عليك ) ثم قال الحكيم وأبو العالقة نسخاً آية القتال ولا حاجة إلى ذلك لأن الإجماع عن نسخها .  
وزك المغالبة مستحسن في العقل والشرع وسبب لسلامة العرض والوديع .

(الصفة الثالثة) قوله ( والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً ) واعلم أنه تعالى لما ذكر  
سيرتهم في النهار من وجهين ( أحدهما ) ترك الإقبال ، وهو الخواص من قوله ( يمشون على الأرض  
هوناً ) والآخر تحمل التأذي ، وهو المراد من قوله ( وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً )  
وكأنه شرح سيرتهم مع الخلق في النهار . فبين في هذه الآيات سيرتهم في الليل عند الاشتغال  
بخدمة الخلق وهو كفوفه [ تتجاف جنوبهم عن المضاجع ] ثم قال الزجاج كل من أدركه الليل  
فبين يات وإن لم يتم كما يقال يات فلان فقفاً . ومعنى ( يبيتون لربهم ) أنبت يكونوا في ليالهم  
مصلين . ثم اختلفوا فقال بعضهم : من قرأ شيئاً من القرآن في صلاة وإن قل . فقد بات ساجداً  
وقائماً . وقيل ركعتين بعد المغرب وأربعاً بعد العشاء الأخيرة . والاول أنه وصف لهم بإحياء  
الليل أو أكثره فقال فلان بقال صائماً وبيد قائماً . قال الحسن يبيتون لله على أقدامهم ويغشون  
له وجوههم تحمى دموعهم على خشوعهم خوفاً من ربهم .

(الصفة الرابعة) قوله ( والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم . إن عذابها كان  
غراماً ) قال ابن عباس رضي الله عنهما يقولون في محرومهم ويقال لهم هذا القول . وقال الحسن  
خشعوا بالهلو وتعبوا بالليل عرفاً من عذاب جهنم ، وقوله ( غراماً ) أي هلاكاً وخساراً متعباً  
لازماً . ومنه القرم لإلحاحه وإلزامه . ويقال فلان مغرم بالأساء إذا كان مولعاً به . وسأل تابع  
ابن الأزد ابن عباس عن الغرام فقال هو المرجع . وعن محمد بن كعب في ( غراماً ) أن سأل  
الكفار نحن نسميها أدوها إليه فأغرمهم فأدخلك النار . واعلم أنه تعالى وصفهم بإحياء الليل  
ساجدين وقائمين . ثم عقبه بذكر دعوتهم هذه إيماناً بأنهم مع اجتهدهم خاطرون مبهلون إلى الله  
في صرف العذاب عنهم كفوفه ( والذين يؤثون ما أنوا وقلوبهم رجة ) .

أما قوله تعالى ( إني أسألك مستغراً ومعتصماً ) فقوله ( سألت ) في حكم ينسب وفيها ضمير مبهم  
تفسيره مستغراً . والمخصوص بالذم محذوف معناه سألت مستغراً ومعتصماً هي . ومستغراً حال أو

تخير . فإن قيل دلت الآية على أنهم ما اتوا الله تعالى أن يصرف عنهم عذاب جهنم لعين : إحداهما أن عذابها كان غراماً ، ( وثانيهما ) أنها كانت مستغراً ومغفراً . فما الفرق بين الوجهين ؟ وأيضاً فما الفرق بين المستغفر والمغفّر ؟ قلنا المتكلمون ذكروا أن عذاب الكافر يجب أن يكون مغفراً خالصة عن شوائب الصفح دأفة . فقوله ( إن عذابها كان غراماً ) إشارة إلى كونه مغفراً خالصة عن شوائب اللغو ، وقوله ( إنها كانت مستغراً ومغفراً ) إشارة إلى كونها دأفة . ولا شك في المعايير . أما الفرق بين المستغفر والمغفّر محتمل أن يكون للمستغفر مقصد من أجل الإيمان فإهم يستغفرون في ثباته ولا يقسمون فيها ، وأما الإغفارة فللغفارة . وإعلم أن قوله ( إنها كانت مستغراً ومغفراً ) يمكن أن يكون من كلام الله تعالى ويمكن أن يكون من كلامه لقومهم .

( الحفة الخامسة ) قوله ( والذين إذا اتفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً ) فرى . يسرفوا بكسر الهمزة وسين الباء . ويقترفوا بضم الباء وتخفيف القاف وكسر التاء . وأيضاً يستمر الباء وتفتح الدال وكسر التاء . وكذا غيرها وكألف العات . والقتر والإفطار والفتقر الضيق الذي هو يقص الإسراف . والإسراف عاوزة الحد في النصفة . وذكر المسرفون في التمرات والتغير وجوهاً ( أحدها ) وهو الأقوى أنه تعالى وحدهم بالقصد الذي هو بين القتر والغفر والغفر ويحل أمر رسول صلى الله عليه وسلم بقوله ( ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تفضلك على اليمين ) وعن عيسى بن النعمان قال لعالم ما أريد الذي لا سرف فيه ؟ قال : ما سرك عن النفس وأنت من الخطر . فقال له الطعام الذي لا سرف فيه ؟ قال : ما سرك من الجوع . فقال له في اليأس . قال : ما سرك من تلك ووقاك من الجوع . وروى أن رجلاً صنع طعاماً في إهلاك فأرسل إلى الرسول عليه السلام فقال : متى فأعيروا بهم صبح الثانية فأرسل إليه فقال : حق من شاء فليجب . ولا طيفعة ثم صنع الثالثة فأرسل إليه فقال : ورياء ولا خير فيه . ( وثانيها ) وهو قول ابن عباس وعاصم وقادة والضعف أن الإسراف الإلهي في مصبة الله تعالى . والإفطار منع حق الله تعالى . قال معاهد : لو أعتق رجل من أبي قيس ذهما في طاعة الله تعالى لم يكن سرفاً . ولو أعتق صائداً في معصية الله تعالى كان سرفاً . وقال الحسن لم يفسدوا في معاصي الله ولم يسكبوا عما ينسى . وذلك قد يكون في الإساءة عن حق الله . وهو أصبح الضيق . وقد يكون مما لا يجب . ولكن يكون مندوباً مثل الرجل الذي الكثير المال إذا أصبح انفراداً من أهله ( وثالثها ) المراد بالسرف مجاوزة الحد في التمتع والتوسع في الدنيا . وإن كان من حلال . فإن ذلك مكروه لأنه يؤدي إلى الخيل . والإفطار هو الضيق . والأكل فوق الشبع بحيث ينقص عن المبدء سرف . وإن أكل بقدر الحاجة فذاك إفطار . وهذه السرفة صفة أصحاب محمد ﷺ كانوا لا يكون طعاماً شتم والله . ولا يلبسون ثوباً للحر والبر . وذكر كانوا يأكلون ما سد جوعهم ولبسهم على جلودهم . ويلبسون ما يسر عودهم ويصنعونهم من الخمر والبر . وهذه مسائل :

وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۖ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ۖ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَبْدُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ۝

﴿ المسألة الأولى ﴾ اقوام قال ثوب : اقوام بالفتح العدل والاستقامة ، وبالكسر ما يردم عليه الأمر ويستقر ، قال صاحب التفسير : اقوام العدل بين الشيئين لاستقامة الطريق واعتدالهما ، ونظير اقوام من الاستقامة السواء من الاستواء ، وقرئ اقواماً بالكسر وهو ما يظلم به الشيء ، يقال أنت قوامنا ، يعنى ما يظلم به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص .

﴿ المسألة الثانية ﴾ المتصويبان أى بين ذلك قولاً جائز أن يكونا خيرين معاً ، وأن يجعل بين ذلك لقولاً رقيقاً مستتراً ، وأن يكون الطرف خيراً وقولاً حالاً مؤكدة ، قال الثوري : وإن شئت جعلت بين ذلك اسم كان ، كما تقول كلن دون هذا كافياً ، زيد أقل من ذلك ، فيكون معنى بين ذلك ، أى كان الوسط من ذلك قولاً ، أى عدلاً ، وهذا التأويل ضيق ، لأن القوام هو الوسط فيصير التأويل ، وكان الوسط وسعاً وهذا لغو .

﴿ الصفة السادسة ﴾ قوله تعالى ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً ، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً ، إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً ، ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متاباً ﴾

اعلم أنه سبحانه وتعالى ذكر أن من صفة عباد الرحمن الاحترار عن الشرك والقتل والزنا ، ثم ذكر بعد ذلك حكم من يفعل هذه الأشياء من العقاب ، ثم استثنى من جهنم ثائب ، وهما مسائل :

﴿ السؤال الأول ﴾ أنه تعالى قبل ذكر هذه الصفة رده عباد الرحمن عن الأمور المنيعة : وكيف يليق بعد ذلك أن يظهر من الأمور المنيعة مثل الشرك والقتل والزنا ، أليس أنه لو كان ترتيب العكس منه كان أولى ؟ ( فاجواب ) أن الموصوف بتلك الصفات المنيعة قد يكون

متسكياً بالشرك تدبياً ومقدماً على قتل الموءودة تدبياً وعلى الزنا تدبياً ، فبين تعالى أن المرء لا يصبر بتلك الحال وحدها من عباد الرحمن ، حتى يضاف إلى ذلك كرمه بجائياً لهذه الكفائر ، وأجاب الحسن رحمه الله من وجه آخر : فقال المقصود من ذلك التنبيه على الفرق بين سيرة المسلمين وسيرة الكفار ، كأنه قال : وعباد الرحمن هم الذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ، وأنهم يدعون ( ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ) وأنهم يقتلون الموءودة ، ( ولا يزنون ) وأنهم تزنون .

( السؤال الثاني ) ما معنى قوله ( ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ) ومعلوم أنه من أجل قتلها لا يدخل في النفس المحرمة فكيف يصح هذا الاستثناء ؟ ( الجواب ) المقضى لحرمته القتل قائم أبداً ، وجواز القتل إذا ثبت بالمعارض فقوله ( حرم الله ) إشارة إلى المقضى وقوله ( إلا بالحق ) إشارة إلى المعارض .

( السؤال الثالث ) بأي سبب يحل القتل ؟ ( الجواب ) بالردة وبالزنا بعد الإحصان ، وبانقضاء قوداً ، على ما في الحديث ، وقيل وبالحاربة وبالبيعة ، وإن لم يكن لها شهيد به حقيقه .

( السؤال الرابع ) منهم من فسر قوله ( ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ) بالردة فهل يصح ذلك ؟ ( الجواب ) لفظ القتل عام فيقتضيه الكل . وعن ابن مسعود وقتك يا رسول الله أي الذنب أعظم ؟ قال أن تجعل نداءً وهو خلفك ، قلت ثم أي ؟ قال أن تقتل ولدك خشية أن يأكل ممتلكاتك ، قلت ثم أي ؟ قال أن تزيى بمجلىة جوارك ، فأقر الله تصديقه .

( السؤال الخامس ) ما الاتهام ؟ ( الجواب ) فيه وجوه ( أحدها ) أن الاتهام جواز الإثم ، حرز الرواية والنكال ( وثانيها ) وهو قول أبي سلمة : أن الاتهام والإثم واحد ، والمراد ههنا جواز الاتهام فأطلق اسم الشيء على جزائه ( وثالثها ) قال الحسن : الاتهام اسم من أسماء جهنم . وقال مجاهد : أكلماً وإد في جهنم ، وقرأ ابن مسعود أكلماً ، أي شديداً ، يقال يوم ذو أتمام قليم العصيب .

أما قوله ( يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً ) فيه مسائل :

➤ المسألة الأولى : يضاعف ، بدل من يلق ، لانهما في معنى واحد ، وقرئ بضغف وتضعف له العذاب بالنون ونصب العذاب ، وقرئ بالرفع على الاستئناف أو على الحال ، وكذا يخلد ويخلد على البناء للمضارع مخففاً ومثلاً من الإخلاد والتخلد ، وقرئ ويخلد بالياء على الانقضاء .

➤ المسألة الثانية : سبب تضعيف العذاب ، أن المشرک إذا ارتكب المعاصي مع الشرك عذب على الشرك وعلى المعاصي جميعاً ، فتضاعف العقوبة لمضاعفة المعاصي عليه ، وهذا يدل على أن الكفار غاطبون بفروع الترانع .

➤ المسألة الثالثة : قال القاضي : بين الله تعالى أن المضاعفة والزيادة يكونان حالهما في الدوام كحال الأصل ، فقوله ( ويخلد فيه ) أي ويخلد في ذلك التضعيف ، ثم إن ذلك التضعيف إنما حصل بسبب المعاصي على المعاصي ، فوجب أن يكون عقاب هذه المعاصي في حق الكافر دائماً ،

وإذا كان كذلك وجب أن يكون في حق المؤمن كذلك ، لأن حاله فيما يستحق به لا يتغير سواء فعل مع غيره أو منفرداً ( والجواب ) لم لا يجوز أن يكون للآيتين الشيء مع غيره أثر في مزيد الصبح ، ألا ترى أن الشيتين قد يكون كل واحد منهما في نفسه حسناً ، وإن كان الجمع بينهما قبيحاً ، وقد يكون كل واحد منهما قبيحاً ، ويكون الجمع بينهما أقبح ، فكذلك ههنا .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ قوله ( وعمله فيه مهمل ) إشارة إلى ما ثبت أن العقاب هو المنع من المصلحة المفقودة بالإذلال والإهانة . كما أن التواب هو المصلحة المفقودة بالمعصية .

أما قوله تعالى ( إلا من تاب ) وأمن وعمل عملاً صالحاً فأقول : يدل الله سبحانه حسنات وكان الله غفوراً رحيماً ) فيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ دللت الآية على أنه التوبة مقبولة ، والاستثناء لا يدل على ذلك ، لأنه أعمت أنه يضاعف له العذاب ضعفين ، فكيف لصحة هذا الاستثناء أن لا يضاعف للعذاب عذاب صومدين ، وإنما دل على قوله ( فأولئك يدل الله سبحانه حسنات ) .

﴿ المسألة الثانية ﴾ قل عن ابن عباس أنه قال : توبة الفاتق غير مقبولة ، وذكر أن هذه الآية مشروطة بقوله تعالى ( ومن يقتل مؤمناً متعمداً ) وقالوا : أين العطف بعد الآية بهذه الآية ، وعن الضعفاء ومقاتل بن سفيان ، وقد تقدم الكلام في ذلك في سورة النساء .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ يؤيد قول العمل الصالح يدخل به التوبة والإيمان ، فكان ذكرهما في ذكر العمل انصافاً حسوا ، فلا أمردهما بالذكر لعمدة شئهما ، ونسأ كان لأحد منهما من سائر الأعمال لأجره ذكر عظيمهما العمل الصالح .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ أحسنوا في المراء بقوله ( فأولئك يدل الله سبحانه حسنات ) على وجود ( أحدهما ) قول ابن عباس ونحوه ومجاهد ، وذلك : لأن الشدين إنما يكون في الدنيا ، فيدل الله تعالى فيما أحسنهم في الشرك بمحاسن الأعمال في الإسلام فيدل بالشرك زماناً ، وبقتل المؤمنين قتل المشركين ، وبالزنا حكمة وإحساناً ، فكأنه تعالى يشهرهم بأنه يوفقهم لهذه الأعمال انصافاً فيصوبوا بها كتاب ( وثانها ) قال الزجاج : السببة يعنيها لا تصير حسنة ، ولكن التأويل أن السببة تعبر بالتوبة وتكشف الحسنة مع التوبة والكفر يحبط أنه عمله ويثبت عليه السيئات . ( وثالثها ) قال قوم : إن الله تعالى يحجر السببة عن العبد ويثبت له بدلها الحسنة بحكم هذه الآية . وهذا قول سعيد بن المسيب ومكحول ، ويحتجون بما روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ليتنين أقوام أنهم أكثروا من السيئات ، قيل من هم يا رسول الله ؟ قال الذين يدل الله سبحانه حسنات ، وعلى هذا التبديل في الآخرة » ( وثانها ) قال القفال والناضي : أنه تعالى يدل العقاب بالتواب فيذكرهما وأراد ما يستحق بهما ، وإذا حمل على ذلك كانت الإضافة إلى الله حقيقة لأن الإثابة لا تكون إلا من الله تعالى .

لما قوله تعالى ( ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متاباً ) فيه - الأولان :



## وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِالْمُغْرِبِ مَرُّوْا كِرَامًا ﴿٢٦﴾

(السؤال الأول) : ما فائدة هذا التكرار ؟ (الجواب) : من وجهين (الأول) : أن هذا ليس بتكرار لأن الأول لما كان في تلك الحاصل بين تعالى أن جميع المذنبين يترتب في صفة التوبة منها (الثاني) : أن توبة الأول وجوب عن الشرك والمعاصي . والتوبة الثانية وجوب إلى الله تعالى للجزاء والمكافأة كقوله تعالى ( عليه توكلت وإليه متاب ) أي مرجعي .

(السؤال الثاني) : هل تكون التوبة بلا إلى الله تعالى فائدة قوله ( عليه يترتب إلى الله متاب ) ؟ (الجواب) : من وجوه (الأول) : ما تقدم من أن التوبة الأولى الرجع عن المعصية والثانية الرجوع إلى حكم الله تعالى وتوابعه (الثاني) : من أن من تاب إلى الله فقد أتى بتوبة مرضية لله مكفرة لله بوجوب محصلة للتوابع العظيم (الثالث) : قوله ( ومن تاب ) يرجع إلى المعاصي فإنه سبحانه ذكر أن من أتى بهذه التوبة في المعاصي على سبيل الإخلاص فقد وعد بأنه سيوفيه التوبة في المستقبل ، وهذا من أعظم البشارات .

(انصفه السابعة) : قوله تعالى ( والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما ) وفيه مسائل :

❖ **المسألة الأولى** : الزور يحتمل إرادة اشماده الباطلة . ويكون المعنى أنهم لا يشهدون شهادة الزور بخلاف المضائق وأهم المضائق إليه ، فانه يحتمل حضور مواضع الكذب كقوله تعالى ( وأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ) ويحتمل حضور كل موضع يجري فيه ما لا ينبغي ويدخل فيه أعياد المشركين وجامع الفساق ، لأن من غلط أهل الشر ونظر إلى أفعالهم وحضر بجانبهم فقد شاركهم في تلك المعصية . لأن الحضور والنظر دليل الرضا به ، بل هو سبب لوجوده والزيادة فيه ، لأن الذي حليم على فعله استحسنان النظارة ورغبته في الغفر إليه ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما المراد بحال الزور التي يخلون فيها الزور على الله تعالى وعلى رسوله ، وقال محمد بن الحنفية الزور افتراء ، وأعلم أن كل هذه الوجوه محتملة ولكن استدل به بالكذب أكثر .

❖ **المسألة الثانية** : الأصح أن القوم كل ما يجب أن يلى ويترك . ومنهم من غير القوم بكل ما ليس بطاعة ، وهو ضعيف لأن المباحات لا تعد لعرا قوله ( وإذا مروا باللغو ) أي بأهل اللغو .

❖ **المسألة الثالثة** : لا شبهة في أن قوله ( مروا كراما ) مناهتهم بكمون أنفسهم عن مثل حال القوم وإكرامهم لها لا يكون إلا بالإعراض والإنكار وبترك المعاونة والمساعدة ، ويدخل فيه الشرك بالله تعالى وشره الرسول . والخوض فيها لا ينبغي . وأصل الكلمة من قهرهم ناقة كريمة إذا كانت قهرض عدد الحلب تكراً . كأنها لا تبال بما يطلب منها للفرارة .

وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرَّتْ رُءُوسُهُمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٥٦﴾

وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَقُرَيْشَاتٍ مِثْلَهُنَّ وَاجْعَلْ لَنَا فُتُوحًا

إِلَيْنَا ﴿٥٧﴾

فاستمر ذلك للضعف عن الذنب، وقال البيهقي: قال الأكرام فلان عما يستجبه إذا نزه وأكرم نفسه عنه، ونظر هذه الآية قوله (وإذا سمعوا القوم أمروا عليه وقالوا ليس أفعالنا وليس أعمالنا) سلام عليكم لا ينبغي للمجاهدين، ومن الحسن لم تصفهم المعاصي، ولعل إذا سمعوا عن التكفير الشتم والافتراء أمروا، وقيل إذا ذكر استكاح كنواجه.

(الصفة السادسة) قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ قال صاحب الكشف قوله (لم يخرروا عليها صمًّا وعميانًا) ليس غنى للخروج، وإنما هو لمايات له ونفى للضعف والسمي كما يقال لا يلقاني زاد مسلماً، هو في السلام لا للقاء، والمعنى أنهم إذا ذكروا بها أكلوا عليها حرصاً على استماعها، وأقبلوا على الذكر بها، وهم في كتابهم عليها سامعون يأتان وأعية، مصرون بغير راحة، لا كالذين يدكرونها فرائعهم فكيف غلبوا على من يذكر بها مظهرين الحرص الشديد على استماعها وهم كأنهم وتصيبان حيث لا يفهمونها ولا يهتدون ما فيها كالمضامين.

(الصفة السابعة) قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَقُرَيْشَاتٍ مِثْلَهُنَّ وَاجْعَلْ لَنَا فُتُوحًا﴾ وفيه مسائل:

المسألة الأولى: ﴿فُتُوحًا﴾ قرأ تافع وابن كثير وابن عامر وحفص بن غاصم (ذرياتنا) تألف الجمع وحدها الفاتحون على التوحيد والتقية تكون واحداً وجداً.

المسألة الثانية: أنه لا شبهة أن المراد أن يكون قرءة عين لهم في الدين لا في الأمور الدنيوية من المال والجمال ثم ذكروا فيه وجهان (أحدهما) أنهم سألو أزواجاً ودرية فلهذا الدنيا بشاركونهم فأحروا أن يكونوا منهم في أنفسهم ناطقة الله تعالى فيقرى عليهم في أن يحصلوا معهم في الجنة فتكامل سرورهم في الدنيا بهذا الضم في الآخرة عند حصول الثواب (والثاني) أنهم سألوا أن يلحق الله أزواجهم وقُرَيْشَاتِهِمْ بهم في الجنة فيتم سرورهم بهم.

المسألة الثالثة: ﴿فَإِنْ خَلَّ مِنْ فِي قَوْلِهِ﴾ من أزواجنا ما هي؟ قلنا يشمل أن تكون بيانية كأنه قيل (هَبْ لَنَا قُرَيْشَاتٍ مِثْلَهُنَّ) ثم بينت تقرء، وفُتُوحَاتٍ بقوله (من أزواجنا) وهو من لوهم

(١) قالوا: ما هي؟ (٢) أمهاتنا ما هي؟ (٣) أمهاتنا ما هي؟ (٤) أمهاتنا ما هي؟ (٥) أمهاتنا ما هي؟

## أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرَّةَ بِمَا صَبَرُوا

رَأَيْتَ مَكَامَ أَيْ أَنْتَ أَسَدٌ ، وَأَنْ تَكُونَ إِتِّبَانِي عَلَى مَعْنَى هَبْ لَكَ مِنْ جَهَنَّمَ مَا تَهْرَبُ بِهِ عِبْرَتاً مِنْ جِلْدَتِهِ صَلَاحٌ ، فَإِنْ قِيلَ لَمْ قَالَ قُرْءَانِي فَنَذَرُكَ وَقُلْنَا : فَلَا أَمَّا التَّكْوِينُ فَلِأَعْلَى تَكْوِينِ الْغُرَّةِ لِأَنَّ الْمَصَافِ لَا سَبِيلَ إِلَى تَكْوِينِهِ إِلَّا بِتَكْوِينِ الْمَصَافِ إِلَيْهِ كَذَلِكَ قَالَ : هَبْ لِمَا مَعَهُمْ سُرُوراً وَفَرَساً . وَإِنَّمَا قَالَ أَعْيُنَ دُونَ عِيُونٍ لِأَنَّهُ أَرَادَ أَعْيُنَ الْمُتَعَيْنِينَ وَهِيَ قَلِيلَةٌ بِالإِضَافَةِ إِلَى عِيُونٍ غَيْرِهِمْ ، قَالَ تَعَالَى ( وَظَلَّلَ مِنْ عِبَادِي الْمُتَكْوِينِينَ ) .

❖ **المسألة الرابعة** ❖ قَالَ الزَّجَّاجُ أَفَرَأَيْتَ عَيْبَكَ إِلَى صَادَفَ فَوَازِدُ مَا يَجِبُ ، وَقَالَ الْمُفَصِّلُ فِي قُرْءَانِ الدِّينِ ثَلَاثَةَ أَقْرَابٍ ( أَحَدُهَا ) يَرِدُ دِمْنَتَهَا وَهِيَ الَّتِي تَكُونُ مَعَ الضَّحْكَ وَالسُّرُورِ وَدُمْعَةُ الْحُزْنِ حَادِرَةً ( وَالثَّانِي ) نَوْمُهَا لِأَنَّهُ يَكُونُ مَعَ ذَهَابِ الْحُزْنِ وَالْوَجَعِ ( وَالثَّلَاثُ ) حُضُورُ الرِّحَا .

❖ **المسألة الخامسة** ❖ قَوْلُهُ ( وَاجْعَلْنَا لِلتَّفَنِينِ إِمَاماً ) الْأَقْرَبُ أَنَّهُمْ سَأَلُوا اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُلْقِيَهُمْ فِي الطَّلَاعَةِ الْمُبْتَنِعِ الَّذِي يَشَارُ إِلَيْهِمْ وَيَقْنَدِي بِهِمْ ، قَالَ بَعْضُهُمْ فِي التَّأْيِيدِ مَا يُدَلُّ عَلَى أَنَّ الرِّبَاةَ فِي الدِّينِ يَجِبُ أَنْ تَطْلُبَ وَبِرْغَبٍ فِيهَا قَالَ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ( وَاجْعَلِي لِي إِمَاماً صِدْقِي فِي الْآخِرِينَ ) وَقَبْلَ زَيْدٍ هَذِهِ الْآيَاتُ فِي الْعَشْرَةِ الْمُتَشَرِّفِينَ بِالْجَنَّةِ

❖ **المسألة السادسة** ❖ احْتِجَّ الْمُجَوِّدُ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى أَنَّ فِعْلَ الْعِيدِ مَخْلُوقٌ لِلَّهِ تَعَالَى ، قَالُوا : لِأَنَّ الْإِمَامَةَ فِي الدِّينِ لَا تَكُونُ إِلَّا بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ ، فَقُلْ عَلَى أَنَّ الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ إِنَّمَا يَكُونُ بِجَعْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَخَلْقِهِ ، وَقَالَ الْقَاضِي الْمُرَادُ مِنْ تَنَزُّلِ الْأَطْلَافِ الَّتِي بُدِّئَتْ كَثْرَتُ صَادِقِهَا عَتَارِدُ لِحْدِهِ الْأَشْيَاءِ فَيَصِيرُونَ أَتَمَّةً ( الْجَوَابُ ) أَنَّ تِلْكَ الْأَطْلَافَ مَعْمُولَةٌ لِأَعْلَى فَتَكُونُ مَرَاغِباً عَتَا .

❖ **المسألة السابعة** ❖ قَالَ الْقُرْآنُ : قَالَ إِمَامُهُ ، وَلَمْ يَقُلْ أَنَّهُ كَمَا قَالَ لِأَتَيْنِي ( إِنَّا رَسُولُ رَبِّ تَعَالَى ) وَيَحْوِزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى أَجْمَلُ كُلِّ وَاحِدٍ مَا إِمَامُهُ كَمَا قَالَ ( نَعْرِجُكُمْ مَقْلَلًا ) وَقَالَ الْأَخْفَشُ الْإِمَامُ مَعَ وَاحِدِهِ أَمَّ كَهَاتَمٍ وَصِبَامٍ ، وَقَالَ أَتَقْفَالُ وَعِنْدِي أَنَّ الْإِمَامَ إِذَا ذَهَبَ بِهِ مَذْهَبُ الْأَمْرِ وَحَدَّثَ كَأَنَّهُ قَبْلُ أَجْمَلًا حُجَّةً لِلتَّفَنِينِ ، وَمِثْلَةُ الْبَيْتِ يَقَالُ مَوْلَا بَيْتِ فُلَانٍ ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ سَعَادَةٌ وَتَعَالَى مَا عَدَدَ صِفَاتِ الْمُتَعَيْنِ الْمُخْطَصِينَ مِنْ عَدَدِ ذَلِكَ أَنْوَاعِ إِحْسَانِهِ بِهِمْ وَهِيَ بِمَحْوَعَةٍ فِي أَمْرَيْنِ الْمُنَافَعِ وَالْمُكْطَمِ . ( أَمَّا الْمُنَافَعُ ) فَهِيَ قَوْلُهُ ( أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرَّةَ بِمَا صَبَرُوا ) وَالرَّادُّ أُولَئِكَ يَعْنُونَ الْغُرَّةَ وَالْمُكْطَمَ عَلَيْهِ قَوْلُهُ ( وَمَنْ فِي أَرْوَاحٍ آمِنُونَ ) وَقَالَ لَمْ غُرْفٌ مِنْ فَوْقِي غُرْفٍ ، وَالْغُرَّةُ فِي أَلْفَةِ الْقَلْبَةِ وَكَذَا بَنَاءُ عَلَاقِ الْغُرْفَةِ وَالْمُرَادُ بِهِ الْقُرْعَاتُ السَّابِقَةُ . وَقَالَ الْمُفَسِّرُونَ الْغُرَّةُ اسْمُ الْجَنَّةِ ، فَالَّذِي يَعْرِضُ الْجَنَّةَ وَهِيَ جَنَاتٌ كَثِيرَةٌ ، وَفَرَأَ بَعْضُهُمْ : أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ فِي الْغُرَّةِ وَقَوْلُهُ ( بِمَا صَبَرُوا ) فِيهِ مَعْنَانِ :

( الْبَحْثُ الْأَوَّلُ ) احْتِجَّ بِالْآيَةِ مِنْ ذَهَابِ إِلَى أَنَّ الْجَنَّةَ بِالْإِسْتِحْقَاقِ ، فَقَالَ الْإِمَامُ فِي قَوْلِهِ ( بِمَا

وَيَلْقَوْنَ فِيهَا نَجْمًا ﴿١١٦﴾ وَسَلَامًا ﴿١١٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا حَسْبَتْ مَسْجِدًا وَمَقَامًا ﴿١١٨﴾

قُلْ مَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿١١٩﴾

صموا (تدل على ذلك ولو كان حصولها بالوعد لما صدق ذلك

(البحث الثاني) ذكر الصبر ولم يذكر المصبر عنه، ليمر كل نوع لا يدخل فيه صبرهم على مشاق التفكير والاستدلال في معرفة الله تعالى، وعلى مشاق الطاعات، وعلى مشاق ترك الشهوات وعلى مشاق أدنى المشركين. وعلى مشاق الجهاد والعقود وابتلاء الصبر، فلما وجه القول من قول المراد الصبر على الفقر خاصة، لأن هذه الصفات إذا حصلت مع انتهى استغن من يختص بها الجنة كما يستحقه بالفقر.

(والتنبيه العظيم) وهو قوله تعالى (وَيَلْقَوْنَ فِيهَا نَجْمًا وَسَلَامًا) في قرى، (يلقون) كقوله (ونظام نصرته وسرورها) ويلقون كقوله (بني آدم)، والنجى الدعاء بالنعيم والسلام الدعاء بالسلامة، فيرجع حاصل النجى إلى كون أنهم الجنة باقيا غير منقطع، ورجع السلام إلى كون ذلك النعم حاصلًا عن شوائب الضرر، ثم هذه النجى والسلام يمكن أن يكون من أمانه تعالى لقوله (سلام قولاً من رب رحيم) ويمكن أن يكون من اللاتكاف لقوله (واللاتكاف يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم) ويمكن أن يكون من بعضهم على بعض.

أما قوله (خَالِدِينَ فِيهَا حَسْبَتْ مَسْجِدًا وَمَقَامًا) فأراد أنه سبحانه لما وعد بالمساجع أولاً وبالنعيم ثانياً، عين أن من صفتهما الدوام وهو المراد من قوله (خالدين فيها) ومن صفتهما المخصوص أبعثاً وهو المراد من قوله (حسبت مسجداً ومقاماً) وهذا في مقابلة قوله (سكنت مسجداً ومقاماً) أي ما أسراً ذلك وما أحسن هذا.

أما قوله (قُلْ مَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا) فأعلم أنه سبحانه لما شرح صفات المؤمنين، وشرح حال ثوابهم أمر رسوله أن يقول (قل ما يعزب عنكم لولا دعائكم) يدل بذلك على أنه تعالى غنى عن عبادتهم، وأنه تعالى إنما كلمهم لينتفعوا بطاعتهم وفيه مسائل:

﴿المسألة الأولى﴾ قال الخليل ما أعما بفلان أي ما أضع به كانه يستغنى ويستغفره، وقال أبو عبيدة ما أعيا به أي وجوده وعدمه عندي سواء، وقال الزجاج معناه أي لا وزن لكم عند ربكم، والعب في الثقة بالنقل، وقال أبو حمزة بن البلاد ما يبالي بكم دى.

﴿المسألة الثانية﴾ في ما قولان أحدهما أنها متضمنة لئى الاستغناء وهو في محل الضرب وهو عبارة عن المصدر، كانه قيل وأى عيب، يعاب بكم لولا دعائكم، والثاني أن تكون ما غافله.

﴿ المسألة الثالثة ﴾ ذكروا في قوله ( لولا دعاؤكم ) وجوبه : ( أحدهم ) لولا دعاؤه لباكم إلى الدين والطاعة والهدى ، على هذا مصدر مضاف إلى المفعول ( وثانيهما ) أن الدعاء مضاف إلى المفعول وعلى هذا المصدر ذكروا فيه وجوهاً : ( أحدها ) لولا دعاؤكم لولا إيمانكم ( وثانيها ) لولا عبادتكم ( وثالثها ) لولا دعاؤكم لباكم في الدنيا كقولك ( فإذا ركبوا في الفلك دعاوا الله ) ( ورابعها ) دعاؤكم يعني لولا شكركم ، على إحسانه لقوله ( ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم ) ( وخامسها ) ما خلقكم وإن إليكم حاجة إلا أن تسألوا فأعطاكم وتبغضوني فأغفر لكم .

أما قوله : فعد كنتم ، فاعني أي إذا علمتكم أن حكمي أي لا أعتمد بعبادتي إلا لعبادتهم فقد حالتم تنكديكم حكمي فسوف ينزلكم أثر تنكذبكم وهو عقاب الآخرة ، ونظيره أن يقول الفلك لمن استعصى عليه : إن من عادتي أن أحسن إلى من يطيعني ، وقد عصيت فسوف ترى ما أحسن بك بسبب عصيانك . فإن قيل إلى من يتوجه هذا الخطاب ؟ قلنا إلى الناس على الإطلاق ، ومنهم عابدون ومكذبون عاصون ، غفطوا بما وحده في جنسهم من العبادة والتكذيب ، وقرئ : فعد كذب الكافرون فسوف يكون العذاب لزاما ، وقرئ : فأنشع بمعنى المازم كاللوات والبيوت ، والمعنى أن ترك أسر كان غير منطوق به بعد ما علم أنه مما تترعد به لأجل الإجماع يقال ما لا يحيط به الوصف ثم قيل هذا المذنب في الآخرة ، وقيل كان يوم بدر وهو قول مجاهد رحمه الله ، والله أعلم .

م تفسير هذه السورة والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام  
على سيدنا محمد النبي الأمي وآله وصحبه أجمعين .

(٢٦) سُورَةُ الشُّعَرَاءِ مَكِّيَّةٌ  
وَأَيُّهَا السَّامِعُ وَغَيْرُهُنَّ وَمَنْ لَانَّ

مَكِّيَّةٌ إِلَّا أَرْبَعَ آيَاتٍ هِيَ (وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ) إِلَى آخِرِهَا  
وَهِيَ مَا بَيْنَ أَرْبَعِ أَوْ سَبْعٍ وَعَشْرُونَ آيَةً  
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَمَ ① تِلْكَ آيَاتِ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ② لَعَنَكَ يَخُوعُ نَفْسَكَ أَلَا  
يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ③ إِنْ تَشَاءْ نَنْزِلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْقَابُهُمْ هَـ  
خَاضِعِينَ ④

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ طَسَمَ - تِلْكَ آيَاتِ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ، لَعَنَكَ بِأَخْع فَسَكَ لَا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ، إِنْ تَشَاءْ نَنْزِلْ  
عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْقَابُهُمْ هَـ خَاضِعِينَ ﴾ .  
تِلْكَ : إشارة إلى طوب طوب العارفين . وَالسَّيْنُ سُرُورُ الْحَبِيبِ ، وَالْمِيمُ مُنَاجَاةُ الْمُرِيدِينَ ،  
وَجِهَ مَسَائِلُ :  
﴿ الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى ﴾ قَرَأَ قَادَهُ (بِأَخْع فَسَكَ) عَلَى الْإِسْطَانَةِ ، وَفَرَى . (ظَلَّتْ أَعْقَابُهُمْ هَـ  
خَاضِعِينَ) .

﴿ الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَّةُ ﴾ قَوْلُهُ (طَسَمَ تِلْكَ آيَاتِ الْكِتَابِ الْمُبِينِ) مَعْنَاهُ : آيَاتِ هَذِهِ السُّورَةِ تِلْكَ  
آيَاتِ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ، وَتَعَالَى تَقْرِيرُهُ بِأَمْرٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (تِلْكَ الْكُتُبُ) وَلَا شَبَهَ فِي أَنَّ الْمُرَادَ  
بِالْكِتَابِ هُوَ الْقُرْآنُ وَآيَاتِهِ ، وَإِنْ كَانَ فِي الْحَقِيقَةِ هُوَ الْمُتَكَلِّمُ فَقَدْ بَصَّافٌ إِلَى الْكَلَامِ مِنْ حَيْثُ  
يَشِينُ بِهِ عِنْدَ الظُّرْفَةِ ، فَإِنَّ قَوْلَ الْقَوْمِ مَا كَانُوا كُفَّارًا فَكَيْفَ تَكُونُ آيَاتِ الْقُرْآنِ مِثْلَهُمْ  
مَا يُلْزِمُهُمْ ، وَإِنَّمَا يَشِينُ بِذَلِكَ الْإِحْكَامُ ؟ فَمَا الْفَائِدَةُ أَنْ تَنْذِرَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَأْتُوا بِتِلْكَ  
يُمْكِنُ أَنْ يَسْتَدِلَّ بِهِ عَلَى فَاعِلٍ مُخَالِفٍ لَهُمْ كَمَا يَسْتَدِلُّ بِسَائِرِ مَا لَا يَفْعَلُ الْعِبَادُ عَلَى مِثْلِهِ ، فَهُوَ دَلِيلُ  
الْأَوْحِيدِ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ وَدَلِيلُ النَّبُوَّةِ مِنْ حَيْثُ الْإِنْعَارُ ، وَيَعْلَمُ بِهِ بِعَدِّ ذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا كَانَ مِنْ عَدِّ الْقَدِّ

وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُعَدِّتٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥٠﴾  
فَقَدْ كَذَّبُوا فَبِئْسَ مَا يَنُوبُهُمْ أَنْبَتُوا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ  
أُنْبِتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٥٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ  
﴿٥٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾

تعالى فهو دلالة الأحكام أسمع ، وإذا ثبت هذا حاربت آيات القرآن كافة في كل الأصول  
والفروع أسمع ، ونسأ ذكر الله تعالى أنه بين الأمور قال بعده ( فاعلمك بائع نفسك ألا يكونوا  
مؤمنين ) منبأ بذلك على أن الكتاب ، وإن بلغ في البيان كل غاية فغير مدخل لهم في الإيمان  
لما أنه سبق حكم الله بخلافه ، فلا يتألف في الحزن والأسف على ذلك لأنك إن تألفت فيه كنت  
بمزلة من يقتل نفسه ثم لا ينفع بذلك أصلاً فقصيره وعزاه وعرفه أن همه وحزنه لا يقع فيه  
كما أن وجود الكتاب على بطلانه ووضوحه لا يقع لهم فيه . ثم بين تعالى أنه قادر على أن ينزل  
آية بطلان عندنا وبخضمون ، قال قيل كيف صبح عبي . ( خاصتين ) خبراً عن الاعتناق ؟ فلما  
أصل الكلام : خطروا فما خاصتين ، فذكرت الاعتناق لبيان موضع الخضرع . ثم زلة الكلام  
على أصله . ولما وصفت بالخضرع الذي هو الغفلة . قيل ( خاصتين ) كقوله ( في ساجدين ) ،  
وقيل اعتناق الناس رؤسائهم ومقدمهم شهوا بالاعتناق كما يفتكهم الروس والصدود ، وقيل  
هم جماعات الناس ، يقال جاءنا عني عن الناس فتزوج منهم .  
﴿ المسألة الرابعة ﴾ فغير هذه الآية قوله تعالى في سورة الكهف ( فاعلمك بائع نفسك )  
وقوله ( فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ) .

قوله تعالى : ﴿ وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين ﴾ . فقد كذبوا  
فسأئبهم أياد ما كانوا به يستهزئون . أو لم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم .  
إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ، وإن ربك له العزيز الرحيم ﴿ وفيه مسائل :  
﴿ المسألة الأولى ﴾ قوله ( وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين )  
من تمام قوله ( إن فضا يزل عليهم ) فبني تعالى على أنه مع قدرته على أن يجعلهم مؤمنين بالإحاطة  
رحيم بهم من حيث يأتيهم حالاً بعد حال بالقرآن . وهو الذكر ويكرره عليهم وهم مع ذلك على  
حد واحد في الإعراض والتكذيب والاستهزاء . ثم عند ذلك دجروا ونوعوا لأن المرء إذا  
استمر على كفره غلبت فيه إلا الزجر الشديد . فلذلك قال ( فقد كذبوا ) أي بلغوا النهاية

في رد آيات الله تعالى ( فبأنبيائهم أنباء ما كانوا به يستهزئون ) وذلك إما عند نزول العذاب عليهم في الدنيا أو عند المعابنة أو في الآخرة . فهو كقوله تعالى ( ولعلن بناء يد حين ) وقد جرت العادة بمعنى يس . أن يقال له سترى حالاً من بعد علي وجه الوعيد ، ثم إنه تعالى بين أنه مع إزاله القرآن حالاً بعد حال قد أظهر أدلة تحدث حالاً بعد حال فقال ( أو لم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم ) والزوج هو الصنف والكريم صفة لكل ما يرضى ويحمد في بابه ، يقال وجه كريم إذا كان مرصفاً في حسنه وجماله . وكتاب كريم إذا كان مرصفاً في فوائده ومعانيه . والنبات الكريم هو الأرضي فيما يتعلق به من المنافع . وفي وصف الزوج بالكريم وجوهان ( أحدهما ) أن النبات على نوعين نافع وضار . فذكر سبحانه كثرة ما أنبت في الأرض من جميع أصناف النبات أنافع وترك ذكر الضار ( والثاني ) أنه بهم جميع النبات نفعه وضاره ووصفهما جميعاً بالكريم ، وبه على أنه ما أنبت شيئاً إلا وفيه فائدة وإن غفل عنها الناقلون .

أما قوله ( إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ) فهو كقوله ( عدى للذين ) والمعنى أن في ذلك دلالة لمن يشكر وينذر وما كان أكثرهم مؤمنين أي مع كل ذلك يستمر أكثرهم على كفرهم ، فأما قوله ( وإن ربك هو العزيز الرحيم ) فمعناه عدم ذكر العزيز على ذكر الرحيم لأنه لو لم يقدمه لكانت دجماً فيل إليه رحيمهم ليعجزه عن عقوبتهم . فأزال هذا التوهم بذكر العزيز وهو العذاب الفاعل . ومع ذلك فإنه رحيم بعباده . فإن الرحمة إذا كانت عن القدرة السكينة كانت أعظم وقفاً . ولما أراد أنهم مع كفرهم وقدة الله على أن يجعل عقابهم لا يترك رحمتهم بما تقدم ذكره من خلق كل زوج كريم من النبات . ثم من إعطاء الصفة والتعقل والتفادي .

**المسألة الثانية** ﴿ أنه تعالى وصف الكفار بالإعراض أولاً والتكذيب ثانياً والاستهزاء ثالثاً وهذه درجات من أخذ يترقى في الشقاوة ، فإنه يعرض أولاً ثم ينصرح بالتكذيب والافتكار إلى حيث يستهزئ به ثالثاً .

**المسألة الثالثة** ﴿ قال قلت عامي الجع بن كم وكل ، ولم لم يقل كم أنبت فيها من زوج كريم ؟ قلت قد دل كل على الإحاطة بأزواج النبات على سبيل التفصيل ولم على أن هذا المحيط متكامل شرط الكثرة ، فهذا معنى الجع بن كم على كمال قدرته ، فإن قلت لعين ذكر الأزواج ودل عليها بكلمتي الكثرة والإحاطة وكانت بحيث لا يحصيا إلا عالم الغيب فكيف قال ( إن في ذلك لآية ) وملا قال لآيات ؟ قلت فيه وجهان ( أحدهما ) أن يكون ذلك مشارفاً به إلى مصدر أنبتنا ، فكانه قال إن في ذلك الإنبات لآية أي آية ( والثاني ) أن يراد أن في كل واحد من تلك الأزواج لآية .

**المسألة الرابعة** ﴿ احتجت المعتزلة على خلق القرآن بقوله تعالى ( وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث ) فقلوا الذكر هو القرآن لقوله تعالى ( وهذا ذكر مبارك ) وبين في هذه الآية أن المذكور محدث فيلزم من هاتين الآيتين أن القرآن محدث ، وهذا الاستدلال بجهالة تعالى ( الله عز وجل



وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ إِنَّ أَنتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٢١﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ

(١٢١)

أحسن الحديث كذا) وبقرته (فأى حديثه هذه يؤمنون) وإذ نادى أنه تحدث لله تعالى فيكون غلوفا لا محالة (والجواب) أن كل ذلك يرجع إلى هذه الألفاظ ونحن نعلم حدودها. إنما يدعى قدم أمر آخر، برز هذه الحروف، وليس في الآية دلالة على ذلك.

قوله تعالى: ﴿١٢١﴾ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ إِنَّ أَنتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١٢٢﴾.

أختلف أهل اللغة في الداء الذي سمى موسى عليه السلام من الله تعالى، هل هو كلامه القديم أم هو منسوب من الأصوات. قال أبو الحسن الأشعري: المسموع هو الكلام القديم، وكان أن ذاك تعالى لا يصبه سائر الاستبعاد، مع أن الدليل دل على أنها معنوية ومرغوبة، فكيفذا كلامه عزوه عن مشابهة الحروف والأصوات مع أنه مسموع. وقال أبو منصور لما تربي: الداء سمى موسى عليه السلام كان داء من جنس الحروف والأصوات، وذلك لأن الدليل لما دل على أننا ألقوه وأعرض، ولا بد من لغة مشتركة بينهما الصفة الرتبة. ولا علم إلا التوحيد، حكما بأن كل موجود يصح أن يري، ولم يثبت عندنا أن نسمع الأصوات والأحسام حتى يحكم بأنه لابد من مشترك بين الجسم والصوت، فلم نرم صحة كون كل موجود مسموعاً فظهر القوي، أما المذلة هذه اتفقوا على أن ذلك المسموع ما كان إلا حروفاً وأصواتاً. فبعد هذا ظاهراً إن ذلك الداء وقع على وجه علم به موسى عليه السلام أنه من قول الله تعالى: ههنا مسجراً علم به أن الله مخاطب له فلم ينجح مع ذلك إلى واسطة، وكفى في الوقت أن يحمله الرسالة التي هي (أأنت القوم الظالمين) لأن في بدله البعثة يجب أن يأمره بالدعاء إلى توحيد الله بعدد بأمره بالاحكام، ولا يجوز أن يأمره تعالى بذلك إلا وقد عرفه أنه ستظم عليه المعجزات إذا طوبى ذلك.

أما قوله تعالى: (أأنت القوم الظالمين) فإحدى أنه اتصال بوجع عليهم الظلم، وقد استعفوا هذا الاسم من وجوب من وجه طمس أنفسهم بكفرهم. ومن وجه ظلمهم لبقى إسرائيل.

أما قوله (قَوْمَ فِرْعَوْنَ) فقد اختلف قَوْمَ فِرْعَوْنَ (عن القوم الظالمين) عطف بأن كان القوم الظالمين وقوم فرعون اظتان بدلان على معنى واحد.

وأما قوله (أَلَا يَتَّقُونَ) بمعنى (أَلَا يَتَّقُونَ) بكسر التاء. بمعنى (أَلَا يَتَّقُونَ) لحذفت التاء لا لاجتماع التوبيخ والياء للاكتفاء بالكسرة. وقوله (أَلَا يَتَّقُونَ) كلام متألف اتفه تعالى إرسانه إليهم لا لئلا تار والتأجيل عابهم بالظلم، فجساً موسى عليه السلام من حاله في الظلم والاعتسف، ومن أمهم الوقت، فله خومهم. وبعض أن يكون (أَلَا يَتَّقُونَ) خلا من القوم في (الظالمين).

قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ۖ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي  
فَأَرْسَلْ إِلَىٰ هَارُونَ ۖ وَلَهُمْ عَلَىٰ ذُنُوبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ۝١١

أى يقولون غير متقين الله وعقابه ، فدخلت همزة الإنكار على الخال ، ووجه ثالث وهو أن يكون المعنى ألا يأنس الحقون ، كقوله ( ألا يسجدوا ) . وأما من قرأ ألا تقفون على الخطأ ، فعمل طارئة الإلتفات إليهم ومعرفة وجودهم بالإعجاز والعصب عليهم . كما يرى من يشكو من ركب سائبة والخائف حاضر ، فإذا اندفع في الشكاية وهي عصبه ، قطع بيانه مساجبه وأقبل على الجان ويوجه ويعتبه به . ويقول له ألا تتق الله ألا تستحي من الناس ، فان قال قد اعانده في هذا الإلتفات وأخطأ مع موسى عليه السلام في وقت المناجاة ، والمثقت إليهم غاثيون لا يضررون ، فلت إحرار ذلك في تكليم المرسل إليهم في معنى إحرامهم بحضورهم وإلقائه إلى مسامحة ، لأنه يعلمهم ومحب إليهم ، وأنه فيه العطف وحده على زيادة التقوى . وكلم من آية روت في شأن الكافرين وفيها لم يفر نصيب للشومنين تذكراً لها واعتباراً بما أرادها .

قوله تعالى : ﴿ قال رب إني أخاف أن يكذبون . ويضيق صدرى ولا ينطق لسانى فأرسل إلى هرون . ولهم على ذنوب فأخاف أن يقتلون ﴾ وفي الآية مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ اعلم أن الله تعالى لما أمر موسى عليه السلام بالذهاب إلى قوم فرعون . طلب موسى عليه السلام أن يبعث معه هرون إليهم . ثم ذكر الأمور الداعية له إلى ذلك السؤال وحاصلها أنه لو لم يكن هرون ، لا تخلص المصلحة المطلوبة من بعث موسى عليه السلام . وذلك من وجهين ( الأول ) أن فرعون ربما كذبه . والكذب سبب انشيق القلب ، وضيق القلب سبب لتعسر الكلام على من يكون في لسانه حبه . لأن عند مضيق القلب تنقبض الروح والحرارة المزجية إلى باطن القلب ، وإذا انقبض إلى الداخل وخلا عنها الخارج ازدادت الحسية في اللسان ، فأنشأ من التكذيب سبب لضيق القلب . وضيق القلب سبب للحماسة ، فهذا السبب بدأ بحوف التكذيب ، ثم شئ يضيق الصدر . ثم تلك بعدم انطلاق اللسان . وأما هرون فهو أفصح لساناً من موسى في حق هذا المعنى . فكان إرساله لاحقاً ( ثانياً ) أن لم يجد ذنباً وأخاف أن يبادروا إلى قتل ، وحينئذ لا يحصل المقصود من البعثة . وأما هرون فليس كذلك فيحصل المقصود من البعثة .

﴿ المسألة الثانية ﴾ ترى يضيق وينطق بالرفع . لهما معطوفان على خبر أن . وبالضرب لضمهما على صلة أن . والمعنى : أخاف أن يكذبون . وأخاف أن يضيق صدرى . وأخاف أن لا ينطق لسانى . وانفرد أن الرفع بعيد ثلاث على في طلب إرسال هرون . والنصب بعيد على

قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِأَيَّتِنَا إِنْ أَمَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٢٢﴾ فَأَيَّتَا فِرْعَوْنَ قَفُوزًا إِنْ أَرَسُولٌ رَبِّ

واحدة ، وهي الخوف من هذه الأمور الثلاثة ، فإن قلت : الخوف فم يحصل لتوقع مكروه سيقع وعدم انطلاق اللسان كان حاصله ، فكيف جاز تعلق الخوف به ؟ قلت قد بينا أن التكذيب الذي سيقع يوجب صيق القلب ، وصدق القلب يوجب زيادة الاحتباس ، فتلك الزيادة ما كانت حاصلة في الحال بل كانت متوقعة ، فجاز تعلق الخوف عليها .

أما قوله تعالى ( فأرسل إلى هرون ) فليس في الظاهر ذكر من الذي يرسل إليه ، وفي الخبر أن الله تعالى أرسل موسى عليه السلام إليه ، قال السدي : إن موسى عليه السلام سار مأهله إلى مصر والتقي هرون وهو لا يعرفه ، فقال أنا موسى ، فتعارفا وأمره أن يطلق معه إلى هرون لأداء الرسالة ، فصاحت أمهما لمخوفها عليهما فذهبا إليه ، ويحصل أن يكون أراد أرسل إليه جبريل ، لأن رسول الله إلى الأنبياء جبريل عليه السلام ، فلما كان هو متجنباً هذا الأمر حذف ذكره لئلا يكره معلوماً ، وأيضاً ليس في الظاهر أنه يرسل لماذا ، لكن قرئ الكلام بـل على أنه طلبه للمعونة فيها سأل ، كما يقال هذا نائبك نائباً ، فأرسل إلى هرون أي ليعينك فيها وليس في الظاهر أنه النفس كون هرون نبياً معه ، لكن قوله ( فغفلاً إنا رسول رب العالمين ) يدل عليه .

أما قوله ( ولهم على ذنب ) فأراد بالذنب تته القليل ، وقد ذكرناه تعالى هذه النقص مشروحة في سورة القصص .

واعلم أنه ليس في القصاص موسى عليه السلام ، أن يضم إليه هرون ما يدل على أنه استثنى من الذهاب إلى هرون بل مقصوده فيها سأل أن يقع ذلك الذهاب على أقوى الوجوه في الوصول إلى المراد ، واختلما فقال بعضهم إنه وإن كان نبياً فهو غير عالم بأنه يبقى حتى يؤدي الرسالة لأنه إنما أمر بذلك بشرط التمكن ، وهذا قول الكشي وغيره من البصديين لأنهم يجوزون دخول الشرط في تكليف الله تعالى الهدى ، والذي ذهب إليه الأكثرون أن ذلك لا يجوز لأنه تعالى إذا أمر فهو عالم بما يمكنه من الأمور وأبواقات تكميله ، فإذا علم أنه غير متمكن منه فإنه لا يأمره به ، وإذا صح ذلك فالأقرب في الإنشاء أنهم يملكون إذا حملهم الله تعالى الرسالة أنه تعالى يتمكنهم من أدائها وأنهم سيقفون إلى ذلك الوقت ، ومثل ذلك لا يكون إغراء في الإنشاء ، وإن جاز أن يكون إغراء في غيرهم .

في المسألة الثالثة في لقائل أن يقول قول موسى عليه السلام ( ولهم على ذنب ) هل يدل على صدور الذنب منه ؟ ( جوابه ) لا والمراد لهم على ذنب في ذمهم .

قوله تعالى : قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِأَيَّتِنَا إِنْ أَمَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ، فَأَيَّتَا فِرْعَوْنَ قَفُوزًا إِنْ أَرَسُولٌ رَبِّ

الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسَلَ مَعَنِي بَشَرًا مِثْلِي ﴿١٧﴾ قُلْ أَلَمْ يُزَيِّك فِينَا نَبْدًا وَلَيْسَتْ  
فِينَا مِنْ مُهِمَّةٍ سَبِينَ ﴿١٨﴾ وَقَعَلْتَ فَعَلْتِكَ لَأَنِّي فَعَلْتُ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾

العالَمين . إِنْ أَرْسَلَ مَعَنِي بَشَرًا مِثْلِي ﴿١٦﴾

اعلم أن موسى عليه السلام طلب أمرين ( الأول ) أَنْ يَدْعُ عَنْ شَرِّهِ ( والثاني ) أَنْ يَرْسَلَ  
مَعَهُ هَرُونَ وَأَخَاهُ أَهْلَهُ تَعَالَى إِلَى الْأَوَّلِ بِقَوْلِهِ ( كَلَّا ) وَمَعْنَاهُ ارْتَدَعَ يَا مُوسَى عَمَّا نَظَنُّ وَأَجَاهَهُ إِلَى  
الثَّانِي بِقَوْلِهِ ( فَادْعُهُ ) أَيْ ادْعُ أَهْلَكَ وَأَهْلَ بَيْتِكَ وَهُوَ هَرُونَ فَإِنَّ قَوْلَ عِلَامٍ عَطَفَ قَوْلَهُ ( وَادْعُهُ )  
لِقَوْلِهِ عَلَى الْفِعْلِ الَّذِي يَدْعُو عَلَيْهِ كَلَّا كَأَنَّهُ قَالَ ارْتَدَعَ يَا مُوسَى عَمَّا نَظَنُّ فَادْعُ أَهْلَكَ وَهَرُونَ .  
وَأَمَّا قَوْلُهُ ( إِنْ أَرْسَلَ مَعَنِي بَشَرًا مِثْلِي ) فَمِنْ مَجَازِ الْكَلَامِ يُرِيدُ أَلَا لِيكَ وَاسْتَوْكَ كَأَنَّكَ تَطْهَرُ  
لِيكَ عَلَيْهِ إِذَا أَهْرَ وَأَسْتَمِعَ مَا يَجْرِي بَيْنَكَ فَاطْهَرُكَ عَلَيْهِ وَأَطْعَمَكَ وَأَكْرَمَ شَرِّكَ عَمَّا ، وَنَبْدًا  
جَعَلْنَا الْإِسْتِخَارَةَ مَجْدًا لِأَنَّ الْإِسْتِخَارَةَ عِبَارَةٌ عَنِ الْإِسْتِغَاثَةِ وَذَلِكَ عَلَى أَهْلِهِ تَعَالَى عَمَّا .

وَأَمَّا قَوْلُهُ ( إِنْ أَرْسَلَ مَعَنِي بَشَرًا مِثْلِي ) فَهُوَ سَوَالٌ وَهُوَ أَلَا إِنْ أَرْسَلَ كَمَا تَنَبَّأَ قَوْلُهُ ( إِنْ أَرْسَلَ  
مَعَهُ هَرُونَ ) جَوَابُهُ مِنْ وَجْهِهِ ( أَحَدُهُمَا ) أَنَّ الرُّسُولَ لَيْسَ لَهَا مِثْلٌ مِنْ غَيْرِ بَيِّنَاتٍ أَنَّ تِلْكَ الْمِثْلِيَّةَ  
وَأَمَّا كَثِيرَةُ الْأَلْفِ وَاللَّامِ لَا يَبْدُو أَنَّ الْوَاحِدَ لَا الْإِسْتِخَارَةَ ، بَدَلُكَ لَكَ تَقُولُ الْإِسْمَانِ  
هُوَ الْإِسْمَانُ وَلَا تَقُولُ كُلُّ إِنْسَانٍ هُوَ الْفَضْلُ وَلَا أَيْضًا هَذَا الْإِنْسَانُ هُوَ الْفَضْلُ ، وَإِذَا لَمْ  
أَنْ لَهْوَ الرُّسُولِ لَا يَفِيدُ إِلَّا الْمِثْلِيَّةَ وَنَبْدًا أَنَّ الْمِثْلِيَّةَ مَحْمُولَةٌ عَلَى الْوَاحِدِ وَعَلَى الْإِثْنَيْنِ ثُمَّ صَحَّ  
قَوْلُهُ ( إِنْ أَرْسَلَ مَعَنِي بَشَرًا مِثْلِي ) ( وَنَبْدًا ) أَنَّ الرُّسُولَ قَدْ يَكُونُ يَعْنِي الرِّسَالَةَ قَالَ الشَّاعِرُ :

لَقَدْ كَذَبَ الْوَالِثُونَ مَا فَهَتَ عِنْدَهُمْ إِبْرَ وَلَا أَرْسَلْتَهُمْ بِرَسُولٍ

فَيَكُونُ الْمَعْنَى إِنْ أَرْسَلَ رِسَالَةً رَبُّ الشَّائِلِينَ ( وَنَبْدًا ) أَهْلًا لِقَاتِفَتِهَا عَلَى شَرِيعَةٍ وَاحِدَةٍ  
وَأَخَذَ بِهَا بِسَبَبِ الْأَمْرِ كَأَنَّهُمَا رَسُولٌ وَاحِدٌ ( وَنَبْدًا ) الْمُرَادُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الرُّسُولِ ( وَنَبْدًا )  
مَا قَالَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ إِنْ قَالَ ذَلِكَ لَا يُلْغِظُ الثَّقِيَّةَ لَكُوبَهُ ، وَالرُّسُولُ خَاصَّةٌ وَقَوْلُهُ ( إِنْ ) هَكَذَا فِي قَوْلِهِ  
تَعَالَى ( إِنْ أَرْسَلَ ) وَهُوَ ضَرْبٌ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ ( إِنْ أَرْسَلَ مَعَنِي بَشَرًا مِثْلِي ) فَالْمُرَادُ مِنْ هَذَا الْإِسْمَالِ التَّخْلِيلُ وَالْإِطْلَاقُ كَقَوْلِكَ  
أَرْسَلَ الْبَشَرِ . يَرِيدُ خَلِّمْ بِذَهَبُوا مَعَنَا .

قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ قَالَ أَلَمْ يُزَيِّك فِينَا نَبْدًا وَلَيْسَتْ فِينَا مِنْ مُهِمَّةٍ سَبِينَ ، وَقَعَلْتَ فَعَلْتِكَ لَأَنِّي فَعَلْتُ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾

قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٥﴾ فَفَرَرْتُ مِنْكَ لَمَّا خَفَّكَ فَوَهَبَ لِي  
دِفِّي حُكْمًا وَيَجْعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٦﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَ بَنِي  
إِسْرَءِيلَ ﴿٢٧﴾

اعلم أن في الكلام حذفاً وهو أنها آتياه وقالاً ، الأمر أنه ففعل ذلك قال فرعون ما قال ، يروى  
أنهما انطلقا إلى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال التواب : إن هذا إنسان يزعم أنه رسول  
رب العالمين ، فقال ائذن له لعلنا نضحك منه ، فأدبوا إليه الرسالة فصرف موسى عليه السلام فسلط  
عليه نعمة أولاً ، ثم إساءة موسى إليه ثانياً ، أما النعم فهي قوله ( ألم تربك بنا ولداً ) والوليد  
والصبى لغرب عنه من الولادة ( ولوليت فينا من عرك ) وعن أبي عمرو يسكون الميم ( صين ) قبل  
ليث عندهم ثلاثين سنة وقبلنا وذكر القبط وهو ابن الفتي عشرة سنة وعمر منهم والله أعلم بصحيح  
ذلك ، وعن الشعبي ( فعلت ) بالكسر وهي فعله القبط لأنه فأنه لو ركز وهو ضرب من القفل ، وأما  
القصة فلأنها وكرة واحدة جدد عليه نعمة من تربيته وتبليته فملع الرجال ووجهه بما جرى على يده  
من قتل خبازه وحمل ذلك بقوله ( وفعلت فعلتكم التي فعلت ) .

وأما قوله ( وأنت من الكافرين ) فبعبارة وجه ( أحدهم ) يجوز أن يكون حالاً أي فأنهم رأيت  
بذلك من الكافرين بنعمتي ( وقائلاً ) وأنت إذ ذاك من تكفركم ساعة وقد افتقرى عليه أو جهل  
أمره لأنه كان يباشرهم بالنية فإن التكفير غير جائز على الأنبياء قبل النبوة ( وقائلاً ) وأنت من  
الكافرين معناه وأنت من عادته كفران النعم ومن كان هذا حاله لم يستبعد منه قتل خواص ولى  
نعمت ( ورأيها ) وأنت من المكافرين بفرعون والهيئة أو من الذين يكفرون في دينهم فقد كانت  
لهم آفة يبدونها ، يشهد بذلك قوله تعالى ( وبذكر وآفك ) .

قوله تعالى ﴿ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ ، فررت منك لما خفك فوهب لي دفي حكماً  
وجعلني من المرسلين ، وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل ﴿ ٢٧ ﴾ .

اعلم أن فرعون لما ذكر التوبة وذكر القتل وقد كانت تربيته له مملوءة ظاهراً لا جرم أن  
موسى عليه السلام ما أسكرها ، ولم يشفق بالمجرات عنها ، لأنه تفرد في القول أنت الرسول إلى  
الغير إذا كان معه معجز وسجة لم يتغير حاله بأن يكون المرسل إليه أنعم عليه أو لم يفعل ذلك ،  
فصار قول فرعون لما قاله عمر مؤثراً ، ومثل هذا الكلام الإعراف عنه أولى ولكن أجاب  
عن القتل بما لا نرى ، أبلغ من الجواب وهو قوله ( فعلتها إذا وأنا من الصالحين ) والمراد بذلك  
الداخلين عن معرفة ما يؤزل إليه من القتل لأنه فعل الكرة على وجه التأديب ، ومثل ذلك ربما

حسن وإن أدى إل القتل فين له أنه قد فعل على وجه لا يجوز معه أن يؤاخذ به أو يعد منه كافراً أو كافراً نعمة . فأمّا قوله ( ضرورت منكم لما خفتمكم ) فإراد أني فعلت ذلك الفعل وأما ذاهل عن كونه مهلكاً وكان مني في حكم السهو ، ولم استحق التعزيف الذي يوجب القرار ومع ذلك زدت منكم عند قولكم ( إن الملا ياترونك بك ليطلوك ) حين بذلك أنه لا نعمة له عليه في باب تلك القصة ، بل بأن يكون مسبباً عنه أقرب من حيث خوف تقويها أو جبر القرار ، ثم بين نعمة الله تعالى عليه بعد القرار ، فكانه قال أسأتم وأحسن لله إلى بأن وهب لي حكماً رجلى من المرسلين ، واختلفوا في الحكم والأقرب أنه غير النبوة لأن المظروف غير المظروف عليه ، والنبوة مضمومة من قوله ( وجعلني من المرسلين ) فالمراد بالحكم العلم ويدخل في العلم العقل والرأي والعلم بالدين الذي هو التوحيد ، وهذا أقرب لأنه لا يجوز أن يعطى تعالى إلا مع كماله في العقل والرأي والعلم بالتوحيد وقوله ( فوهب لي ربي حكماً ) كالتعويض على أن ذلك الحكم من خلق الله تعالى ، وقالت المعتزلة المراد منه الإطاف وهو ضعيف جداً لأن الإطاف مفعولة في حق الكل من غير محس ولا تقصير ، فالتعويض لا بد فيه من فائدة ، فأمّا قوله ( وتلك نعمة نمتها على أن عبدت بني إسرائيل فهو جواب قوله ( أو لم زركم فيها وليداً ) يقال عبدت الرجل وأعبدته إذا اتخذته عبداً ، فإن قيل كيف يكون ذلك جوابه ولا تعلق بين الأمرين ؟ فك بيان التعلق من وجوه ( أحدها ) أنه إنما وقع في بدء وفي تربيته لأنه قد صد تعبد بني إسرائيل وذبح أبنائهم . فكانه عليه السلام قال له كنت مستغنياً عن تربيتك لو لم يكن منك ذلك الظلم العظيم علينا وعلى أسلافنا ( وثانيها ) أن هذا الإقدام المتأخر صار معترضاً بذلك الظلم العظيم على أسلافنا وإذا نظرنا هنا هنا ( وثالثها ) مقاله الحسن : إنكم استعبدتهم وأخذت أموالهم ومنها أنفق على فلا نعمة لك بالقرية ( ورابعها ) المراد أن الذي نول تربيتي هم الذين تم استعبدتهم فلا نعمة لك على لأن الزبنة كانت من قبل أبي رساتم من هو من نومي ليس لك إلا أنك ما تظنني ، ومثل هذا لا يعد (اعلمها) ( وأخبرها ) أنك كنت تدعي أن بني إسرائيل عبيدك ولا مة للول على العبد في أن يصطبه ويعطى ما يحتاج إليه وأعلم أن في الآية دلالة على أن كفر الكافر لا يطل فضته على من يحس إليه ولا يطل منه لأن مرسى عليه السلام إنما أعطى ذلك بوجه آخر على ما بينا ، واختلف العلماء فقال بعضهم إذا كان كافراً لا يستحق الشكر على نعمة على الناس إنما يستحق الإهانة بكفره ، فلو استحق الشكر بأنعامه والشكر لا يوجد إلا مع العظيم فيلزم كونه مستحقاً للإهانة والتعظيم معاً ، واستحقاق الجع بين الصديقين حال . وقال آخرون لا يطل الشكر بالكفر وإنما يطل بالشكر الثواب والندح الذي يستحقه على الإيمان ، والآية تدل على هذا القول الثاني .

❦ **المسألة الثانية** قال صاحب الكشف إنما جمع التضمير في ( منكم ) و ( خفتمكم ) مع إرادته في نمتها وعبدت لأن الخوف والقرار لم يكونا منه وحدهم بل كانا من ملامته الموقر من قبله ، بدليل

قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ بَيْنَهُمَا  
 إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالَ نَحْنُ حَوْلُهُ إِلَّا تَشْعُبُونَ ﴿١٢٩﴾ قَالَ رَبُّكُمْ رَبُّ  
 الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٠﴾ قَالَ إِنْ رَسُولُكُمْ أَلَيْسَ إِلَيْكُمْ لَتَعْبُدُونَ ﴿١٣١﴾ قَالَ رَبُّ  
 الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ قَالَ لَيْسَ أَخَذْتَ بِهَا  
 غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنْ اتَّعِبُونَ ﴿١٣٣﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ ﴿١٣٤﴾ قَالَ  
 قَدْ بَيَّنَّ لَكَ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٣٥﴾

قوله (إن الملائكة يتفرون بك لقدنوك) وأما الامتنان فيه وحده وكذلك التوبيخ ، فإن قلت (تلك إشارة إلى ماذا وإن عبادت) ما عدا من الإبراهيم ؟ قلت تلك إشارة إلى خصلة شتى مهمة لا يدري ما هي (إلا بتفسيرها) وهي أن عبادت هان (أن عبادت) عطف بيان وظهور قوله تعالى (وتخصينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مفطرح مصدحين) والممنى فعبادتك بني إسرائيل نعمة تنها على ، وقال (إلا حاج) ويحور أن يكون أن في موضع نصب : والخفي (إنما صارت نعمة على ، لأن عبادت بني إسرائيل أي لو لم تفعل ذلك لكفاني أهلي .

قوله تعالى : ﴿١٢٧﴾ قال فرعون وما رب العالمين ، قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين ، قال لمن حوله ألا تستمعون ، قال ربكم ورب آبائكم الأولين ، قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون ، قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إل كنتم تعقلون ، قال فمن اتخذت إلهاً غيري لأجلك من المسجونين ، قال أولو مثلك يتفرون ، مبين ، قال فأتيت به إن كنت من الصادقين ﴿١٢٨﴾ اعلم أن فرعون لم يقل فوسى وما رب العالمين ، إلا وقد دعاه موسى إلى طاعة رب العالمين ، بين ذلك ما تقدم من قوله (فأتيت فرعون ضلولاً إنما رسول رب العالمين) فلا بد عند دخوها عليه أهما فلا ذلك ، فتمت ذلك قال فرعون (وما رب العالمين) ثم ههنا بحثان :

في الأول بحث أن فرعون يحتمل أن يقال إنه كان عارفاً بالله ، ولكنه قال ما قال طلباً للبيان والبرائة ، وقد ذكر الله تعالى في كتابه ما يدل على أنه كان عارفاً بالله ، وهو قوله (قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض) هذا قرئ بفتح اللام من (علمت) فالمراد أنه فرعون علم ذلك ، وذلك يدل على أنه كان عارفاً بالله ، لكنه كان يبتأ كل قومه بما يظنونه من

الحيث ، والقراءة الأخرى رفع النون ( عادت ) معنى فذهني أن موسى عليه السلام هو الذي عرف ذلك ، وأيضاً فإن فرعون إن لم يكن غافلاً لم يحزن من الله تعالى بدء الرسول إليه ، وإن كان غافلاً فهو يعلم بالضرورة أنه ما كان موجوداً ولا حياً ولا غافلاً ثم صدر كذلك ، وبالمسورة يتم أن كل ما كان كذلك فلا بد له من مؤثر ، فلا بد وأن ينزله له من هذين المبدأين علم ثالث بافتقاره في تركيبه وفي حياته ، وبذلك لا مؤثر موجود ، ويحتمل أن يقال إنه كان على مذهب الدهرية من أن الأفعال واجبة لتوحيده في قواها ومنحركاتها ، وأن حركاتها أسباب للحصول لحوادث في هذا العالم ، أو يقال إنه كان من الفلاسفة القائمين بالذلة الموجبة لا بالتفاضل ، احتار ، ثم اعتقد أنه ينزله الإله لأهل إقليدس من حيث اعتيادهم ومثل شعائهم وديانهم أمرهم ، ويحتمل أن يقال إنه كان على مذهب الخلقونية ، القائمين بأن ذات الإله يتفرع بحسب إيمان معين ، حتى يكون الإله سبحانه لذلك الحسب بمنزلة روح كل إنسان بالحب إلى عبده ، وهذه التصديرات كان يسمى نفسه زلماً .

( البحث الثاني ) وهو أنه قال لموسى عليه السلام ( وما رب العالمين ) ؟ وأعلم أن السؤال بما طلب لتعريف حقيقة الشيء ، وتعرف حقيقة الشيء إما أن يكون بنفس تلك الحقيقة أو بشئ من أجزائها أو بشئ خارج عنها أو بما يتركب من الداخل والخارج ، أما تعريفها بنفسها ، فقال ، لأن المعروف معلوم قبل المعرفة ، فلو عرف الشيء بنفسه لزم أن يكون معلوماً قبل أن يكون معلوماً وهو محال ، وأما تعريفها بالأمور الداخلة فيها فهي في حق واجب الوجود محال ، لأن التعريف بالأمور الداخلة لا يمكن إلا إذا كان المعرف مركباً ، وواجب الوجود يستحيل أن يكون مركباً ، لأن كل مركب هو محتاج إلى كل واحد من أجزائه ، وكل واحد من أجزائه هو غيره ، فكل مركب محتاج إلى غيره ، وكل ما احتاج إلى غيره فهو ممكن لذاته ، وكل مركب فهو ممكن ، فالأشياء يمكن يستحيل أن يكون مركباً ، فواجب الوجود ليس مركباً ، وإذا لم يكن مركباً استحيل تعريفه بأجزائه ، ولم يطق حدان الضمان ثبات أنه لا يمكن تعريف ماهية واجب الوجود إلا بتوحيده وآثاره ، ثم إن التوحيده قد تكون حية ، وقد تكون حلية ، ولا يجوز تعريف الماهية بالتوحيده الخفية بل لابد من تعريفها بالتوحيده الحلية ، وأظهر آثار ذات واجب الوجود هو هذا العالم المحسوس وهو السموات والأرض وما بينهما فقد ثبت أنه لا جواب الله لقول فرعون وما رب العالمين إلا ما قاله موسى عليه السلام ، وهو أنه رب السموات والأرض وما بينهما ، وأما قوله ( إن كنتم مؤمنين ) فعناه : إن كنتم موقنين ، باستناد هذه المحسوسات إلى موجود واجب الوجود عامر هو الله لا يمكن تعريفه إلا بما ذكرته لأنكم لما سلمتم إيمانكم هذه المحسوسات إلى الواجب لذاته ، ثبت أنه الواجب لذاته فرد مطلق ، وثبت أن الفرد متفائق لا يمكن تعريفه إلا بالآثار ، وثبت أن آثاره لا بد وأن تكون ظاهرة آثاره ، وأبعدنا عن الخفاء وما ذاك إلا السموات



والأرض وما بينهما ، فإن أبغتم ذلك لزمكم أن تقطعوا بأنه لا جراب عن ذلك السؤال إلا هذا الجواب . ولما ذكر موسى عليه السلام هذا الجواب الحق (قال فرعون لن حوله ألا فسده دون) وإنما ذكر ذلك على سبيل التعجب من جواب موسى ، يعني أما أطلب من المساهية وخصوصية الحقيقة ، وهو يحسب بالفاعلية والمؤثرة ، ونظام الإشكال أن تعريف المساهية يلزمها لا يفيد الوغف على نفس تلك المساهية ، وذلك لأننا إذا قلنا في الشيء إنه الذي يلزمه اللزم الفلاني ، بهذا المذكور ، إما أن يكون معروفاً مجرد كونه أمراً ما يلزمه ذلك اللزم أو لخصوصية تلك المساهية التي عرضت لها هذه المروجة ، والاول محال لأن كونه أمراً يلزمه ذلك اللزم جهلاء كاشفاً فلو كان المكتوف هو هذا اللزم لزم كون الشيء معروفاً لنفسه وهو محال ، والثاني محال لأن العلم بأنه أمر ما يلزمه اللزم الفلاني لا يفيد العلم بخصيصية تلك المساهية الملتزمة ، لأنه لا يتبع في العقل اشتراك المساهيات المختلفة في لوازم متساوية . ثبت أن التعريف بالوصف الخارجي لا يفيد معرفة نفس الحقيقة فلم يكن كونه رباً للسموات والأرض وما بينهما جواباً عن قوله (وما رب العالمين) فأجاب موسى عليه السلام ( بأن قال ربكم ورب آبائكم الأولين ) وكأنه عدل عن التعريف بخالفية السبا ، والأرض إلى التعريف بكونه تعالى خالقاً لنا ولا بآبائنا ، وذلك لأنه لا يتبع أن يعتقد أحد أن السموات والأرضين واجبة لذواتها فهي غيبة عن الخالق والمؤثر ، ولكن لا يمكن أن يعتقد العاقل في نفسه وأبيه وأجداده كونهم واجبين لذواتهم ، لما أن الشاهدة بذلك على أنفسهم وجدوا بعد العلم ثم علموا بعد الوجود . وما كان كذلك استحالة أن يكون واجباً لذاته ، وما لم يكن واجباً لذاته استحالة وجوده إلا بالمؤثر ، فكان التعريف بهذا الإثر أظهر فهذا عدل موسى عليه السلام من الكلام الأول إليه . فقال فرعون (إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون) يعني المقصود من سؤال ما طلب المساهية وخصوصية الحقيقة والتعريف بهذه الآثار الخارجية لا يفيد البتة تلك الخصوصية ، فهذا الذي يدعي الرماله مجنون لا يفهم استؤال فضلاً عن أن يجيب عنه ، فقال موسى عليه السلام (رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تقفون) فعدل إلى طريق ثالث أوضح من الثاني ، وذلك لأنه أراد بالمشرق طلوع الشمس وظهور النهار ، وأولاد المغرب غروب الشمس وذهاب النهار ، والامر ظاهر في أن هذا التدبير المنتشر على الوجه المعجب لا يتم إلا بتدبير مدبر وهذا بعينه طريقة إبراهيم عليه السلام مع نمرود ، فانه استدل أولاً بالاجابة والإمامة وهو الذي ذكره موسى عليه السلام هنا بقوله (ربكم ورب آبائكم الأولين) فأجاب نمرود بقوله (أنا أحق وأجبت) فقال (إن الله بأتى بالشمس من المشرق فأنت بها من المغرب فمت الذي كفر) وهو الذي ذكره موسى عليه السلام هنا بقوله (رب المشرق والمغرب) .

وأما قوله (إن كنتم تقفون) فكأنه عليه السلام قال إن كنتم من العقلاء عرفتم أنه لا جواب عن سؤالك إلا ما ذكرت لأنك طلبت مني تعريف حقيقته بنفس حقيقته . وقد ثبت

أه لا يمكن تعريف حقيقته بنفس حقيقته ولا بأحد حقيقته، فليس إلا أن أعرف حقيقته بأثر حقيقته، وأما قد عرفت حقيقته بأثر حقيقته، فقد ثبت أن كل من كان عدلاً يرفع يده لا جواب عن هذا السؤال إلا ما ذكرته.

والأما قد بينا في سورة الأنعام في تفسير قوله تعالى (وهو القاهر فوق عباده) أن حقيقته الإله سبحانه من حيث هو غير مدقوقة للبشر، وإذا كان كذلك استحال من موسى عليه السلام أن يذكر ما تعرف به تلك الحقيقة، إلا أن عدم العلم بتلك الخصوصية لا يقدح في صحة الرسالة فكان جاحل كلام موسى عليه السلام أن ادعاء رسالة رب العالمين تتوقف صحة على إثبات أن العالمين رأوا ولم يروا ولا تتوقف على العلم بخصوصية الرب أمال وماله نادية. وكان موسى عليه السلام يقيم الدلالة على إثبات القدرة المحتاج إليه في صحة دعوى الرسالة، وأزعمون بطله ببيان المشاهدة. وموسى عليه السلام كان يمرض عن سؤاله أملة بأنه لا تدل على ذلك السؤال غيباً ولا إنباء في هذا المقادير. فهذا تمام القول في هذا البحث والله أعلم، ثم إن موسى عليه السلام لما حدث في آخر التاجيم قوله (إن كنت تعلمون) فقد ذلك قال وعز (لكن أنفخت في شئني لأجذبتك من المسحرين) فإنه لما عجز عن الحاجة عند إلى الشريك، فقد ذلك ذكر موسى عليه السلام كلاماً جليلاً ليقطع به بعدل عن وعيد فقال (ولو جنك بشيء من) أي هل نستجيز أن نتحقق مع انفساري على أن أثبت بغيري في باب الدلالة على وجود الله تعالى، وعلى أني رسوله؟ فقد ذلك قال (فأتى به إن كنت من المضادين) وهما فروع: (الفرع الأول) الآية تدل على أنه تعالى ليس بحسم لأنه لو كان حساً وله صورة لكان جواب موسى عليه السلام يذكر حقيقته، ولكن كلام فرعون لازماً أنه ليدل على الجواب الحق (تعالى) الواجب على من يدعو عبده إلى الله تعالى أن لا يجب عن المساعدة لأن موسى عليه السلام لما قال له فرعون بأنه يجوز ثم بعدل عن ذكر الدلالة وكذلك لما تردد أن يسبحه (الثالث) أنه يجوز للمتلول أن بعدل في حجة من مثال إلى مثال لإصباح الكلام ولا يدل ذلك على الإنقطاع (الرائع) إن قيل كيف وقع الكلام عما لا خلق له الأول وهو قوله (أو لو جنك بشيء من) والمعبر لا يدل على الله تعالى كدلالة سائر ما تقدم؟ وما من دل ما أراد أن يظهره من إعجاب العاصية على الله تعالى وعلى توحده، وعلى أنه صادق في الرسالة فالتى ختم به كلامه أقوى من كل ما تقدم وأجمع (الخامس) إن قيل كيف قال (رب السموات والأرض وما بينهما) على تثنية والمراد به المخرج؟ فإنه أريد ما بين الجنتين، فإن قيل ذكر السموات والأرض وما بينهما قد استوعب الخلائق كلها، أما معنى ذكرهم وذكر آياتهم بعد ذلك وذكر المشرق والمغرب؟ (جواب) قد علم أولاً أنهم مخصص من تمام فليس أنفسهم وآياتهم لأن أقرب الأشياء من العاقب نفسه ومن ولم منه وما شاهد من انتداله من وقت ميلاده إلى وقت وفاته من حالة إلى

قَالَتِي عَصَاهُ فَلَمَّا هِيَ ثَعْلَبٌ مُبِينٌ ﴿٣٥﴾ وَزَعَّ يَدَهُ فَلَمَّا هِيَ يَبْصَاءُ لِشَظِيرِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لِلْعَالِمِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٧﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ لَمَّا تَأْمُرُونَ ﴿٣٨﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٣٩﴾ بَأْتُوكَ رَبِّكَ حَمَلًا عَلِيمٌ ﴿٤٠﴾

سأله أخرى، ألم سمعت المشرق والمغرب إذا نزع الشعير من أذن المذنبين وغرو ما على تخدير ما سمعت في قصص السيرة من أفهم الدلائل (الأساس) يريد قبل لم قال لا سمعك من السحرة (و) يريد بل لا سمعك مع أنه أخضر (حواله) لأنه لو قال لا سمعك لا يفيد إلا صيرورته مسجوماً.

لما قوله (لأسمعتك من السحرة) أي عصاه التي أمدت في حرمه سالمة في جهنم. وكان من عذابه أن يأخذ من يرد أن يسجد ويسجد في أثر عذقه رداً لا يصر بها ولا يسمع فكان ذلك أشد من القتل (البيان) الأول في قوله (أولو حشاك) (ولو أمدت) (خلع عليها حمرة) (الاستفهام معناه) أفمن في ذلك ولو حشاك بشي، من أي حشاك الملعون.

قوله تعالى ﴿٣٥﴾ والي عصاه فلما هي ثعلب مبين (و) زع يده فلما هي يبصاء لشظيرين. قال لعله حوله إلى هذا السحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فلما تأمرون. قالوا يا به وأعدا وأبعت في المدن حاشرين. بأتوك كل عام عليم (و) به مسألان.

﴿ المسألة الأولى ﴾ قرأ الإعراف (بكل ساحر عليم).

﴿ المسألة الثانية ﴾ ما أن قوله (أولو حشاك بشي) من (يأت على أن الله تعالى قبل أن التي عصاه عرفت أنه يسجد لها ثوباً، ولولا ذلك لكان قال عذق: وثالث عصاه ظهره، وعنده الله عصاه ثياباً ذهباً، ولما زاد أنه ثوب لشظيرين أنه ثعلب يركبه وتصدر العلامات، روى أنه مك انقلاب حية أو سمعت في السهارة قدر من ثم أعطت مقعة إلى فرعون وجعلت تقول يا موسى عني ما شئت، وبقول فرعون يا موسى أأنتك ما أنت أرسلك إلا أخذتها معدت عصا في قبضك. قال ههنا (ثعلب مبين) روى آخرى (فلما هي حية تسعى) وفي آية ثالثة (كأنها حية) والحق ماثل في الصفر والذهب ماثل إلى السكر (حواله) لما ألغى فهي اسم الجنس ثم جاء الكهنة عاصيات، ثياباً، وشبهها بأجنات خفتها وسرعتها فصح الكلامان، ويجعل أنه شبهها بالثعبان فربما تدل (والجنان غفلة من فن من نواصيرهم) وبمجلس أنها كانت، أولاً صغيرة كالجمل ثم كبرت

فَجَمَعَ السَّحَرَةُ لَيْلَتَيْنِ يَوْمَ مَعْلُومٍ ﴿٦٦﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴿٦٧﴾  
لَعَلَّكُمْ تَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا مِنْ الْغَالِبِينَ ﴿٦٨﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَهْ لَنَا  
لَا جَبْرَ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٦٩﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَئِنَّمُ الْمَقْرِبِينَ ﴿٧٠﴾

صارت تعباً ، ثم إذا موسى عليه السلام لما أتى هذه الآية قال له فرعون هل غير ما قال فهم  
فأراه يده ثم أدخلها جبهته ثم أخرجها فإذا هي بيضاء يعني الوادي من شدة يابستها من غير رصص  
لها شمع كشعاع الشمس ، فبعد هذا أراد فرعون تعبته هذه الحاجة على قومه فذكر فيها أموراً  
ثلاثة ( أحدها ) قوله ( إن هذا ساحر عظيم ) وذلك لأن الزمان كان زمان السحرة وكان عند  
كثير منهم أن ساحر قد يجوز أن ينهي بسحره إلى هذا الحد فليذا روج عليهم هذا القول  
( وثانيها ) قوله ( يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره ) وهذا يجري مجرى التنفير عنه لئلا يفتنوا  
قوله . والمعنى يريد أن يخرجكم من أرضكم بما يلقى بهكم من الدلائل ويفرق بينكم ، ومعلوم أن  
معارضة الوطن أصعب الأمور ففرم عنه بذلك . وهذا نهاية ما يفعله المبال في التنفير عن الحق  
( وثالثها ) قوله لهم ( فإذا تأمروا ) أي فإني أنا ربكم فيه . والذي أعلمه ، ظهر من نفسه : أي منيع لأبيكم  
وهو ، فإني أكون لكم ، ومثل هذا الكلام يوجب جذب القلوب والمغرة عنها عن العدو فتد هذه الكلمات  
انضوا على جوارب واحد وهو قوله ( أخرج ) فرى أخرجته وأراده بالهزم والتخفيف . وها  
اثنان : يقال أخرجته وأخرجته إذا أخرجه . والمعنى أخرجه ومناظرته لوقت اجتماع السحرة . وقيل  
أخرجه وذلك محتمل . لأنك إذا حبست الرجل عن حاجته فقد أخرجه . روى أن فرعون أراد  
قتله ولم يكن يصل إليه . فقالوا له لا تفعل . فأنه إن قتله أدخلت على الناس في أمره شبهة .  
وأكن أخرجته وأخاه إلى أن تحضر السحرة بفارمده فلا يثبت له عليك حياة . ثم أشاروا عليه  
بإضافة جاسرين يجمعون السحرة . فلما سمع بأنهم إذا كثروا غلبوه وكشفوا حاله وعارضوا قوله  
( إن هذا ساحر عظيم ) يقولون ( بكل سحر عظيم ) فجاءوا بكلمة الإحاطة وبصيغة المبالغة ليعطوا  
قلبه وليكنوا بعض قلبه . قال صاحب التفسير فان قلت قوله تعالى ( قال للملاحولة ) ما المعامل  
في قوله ؟ قلت هو منصوب بضمين نصب في اللفظ ونصب في المحل والمعامل في النصب المحقق  
ما يقدر في الطرف . والمعامل في الضميمة المحقق هو المذهب على الحال .

قوله تعالى : ﴿ فججمع السحرة ليلتات يوم معلوم ، وقيل للناس هل أنتم مجتمعون . لعلنا نسمع  
سحرة إن كانوا هم الغالبين ، فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين ،  
قال نعم وإنكم إذا لم المقرين ﴾ وفيه ما قلنا :

قَالَ لَهُمُ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿١٣٣﴾ فَلَأَقْوِ الْجَهْلُكُمْ وَهَـصِبَهُمْ فَكُرُوا بِعِزَّةِ  
فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْعَظِيمُونَ ﴿١٣٤﴾ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا  
يَأْفِكُونَ ﴿١٣٥﴾ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْرَهُمْ سَاجِدِينَ ﴿١٣٦﴾ فَلَأَوْءَاتَنَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣٧﴾ رَبِّ  
مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٣٨﴾

﴿ المسألة الأولى ﴾ التيمم المعلوم يوم الزينة ومبقات وقت الضحى ، لأنه الوقت الذي وفيه  
لهم موسى عليه السلام من يوم الزينة في قوله (موعدهم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى) والمبقات  
ما وقت به أى حدد من مكان وزمان ومنه مراقبت الإحرام .

﴿ المسألة الثانية ﴾ اعلم أن القوم لما أشاروا بتأخير أمره وبأن يجمع له السحرة ليظهر عند  
محضودهم فساق قول موسى عليه السلام ، رضى فرعون بما قالوه وعصى عما شاهدوه وعبه الشيء  
بسمى وبصر . لجمع السحرة ثم أراد أن يضع تلك المظاهرة يوم عيد لهم ليكون ذلك بمحضر الخلق  
العظيم وكان موسى عليه السلام يطلب ذلك لتظهر حجة عليهم عند الخلق العظيم وكان هذا أيضاً  
من لعنف الله تعالى في ظهور أمر موسى عليه السلام .

أما قوله ( وقيل للناس هل أنتم مجتمعون ) فالمراد أنهم دعوا على المحضود فيشاهدوا  
ما يكون من الجانبين .

وأما قوله ( لئلا تنفع السحرة ) فالمراد إما زجرهم أن يكون الطلبة لهم فتنبهم فلما جلد السحرة  
ابتدأوا بطلب الجزاء ، وهو إما المال وإما الجلاء فبذل لهم ذلك وأكده بقوله ( وإنكم إذا لم  
الفرج من ) لأن نهاية مطلوبهم منه البذل ورفع المذلة فبذل كلا الأمرين .

قوله تعالى : ﴿ قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون . فعصاهم ففكروا بعزة فرعون  
بأن نحن الظالمون ، فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون . فألقى السحرة ساجدين ، قالوا آمنا  
برب العالمين ، رب موسى وهارون ﴾

اعلم أنهم لما اجتمعوا كان لابد من أن يبدأ موسى أو يبدأوا ثم إنهم قواضوا له بعهده على  
أنفسهم . وقالوا (إما أن تلقى وإما أن نكون أول من ألقى) فلما قواضوا له تواضع هو أيضاً لهم  
قدسهم على نفسه ، وقال (ألقوا ما أنتم ملقون) فان قيل كيف ساق موسى عليه السلام أن يأمر  
السحرة بإلقاء الحبال وانصى وذلك سحر وتليس وكفر والأمر بعنه لا يجوز (الجواب ) لاشبهة  
في أن ذلك ليس بأمر لأن مراد موسى عليه السلام منهم كان أن يؤمنوا به ولا يجحدوا على ما يجري

بحرى المغالة ، وإذا كنت هذا وجب أن يزل صيغة الأمر وفيه وجوه ( أخذها ) ذلك الأمر كان مازوفاً والتقدير ألفوا ما أنتم ملقون إن كنتم محقين كما في قوله ( فأتوا يسورة من مثله إن كنتم صادقين ) ( واثبتوها ) ما تميم ذلك طريقاً إلى كشف الشبهة سار جازئاً ( واثبتوها ) لأن هذا ليس بشيء بل هو شديد ، أى إن مدغم ذلك أثبتا به تطلعه ، كقول القائل لئن وصيتي لأفعلن ولا حينئذ ثم يقول له لستم فيعزل له لزم فيكون ذلك منه تهديماً ( واثبتوها ) ما ذكرنا أنهم لما تم احتواؤه وندموه على أنفسهم فهو قدسهم على ، منه على رجاء أن يصير ذلك التواضع شيئاً يعبرون الخ . ولقد جسر بركة ذلك التواضع ذلك المطلوب ، وهذا نفيه على أن اللائق بالنسب في كل الأحوال التواضع ، لأن مثل موسى عليه السلام لما لم يتركه التواضع مع أولئك السحرة ، هذان يمدح الواحد منهما أولاً .

أما قوله تعالى ( فأتوا جراحهم ) فروى عن ابن عباس أنهم لما ألفوا ميالهم وعصمهم وفداك الجبال عطلة بالائق وانصى بحرفة حمولة من الرثاق فلبسوا حمت انشدت حركتهم انصدارت كذاها سرياً تدب من كل جانب من الأرض فهاج موسى عليه السلام ذلك : فضل له أنى ما في يملكه وألقى عصاه فإذا هي أمداد موزن ( ثم فحت فاعادها فالت كل ما رموه من حالهم وعصمهم حتى أكلت الكل ثم أخذ موسى عصاه ، فإذا هي كالكاب ففارت السحرة ذلك فأتوا فخرعون كذا ، حرارتهم فإذا غنم غبت الجبال وانصى ، وكذلك إن غلبونا ولكن هذا حتى مصدقوا وأنوارب العافين .

واعلم أن في الآثار اختلافاً بينهم من كثر نزال وندهى ، ومنهم من توطأ وافته أجل بعد ذلك : والذي يدل القرآن عليه أنها كثيرة من جيب حشرها من كل بلد ، ولأن الأمر دائم عند فرعون وقومه في العصف ، ولما بعد أن يدخر قومه ، يمكن من جمع السحرة .

ولما قوله ( وقالوا يدعهم دعونا لنؤمن بالآيات ) فالمراد أنهم أظهروا ما بحرى بحرى لقطع على أهلهم ، ومنه . وكل ذلك لما ظهر كان أمرى لأمر موسى عليه السلام .

أما قوله ( وألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون ) والمراد من قوله ( ما يأفكون ) ما ينفون به عن وجهه وحقيقته بحرهم وكبهم فيجربون في سبهم وعصمهم أنها حيات نسى ، وسى تلك الأشياء إنك ما شئت .

لما قوله ( وألقى السحرة ساجدين ) فالمراد غروا بها لأنهم كانوا في الطينة القابض على علم البحر ، فلا جرم كانوا جافين تنهى البحر ، وإذا ذلك وشاهدوه حارحاً عن حد البحر غلوا أنه ليس بحر ، وما كان ذلك إلا بركة تحقيرهم في علم البحر ، ثم إهم عند ذلك لم يبالوا أن رموا بأنفسهم إلى الأرض ساجدين لأنهم أخذوا فطرحوا عرجاء ، فإن قيل فقتل الإلهاء ما هو لوصح به ؟ ( حرارة ) هو الله تعالى قد حصن في قلوبهم من الدواعي الخالصة الخالية عن العارفات

قَالَ أَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ أَاذِّنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرٌ كَرُّ الَّذِي عَلَيْكُمْ السَّحَرُ فَلَوْ  
تَعْلَمُونَ لَا تَقْطَعُونَ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا تَصْلَبُكُمْ أَصْحَابِينَ ﴿١٥﴾ قَالُوا لَا  
صَبْرَ لَنَا إِلَّا بِرَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا إِنَّ كُنَّا  
أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾

والكن الأول : أن لا تقدر فاعلا لأن آتى بنى حر وخط .

أما قوله ( رب موسى وهرون ) فهو عطف بين رب العالمين لأن فرعون كان يدعى الربوبية  
فأرادوا عزله ومعنى إصاحقه إلهامى ، ذلك المقام أنه الذى دعا موسى وهرون عبيدا للسلام إليه .  
قوله تعالى : ( قال أنتم له قبل أن آذن لكم ) إنه لكبير كر الذى عليكم السحر (الفسوف تفسدون ،  
لا تقطعون أيديكم وأرجلكم من خلف ولا تصلبكم أصحابين ) قالوا لا صبر لنا إلى ربنا منتقلون ، إنا  
نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين ﴿

أما أنهم لما آمنوا بأبيهم لم يأت فرعون أن يقتلهم ، تناس إن هؤلاء السحرة على كثرتهم  
وقطاعهم لم يؤمنوا إلا عن معرفة بصدقه أمر موسى عليه السلام فيسلطون مثل طريقتهم فيس  
على تقوم (بالع في الشخير عن موسى عليه السلام من وجوه الأولها ) قوله ( أنتم له قبل أن آذن  
لكم ) وهذا فيه إيهام أن سارعتكم إلى الإيمان به دالة على أنكم كنتم مائنان إليه . وذلك بطرق  
التهمة إليهم فلهم نفروا في السحر حياته ( وثانيها ) قوله ( إنه لكبير كر الذى عليكم السحر )  
وهذا نصريح بما مر به أولا . وغرضه منه أنهم فعلوا ذلك عن موافقة ظنهم وبين موسى عليه  
السلام وقصروا إلى السحر ليطهر أمر موسى عليه السلام ، وإلا ففي قوة السحرة أن يفعلوا مثل  
ما فعل موسى عليه السلام . وهذا شبهة قوية في تغيير من يقبل قوله ( وثالثها ) قوله ( فسوف  
تعلبون ) وهو وعد مطلق بتعديده شديد ( ورابعها ) قوله ( لا تقطعون أيديكم وأرجلكم من خلف  
ولا تصلبكم أصحابين ) وهذا هو الرعي المفصل وقطع اليد والرجل من خلف هو قطع اليد اليمنى  
والرجل اليسرى والصلب معلوم . وليس في الإهلاك أقوى من ذلك . وليس في الآية أنه فعل ذلك  
أو لم يفعل ، ثم إنهم أصحابوا عن هذه الكلمات من وجوب ( الأول ) قولهم ( لا صبر لنا إلى ربنا  
منتقلون ) الضم والتغير واحد . وليس المراد أن ذلك إن وقع لم يغفر وإنما غفروا بالإضافة إلى  
ما عزموا من دار الخلود .

( واسم ) أن قولهم ( إنا إلى ربنا منتقلون ) فيه نكتة شريفة وهي أنهم قد بلغوا في حب الله

وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكَ مُتَّبِعُونَ ﴿٢٦﴾ فَأَرْسَلْنَا فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ  
 حَاشِرِينَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ هَؤُلَاءَ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٢٨﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآطُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ  
 حَاشِرُونَ ﴿٣٠﴾ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٣١﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٣٢﴾  
 كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٣٣﴾ فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴿٣٤﴾ فَلَمَّا رَأَى الْأَصْفَهَانِ  
 قَالَ اتَّخَذَ مُوسَىٰ إِذَا لُمُّهُ كُونٌ ﴿٣٥﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٣٦﴾

تعالى أنهم ما أرادوا شيئاً سوى الوصول إلى حصرتهم ، وأنهم ما كانوا رغبة في ثواب أو رغبة من  
 عقاب ، وإنما مقصودهم محض الوصول إلى مرصاتهم والاستقرار في الثوار سمرقته ، وهذا أعلى  
 درجات الصديقين ( الخواص الثاني ) نوعهم ( إننا نطمح أن نغير نارياً خطايانا ) فهو إشارة منهم  
 إلى الكبر والسر وغيرهما ، والطمح في هذا الموضع يحمل البعس كقولهم لم نعيم ( والذي أطمح  
 أن يغيرني خطيئي يوم الدين ) ويحمل كمال لأن المراد لا يعلم ما سيجي . من بعد .

أما قوله ( أن كنا أول المؤمنين ) فالمراد لأن كنا أول المؤمنين من الجنة الذين حضروا  
 ذلك الموقف ، أو يكون المراد من السخرة خاصة ، أو من رعية فرعون أو من أهل زمانهم .  
 وقرئ إن كنا بالكسر ، وهو من الشرط الذي يعي به المدلل . ويظهر قول القائل لمن يؤخر  
 حبه : إن كنت عمت لك فوقتي حتى

قوله تعالى : ﴿ وأوحينا إلى موسى أن أسر عبادي إنكم متبعون ﴾ . فأرسل فرعون في المدن  
 حاشرين ، إن هؤلاء لشرذمة قليلون ، وإنهم لنا لغايطون ، وإنا جميع حاشرون . فأخرجناهم من  
 جنات وعيون ، وكنوز ومقام كريم . كذلك وأورثناها بني إسرائيل . فأتبعوهم مشرقين . فلما  
 رأى الصفاة قال أصحاب موسى إننا لملكوكون ، قال كلاً إن معي ربي سيهدين .

قرئ ( أسر ) بفتح الحزة ووصلها وسرلة فغير أمر موسى عليه السلام بما شاهدوه من  
 الآية . أسر الله تعالى بأن يخرج بني إسرائيل لما كان في العظم من تدبير الله تعالى في موسى  
 وتخليصه من القوم وعبيدك بلادهم وأموالهم . ولم يأمن فقد جرت تلك القابلة الظاهرة أن يضع من  
 فرعون بني إسرائيل ما يؤدي إلى الاستقلال . فذلك أسر الله تعالى أن يسرى بني إسرائيل ،



وهم الذين آمنوا وكانوا من قوم موسى ، ولا شبهة أن في الكلام حذفاً وهو أنه أسمى بهم كما أمره الله تعالى . ثم إن قوم موسى عليه السلام قالوا لقوم فرعون إن لنا في هذه القبلية عيماً ، ثم استلوا منهم حلهم وحلهم بهذا السبب . ثم خرجوا بذلك إلى في القبل إلى جانب البحر . فلما سمع ذلك فرعون أرسل في المذللين حاشرين ، ثم إله قوي نفسه ونفس أصحابه بأن وصف قوم موسى بوصفين من أولئك القوم ، ووصف قوم نفسه بصفة المدح ، أما وصف قوم موسى عليه السلام بالثم .

( الصفة الأولى ) قوله ( إن هؤلاء لشرذمة قليلون ) والشرذمة الطائفة الغلبة ، ومنه قولهم ثوب شراذم الذي يلي ، وتقطع قطعاً ذكرهم بالإسم الدال على القلة . ثم جعلهم قبلاً بالوصف ، ثم جمع القليل لجمع كل حزب منهم قبلاً واختار جمع السلامة الذي هو القلة ، ويجوز أن يراد بالقلة القلة لا قلة العدد . والذي أهم لظنهم لا يبال بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوم ، ثم اختلف المفسرون في عدد تلك الشرذمة ، فقال ابن عباس رضي الله عنهما : كانوا اثنتي عشرة ألف مقاتل لأشباه فيهم دون عشرين سنة ، ولا شيخ يوفى على سنين سوى الحشم ، وفرعون يقتلهم لشدة من معه ، وهذا الوصف قد يستعمل في الكثير عند الإضافة إلى ما هو أكثر منه . فزوي أن فرعون خرج على فرس آدم حصان وفي عنقه ، على لون فرسه ثمانية ألف .

( الصفة الثانية ) قوله ( وإني لآتائهم ) يعني يصلون أصلاً تغلبنا وتضيق صدورنا ، واختلجوا في تلك الأضال على وجوه ( أحدها ) ما تقدم من أمر الحن في غيره ( وثانيها ) خروج إلى إسرائيل عن عبودية فرعون واستقلالهم بأنفسهم ( وثالثها ) مخالفتهم لهم في الدين وحرورهم عليهم ( ورابعها ) ليس إلا أنهم لم يتخذوا فرعون إلهاً . أما الثاني وصف فرعون به قوله فهو قوله : ( وإنا لجميع حادرون ) وفيه ثلاث قراءات حادرون وحادرون وحادرون بالبدال غير المدحمة .

واعلم أن نصفه إذا كانت جارية على الفعل وهي اسم الفاعل واسم المفعول كالضارب والمضروب أعادت الحروف ، وإذا لم تكن كذلك وهي الشبهة أعادت البوت ، فمن قرأ ( حادرون ) ذهب إلى إنا قوم من عادتنا الحذر واستعمال الحزم ، ومن قرأ ( حادرون ) فكأنه ذهب إلى معنى إنا قوم ما عهدنا أن نعد إلا عصرنا هذا . وأما من قرأ ( حادرون ) بالبدال غير المدحمة فكأنه ذهب إلى بني الحذر أصلاً . لأن الحادر جر الماشر ، فأراد إنا قوم أقوياء أشداء ، أو أراد إنا مدبجون في السلاح ، والفرض من هذه المعاذير أن لا يتوهم أهل المفسرين أنه متكسر من قوم موسى أو خائف منهم .

أما قوله تعالى ( فأخرجهم من جنتهم ) فالمراد إنا جعلنا في قلوبهم داعية الخروج فاستوجب الداعية الفعل ، فكان الفعل مضافاً إلى الله تعالى لا عمالة .

وأما قوله ( من جنت وعيون وكنوز ) فقال مجاهد : سماها كنوزاً ، لأنهم لم يبقوا منها في

فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْشَقَّ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٢٧﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَ الْآخَرِينَ ﴿٢٨﴾ وَأَنْجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٢٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٣٠﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ﴿٣١﴾ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٣٣﴾

طاعة الله تعالى ، والقام الكريم يريد المثلوك الحسة والمجلس به ، والمشي إنا أخرجناهم من إسرائيل ثم فيها عبود الله وكمون الذهب والفضة ، والمواضع التي كانوا يقيمون فيها لفسادها إلى بني إسرائيل ، أما قوله كذلك فحسب ثلاثة أوجه : انصب على أخرجناهم من ذلك الإخراج الذي وصفناه ، ونار على أنه وصف لقام كريم ، أي مقام كريم مثل ذلك المقام الذي كان لهم ، وأزفع على أنه جبريل بدأ محذوف ، أي الأمر كذلك .

أما قوله ( فأبوم ) أي منهم قوم ، وقرئ فأبوم مشرقين داخلين في وقت الشروق من أشرفت الشمس شرقاً إذا طلعت .

أما قوله ( وما نراهم إيمان ) أي رأيت بعضهم بعضاً ، قال أصحاب موسى ( ما نراهم كون ) أي مخلصون ( وقالوا يا موسى أوفينا من قبل أن تأتي ) أي بعد ما جئنا ( كانوا يذبحون أبقانيا من قبل أن تأتي ومن بعد ما جئنا يذبحون ) أي في الساعة يقولون ، وقرئ ( فلما تراث الفتان ) ( أي لم يركب ) تصديق المال وكسر الإله من أدرك الشيء ، أي تابعه حتى ، وسبق قوله تعالى ( لم أدرك عليهم في الآخرة ) قال الحسن : جعل لهم الآخرة ، والمشي إلى انتابون في الهلاك على أيديهم حتى لا يبق لنا أحد . بعد ذلك قال لهم كلوا ذلك كله مما فرموا به ، ثم قوى لهم بهم بأمرين ( أحدهما ) ( إن معي ربي ) وهذا دلالة التصدية والتكفل بالبرية ( والثاني ) قوله ( سمعهم ) والهدى هو طريق الجنة والخلاص ، ولما دل على طريق نجاه وهلاك أعدائه ، فقد تبع النجاة في الصورة .

قوله تعالى : ﴿ فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانشق فكان كل فرق كالطود العظيم ، وأزلفنا ثم الآخرين ، وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ، ثم أغرقنا الآخرين ، إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ، وإن ربك هو العزيز الرحيم ﴾ .

اعلم أنه أطلق ما حكى عن موسى عليه السلام قوله ( إن معي ربي سمعهم ) بوجه تعالى بعدد كيف هداه ونجاه ، وأهت أعداءه فكان التدبير الجامع لهم الدين والنداء ، فقال ( فأوحينا

إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانشق ) ولا شبهة في أن المراد ضرب بقاتلن لأنه كالعلم من الكلام إذا لا يجوز أن يغلق من غير ضرب ومع ذلك يأمره بالضرب لأنه كالتبث ولأنه تعالى جعله من معجزاته التي ظهرت بالحق ولأن انفلاقه بضربه أعظم في التهمة عليه . وأقوى لديهم أن ذلك إنما حصل لمكان موسى عليه السلام ، واختلقوا في البحر ، روى عن ابن عباس ومضى الله عنهما أن موسى عليه السلام لما انتهى إلى البحر مع بني إسرائيل أمرهم أن يحوضوا البحر فامتصوا إلا بـ سبع بن توفى فانه ضرب دابته . ونحاض في البحر حتى عبر ثم رجع إليهم فأبوا أن يحوضوا فقال موسى للبحر انفري لي فقال ما أمرت بذلك ولا يعبر على العصاة ، فقال موسى يارب قد أتى البحر أن ينفري ، ففعل له اضرب بعصاك البحر فصربه فانفرد فكان كل فرق كالطود العظيم أي كالجبل العظيم وصار فيه اثنا عشر طريقاً لكل سبط منهم طريق فقال كل سبط قتل أصحابنا فعند ذلك دعا موسى عليه السلام ربه ليعلمها ما صار كثر الفلقات حتى نظر بعضهم إلى بعض على أرض يابسة . وعن عطاء بن السائب أن جبريل عليه السلام كان بين بني إسرائيل وبين آل فرعون وكان يقول لبني إسرائيل لياحق آخركم بأولكم . ويستقبل القبط يقول رويدكم ليلحق آخركم . وروى أن موسى عليه السلام قال عند ذلك وبأمن كان قبل كل شيء . والمكون لكل شيء . والكلان بعد كل شيء . ٢ .

فأما قوله ( فكان كل فرق كالطود العظيم ) فالفرق الجزء المنفرد منه . وعمرى كل فرق والمعنى واحد والطود الجبل المطاول أي المرتفع في السماء وهو معجز من وحده : ( أسداها ) أن تفرق ذلك الماء معجز ( وثانها ) أن اجتماع ذلك الماء فوق كل طرف منه حتى صار كالجبل من المعجزات أيضاً لأنه كان لا يمتنع في الماء الذي أنزل بذلك المنفرد أن يبدده الله تعالى حتى يصح كأنه لم يكن فلما جمع على الطرفين صار مؤكداً لهذا الإيجاز ( وثالثها ) أنه إن ثبت ما روى في الخبر أنه تعالى أرسل على فرعون وقومه من الرياح والفتنة ما حيرهم فاحتسوا القصد الذي يتكامل منه عبود بني إسرائيل فهو معجز ثالث ( ورابعها ) أن جعل الله في تلك المنفردات المسماة كرى يطر منها بعضهم إلى بعض فهو معجز رابع ( وخامسها ) أن أبى الله تعالى تلك المسالك حتى قرب بها آل فرعون وخضعوا أن يتخلصوا من البحر كما تخلص قوم موسى عليه السلام فهو معجز خامس .

أما قوله تعالى ( وأزلفناهم الآخرين ) فقيه بثمان :

( البحث الأول ) قال ابن عباس وابن جرير وفائدة والصدى ( وأزلفنا ) أي وقربناهم أي حيث اتفق البحر للآخرين قوم فرعون ثم فيه ثلاثة أوجه : ( أسداها ) قربناهم من بني إسرائيل ( وثانها ) قربنا بعضهم من بعض وجعلناهم حتى لا ينجو منهم أحد ( وثالثها ) قربناهم إلى البحر ومن الناس من قال ( وأزلفنا ) أي حبسنا فرعون وقومه عند ظهريهم موسى عليه السلام بأن أطلقنا عليهم الدنيا بسعة وقت عليهم فرعونوا جباري . وقرئ . ( وأزلفنا ) بالغاب أي أنزلنا أقدامهم

والمنقذ أدهنا عزهم ومحتول أن يجعل الله طريقهم في البحر على خلاف ما حمله نبي اسرائيل يسأ .  
وأما انهم .

( البحث الثاني ) أنه تعالى أضاف ذلك الإزالة إلى نفسه مع أن احتاجهم هناك في طلب موسى كغير ( الجواب ) عنه من وجهين : ( الأول ) أن قوم فرعون يتبعوا نبي اسرائيل وهو اسرائيل إنما فعلوا ذلك بأمر الله تعالى فمما كان مسيرهم شديداً وهؤلاء اتبعوا ذلك أضافه إلى نفسه توسداً وهذا كما يجب أحدنا في طلب غلام له فيجوز أن يقول أتنبئ أن غلامنا حدث ذلك فعله ( الثاني ) قيل ( وأما انهم الآخرين ) أي : أزالناهم إلى الموت لأجل أنهم ( ذلك الوقت ) فرما من أجلمهم وأندد :

وكل يوم معنى أوليسه سقط فيها النفوس إلى الأجل نزول

وأجاب الكرمي عنه من وجهين : ( الأول ) أنه تعالى لما علم أنهم . وترك الحر لم يسأ .  
وطعنوا في عبود حلت الإضافة كالرجل يده عليه صاحبه مرراً فيعلم منه . فإذا أخذ في غيره وأراد شربه عليه قال له أن أخرجك إلى هذا وصيرتك إليه على . لا يريد بذلك أنه أراد ما فعل ( الثاني ) يعني أنه أزالهم أي جميعهم لغيرهم عند ذلك ولكن لا يصح أن يقولوا إلى موسى وقومه ( والجواب ) عن الأول أن الذي عمله بنو اسرائيل هل له أثر في استجلاب داعية قوم فرعون إلى الذهاب خلفهم أوليس له أثر فيه . فإن كان الأول قد حصل المقصود لأن فعل الله تعالى أزال في حصول الداعية المستقلة ذلك الإزالة ، وإن لم يكن له فيه أثر فبأنه قد زال التعلق ويجب أن لا يحسن الإضافة . وأما إذا تعجب أحدنا في طلب غلام له ، فأنما يجوز أن يقول أتنبئ ذلك الغلام فما أن فعل ذلك الغلام صار كالمؤثر في حصول ذلك السبب لأنه متى فعل ذلك الغلام فالظاهر أنه يصير معلوماً للسبب ، ومعنى منه صار عنه داعياً له إلى ذلك السبب ومؤثراً فيه فصحت الإضافة . وبالحيلة فمتى ما القادر لا يمكنه الفعل إلا بالداعي فالداعي مؤثر في حدوثه والقادر مؤثر في ذلك الفعل فلا جرم حلفت الإضافة ( والجواب ) عن الثاني وهو أنه أزالهم لغيرهم فهو أنه تعالى ما أزالهم بل هم بأنفسهم أزالوا أنفسهم حصل الفرق بينه ، فكيف يجوز إضافة هذا الإزالة إلى الله تعالى ؟ لما عني قولاً ما كان جازاً لأنه تعالى هو الذي خلق الداعية المستقلة لذلك الإزالة ( والجواب ) عن الثالث وهو أن حمله تعالى عنهم وحملهم على ذلك . فنقول ذلك أحتمل هل له أثر في استجلاب هذه الداعية أم لا ؟ وباقى التفسير كما تقدم ( والجواب ) عن الرابع هو بعينه الجواب عن الثاني والله أعلم .

أما قوله تعالى ( وانجينا موسى ومن معه اجمعين ) فالحق أنه تعالى جعل البحر يسأ في حق موسى وقومه حتى خرجوا منه وأغرق فرعون وقومه لأنه لما تكامل دخولهم البحر انطبق الماء عليهم فغرقوا في ذلك الماء .

وَأَنقُلْ عَلَيْهِم نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٣١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿١٣٢﴾ قَالُوا نَعْبُدُ  
 أَصْنَامًا فَنَنْظُرُهَا ﴿١٣٣﴾ عَنصَحِينَ ﴿١٣٤﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ ﴿١٣٥﴾  
 أَوْ يَبْصُرُونَكَ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿١٣٦﴾ قَالُوا بَلَىٰ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿١٣٧﴾ قَالَ  
 أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿١٣٨﴾ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿١٣٩﴾ فَلْيَنْهَضُوا عَنْكُمْ إِلَىٰ  
 رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٠﴾

أما قوله تعالى ( إن في ذلك لآية ) عائدة إلى الذي حدث في البحر آية عجبة من الآيات  
 النظام الدالة على قدرته لأن أحدًا من البشر لا يقدر عليه وعلى حكمته من حيث رفع ما كان  
 مصلدة في الدين والدنيا ، وعلى صدى موسى عليه السلام من حيث كان معجزة له ،  
 وعلى اعتبار المتعجبين به أبدًا فبغير تحذير من الإقدام على مخالفة أمر الله تعالى وأمر  
 رسوله ، ويكون فيه اعتبار لمحمد صلى الله عليه وسلم ، فإنه قال عقيب ذلك ( وما كان  
 أكثرهم مؤمنين ) وفي ذلك تسلية له فقد كان ينتم بتكذيب قومه مع ظهور المعجزات عليه فيه  
 الله تعالى بهذا التذكير على أن له أسوة بحسب وغيره ، فإن الذي طهر على موسى من هذه المعجزات  
 النظام التي نهر القول لم ينفع من أن أكثرهم كذبوه وكفروا به مع مشاهدتهم لما شاهده  
 في البحر وغيره . وكذلك أنت يا محمد لا تعجب من تكذيب أكثرهم لك واصبر على إيذائهم  
 فلعلهم أن يصلحوا ويكون في هذا الصبر تأكيد للجنة عليهم .

وأما قوله ( وإن ربك ذو العزيز الرحيم ) عطفه بما قبله أن القوم مع مشاهدة هذه  
 الآية الباهرة كفروا ، ثم إنه تعالى كان عزيزاً عادراً على أن يهلكهم ، ثم إنه تعالى ما أهلكهم بل  
 أطاع عليهم أنواع رحمة فعل ذلك على كمال رحمة وسعة جوده ونضله

### ﴿ القصة الثانية - قصة إبراهيم عليه السلام ﴾

قوله تعالى : ﴿ وائل عليهم نيا إبراهيم ﴾ إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون ، قالوا نبي أصناما ننظر  
 لها ما كفين ، قال هل يسمعونك إذ تدعون ، أو يقدونكم أو يضررون ، قالوا بل وجدنا آباءنا  
 كذلك يفعلون ، قال أفأنتم ما كنتم تعبدون ، أنتم وآباؤكم الأقدمون ، فلينهم عدوا لي إلا رب  
 العالمين ﴿ .

اعلم أنه تعالى ذكر في أول السورة حزن محمد صلى الله عليه وسلم بسبب كفر جومه

ثم يأن ذكر قصة موسى عليه السلام ليبرف محمد أن مثل تلك الجنة كانت ساحلة لموسى : ثم ذكر  
 عنها قصة إبراهيم عليه السلام ليبرف محمد أيضاً أن حزن إبراهيم عليه السلام بهذا السبب كان  
 أشد من حزنه . لأن من عظيم الجنة على (إبراهيم عليه السلام) أن يرى أباه وقومه في النار وهو  
 لا يمكن من إنقاذهم إلا بقدر الدعاء . والثنية فقال لهم (ما تصدقون) وكان إبراهيم عليه السلام  
 يعلم أنهم عبدة الأصنام ولكنه سألهم ليربهم أن ما يعبدهون ليس من استحقاق العبادة في شيء كما  
 يقول لناجر الرقيق ما حالك ؟ وأنت تعلم أن ماله اثنان : ثم قوله : الرقيق جمال وليس بحال .  
 فأجابوا إبراهيم عليه السلام بقولهم (نعد أصناماً نفضل لها عاكفين) والكسوف : الإغامة على  
 الشيء . وإنما قالوا (نفضل) لأنهم كانوا يبدونها بالنهار دون الليل ، وأعلم أنه كان يكفيم في الجواب  
 أن يقولوا بعيد أصناماً . ولكنهم ضلوا إليه زيادة على الجواب وهي قولهم (نفضل لها عاكفين)  
 وإنما ذكروا هذه الزيادة إظهاراً لها في نفوسهم من الانبهاج والافتخار بزيادة الأصنام فقال  
 إبراهيم عليه السلام مسلماً على فساد مذمومهم (هل يسمعونكم إذا تدعون أو ينصتونكم أو يهترون)  
 قال صاحب التكميل : لا بد في يسمعونكم من تخدير حذف المضائق عنه . هل يسمعون دعاءكم  
 وقرأ فتادة (هل يسمعونكم) أي هل يسمعونكم الجواب عن دعائكم . و هل يهترون على ذلك  
 ونقرر هذه الحجة التي ذكرها إبراهيم عليه السلام أن الغالب من حال من يعبده غيره أن يلتجئ  
 إليه في المسألة ليبرف مراده إذا سمع دعاءه ثم يستجيب له في بذل منفعة أو دفع مضرة . قال  
 لهم فإذا كان من عبده لا يسمع دعاءكم حتى يبرف مقصودكم ، ولم يعرف ذلك لما صح أن  
 يبدل الضع أو يدفع الضرر فكيف تستجيبون أن تبدوا ما هيئنا ومنه ؟ فند هذه الحجة  
 القاهرة لم يجد أبوه وقومه ما يدعون به هذه الحجة فبدلوا إلى أن قالوا (وجدنا آباءنا كذلك  
 يفعلون) وهذا من أقوى الدلائل على ضاد التقليد ووجوب التمسك بالاستدلال ، إذا لم يلقنا  
 الأمر فمدحنا التقليد . وذننا الاستدلال فكان ذلك مدحاً لطريقة الكفار التي ذمها الله تعالى  
 وذننا لطريقة إبراهيم عليه السلام التي مدحها الله تعالى فأجابهم إبراهيم عليه السلام بقوله (أفرأيتم  
 ما كنتم نعبدون أمهم وآبائهم الأصنامون) أراد به أن الباطل لا ينبغي أن يكون قدماً أو حديثاً ،  
 ولا بأن يكون في قاطبة كثرة أو قلة .

أما قوله (فانهم عدول إلا رب العالمين) فعبه أسئلة :

(السؤال الأول) كيف يكون الصنم عدواً مع أنه حماد ؟ جوابه من وجوه (أحدها) أنه  
 فعال قال في سورة مريم في صفة الأوثان (كلا سبكتهم وبيكروا بهم ويكفرون عليهم ضداً)  
 فقيل في تفسيره إن الله حي ما يعبده من الأصنام حتى يقع منهم التزيغ لهم والبراءة منهم ، فعلى  
 هذا الوجه أن الأوثان تسبى أعداداً متوالات . فكفار في الآخرة فأطلق إبراهيم عليه السلام لفظ  
 انداداً عليهم على هذا التأويل (وذمها) أن تكفار لما عبدها وعظموها ورجوها في طلب

الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾

المنافع ودفع المضار ترك منزلة الأحياء العقلاء في اعتناء الكفار ، ثم إنها صارت أسباباً لانقطاع الإنسان عن المادة ووصوله إلى الشفاعة ، فلما ترك هذه الأصنام منزلة الأحياء ، وجرت مجرى الدافع للمنفعة والحجاب للضررة لاجرم جرت مجرى الأعداء ، فلا جرم أطلق إبراهيم عليه السلام عليها لفظ العدو ( و ثالثاً ) المراد من قوله ( يا بهم عدوي ) عبادة من يعبدها ، فإن قيل فلم لم يقل إن من يعبد الأصنام عدوي ليكون الكلام حقيقة ؟ ( جوابه ) لأن الذي تقدم ذكره ما عبده دون العالدين .

( السؤال الثاني ) لم قال ( يا بهم عدوي ) ولم يقل يا هنا عدو لكم ؟ ( جوابه ) أنه عليه السلام صرر المسألة في نفسه على معنى إني فكرت في أمري فرايت عبادتي لها عبادة لتصور ما جنبتها ، وإبراهيم أنها نصبة تصنع بها نفسه ، فإذا تفكروا قالوا ما نصحننا إبراهيم إلا بما نصح به نفسه ، ليكون ذلك أدعى لقبول .

( السؤال الثالث ) لم لم يقل يا بهم أعدائي ؟ جوابه العدو والصديق يميّزان في معنى الواحد والجماعة . قال : وقوم عليّ ذوي مرء . إبراهيم عدواً وكافراً صديقاً

وصيه قوله تعالى ( وهم لكم عدو ) وتحقق القول فيه ما تقدم في قوله ( يا رسول رب العالمين )

( السؤال الرابع ) ما هذا الاستثناء ؟ جوابه أنه استثناء منقطع لأنه قال لكن رب العالمين .

قوله تعالى : ﴿ الذي خلقني فهو يهدين . والذي هو يطعمني ويسقيني . وإذا مرضت فهو يشفيني . والذي يميتني ثم يحييني . والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين ﴾ . اعلم أنه تعالى لما حكى عنه أنه استثنى رب العالمين ، حكى عنه أيضاً ما وحفه به مما يستحق لهبادة لاجله ، ثم حكى عنه ما سأله عنه ، أما الأول صافى فأربعة ( أو ثمانية ) قوله ( الذي خلقني فهو يهدين ) .

واعلم أنه سبحانه أثنى على نفسه من الأبرار في قوله ( الذي خلقني ) . والذي يهتدي ( والذي يخلق ) الخلق والهداية هما يحصل جميع المنافع لكل من يصح الانتفاع عليه . فلتنظم في الإنسان فنقول إنه مخلوق ، فمنهم من قال هو من عالم المخلوقات والجسمانيات . ومن قال هو من عالم الأمر والروحانيات ، وتركيب البدن الذي هو من عالم المخلوق مقدم على إعطائه القلب الذي هو من عالم

الأمر على ما أخبر عنه سبحانه في قوله ( وإذا سويته ونفخت فيه من روحي ) خاتمة إشارة إلى تعديل المزاج وتركيب الأَشْجَاح ، و وضع الروح إشارة إلى الطليقة الربانية النورية التي هي من عالم الأمر ، وأيضاً قال ( ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ) ولما تم مراتب تغيرات الأَجْسام قال ( ثم أنزلناه خلقاً آخر ) وذلك إشارة إلى الروح الذي هو من عالم الملائكة ، ولا شك أن الهداية إنما تحصل من الروح ، فقد ظهر هذه الآيات أن الخلق مقدم على الهداية .

أما حقيقة بحسب المباحث الحقيقية ، فهو أن بدن الإنسان إنما يتولد عند امتزاج الميديم الطلعت ، وهما إنسانا يتولدان من الأَخْذِيَّة المتولدة من تركيب العناصر الأربعة وتفاعلها ، فإذا امتزج الميديم بالدم فلا يزال ما فيها من الحار والبارد والرطب والجاف متفاعلاً . وما في كل واحد منها من القوى كسراً سودة كيفية الآخر ، فحينئذ يحصل من تفاعلها كيفية متوسطة تنسج بالقياس إلى البارد وتستبرد بالقياس إلى الحار . وكذلك القول في الرطب وشبابس ، وحينئذ يحصل الاستعداد لقبول قوى مدبرة لذلك المركب فمعها قوى نباتية وهي التي تجذب الغذاء ، ثم تمسكه ثم تهضمه ثم تدفع الفضلة المؤذية ، ثم تقيم تلك الأجزاء بدل ما تحلل منها ، ثم تزيد في جوهر الأعضاء طويلاً وعرضاً . ثم يفضل عن تلك المواد فضلة يمكن أن يتولد عنها مثل ذلك ، ومنها قوى حيوانية بعضها مدركة كالحواس الخمس والخيال والحفظ والذكر ، وبعضها غاطسة : إما أمة كالشهوة والغضب أو مأدودة كالقوى المركوزة في العضلات ، ومنها قوى إنسانية وهي إما مدركة أو غاطسة ، والقوى المدركة هي القوى القوية القوية على إدراك حقائق الأشياء الروحية والجسمانية والبدنية والدينية ، ثم لما إذا غدت عن كل واحدة من مركبات هذا العالم الجسماني ، ومفرداتها وجدت لها أشياء ثلاثها وتكمل حالها وأشيائها تنافرها وتفسد حالها ، ووجدت فيها قوى جذابة للملائمة دفاعة للنفاي ، فقد ظهر أن صلاح الحال في هذه الأشياء لا يتم إلا بالخلق والهداية . أما الخلق فيصيره موجوداً بعد أن كان معدوماً ، وأما الهداية فتلك القوى الجذابة للسائق والدافعة للضار بحيث أن قوله ( خلقني فهو يهدين ) كلمة جامعة حاوية لجميع المنافع في الدنيا والدين ، ثم هيأ دقيقة وهو أنه قال ( خلقني ) فذكره بلفظ الماضي وقال ( يهدين ) ذكره بلفظ المستقبل ، والسبب في ذلك أن خلق الذات لا يوجد في الدنيا ، بل لما وقع على إله الأبد المعلوم . أما هدايته تعالى فهي ما يتكرر كل حين وأوان سواء كان ذلك هداية في المنافع الدنيوية ، وذلك بأن تحكم الحواس بتسيير المنافع عن المضار أو في المنافع الدينية . وذلك بأن يحكم العقل بتمييز الحق عن الباطل والخير عن الشر ، فبين بذلك أنه سبحانه هو الذي خلقه بسائر ما تكامل به خلقه في الماضي دقة واحدة ، وأنه يهديه إلى مصالح الدين والدنيا بضرر الهدايات في كل لحظة ولحظة ( وثانيها ) قوله ( والذي هو يعطمني ويسقين ) وقد دخل فيه كل ما ينهل بمنافع الرزق ، وذلك لأنه سبحانه إذا خلق له الطعام ومثله ، فلم يكن منه ما يتمكن به من أكله والاعتناء به نحو الشهوة والقوة



والخير لم تفك هذه النعمة ، وذكر الطعام والشراب وأنه يذكرهما على ما عدهما ( وثالثها ) قوله ( وإذا مرضت فهو يشفين ) وفيه سؤال . وهو أنه لم قاله ( مرضت ) دون أمرضني ؟ وجوابه من وجوه ( الأول ) أن كثير من أسباب الأمراض يحدث بتفريط من الإنسان في مطاعمه ومشاربه وغير ذلك . ومن ثم كانت الحكمة : لو قيل لاكثر الموتى ما سبب أجالسكم ؟ لتقوا النعم ( الثاني ) أن المرض إنما يحدث باستيلاء بعض الأخلط على بعض ، وذلك الاستيلاء إنما يحصل بسبب ما يتناثر من الشوائب الطبيعية . أما الصحة فهي إنما تحصل عند بقائه الأخلط على اعتداله ، وغاؤها على اعتداله . إنما يكون بسبب قاهر يقهرها على الاجتماع ، وعودها إلى الصحة إنما يكون أيضاً بسبب قاهر يقهرها على اللود إلى الاجتماع . الاعتدال بعد أن كانت بعضاها مشتتة إلى التفرق والزعاج ، فهذا السبب أهداف الشفاء إليه سبحانه وتعالى . وما أهداف المرض إليه ( وثالث ) وهو أن الشفاء محبوب وهو من أصول النعم . والمرضى يكره ، وليس من نعم . وكان مقصود إبراهيم عليه السلام تعذيب النعم . ولما لم يكن المرض من النعم لا جرم لم يصفه إليه تعالى ، وإن قصصه بالإمانة ( بخوابه ) أن أثرت ليس بضرر ، لأن شرط كونه ضرراً وقوع الإحساس به ، وحال حصول الموت لا يقع الإحساس به . إنما الضرر في مقدماته وذلك هو عين المرض ، وأيضاً فلأنك قد عرفت أن الأرواح إذا كملت في العلوم والأخلاق كان يقاؤها في هذه الأجساد عين الضرر وخلاصتها عنواعين السعادة بخلاف الأمراض ( ورابعها ) قوله ( والذي يبينني ثم يحين ) والمراد منه الإمانة في الدنيا والتخلص عن آفاتنا وعنقوباتنا . والمراد من الإحياء الجواز ( وحاسب ) قوله ( والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين ) فهو إشارة إلى ما هو مطلوب كل ما قبل من الخلاص من العذاب والقود بالثواب .

واعلم أن إبراهيم عليه السلام جمع في هذه الألفاظ جميع نعم الله تعالى من أول الخلق إلى آخر الأبد في الدار الآخرة . ثم هنا أسئلة :

( السؤال الأول ) لم قال ( والذي أطمع ) وأطمع عبارة عن الغش والرجاء ، وإنه عليه السلام كان مطمئناً بذلك ؟ ( جوابه ) أن هذا الكلام لا يستقيم إلا على منعنا . حيث قلنا إنه لا يجب على الله لأحد شيء . وأنه يحسن من كل شيء . ولا اعتراض لأحد عليه في فعله . وأجاب الجواب عنه من وجهين ( الأول ) أن قوله ( والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي ) أراد به سائر المؤمنين لأنهم الذين يطمعون ولا يخطئون به ( الثاني ) المراد من الطمع اليقين . وهو مروي عن الحسن ( راجعاً ) صاحب الكشف : بأنه إنما ذكره على هذا الوجه تعالفاً منه لآفته كيفية المدح .

واعلم أن هذه الوجوه متبعة . أما ( الأول ) فلأن الله تعالى حكى عنه التثنية أولاً والبدعاء ثانياً ومن أول المدح إلى آخر الدعاء . كلام إبراهيم عليه السلام لمجمل الشكر الواحد وهو قوله ( والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين ) كلام غيره مما يقال فطمع بكلامهم وبفسده . وأما ( الثاني ) وهو أن الطمع هو اليقين فهذا على خلاف اللغة . وأما ( الثالث ) وهو أن الغرض من تعليم

رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّقْ بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ

الإمام فاضل أيضاً لأن حاصله يرجع إلى أنه كذب على نفسه لمرص نعم الله تعالى ، وهو باطن غلطاً في استئصال كافي كما لم يأت إلى نفسه انقضائه مع أن الاستبعاد منزهون عن الخطايا غلطاً ، وفي حركته ثلاثة وجوه : (أحدها) أنه يحول على كذب إبراهيم عليه السلام في قوله ( قلنا كبرهم ) وقوله ( يا صفي ) وقوله ( ياها أغني ) وهو ضعيف لأن نسبة الكذب إليه غير جائزة (وثانيها) أنه ذكره على - بيل التواضع ومعهم التمس وهذا ضيف لأنه إن كان صادقاً في هذا التواضع فقد لازم الإشكال . وإن كان كاذباً عذر يرجع حاصل الجواب إلى : الخلق انما يهتدون بالحق من غيرهم عن المعصية ( وثالثها ) وهو الحركات ، الصحيح أن يعمل ذلك على ترك الأول ، وقد يسمى ذلك خطأ ، لأن من مثلك هو هرهه وأمكنه أن يبيها بأبغ الف ، دينار وإن ألقها بدينار ، قيل إنه أعطاه ، وترك الأول على - تأجيل جائز .

في السبب الثاني التاكيد لم عني معطوفه الخطيئة يوم الدين ، وإنك تعظم في الدنيا ( حرامه ) لأن أثرها يظهر يوم الدين وهو الآن خفي لا يبل

في السبب الثالث الزايع كما ما فائدة في قوله ( يغفر خطيئتي ) ؟ ( جوابه ) من وجوه : (أحدها) أن الآثام إذا غفرت ونسيت والبريد عن عتبه والروح عن ذممه بذلك في أكثر الأسماء إنما يكون غلطاً لا لثواب ، وحرماً عن العذاب أو غلطاً ليس الله ، والمجدة أو دفهاً لأن الما من من الزكاة الجسدية وردا كان كذلك لم يكن المقصود من ذلك الغفر رغبة حاسب الموعود به بل رغبة جانب عتبه . إنما يتوصل به يوم أو تسع ما لا يمتنع ، أما الإله سبحانه فلا كامن لثامه فيستعين أن تحبذت له صدقات كمال لم تكن أو يبول به نفسان كان . وإنما كان كذلك لم يكن محمود ولا رغبة لحسب المذهب عنه وقوله ( يا ولي أضاع أن يغفر لي ) يعني هو الذي إذا غفر كان غفرته لي ولا حالي لا لأحد أمر عائد إليه أئنه ( وثالثها ) كأنه قال خلقتني لآل فيك حين خلقتني ما كنت موجوداً وهذا لم يكن . موجوداً استحالة تحصيل شيء لأحلي ثم مع هذا قالت : استغنى . لما لو عفوت كانت ذلك الغفر لأحلي ، لمسا خلقتني أولاً مع أن كنت محتاجاً إلى ذلك الخلق لأن تغفر لي وتغفر عني حال ما أكون في أشك الحاجة إلى الغفر والمغفرة كان أولى ( وثالثها ) أن إبراهيم عليه السلام كان لشدة استنائه في عمر المغفرة شدة التردد عن الالفات إلى التماسا ، وبنيت حسا قال له حمرين عنه السلام وأملك حاجته ؟ قال أما إليك فلا ومعها قال : ( قطع ) ان غفر لي خطيئتي يوم الدين أي تحرد بعبادتي لك واحتاج لك تغفر لي خطيئتي لا أن تغفر هذا بل واسعة شفاعة شامع .

قوله تعالى : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ﴾ ، واجعل لي لسان صدق في الآخرين .

﴿١٥١﴾ وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿١٥٢﴾ وَأَغْفِرْ لَأَيِّ إِنَّمَا كَانَ مِنَ الصَّالِّينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿١٥٤﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿١٥٥﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ

مُسْلِمٍ ﴿١٥٦﴾

وأجعلني من ورثة جنة النعيم ، وأغفر لأيّ إنّه كان من الصّالّين ، ولا تخزني يوم يبعثون . يوم لا

يعظم أن الله تعالى هنا حكى عن إبراهيم عليه السلام ثناءه على الله تعالى ذكر بعد ذلك دعاءه ومساأله وذلك نبيه على أن يقدم الثناء على الدعاء من المهمات ونحقيق الكلام فيه أن هذه الأرواح البشريّة من جنس الملائكة فكذلك كانت لها عالمها بعمرة الله تعالى وبجنته والآن هذا العالم إلى عالم الروحانيات أشدّ كانت مشاكلها للملائكة أنفسهم ، فكانت أقوى على التصرف في أجسام هذا العالم ، وكلما كان اشتغالها بملذات هذا العالم واستغراقها في طغيات هذه الجسديّات أشدّ كانت مشاكلها لأهليها أشدّ فكانت أكثر عجزاً وضعفاً وأقلّ تأثيراً في هذا العالم ، فمن أراد أن يشتغل بالدعاء يجب أن يقدم عليه ثناء الله تعالى وذكر عظمته وكبريائه حتى أنه يسبب ذلك الذكر بصير مستغرقاً في معرفة الله وبحبه ويصير قريب المشاكاة من الملائكة فتحصل له بسبب تلك المشاكاة قوة زائدة سيّارة بصير مبدأ لحدوث ذلك الشيء ، الذي هو المطلوب بالدعاء فلهذا هو لكشف عن ماهية الدعاء ، ويظهر أن تصديق الثناء على الدعاء من الواجبات ويظهر به تحميق قوله عليه السلام حكاية عن الله تعالى فمن شغل ذكرى عن مسألي أعطيت أخذ ما أعطى الصّالّين ، فإن قال قائل لم لم يقتصر إبراهيم عليه السلام على الثناء ، لا سيما وروى عنه أيضاً أنه قال ( حسبي من سؤالي عليه بحال ) ؟ ( فالجواب ) أنه عليه السلام إنما ذكر ذلك حين كان مشغولاً بدعوة الخلق إلى الحق ألا ترى أنه قال ( فليهم عذري ) لا رب العالمين ) ثم ذكر الثناء ، ثم ذكر الدعاء لأن الشارع لابد له من تبيين الشرع ، فأما حين ما خلا نفسه ، ولم يكن غرضه تعليم الشرع كان يقتصر على قوله ( حسبي من سؤالي عليه بحال ) .

( البحث الثاني ) في الأمور التي طلبها في الدعاء وهي مطالب :

( المطلوب الأول ) قوله ( رب هب لي حكماً والحقني بالصّالّين ) ، وأما أحابه الله تعالى حيث قال ( ولله في الآخرة لمن الصّالّين ) وقبسه مطالب : ( أحدها ) أنه لا يجوز تحصيل الحكم بالنسبة لأن النبوة كانت حاصلة على طالب النبوة فكانت النسبة المطلوبة ، أما عين النبوة الخاصة أو غيرها ، والأول محال لأن تحصيل الحاصل محال . والثاني محال لأنه يمنع أن يكون الشخص الواحد نبياً مرتين ، بل المراد من الحكم ما هو كمال النبوة النظرية ، وذلك بإدراك الحق ومن قوله

( وألغنى بالصالحين ) كان القوة العلية ، وذلك بأن يكون علما بالخير ، فإن كمال الإنسان أن يعرف الحق لذاته ، والخير لأجل العمل به ، وإنما قدم قوله ( رب هب لي حكما ) على قوله ( وألغنى بالصالحين ) لما أن القوة العلية مقدمة على القوة العلية بالشراف والذات ، وإنما علمه يمكنه أن يعلم الحق وإن لم يعلم بالخبر وعلمه غير ممكن . ولأن العلم صفة الروح والعلم صفة الجسد ، ولأن الروح لا يعرف من البدن كان العلم أفضل من العلم ، وإنما صرنا معلقة الأشياء بالحكم ، ذلك لأن الإنسان لا يعرف حقيقة الأشياء إلا إذا استعصر في ذهنه صور الخفيات ، ثم نسب بعضها إلى بدني بالنسبة أو بالابتناء ، وذلك النسبة وهي الحكم ، ثم إن كانت الذات القلبية مطابقة للنسب الخارجية كانت الذات القلبية متحدة بالذات فكانت مستحكمة قوية . فكل هذا الإدراك يسمى حكما وحكما ، وهو المراد من قوله عليه السلام : أرى الأشياء كما هي ، وأما إصلاح فهو كون القوة للعلة متوسطة بين رذيلتي الإفراط والتعريط . وذلك لأن الإفراط في أحد الجانبين يربط في الجانب الآخر ، بالكس بالإصلاح لا يحصل إلا الاعتدال . ولما كان الاعتدال المختص شيئا واحدا لا ينشئ النسبة البنية والافتكار التبرية في هذا العلم فاصره عن ذلك أمثال هذه الاعتدال . لا حرم لا يفتك البشر عن الخروج عن ذلك الحد وإن قل ، إلا أن خروج المقرين عنه يكون في الفقه بحيث لا يحس به وخروج المتصاف عنه يكون متفاحشا جداً عند فهم من هذا تحقيق ما قيل : حسنت الأبرار ميثاق المقرين ، وظهر احتياج إبراهيم عليه السلام إلى أن يقول ( وألغنى بالصالحين ) .

في المطلب الثاني : مما ثبت أن المراد من الحكم العلم . ثبت أنه عليه السلام طلب من الله أن يعطيه العلم بالله تعالى ، وهذا يدل على أن معرفة الله تعالى لا يحصل في قلب المتدبر إلا بتخليقه لله تعالى . وقوله ( وألغنى بالصالحين ) يدل على أن كون الله سبحانه ليس إلا بتخليقه لله تعالى . ومن هذه الأشياء على الإضافية ، لأن عدم الخصم كل ما في قلوب الله تعالى من الإضافات قد علمه فهو صرف الله تعالى ، لأنه لكان ذلك طلباً لتعصيل الخصال وهو فاسد .

في المطلب الثالث : أن الحكم المختص في الدنيا ، بما أن يكون هو العلم بالله أو بغيره ، وإن كان العلم ، لأن الإنسان حال كونه مستعصر العلم ضيق لا يمكنه أن يكون مستعصراً لتمام شيء ، أعرفه كان المختص بهذا الدعاء العلم بغير الله تعالى . والعلم بغير الله تعالى شغل عن الاستعراق في العلم بالله تعالى ، هذا السؤال مغلطاً لما يشمله من الاستعراق في العلم بالله تعالى ، وذلك غير جائز لأنه لا كان حرق ذلك الاستعراق . فإذ المختص بهذا الدعاء هو العلم بالله ، ثم إن ذلك العلم إما أن يكون هو العلم بالله الذي هو شرط صحة الإيمان أو غيره ، والأول باطل لأنه لما وجب أن يكون حاصل لكل المؤمنين فكيف لا يكون حاصلًا عند إيمانهم بالله السلام ، وإذا كان حاصلًا عند منسحب غيب . فثبت أن المختص بهذا الدعاء درجات في معرفة الله تعالى أبرز من العلم

بوجوده وبأنه ليس يحتاج ولا حال في استعجز وبأنه عالم قادر حي . وما ذاك إلا الوتر على صفات الجلال أو التوقف على حقيقة الذات أو ظهور نور تلك المعرفة في القلب . ثم هناك أحوال لا يبرح عنها الحال ، لا يشرحها الحياك . ومن أراد أن يصل إليها فليكن من الواصلين إلى الذين ، دون الساعين للأثر

( المطلوب الثاني ) قوله ( واجعل لي لسان صدق في الآخرين ) ولله ثلاث ترويلات .

( التأويل الأول ) له عليه السلام ابتداء بطالب ما هو شكل الثاني للسان في الدنيا والآخرة . وهو طالب الحكم الذي هو العلم . ثم طلب بسبب كالات الدنيا وبعد ذلك طلب كالات الآخرة . فأما كالات الدنيا فبعضها داخلية وبعضها خارجية . أما الداخلية فهي الخلق الظاهر والخلق الباطن والخلق الظاهر أشد جسيمة والخلق الباطن أشد روحانية . فترك ( إبراهيم عليه السلام الأثر الجسدي وهو الخلق الظاهر وطلب الأمر الروحاني وهو الخلق الباطن . وهو المراد بقوله ( وأخبر بالصالحين ) وأما الخارجية فهي المسال والملاءم . والمسال أشد جسيمة واجتهاد أشد روحانية ترك ( إبراهيم عليه السلام الأثر الجسدي وهو المسال وطلب الأمر الروحاني وهو الملاءم والذي ذكر الخليل الثاني على وجه الدهر . وهو المراد بقوله ( واجعل لي لسان صدق في الآخرين ) قال ابن عباس رضي الله عنهما وقد أعطاه الله ذلك بقوله ( عززنا عليه في الآخرين ) فان قيل ولأي غرض له في أن يلقى عليه ويمدح ؟ جوابه من وجهين ( الأول ) وهو على لسان الحكمة أن الإرواح البشرية قد بينا أنها مؤثرة في الجنة إلا أن بعضها قد يكون متعباً فيجب من التأثير فإذا اجتمعت طائفة منها عرفت قوتها على ما عرفت الأحاد عنه . وهذا المبنى مشاهد في المؤثرات الجسدية . إذ اثبت هذا فالإنسان الواحد إذا كان محبب يلقى عليه الخ العظيم ويمدحونه ويظمونه . فربما صار انصرافهم عن الاجتماع إليه سبباً للحصول زيادة كماله ( الثاني ) وهو على لسان التكامل أن من صار ممدوحاً فيما بين الناس بسبب ما عنده من الفضائل . فإنه يفسر ذلك المدح وتلك الشهرة داعياً لغيره إلى اكتساب مثل تلك الفضائل

( التأويل الثاني ) أنه سأله أن يجعل من ذمته في آخر الزمان من يكون داعياً إلى الله تعالى . وذلك هو محمد صلى الله عليه وسلم فالمراد من قوله ( واجعل لي لسان صدق في الآخرين ) بقية محمد صلى الله عليه وسلم .

( التأويل الثالث ) قال بعضهم المراد اخلاق أهل الأديان على حبه . ثم إن الله تعالى أعطاه ذلك لأنه لا يرى أهل دين إلا وبنوا لولم إبراهيم عليه السلام . وقبح بعضهم فيه بأنه لا تفرق الرحمة فيمدح الكافر ( وحواله ) أنه ليس المقصود بمدح الكافر من حيث هو كافر ، بل المقصود أن يكون ممدوح كل إنسان ومحبوب كل قلب .

( المطلوب الثالث ) قوله ( واجعلني من ورثة جنة النعيم ) اعلم أنه لما طلب سعادة الدنيا

طلب بدعته سبحانه الآخرة وهي جنة النعم ، وشبهها بما بررت لأنه الذي يستقر في الدنيا ، فحسبه غلبة الآخرة بسببه الدنيا .

( في المطلب الرابع ) قوله ( واغفر لأبي ) إنه كان من الضالين ؛ واعلم أنه لما فرغ من طلب السموات الدنيوية والآخرة نفعه طابها لأشد الناس كصافاً به وهو أبوه فقال ( واغفر لأبي ) ثم فيه وسره ( الأول ) أن المغفرة مشروطة بالإسلام وطلب الشروط متضمن لطلب الشرط بقوله ( واغفر لأبي ) يرجع حاصله إلى أنه دعا لأبيه بالإسلام ( الثاني ) أن أمه وبعده الإسلام كما قال تعالى ( وما كان لنعفار إبراهيم لأبي إلا عن موعدة وعدها إياه ) فدعا له لهذا الشرط ولا ينفع الدعاء للكافر على هذا الشرط ( فلما تبين أنه عدوه تراءى به ) وهذا صيف لأن الدعاء بهذا الشرط جاز للكافر فلو كان دعاءه مشروطاً بآمنه منه أنه عنه ( الثالث ) أن أمه قال له إنه عني دية بأخاه وعلى دين نروذ فظاهر أنقبة ونحوها فدعا له لاعتقاده أن الأمر كذلك فلما تبين له خلاف ذلك تراءى به ، ولذلك قال في دعائه ( إنه كان من الضالين ) فنزلاً لاعتقاده فيه أنه في الخلق ليس بضال لما قال ذلك .

( في المطلب الخامس ) قوله ( ولا تخزني يوم يعثرون ) قال صاحب الكشف : الإحزاد من الخزي وهو الهوان ، أو من الخزيات وهي الجباة ومنها أبحاث :

( في أحدها ) أن قوله ( ولا تخزني ) يدل على أنه لا يجب على الله تعالى شيء على ما يباه في قوله ( والذي أعلم أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين ) .

( في ثانيها ) أن الغافل أن يقول لما قال أولاً ( واجعني من ورثة جنة النعم ) ومنى حصل الجنة ، امتنع حصول الخزي ، فكيف قال بعده ( ولا تخزني يوم يعثرون ) وأيضاً فقد قال تعالى ( إن الخزي اليوم واليوم ) على الكافرين فإكان نصيب الكفار فقط فكيف يخافه المصوم ؟ ( جوابه ) كما أن حسرات الأبرار حسرات الخزيين فكذلك حسرات الأبرار دركات المقرين وغيره كل واحد بما يليق به .

( في ثالثها ) قال صاحب الكشف : في يعثرون تعبير العباد لأنه معلوم أو ظهير للضالين ، أما قوله ( إلا من أتى الله بقلب سليم ) فاعلم أنه تعالى أكرمه بهذا الوصف حيث قال ( وإن من شئت لإبراهيم ، إني جاء به بقلب سليم ) .

ثم في هذا الاستثناء وجوه ( أحدها ) أنه إذا قبل لك : هل زيد ماله وسون ؟ فنقول ماله وسون سلامة قلبه . زيدني ماله والبنين عنه وإثبات سلامة القلب له سلا عن ذلك ، فكذلك في هذه الآية ( وثانيها ) أن تحمل الكلام على المعنى وتجعل المان والسئل في معنى المعنى كأنه قيل يوم لا ينفع غنى إلا عني من أتى الله بقلب سليم لأن غنى الرزق في دينة بسلامة قلبه كما أن غناه في دنياه بماله ومنه ( وثالثها ) أن عمل من مفعولاً لينفع أي لا ينفع ماله ولا نون إلا رجلاً مسلم قلبه مع ماله حيث أغفقه في طاعة الله تعالى ، ومع يديه حيث أرشدهم إلى الدين ، ويجوز على هذا إلا من أتى الله

وَأَرْزَلْتُمُ الْفُلُفُفِينَ ۝ وَرَزَيْتُمُ الْفُلُفُفِينَ ۝ وَقِيلَ لَهُمْ إِنَّمَا  
 كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ۝ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْصُرُونَ ۝ فَكَبَّوْا بِهَا هُمْ  
 وَالْقَارُونَ ۝ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَتَمَّوْا ۝ فَلَوْأَوْهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ۝  
 تَاللَّهِ إِن كُنَّا لِنَاقِلُنَّ حَشِلٍ ۝ إِذْ تُسَوِّبُكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ وَمَا أَهْلُنَا إِلَّا  
 الْمُجْرِمُونَ ۝ قَالُوا لَنَا مِنْ شَيْعَيْنِ ۝ وَلَا صَبَدَيْنِ حَرِيمٍ ۝ فَلَوْلَا لَنَا عِزَّةٌ  
 فَكُنُوزٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ إِن فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ۝  
 وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝

يقب قلبه من قوة المساء والبهن ، أما السليم فيه لانه أوجه ( الأول ) وهو الإصح أن المراد  
 منه سلامة القلب عن الجوف والاخلال الرذيلة ، وذلك لأنه كما أن صحة البدن وسلامته عبارة عن  
 حصول ما ينبغي من المزاج والترتيب والاتصال ومرضه عبارة عن زوال أحد تلك الأمور  
 وكذلك سلامة القلب عبارة عن حصول ما ينبغي له وهو العلم والخلق الفاضل ومرضه عبارة عن  
 زوال أحد ما يقوله ( إلا من أتى الله قلب سليم ) أن يكون خالياً عن العقائد الفاسدة والميل إلى  
 شهوات الدنيا وذاتها وإن قل يظهر هذه الآية يقتضي أن من سلم قلبه كان ناجياً وأنه لا حاجة  
 فيه إلى سلامة اللسان واليد ( جرابه ) أن القلب مؤثر واللسان والجوارح تبع فلو كان القلب سليماً  
 لكانت سلبين لا تخالف ، وحيث لم يسلبا ثبت عدم سلامة القلب ( الثاني ) أن السليم هو  
 الذي من خشية الله تعالى ( الثاني ) أن السليم هو الذي سلم وأسلم وسلم واستسلم  
 والله أعلم .

قوله تعالى : وَأَرْزَلْتُمُ الْفُلُفُفِينَ . ورزيت الجعهم الفلور ، وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون ،  
 عن دون الله هل ينصرونكم أو ينصرون ، فكذبوا بها هم والقارون . وجنود إبليس أممهم ،  
 قالوا وهم بها يختصمون ، تالله إن كنا لفي ضلال مبين ، إذ نسويكم برب العالمين ، وما أضلنا إلا  
 المجرمون ، قنا لانا من شيعتين ، ولا صديق حريم ، هو أن لا أكره فكون من المؤمنين ، إن في ذلك  
 آية وما كان أكثرهم مؤمنين ، وإن ربك هو العزيز الرحيم ۝

اعلم أن إبراهيم عليه السلام ذكر في وصف هذا الموضع (أحدهما) قوله (وأرأيت الجنة  
 للمؤمنين ويرزقهم الجنة العاوين) والمعنى أن الجنة قد تكون قرية مرفقة بالسعدا ينظرون إليها  
 ويخرجون بأهلهم الممتلئين منها والنار تكون يارزق المكشوفة الأشتيا بهرأى منهم يتحسرون على  
 أنهم المندوفون إليها قال الله تعالى في صفة أهل الثواب (وأرأيت الجنة للمؤمنين خير عياد) وقال  
 في صفة أهل العذاب (فلا تأووه وظلة من أهل كفروا) وإنما جعل الله تعالى ذلك  
 ليكون سورا محذرا للمؤمنين ومثلا للكافرين (فإنها) قوله (وإن لم يكن لهم ما كنتم إلى  
 قوله (ويعود إليهم أجمعون) والمعنى ليس أهلكم هل ينعونكم بغيرهم فكأنهم لو لم ينعون  
 أنفسهم بآبائهم لأهم وأخاهم وفرد النار وهو قوله (فكذلكوا بها هم والعاوين) أي الآفة  
 وعدتهم الذين يردون لهم الجحيم ، والكيفية تكرار الكب جمل تكرار في اللفظ دلالة على  
 التكرار في المعنى كأنه إذا أتى في جهنم يسكب مره بعد مره حتى يستغرق قعرها (ويعود إليهم)  
 متدبره من عذاب الإحس وهو (وإنها) قوله (فإنها) أي فيها ينعون ، والله إن كنا في صلال  
 من إبليسكم رب العالمين .

واسم من ظاهر ذلك أن من بعد ما علم الموضع وصفه بهذا الكلام . فليس محتوجا إلى الإصنام  
 من وجهين إحداهما أنها الله تعالى في الآخرة جارا يظلم بها أهل النار حيث لا يصبح أن تخلف  
 وبحسب حمل قهرهم إذ سويديك رب العالمين (على أنه ليس عذاب لهم أو يقال إنه تعالى يحبها في  
 النار . وبذلك أيضا غير جائز لأنه لا يجب لما ينعون عذابها . فالأقرب أنهم ذكر ذلك لما رأوا  
 صورها على وجه الاحتياط بالخطأ المصطنع وعلى وجه الدلالة لا على حيل المخالفة والتدوير جعل  
 على أنه عذاب في الحقيقة قولهم (وما أضل إلا الجحيمون) وأما أدوا ذلك من دعاهم إلى عبادة  
 الإصنام من الحر والإيس وهو كقولهم (ربنا إنا أضلادنا وكرهنا فأتونا سبيلا) وأما  
 قوله (فإنها من شافين) كما مر في الموضع لم ينع من الملائكة والجن (ولا صدق) كما ترى  
 هم أعداء لأنه لا يصح في الآخرة إلا المؤمنون . وأما أهل النار فيجب السعادي والنباحض  
 من أهل (الآخرة) يومئذ بعضهم بعض على (المؤمنين) أو (فإنها من شافين) ولا صدق  
 (هم) من الذين كما ادعهم نفعهم وأمدد لهم كانوا ينعون في أصنامهم أنهم شفاؤهم عند  
 الله تعالى . ولكن هم أعداء من شافين الإيس . أو أرادوا أنهم إن أقاموا في جهنم عتوا أن  
 انصفا والأعداء لا ينعونهم ولا يمددونهم . ففسر نفعهم من مائتين هم من الضعف لأن  
 ما لا يصح شككه حكم للسوم . وأخرج من الإصنام وهو الإلهام وهو الذي سمع ما يملك أو  
 من خاله من الخاصة وهو الصديق الخالص . وإنما جمع النفعاء ووجد صدق لكثرة النفعاء  
 في أعداد وفرة الصديق . من الرحمن المنشئ بارهاني ظالم قد يهض جمعة وفرة من أهل يده  
 لشعبه وحفاته . وأما الصديق وهو الصادق في وادك . فاعلم من بعض الأقوى . ويعجز أن



كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٥٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٥١﴾ وَإِنِّي  
 لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٥٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿١٥٣﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ  
 إِنِ اجْتَبَىٰ إِلَا عَلَىٰ رِيبٍ الْمَلِيحِينَ ﴿١٥٤﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿١٥٥﴾ قَالُوا اتَّبِعْنَا لَكَ  
 وَأَتَّبَعْتَ الْأَزْدَلُونَ ﴿١٥٦﴾ قَالَ وَمَا عَلَيَّ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥٧﴾ إِنِّي خَشِيتُمُ الْإِلَٰهَ  
 عَلَىٰ رَبِّي نَزَّاعِرُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُتُؤَمِّنِينَ ﴿١٥٩﴾ إِنِّي أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٦٠﴾  
 قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَشُوحَ لَنَكُونَنَّ مِنَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٦١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَّبُونِ

يريد الصديق الخم ثم حكى تعالى عنهم قولهم (ولو أن لنا كرة فنتكلم من المؤمنين) وأهم تنورا  
 فالجمعة إلى الدنيا ، ولو فاعل هذا الومع في معنى التي كأنه قيل طبت لنا كرة ، وذلك لما بين معنى  
 لو وليت من التلافي في التصدير ، ويجوز أن تكون على أصلها ويهدف الموارب وهو المعلى كبت  
 وكبت ، قال الخباني : إن قولهم هو يكون من المؤمنين ليس بفتح عر لسانه لكنه حين من عزهم  
 لأنه لو كان خبراً عن إبراهيم لوجب أن يكون صدقاً ، لأن تكذيبه لا يقع من أهل الآخرة . وقد  
 أخبر الله تعالى بخلاف ذلك في قوله (ولو ردوا عادوا لما ساءوا) وقد تقدم في سورة الأنعام  
 بيان ساء هذا الكلام . ثم بين - بحاشية أن ميثاً ذكره من قصة إبراهيم عليه السلام لأنه لما يريد أن  
 يستبدل بذلك ثم قال (وما كان أكثرهم مؤمنين) ، ولا أكثرهم من المؤمنين من حلود على قوم إبراهيم  
 ثم بين تعالى أن مع كل هذه الدلائل فأكثر قومه لم يؤمنوا به فيكون هذا تسلية للمؤمنين صلى الله  
 عليه وسلم ، فيما يجده من تكذيب قومه .

فأما قوله (وإن ربك لهم العزيز الرحيم) فعنه أنه قادر على تمجيد الانتقام لكنه رجع  
 بالإمهال لكي يؤمنوا .

### ❖ القصة الثالثة — قصة نوح عليه السلام ❖

قوله تعالى : ﴿ كذبت قوم نوح المرسلين ، إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون ، إني لكم رسول  
 أمين ، فاتقوا الله وأطيعوا أَمْرِي ، وما أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ اجْتَبَىٰ إِلَا عَلَىٰ رِيبٍ الْمَلِيحِينَ ، فاتقوا الله  
 وأطيعوا أَمْرِي ، قال وما عَلَيَّ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ، إِنْ خَشِيتُمُ الْإِلَٰهَ عَلَىٰ رَبِّي نَزَّاعِرُونَ ، وَمَا أَنَا  
 بِطَارِدِ الْمُتُؤَمِّنِينَ ، إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ، قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَأْجُوحَ لَنَكُونَنَّ مِنَ

﴿١٥﴾ فَأَفْجَعْ بَنِي وَدَّعَهُمْ فَتَحَا وَجْهِي وَمِنْ مَعِيَ مِنَ الْمُزْمِنِينَ ﴿١٦﴾ فَالْحِجَابُ رَأَى مِنْهُ  
 فِي الْفُلْكِ انْفِصَاحُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ انْفَرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ ﴿١٨﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ  
 أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ وَإِنَّ رَبَّنَا لَهُو الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٢٠﴾

المرحومين ، قال : ب إن نوحاً كذبون ، ففجعت بني ودَّعهم ففتحاً ونحو من من المؤمنين ، فأنجاه  
 ومن معه في الفلك المشحون ، ثم انفرقنا بعد الباقين ، أي في ذلك الآية وما كان أكثرهم مؤمنين ،  
 وإن ربنا هو العزيز الرحيم .

أعلم أنه تعالى لما فص على محمد ﷺ خبر موسى وإبراهيم عليه السلام في آياتهم من يومه  
 عليه أيضاً نأوح عليه السلام ، فقد كان يوه أعظم من بآ غيره ، لأن كان يدعوهم أمة سنة إلا  
 عيسى ، عاماً ، ومع ذلك كذبه نوحه فقال : ( كذبت قوم نوح ) وإنما قال كذبت لأن النجوم  
 مؤنث وتضميرها عوينة ، وإنما حكى عنهم أنهم كذبوا المرسلين لوجهين : ( أحدهما ) أنهم وإن  
 كذبوا نوحاً لكن تكذيبه في المعنى يتضمن تكذيب غيره ، لأن طريقة معرفة الرسل لا تختلف  
 فمن حيث المعنى حكى عنهم أنهم كذبوا المرسلين ( وثانيهما ) أن قوم نوح كذبوا بجميع رسل الله  
 تعالى ، إنما لأهم كانوا من الزنادقة أو من البرهمة .

وأما قوله ( آخرهم ) فلائحة كان معهم ، من قول انصرفوا يا أيها النصارى فليسوا بأولادهم ثم  
 أنه سبحانه حكى عن نوح عليه السلام أنه أولاً خوفهم ، وثانياً أنه وصف نفسه ، أما تخريف  
 فهو قوله ( ألا تقول ) .

والعلم أن أقوم [أ] ، فنوا تلك الأديان للتقليد واعتقاداً ، يخوف غاف ، والمم يحصل الخوف  
 في قلبه لا يشع بالاحتيال ، ولهذا السبب قدم على جميع كتابه قوله ( ألا تقول ) . ولما رصده  
 نفسه ذلك بأمرين ( أحدهما ) قوله ( إني لذكر رسول أمين ) وذلك لأنه كان معهم مشهوراً بالمانة  
 كحميد ﷺ في قريش فكأنه قال كنت أميناً من قبل فكيف تنهون اليوم ؟ ( وثانيهما ) قوله  
 ( وما أذكركم عليه من أجر ) أي على ما أمانة من أبعاد الرسالة للبلاد به أنه دعاء مرغية ،  
 فإن قيل : ولماذا كرر الأمر بالتقوى ؟ (جوابه) لأنه في الأول أراد ( ألا تقول ) عاصي وأنا  
 رسول الله ، وفي الثاني ( ألا تقول ) عاصي وأنا أتخذ منك أجراً في المعنى محض ولا  
 تنكروا به ، وقد يقول الرجل ثوبه ، ألا تنق الله في حقوقي وقد ربك صغيراً ، ألا تنق الله في

عقوب وقد عذرك كبيراً . وإنما قدم الأمر بقوى الله تعالى على الأمر طاعته ، لأن تقوى الله علة لطاعته فقدم علة على الملول . ثم إن نوحاً عليه السلام لما قال فهدك الله أجابوه بفروهم (أترمن لك واتبعت الأزدلون) .

( قال صاحب الكشف ) وفري . وأبائك الأزدلون جمع تابع كشاهد وأشداء توجع نبح كبطال وأبطال وفلوات ففعال وحضاً أن يعتمر بعدهما قد في واتبعت ، وقد جمع أزدال على الصفة وعلى التكسير في قولهم ( الذين هم أزدال ) والردالة خاصة ، وإنما استدلوا بما لا تصنع بهم والله يهديهم من الشيا ، وقيل كانوا من أهل الصناعات الحكيمة كالنجاة والحجامة .

واعلم أن هذه التهمة في غاية الركاكة ، لأن نوحاً عليه السلام يهدى إلى الحق كافة ، فلا يختلف الحال في ذلك بسبب الفقر والغنى وعرف الشكائب ودنائهم ، فأنه يهدى نوح عليه السلام بالجواب الحق وهو قوله ( وما على بما كانوا يعملون ) وهذا الكلام يدل على أنهم نسبوه مع ذلك إلى أنهم لم يؤمنوا بمن نظر وبصيرة . ونحسب أننا بالهوى والاطماع كما حكى الله تعالى عنهم في قوله ( الذين هم أزدال بآدى الرأى ) ثم قال ( إن حسابهم إلا على ربي ) معناه لا يعتبر إلا الظاهر من أمرهم قلوب ما ينطق . وما قال ( إن حسابهم إلا على ربي ) وكانوا لا يصدقون بذلك أردفه بقوله ( ثم تصعرون ) ثم قال ( وما أنا بعارض المؤمنين ) وذلك كالدلالة على أن القوم سألوه إعادهم نسك يتبعوه أو ليكنوا أقرب إلى ذلك . فبين أن الذي يمنه عن طردهم أنهم آمنوا به بحجج أن عرصه بما حل من الرسالة يمنع من ذلك بقوله ( إن أنا نذير مبين ) وانذار إلى ما يخوف من كذبه ولم يقل منى ، فن قيل فهو الغريب . ومن رد فهو البعيد . ثم إن نوحاً عليه السلام لما نهم هذا الجواب لم يكن منهم إلا التهديد ، فقلوا ( لنن لم ننته بانزع لشكون من المرجوعين ) ونلتفت أنهم يخوفون بأن يقتل بالحجارة ، فنته ذلك حصل الأساس لنوح عليه السلام من فلاجهم . وقال ( رب ان قومي كاذبون ) فافتح بيني وبينهم فجاً ( وليس العرض مه اجتالوا الله تعالى بالكذب عليه أن عالم الغيب والشهادة أعلم . ولكنه أراد إلى لا أذعرك عليهم لما أذوني . وإنما أذعرك لأجلك ولأجل دينك ولأنهم كذروني في حديث ورسالتك ) فافتح بيني وبينهم ( أى فاحكم بيني وبينهم ) والفتاحة الحكوة ، والفتح الحاكم لأنه يفتح المستغلق . والمراد من هذا الحكم إزالة العقوبة عليهم لأنه قال عقبه ( ونحى ) ولولا أن المراد إزالة العقوبة لما كان لذكر التجلة بعده معنى . وقد تقدم القول في قصته مشروحاً في سورة الأعراف وسورة هود .

ثم قال تعالى ( فأجابه ومن معه في الفلك المستبحون ) قال صاحب الكشف : الفلك السفينة وجمعه فلك قال تعالى ( ورأى الفلك فيه مواجر ) فالواحد يوزن قتل وأجمع يوزن أمد . والمستبحون المصلون . عدل ثمنها عليهم حيلاً ورجلاً . فدل ذلك على أن الذين نجوا معه كان فيهم كثرة . وأن

كَذَبْتَ عادَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٥٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٥٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٥٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ۖ وَمَا أَعْطَاكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرٍ إِلَّا جَرَىٰ إِلَّا عَلَىٰ رِبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٥٩﴾ اتَّبِعُونِ يَكُنْ رِيعَ آيَةٍ تَعْبُونِ ﴿١٦٠﴾ وَتَخْذُلُونَ مَصْنِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٦١﴾ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٦٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٦٣﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٤﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٦٥﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٦٦﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٦٧﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٦٨﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٩﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿١٧٠﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَعْلَسَتْهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ ۖ وَمَا كَانُوا أَكْثَرُ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٧٢﴾

الملك استلأ بهم وما صيهم . وبين تعالى أنه بعد أن ألقاهم أغرق ثلثين وأن إغراقه لهم كان كما أضر عن نجاتهم . ﴿ القصة الزائدة - قصة هود عليه السلام ﴾

قوله تعالى: ﴿ كَذَبْتَ عاد والمرسلين، إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون، إني لكم رسول أمين، فاتقوا الله وأطيعوا، وما أسألكم عليه من أجر إلا جري إلا على رب العالمين، اتبعون بكل ربيع آية فتقون، وتخذلون مصانع لعلكم تخلصون، وإذا بطشتم بطشتم جبارين، فاتقوا الله وأطيعوا، واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون، أمدكم بأنعام وبني وجات وجنات وعيون، إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم، قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين، إن هذا إلا خلق الأولين، وما نحن بمُعذِّبين، فكذبوه فأعْلَسَتْهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانُوا أَكْثَرُ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾

أي أن واحدة هذه الفضة وولته قيمة روح عبه السلام واحدة فلا فرق في إيمانهم  
ثم إنه تعالى ذكر الأمور التي اشكر فيها هود عبداً لهما جميع ومن ثلاثة أولادها ( قوله أشركون  
مكلاً ربيع آية شانون ) أي : بكل ربيع المكبر ، الفلاح وهو الملاك المرتفع . ومنه قوله كم ربيع  
لأرثك وهو أن تقاتلوا . والآية التي سمع به هود ( أحدها ) حين أن عيش أئمه كانوا يسكنون  
كل ربيع ثلاثين سنة ثم يتر في الفرس إلى موت عليه السلام ) وكانوا أئمه كانوا يبنون  
في الأماكن المرتفعة يعرفون ذلك باسمها : هوداً هوداً . ويسمونها القبة ( والثالث ) أئمه  
كانوا يبنون بيوتهم في جدرانهم ويحيطوا في طرفهم أعلاماً ملوالة فكان ذلك عبداً لأئمه  
كانوا يستعين بها بالسور والراحات أو بكل ربيع ربيع حمراء ( وأولها ) قوله ( وتشتدون  
مصانعكم ) أي : المصانع مأخذ الماء ، وقيل : مصور الشدة والخصون ( والسادس ) تحسبون  
نرحون الحدي في الدنيا أو يذبحه حاله حال من يحسد . وفي مصحف أبي : كالتح . وقيل : تحسبون  
يعني التنازع . ومثله : وأهم أن الأول إذا سار منه حاشا إلى ما على الشرف أو على  
الخيلاء . والثاني إذا سار منه إلى اللذات على الأمن الظاهر والنعمة عز أن الدنيا دار محر  
لأهلها غير ( والثالث ) قوله ( وإن أظلمت بطشهم حيارى ) أي : أئمه مع ذلك لم يرف وأحرص  
فإن مع طمأن مع عزمهم معالجة الجوارح . وقد وثق في غير هذا الموضع أن هذا الموصف في العباد  
ذم وإن كان في مصحف أنه تعالى مدح كائن من قام على الخير لا على طريق الحق ولكن على  
طريق الاستعداد بوصف أن طاعة بطش حيارى . وحاصل الأمر في هذه الأمور الثلاثة أن  
أئمة الأئمة العائمة . يدل على حب الدين ، واتحاد المصانع بين على حب الله . والجدارة تدل على  
حب الصلة بالدين . ويرجع الحاشي إلى أنهم أحبوا الدين وبغوا الناس والنفرد بالعلم . وهذه صفات  
الإلهية . وهي شئمة الحصول للهدى . فإن ذلك على أن حب الدنيا قد استولى عليهم بحسب أمرهم  
أي : خرجوا عن حد السودة وحاصروا سواد أعداء الربوبية . وكل ذلك يذبح على أن حب الدنيا  
رأس كل سيطرة وعمود كل كفر ومعضبة . ثم لما ذكر هود : عليه السلام هذه الأشياء قال  
( فاقفوا الله وأطيعوا ) زيادة في دعائهم إلى الآخرة ورجعاً لهم عن حب الدنيا والاشتغال  
بالسرف والحرص والتعجب . ثم وحش بهذا توجهه ، أي : بذكر تقويته وهو التوبة على أمر الله  
فإن عليهم بالإجمال أولاً ثم التفضل ثانياً فأيقظهم عن سته غفاهم عنها حيث قال ( أمركم بما  
تهدون ) ثم دعاهم من بعد بقوله ( أمركم بأولهم ) يعني وجبات وعيون . إلى أعاف عبيك عبادي  
يوم عظيم أفزع في دعائهم الوعظ والتمجيد والتعجب والبيان الهية فكان جوابهم ( رسولاً علينا  
أو عشت أم لم تكن من الواعظين ) أي : وأمرنا الله أكرامهم بكلامه . واستجدهم بما أوردوه وإن  
قبل بوقال ( أو عشت ) أم لم تعط . كان أنصروا معنى واحد ( جواب ) ليس الأمر بواحد لأن المراد  
سواء علينا أفعالت هذا العمل الذي هو الوعظ . أم لم تكن أفعالا من أفعاله وبالمرء . فهو أبلغ في

كَذَّبْتُمْ ثُودَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٥٨﴾ إِذْ قَالَتْ لَهُمْ أُنْحَرُوا صُلُحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٥٩﴾ وَإِنِّي لَكُرَّ رَسُولٍ لَبِيبٌ ﴿١٦٠﴾ فَأَنْتُمْ أَهْلُ اللَّهِ وَالطَّاعِينَ ﴿١٦١﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هُمْ بِأُمِّيئِينَ ﴿١٦٣﴾ فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٦٤﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضْبٌ ﴿١٦٥﴾ وَتَنْتَعُونَ مِنْ أَجْنَالٍ يَوْمَ الْقِتْمَةِ ﴿١٦٦﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَالطَّاعِينَ ﴿١٦٧﴾ وَلَا تَطِيعُوا أَمْرَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦٨﴾ الَّذِينَ يُقْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٦٩﴾ قَالُوا يَا نَحْنُ أَمْثَلُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٧٠﴾ مَا آتَتْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكَ فَأَيُّ شَآئِئِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٧١﴾ قَالَ هَٰذَا نَارُهَا شَرِبْتُ وَلَكُرَّ

قوله اعتداهم من قوله من قولكم لم ننطق . ثم استحووا على الله . كثراتهم كلامه بقرعهم ( إن هذا إلا غشوة الأولين ) من قرأ خلق الأولين بالفتح . معناه أن ما حدث به اختلاف الأولين . وغرضهم كما قالوا ( أسألكم الأولين ) أو ما خلفه الله . إلا خلق القرون الحالية كقيامهم ونفوت كصالحهم ولا بدت ولا حجاب . ومن قرأ خلق بصيغة . ورواهه . فلهذا ما هذا الذي عن عليه من الدين إلا خلق الأولين . وعندهم كانوا به يذهبون وعنهم مقتدون أو ما هذا الذي نحن عليه من الحياة والموت . لإعادة ما روي عنها الناس في قديم الدهر . أو ما هذا الذي جنت به من الكذب إلا إعادة الأولين كانوا يفتقون منه ويسطرونه . ثم قالوا ( وما نحن بمعذبين ) أعادوا بذلك عقوبة نفوسهم فيما نسكروا به من إسكار المأثور . فبذلك بين الله تعالى أنه أهلهم . وقد سبق شرح كيفية الملاك في سائر السور . والله أعلم .

﴿ القصص الخاصة - هذه صالحة عليه السلام ﴾

قوله تعالى : ﴿ كَذَبْتُمْ ثُودَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ إذا قال له آخروهم صالح ألا تتقون . إني لكم رسول أمين . فاتقوا الله وأطيعوا . وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين . أتتركون أم ما هذا أمي . في جنات وعيون . وزروع ونخل طلعها هضبة . وتنتعون من الجبال يومئذ فارعين . فاتقوا الله وأطيعوا . ولا تطيعوا أمر المشركين . الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون . قالوا إنما أنت من المشركين . ما آتت إلا بشر مثلكا فأت بآية إن كنت من الصادقين .

شَرِبَ يَوْمَ تَغْلُومٌ ﴿١٤٩﴾ وَلَا تَسْهَوْهَا يُسَوِّوْا قَبَاحُكُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ ﴿١٥٠﴾  
فَعَقَرُوهَا فَاصْبِرُوا كَذِبِينَ ﴿١٥١﴾ فَخَضَعُواكَ الْعَذَابُ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ  
مُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَخَوَّ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٣﴾

قال هذه ناقة لها شرب ولكنكم شرب يوم معلوم . ولا تسهوها بسوء . قباحكم عذاب يوم عظيم .  
مفروها فاصبروا كاذبين . فخذم العذاب إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين . وإن  
ربك هو العزيز الرحيم .

اعلم أن صاحباً غيبه السلام عذاب قومه بأسره (أحدها) قوله (أن تكون فيما هنا آمنين) أي  
أن تكونون أنكم تتركون في دياركم آمنين وتسلمون في ذلك وأن لا دار للجزاء .  
وقوله (فما هنا آمنين) في الذي استقرى هذا المكان من النعم ، ثم فسره بقوله (في جنات  
وعيون) وهذا أيضاً إجمال ثم تفصيل ، فإن قيل لم قال ونخل يمدفونه (في جنات) والجنة تقابل  
النخل (جوابه) من وجهين (الأول) أنه يخص النخل بإفراذه بعد دخوله في جملة ما سائر شجر تنبت على ضفة  
على حائر الأنهار (والثاني) أن برود الجنات غيرها من الشجر لأن النخل يصلح لذلك ، ثم يطفئ  
عليها الدرس ، والطلع هو الذي يطلع من "الجنة" كمن أضيف في جوفه شجر يريح . والمضمع اللطيف  
أيضاً من قولهم كدح مضمع ، وبطل المضمع أنين الضجع كأنه قال : ونخل قد أرطب ثمره (وقاها)  
قوله معني (وتحتون من الجبال يومئذ فارحين) فرأى الخمس وتحتون بفتح الخاء ، وفري فرحين  
وفارحين والقراءة الكيس والشاط ، فقوله (فارحين) حال من التاخرين .

(واضح) أن ظاهر هذه الآية يدل على أن الغالب على قوم هذه هو لئال الخالية . وهي  
طلب الاستعلاء والغلبة والتفرد والشجر هو الغالب على قوم صاحب هو أفاضل المدينة . وهي طلب  
الأكول والشرب والسائر القضية الحسية (وقاها) قوله تعالى (ولا تطيعوا أمر السفين)  
وهذا إشارة إلى أنه يجب الاكتفاء من الدنيا بقدر الكفاية ، ولا يجوز التوسع في طلبها  
والاشتغال من لذاتها وشبهاتها ، فإن قيل ما فائدة قوله (ولا يصلحون) (جوابه) فادته بأن  
أن مداهم فساد خلاص ليس مع شجر من الصلاح . كما يكون حال بعض المفسدين عطلطة بفساد  
الصلاح . ثم إن القوم أحاد من وجهين (أحدهما) قولهم (فما أنت من المشركين) وفيه وجوه  
(أحدها) أنشعر هو الذي يمر كتبه حتى غلب على عقله (وقاها) من المشركين أي من له

كَذَبْتُمْ قَوْمَ لُوطَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١١٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١١١﴾ وَإِذْ لَكَ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١١٢﴾ فَأَنصَبُوا إِلَهُه وَأَطِيعُوا ﴿١١٣﴾ وَمَا أَشْكُرُ عَلَيْهِ مِنْ أُخْرٍ إِنْ أُخْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٤﴾ إِنَّا نَحْنُ اللَّهُ ذِكْرَانِ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾ وَتَدْرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجَكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١١٦﴾ قَالُوا لَنْ نَمُنَّ بِكَ لَوْ أَنَّكَ تَقُولُ

بحر، وكل دابة يأتى بها من مسخرة، والسحر أعلى النحل، وعن العراء العدم من له حروف، أراد أنك تأكل الطعام وتشرب الشراب (رثائفة) عن المزوج المسحر هو الجوى بطنه عجلة (زوانيها) قولهم (ما أنت إلا بشر مثنا ذلك بآية إن كنت من الصادقين) وهذا محتمل أمرين: (الأول) أنك بشر مثنا فكيف نكون نبياً، وهذا بمنزلة ما كانوا يذكرون في الأنبياء أنهم لو كانوا صادقين، لكانوا من جنس الأناس (الثاني) أن يكون مرادهم أنك بشر مثنا، فلا بد لنا في إثبات نبوتك من الدليل، فقال صالح عليه السلام (هذه مائة خا شرب) يوفى بالضم، روى أنهم قالوا: نريد مائة عمر، فخرج من هذه الصخرة فتكسفاً، فهدى صالح بذكر، فقال له جبريل عليه السلام: صل ركعتين وصل ذلك الثانية، فعمل فخرجت شاة وبركت بين أيديهم وحصل لها سقب مثلاً في العظم، ووصاهم صالح عليه السلام بأمرين: (الأول) قوله (لها شرب) ولكم شرب يوم معلوم) قال قتادة: إذا كان يوم شربهم شربنا شربهم كله، وشربهم في اليوم الذي لا تشرب هي (والثاني) قوله (ولا تسرحا بسوا) أي يضرب أو يضرب أو غيرها (فأخذكم عذاب يوم تطعم) عظم اليوم لحال العذاب فيه، ووصف اليوم به أينج من وصف العذاب، لأن الوقت إذا عظم بسببه كان موفى من العظم أشد، ثم إن الله تعالى حكى عنهم أنهم عقروها، روى أن مصدعاً ألقاها إلى مدينين فرمها بسهم فسقط، ثم ضربها فدار، فبين قبل لم أخدعها، فدار، وقد دعوا (جوابه) من وجهين (الأول) أنه لم يكن ذنبهم بدم الثاثير، لكن لدم الحافئين من العذاب العاجل (الثاني) أن الدم وإن كان بدم اثناين، ولكن كان ذلك في غير وقت التوبة، بل بعد مضيئة العذاب، وقال تعالى (وليس التوبة الذين يعملون السيئات) الآية، واللام في العذاب إشارة إلى عذاب يوم عظيم.

﴿ القصص السادسة - قصة لوط عليه السلام ﴾

قوله تعالى: ﴿ كَذَبْتُمْ قَوْمَ لُوطَ الْمُرْسَلِينَ ﴾، إِذْ قَالَ لَهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ، إِنْ لَكَ رَسُولٌ أَمِينٌ، فَأَنصَبُوا إِلَهُه وَأَطِيعُوا، وَمَا أَشْكُرُ عَلَيْهِ مِنْ أُخْرٍ إِنْ أُخْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، إِنَّا نَحْنُ اللَّهُ ذِكْرَانِ، وَتَدْرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجَكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ، قَالُوا لَنْ نَمُنَّ بِكَ لَوْ أَنَّكَ تَقُولُ



مِنَ الْمُخْرِجِينَ ﴿١٧٠﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَائِلِينَ ﴿١٧١﴾ رَبِّ تَجَنَّبْنِي وَاقْصِرْ عَنِ مَآئِمَعَهُمْ  
﴿١٧٢﴾ فَتَجَنَّبَهُ وَاقْصَرَ عَنِ اجْمَعِينَ ﴿١٧٣﴾ إِلَّا غَوْرًا فِي الْأَعْيُنِ ﴿١٧٤﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَنْبِيَاءَ  
﴿١٧٥﴾ وَاقْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ  
أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَمَوْعِظٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٨﴾

الذكران من العالمين ، ويذوق ما خلق لكم ربكم من أنواعكم على أنتم قوم عادون . قالوا ان لم  
 نكنه بالوط لا تكون من المخرجين . قال إلى بعضكم من الثقلين ، ادب نجى وأهل ما يعملون ،  
 فضربناه وأهله أجمعين ، إلا جوراً في القابر . ثم دمرنا الآخرين . وللعلماء عليهم مظهر أفعالنا .  
 عطر المشرقين ، إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين . وإن ربك هو العزيز الرحيم .  
 أما قوله تعالى ( فأتاتون الذكران من العالمين ) فيجوز أن يعود إلى الآتي أي أنتم من جهة  
 العالمين صريحاً محصورين بهذه الصفة . وهي زينات الذكران . ويجوز أن يعود إلى الثاني أي أنتم  
 إذ أنتم ابن ذكران من العالمين . لا الآيات منهم .

وأما قوله تعالى (من أزوجكم) فيدل على أن يكون ثوباً لا خلق وأن يكون متديباً ، ورواد  
عنا خلق النصوص المباحة من ، وكأهم كانوا يصلون مثل ذلك بسائهم ، والادوى هو المتديب في خلقه .  
ومعناه أن تكون هذه المصيبة على عظمها (بل أم قوم عاويذ) في جميع المصائب . فهذا من صفة  
عليه السلام ، أو بل أم قوم أحقاد ، بل توصوا بالعدو ، حيث أن تكون مثل هذه القاطعة ، وهذا الواب  
عليه السلام (لأن لم تته بالطول لتكون من الخرجين) أي لتكون من جملة من أخرجناه من  
من بلدنا ، ولعلهم كانوا يخرجون من أخرجوه على أسوأ الأحوال . فقال لهم لوط عليه السلام  
(إني لعضدكم من القائل) لفتى البص الشديداً كأنه بعض يفتي هؤلاء والكبد ، وقوله (من  
القائلين) أتبع من أن يقول (إني لعضدكم قاله) كما يقال فلان من بعد ، فهو المبلغ من قولك فلان عالم ،  
ويجوز أن يراد من السكدين في قدامكم . ثم قال تعالى (عجبا وأهل) والمراد : فجيئنا وأهل  
من عتوبة عليهم (ألا يجوز) في المارين) بأن قيل في المارين صفة لها كأنه قيل (ألا يجوز) أن يرد  
ولم يكن القود صفتها وقت سجنهم (حواله) معناه (ألا يجوز) مفرداً بغيرها . قيل إنها عاكلة  
مع من خرج من القرية عما أطر عليه من المحاذرة . فقال : فإني بعد الجبار في نفسه . جرم في قوله

كَذَّبَ أَصْحَابُ نَجِيبِكُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تُتَّقُونَ ﴿٢١﴾ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٢٢﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْمُنْتَهِي ﴿٢٣﴾ تَتَّبِعُوا الْكَيْدَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْذَلِينَ ﴿٢٤﴾ وَارْتَوْا بِالْفِطْطَيْنِ الْهَامِثِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَا تَتَّبِعُوا فِي الْأَرْضِ مُسَيِّدِينَ ﴿٢٦﴾ وَأَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجَنَّةَ الْأُولَى ﴿٢٧﴾

تعالى (وتتبعون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم) دلالة على بطلان الخبر من جهات (أحدها) أنه لا يقال بطلان إلا مع الهدية على غلامه. ولذلك لا يقال البطلان لم نذر الصعود إلى السماء. كما يقال لم نذر التحول والخروج (وثانيها) أنه قال (ما خلق لكم) ولو كان خلق الفعل قد تعالى سكان الذي خلق لهم ما خلفه فيهم وأوجه لا مالم يملوه (ثالثها) قوله تعالى (من أشم قوم ماذون) فإن كان تعالى خلق فيهم وكانوا يسمون فكيف يسمون إلى أنهم نفسوا. وهل يقال للأشود إنك ممددي نوبك تقولون حاصل هذه الوجوه يرجع إلى أن السبب لو لم يكن هو حدا الإعمال بمسما ما توجه المذبح وشم والأمر وأشم عليه. وهذه الآية في هذا المعنى صاحبه أريد بما ورد من الأمر والشم والمذبح والشم في قصة موسى عليه السلام وإبراهيم وتوح وشمر القصص. وكيف حصل هذه القصص به في الوجوه دون سائر القصص. وإذا ثبت ذلك أن هذه الوجوه في ذلك الوجه المشهور وحسب يجب عنها الجوابين المشهورين (الأول) أن الله تعالى ما سمع وقوع هذه الأشياء فقدمها على أن عدمها يستلزم انقلاب العلم جهلا وهو حال وانقضاء إلى قول تعالى. وإذا كان عدمها محالاً كان التكليم بالخبر ككلام الخلق (ثاني) أن تقدير لما كان قادراً على تصديق المذبح أن يرجع أحد المصدقين على الآخر إلا لم يرجع وهو الداعي أو الماراد وذلك المذبح حدثه. وثالث ذلك القول إن كان هو المذبح المذبح وهو حال وإن كان هو الله تعالى ذلك هو الخبر على قولك. فثبت مدبر الرعايا الغافلين سقوط ما قاله والله أعلم

﴿ قصة شعيب - قصة نبي عليه السلام ﴾

قوله تعالى ﴿ كذب أصحابك المرسلين ﴾. إذ قال لهم شعيب ألا تتقون. إذ لكم رسول أمين. فاتقوا الله وأطيعوا أوامر الله. وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين. أتقوا كيدكم ولا تكونوا من المخضلين. وارتقوا بالفتن المستقيم. ولا تبصروا الناس أشياءهم ولا

قَالُوا يَا آتِ مِنْ الْمَحْرَبِ ﴿١٢٢﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَإِنْ نُنْظِقُكَ لَمِنْ  
الْكَافِرِينَ ﴿١٢٣﴾ فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالَ  
رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٥﴾ فَكَذَّبُوهُ فَاسْتُخْذَ لَهُمْ خَدَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ إِذْ كَانَ عَذَابُ  
يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٢٦﴾ إِذْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٢٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ  
لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾

أَنشَأُوا فِي الْأَرْضِ مَقْسِدِينَ ، وَأَنشَأُوا الْهَيْ خَلْقَكَ وَالْخَلْقَ الْأَوَّلِينَ . قَالُوا يَا آتِ مِنْ الْمَحْرَبِ  
وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نُنْظِقُكَ لَمِنْ الْكَافِرِينَ . فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا كَسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ  
الصَّادِقِينَ . قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ . فَكَذَّبُوهُ فَاسْتُخْذَ لَهُمْ خَدَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ إِذْ كَانَ عَذَابُ يَوْمٍ  
عَظِيمٍ . إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ . وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾  
فَرَى الْمُجَنَّبُ الْأَيْكَةَ الْفَصْرَةَ وَجَدَهَا عَلَى الْإِصْبَافِ وَهُوَ فِي الْوَجْهِ رَمْرَمٌ قَرَأَ النَّصَبَ  
وَدَعَمَ أَنَّ الْأَيْكَةَ بَرَزَ لَيْلَهُ اسْمُ بِلْدٍ بِحَرْفٍ مُزَوِّجٍ قَدْ إِتْبَعَهُ خَطُ الْمَصْبُوعِ حَيْثُ وَجَدَتْ مَكْتُوبَةً فِي  
هَذِهِ السُّورَةِ وَفِي سُورَةِ هِجْزٍ أَيْ أَنَّ الْأَيْكَةَ كَانَتْ فِي سَائِرِ الْقُرْآنِ عَلَى الْأَصْلِ وَالْفَصْلِ وَاحِدَةً  
عَلَى أَنَّ الْأَيْكَةَ اسْمٌ لَا بِحَرْفٍ . وَرَوَى أَنَّ الْمُجَنَّبَ الْأَيْكَةَ كَانَتْ أَيْكَةً نَحْرُ مَلَكٍ وَتِلْكَ الشَّجَرَةُ  
الَّتِي حَتَمَهَا الْمُفَلِّحُ . وَإِنْ قِيلَ هَذَا قَالَ آخَرُهُ شَدِيدٌ كَمَا فِي سَائِرِ الْقُرْآنِ (مُرَادُهُ أَنَّ الْأَيْكَةَ لَا يَكُنْ مِنْ  
أَيْكَةِ الْأَيْكَةِ . وَفِي الْحَدِيثِ وَإِنْ تَسَمَّى أَشْجَارُ الْأَرْضِ بِالْأَيْكَةِ وَالْأَيْكَةُ الشَّجَرَةُ رَجَبًا  
عَلَيْهِ السَّلَامُ شَرَحَ مَا شَارِدَ أَحَدُهُمْ ) قَوْلُهُ (أَوْ هُوَ التَّكْبِيرُ وَلَا تَكُونُ مِنْ الْخَفِيِّينَ ) وَفِي ذَلِكَ لَآيَةٌ  
تَكُنُّ عَلَى ثَلَاثَةِ أَصْحَابٍ وَفِي عَاطِفٍ وَرَأْسِهِ وَأَمْرٌ بِالْوَحْدِ الَّذِي هُوَ الْإِبْرَاهِيمُ . قَوْلُهُ (أَوْ هُوَ  
التَّكْبِيرُ ) وَهُوَ عَنْ إِحْرَامِ الْبَيْتِ هُوَ الْمُتَقَدِّمُ بِقَوْلِهِ (وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْخَافِرِينَ ) وَهُوَ يَذْكُرُ الزَّائِدَ  
لَا بِحَيْثُ إِنْ قِيلَ هَذَا أَحْسَنُ وَإِنْ لَمْ يَقُلْهُ إِلَّا بِحَيْثُ عَلَيْهِ . ثُمَّ إِذَا أَمْرٌ بِالْإِبْرَاهِيمِ . ثُمَّ إِذَا كَرَفَ  
بِقُلِّهِ تَعَالَى (وَذُنُوهُ بِالْفُطُوسِ الْمُسْتَقِيمِ ) فَرَى بِالْمِصْبَاحِ مَضْمُونًا وَمَكِينًا وَهُوَ الْإِبْرَاهِيمُ . وَقِيلَ  
الْقَرِيطُونَ (وَأَتَتْهَا ) قَوْلُهُ قَعَالٍ (وَلَا تَخْشَوْنَ كُنُوسَكُمْ أَنْتَاهُمْ ) بِقَوْلِهِ تَعَالَى إِذَا غَضِبَ إِبْرَاهِيمَ  
وَهَذَا عَامٌ فِي كُلِّ حَقٍّ يَشْتَرِي لِأَحَدٍ أَنْ لَا يَضْمَ وَفِي كُلِّ مَلِكٍ أَنْ لَا يَضْعَبَ مَالَهُ وَلَا يَنْصَرِفَ بِهِ  
إِلَّا بِإِذْنِهِ تَصَرُّفًا شَرْعِيًّا (وَأَتَتْهَا ) قَوْلُهُ تَعَالَى (وَلَا تَشْأَوْا فِي الْأَرْضِ مَقْسِدِينَ ) بِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي  
الْأَرْضِ وَتَعَالَى وَتَعَالَى وَتَعَالَى نَحْوَ قَطْعِ الطَّرِيقِ وَالْمَارَّةِ وَفِي ذَلِكَ الزَّوْجِ . وَكَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ مَعَ

ثم بينهم من أنزع القسا فجهوا عن ذلك (وراجعوا) قوله تعالى (واذنوا الذي حلفكم) الآية الأولى .  
 وقرن الخلة بوزن الآية وقرن الخلة بوزن آياته ومعانها واحد أي ذوي الجلالة . والمراد أنه  
 الانفصال بحلفهم وحقق من تقدمهم من نولا سلفهم لما كانوا مخلوقين ، فلم يكن لهم جواب إلا ما نزل  
 تركوه ملكا أو ذرهم بوضوح من وجهين الأول قولهم : إنا أنس من المشركين . وهذا أت (لا ينس ما نسا)  
 فإن قيل : هل استناب المعنى بالرجوع إلى ما نزل من قوله : فادعوا إلى ما آمنتم من المشركين .  
 قصد معان كلامها من باب الرسالة عندهم المشركين والشرية وإذ تركت الواو لم يفتصروا إلا معنى  
 واحدا وهو كونه مشركا ثم قرره بكونه مشركا منهم (الثاني) قولهم : (إنا طلقنا من الكافرين) .  
 ومعناه ظاهر ، ثم إن شيعا عليه السلام كان ينوهم بالنداب إن استمروا على التكذيب فقالوا  
 (فأفقط علينا كسفا من السماء) فري كسفا بالكون ، والخركة وكلامها جمع كسفة وهي القطعة  
 والسماء النداب أو القطعة . وهم إنا خلقوا ذلك لاستعادمهم فوجه فقتلوا أنه إذا لم يقع ظهر كذب  
 فدنه قال شيعا عليه السلام (روى أنما تمصوب) ثم يدع عليهم بل فوض الأمر فيه إلى الله  
 تعالى فله استمروا على التكذيب أنزل الله عليهم العذاب على ما أثار جواب من عذاب يوم القامة إن  
 أنزلوا بالسماء الدجاب . وإن أنزلوا القطعة بعد عذابهم عن وترجم يروى أنه حمس عنهم  
 الريح سببا وسلط عليهم الرمل فأخذ بأفاسهم . لا يفهم ظل ولا ماء فاضطروا إلى أن يخرجوا  
 إلى البرية فأظلمت جهنم وحيدوا لها ردا وسبها واختموا نخشا فأعمرت عليهم ناراً فاحت فوا .  
 وروى أن شعرا إلى اثنين أصحاب مدبر وأصحاب الأيكة وأعطيت مدبر بصيحة جبريل  
 عليه السلام وأصحاب الأيكة بعدد يوم نخلته . وهذا آخر الكلام في هذه القصص السبع التي  
 ذكرها الله تعالى في هذه السورة تسليفا لحمد على الله عليه وسلم فيما ناله من العذاب الشديد . بقي  
 هنا سؤالان :

(السؤال الأول) لم لا يرد أن يقال : إن العذاب انزال بيد ونور وفوم لوط وغيرهم  
 ما كان ذلك بسبب كفرهم وعنادهم ، بل كان ذلك بسبب قرأتهم أنكروا كبر . واتصالاتهم على ما  
 اتفق عليه أهل النجوم ؟ وإذا قام هذا الاحتمال لم يحصل الاعتبار بهذه القصص ، لأن الاعتبار بما  
 يحصل أن لو علمنا أن نزول هذا العذاب كان بسبب كفرهم وعنادهم .

(السؤال الثاني) أن الله تعالى قد ينزل العذاب على منكفئين وابتلاء لهم على ما قال (واصلوكم  
 حتى تعلموا ما تهدين منكم والعبادين) ولأنه تعالى قد أبطل المؤمنين بالبلاء العظيم في مواضع كثيرة  
 وإذا كان كذلك لم يدل نزول اللعابهم عن كونهم مبطلين (والجواب) أن الله تعالى أنزل هذه  
 القصص على محمد ﷺ تسليفا وإزالة للحرز عن قلبه . طمأنا أخبر الله تعالى محمدا أنه هو الذي أنزل  
 العذاب عليهم ، وأنه إنما أنزل عليهم جزاء على كفرهم ، علم محمد ﷺ أن الأمر كذلك . فيقتض  
 يحصل به التمسك والفرح له عليه السلام . واحتج بعض الناس على القدر في علم الأحكام

وَأَنَّهُ لَنَتَنَزَّلُ رَبِّ أَعْلَىٰ ۖ تَزَلُّ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٨٥﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ

نَتَّصِرُّكَ مِنَ الْمُنْتَفِرِينَ ﴿١٨٦﴾ يَلْسَانُ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٨٧﴾ وَأَنَّهُ لَقَدْ زُيِّرَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٨٨﴾

بأن قال المفسر في هذه الآية : إنما الكواكب أو البروج أو كوكب في البرج المنصب ، والأول باطل ، وإلا لحصلت هذه الآثار أين حصل الكواكب والثاني أيضاً باطل ، وإلا لزم دوام الآثار بدوام البرج والثالث أيضاً باطل ، لأن انقلاب كل فلكهم بسببه لا مركب بكون قطع كل برج مساوياً لطبع الناحية الآخر في تمام الناحية ، فيكون حال الكواكب وهو في برجه كحالها وهو في برج آخر ، فيلزم أن يدوم ذلك الأثر بدوام الكواكب ، وللاهم أن يقولوا لم لا يجوز أن يكون صدور الآثار عن الكواكب أممين موقفاً على كونه مسافراً مبتدئاً بحرصه للكواكب آخر ، فإذا قضت تلك المسألة عند شرط التأخر فلا يحصل التأثير ، ولهم أن يقولوا هذه الدلالة ، إنما تدل على أنها ليست مؤثرة بحسب ذواتها وطبائعها ، ولكنها لا تدل على أنها ليست مؤثرة بحسب حركتها ، فإذا أجرى الله تعالى عدته بحصول تأثيرات بحرصه عقب انحصارات الكواكب وفراغها وأدوارها لم يلزم من حصول هذه الآثار انقطاع بأن الله تعالى إنما غفلنا لأجل رجح الكواكب من الله تعالى عظماء الكواكب ، فإذن تلك حركات والله أعلم

في القول فيه ذكره الله تعالى من أجواب محمد عليه الصلاة والسلام

قوله تعالى ﴿١٨٥﴾ وانه لننزل رب العالمين . قوله الروح الامين . على قلبك شكركم من المنفرد

يلسان عربي مبين . وانه اني زير الاولين ﴿١٨٨﴾

اعلم ان الله تعالى لما حتم ما انفصل من حمر الاسباء ذكر بعد ذلك ما يدل على بونه شقيق وهو من وجهين : الاول قوله زويله لننزل رب العالمين ( وذلك لأنه صاحبه معبر فيكون ذلك من رب العالمين ، أو لأنه إلهام عن القصاص الماضية من غير تعليم بنة ، فلا يكون ذلك إلا وحي من الله تعالى ، وقوله هذه ( وانه اني زير الاولين ) كما أنه مؤيد لهذا الاحتمال ، وذلك لأنه شبه السلام لما ذكر هذه القصص تسبب على ما هو موجود في رب الاولين من غير تغلوت أصلاً مع أنه لم يشغل بالعلم ولا الحسد ، ذلك لأنه على أن ليس إلا من عاده الله تعالى ، فهذا هو المقصود من الآية .

فأما قوله تعالى ( وانه لننزل رب العالمين ) فلهذا القول . ثم قد يكون معبر في قوله تعالى وهذه القصص أن يكون تبرئاً من الله تعالى في عهد شقيق بلا واسطة فلهذا قوله ( وانه الروح الامين ) واليه في قوله ( نزله الروح ) هو ( نزله الروح ) على الترتيب للعددية ، ومعنى ( نزله الروح ) معبر الله الروح بالزلا على قلبك أي هبك إياه وأثبه في فلكك إني إله لا ينبغي كقوله تعالى ( قد فرقت

قلا نسي ) والروح الأمين جبريل عليه السلام وسماه روحاً من حيث خلق من الروح . وقيل لأنه نعمة الخلق في باب الدين فهو كالروح الذي تمت معه الحياة . وقيل لأنه روح كله لا كالأرواح الذين في أبدانهم روح وسماه أميناً لأنه مؤمن على ما يؤدبه إلى الأتباع ما بهم السلام ، وإلى غيرهم . وأما قوله ( على قلبك ) فيه قولان : ( الأول ) أنه إنما قال ( على قلبك ) وإن كان إنما أتوه عنه ليؤكد به أن ذلك المثل محض لمحض الرسول مشكك في قلبه لا يجوز عليه التغيير فيوثق بالإتقان الواقع منه الذي بين الله تعالى أنه هو المقصود . ولأنك قال ( لتكون من المنذرين ) ( الثاني ) أن القلب هو المحاط في الحقيقة لأنه موضع التغيير والاستقرار . ولما سائر الأعضاء فمخرجة له والدليل عليه قرآن والحديث والمنقول . أما القرآن فأبانت إحداهما قوله تعالى في سورة البقرة ( فانه رآه على قلبك ) وقال هذا ( رآه الروح الأمين على قلبك ) وقال ( إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب ) . ( وثالثها ) أنه ذكر أن استحقاق الجزاء ليس إلا على ما في القلب من المسامحة فقال ( لا يؤخذكم الله باللغو في أيمانكم ) . ولكن يؤخذكم بما كسبت قلوبكم ) وقال ( لم يبدأكم لحومها ولا دماؤها ولكن يناله لغوى صمكم ) وتنفخ في القلب لأنه تعالى قال ( أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتغوى ) وقال تعالى ( وحصل في الصدور ) . ( رابعها ) قوله حكاية عن أهل النار ( نوحنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير ) ويعلم أن العقل في القلب والسمع منفذ إليه . وقال ( إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً ) وسليم لأن السمع والبصر لا يستفاد منهما إلا ما يؤد به إلى القلب . فكان السمع والسمع في الحقيقة مسؤولاً عن القلب وقال تعالى ( يعلم غائب الأعين وما تخفى الصدور ) . ولم تخفى إلا بما تصير له عند عند الحديث . ( خامسها ) قوله ( وحمل لكم السمع والأبصار والأفئدة ظلالاً ما تذكرون ) يخص هذه الثلاثة بالأمم الخمسة ما أو شاعرا ، انذكر عليها . وقد قلنا لا خاص في السمع والأبصار إلا ما يؤد به إلى القلب ليكون القلب هو القاضي فيه والمحكم عليه . وقال تعالى ( وعند تكامل فيها إن كنتم فيه وحملكم حسداً وأنصاراً وأفئدة فأغوى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء ) . فمن هذه الثلاثة نعلم ما ألزمهم من حجة . والمقصود من ذلك هو : أن إذا قاضي فيها يؤدى إليه السمع والبصر ( وحملها ) قوله تعالى ( الله على قلوبهم وعجز عنهم وعن أبصارهم ) لجل العذاب لازماً على هذه الثلاثة . وقال ( لم يلم قلوب لا يفقهون بها وهم آمنين لا يبصرون بها ولم يأتوا أن لا يسمعون بها ) وجه الدلالة أنه قصد إلى أن العلم عنهم رأساً ، فهو لم يلم في غير القلب كتابته في القلب . لم يتم الغرض بهذه الآيات وبما كلها تافهة بأجمعها لأن القلب هو المقصود بآية الحقيقة . وقد بين أن ما قرأه من ذكر السمع والبصر وذلك لأنها آيات القلب في تأدية صور المحسوسات والمسبوبات

وأما الحديث فآروى الترمذي بن بشر قال سمعته عليه السلام يقول : ألا يؤمن في الجسد بضعة

إذا صنعت صلح المصالح كلها . وإذا صنعت ضد المصالح كلها ألا وهي القلب . وأما المعتبر فوجوه ( أحدها ) أن القلب إذا غلب عليه برزخ سائر الأعضاء لم يحصل شعور به وإذا أدق القلب فانه يشعر بجميع ما يؤول بالأعضاء من الآفات فدل ذلك على أن سائر الأعضاء ليس للقلب ولذلك فان القلب إذا مرض أو حزن فانه يمرض حال الأعضاء عند ذلك . وكذا يقول في سائر الأمراض النفسية ( وثانها ) أن القلب منبع انبثاق تبايع على الاتصال الصادر عن سائر الأعضاء . وإذا كانت لتباين مبادئ الأفعال وحسبها هو القلب كان الأمر المأخوذ هو القلب ( وثالثها ) أن معدن العقل هو القلب وإذا كان كذلك كان الأمر المنطلق هو القلب .

( أما المقدمة الأولى ) فكيفها النزاع وان طائفة من القدماء ذهبوا إلى أن معدن العقل هو الدماغ والذي يدل على قولنا وجوه : ( الأول ) قوله تعالى ( أولم يسروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها ) وقوله ( ثم قلوب لا يعقلون بها ) وقوله ( إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب ) أي عقل . أطلق عليه اسم القلب لما أنه معدن ( الثاني ) أنه تعالى أضاف أعضاد العلم إلى القلب . وقال ( في قلوبهم مرض ) - ( ختم الله على قلوبهم ) وقولهم ( قلوب غفل بل علم انه عليها بكفرهم ) . ( بعد المضافين أن نزل عليهم سورة تدبرهم فيها في قلوبهم ) . يقولون بأنفسهم ما ليس في قلوبهم . ( كلا بل إن على قلوبهم ) . ( أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ) . ( وثانها ) لانعنى الأعصاب . نسكت نحن قلوب التي في صدور ( فذلك هذه الآيات على أن موضع الجلب والدفقة هو القلب . فوجب أن يكون موضع العقل وتعلمه أيضاً هو القلب ( الثالث ) وهو أما إذا عرفنا أعضاء وحدها بغوصنا حاصلة في ناحية القلب . ولذلك فإن الواحد : إذا لمس في العسكر أو أكثر منه أحس من ظه ضيقاً وصبراً حتى كأنه تألم بذلك . وكل ذلك يدل على أن موضع عقل هو القلب . وإذا ثبت ذلك وجب أن يكون المكلف هو القلب لأن التكليف مشروط بالعقل وتعلم ( الرابع ) وهو أن القلب أول الأعضاء تكوناً . وأمرها موتاً . وقد ثبت ذلك بالتشريح ولأنه متوكل في الصدر الذي هو أربط الحسد . ومن شأن الملوك المتحاجين إلى الخدمة أن يكرروا في وسط الملكة لتكتسب الخواص من الطوابق فيكونوا أعيان من الآفات . واحتج من قال : اعقل في الدماغ أمور ( أسدس ) أن الخواص هي الآلات للاعتراف نافذة إلى الدماغ دون القلب ( رة ثمة ) لأن الأعصاب التي هي الآلات في الحركة الاختيارية نافذة من الدماغ دون القلب ( وثالثها ) بأن الألة إذا حلت في الدماغ حلت العقل ( ورابعها ) أن في العرف كل من أريد وصفه بصفة عقل قيل له حبيب الدماغ خفيف الرأس ( وخامسها ) أن العقل أشرف من أن يكون مكاناً أشرف . والأعلى هو الأشراف . وذلك هو الدماغ لا القلب . فوجب أن يكون على العقل هو الدماغ ( راجعاً عن الأول ) لم لا يجوز أن يقال الخواص تزيد تنبها إلى الدماغ . ثم إذا الصاع يؤدي تلك الآثار إلى القلب . فالصاع آلة قريبة للقلب

فقلب وانحواس الآلات . بعدة فالجس بعدم الدماغ ، ثم الدماغ بخدم القلب وتغذيته أنا يدرك من أمسا أنا إذا عقلت أن الأمر ملاني يجب فعله أو يجب تركه ، فإن الأكفاد تتحرك عند ذلك . ونحن نعد استغلات من جانب القلب لأن جانب الدماغ ( وعن الثاني ) أنه لا بد أن يتأذى الأمر من القلب إلى الدماغ ، ثم الدماغ يحرك الأعضاء بواسطة الأعصاب الثانية منه . ( وعن الثالث ) لا بد أن يكون سلامة الدماغ شرطاً لوصول تأثير القلب إلى سائر الأعضاء . ( وعن الرابع ) أن ذلك العرف إنما كان لأن القلب إنما يعتدل مزاجه مما يستمد من الدماغ من روده ، فهذا الحيز الدماغ خروج عن الاعتدال يخرج القلب عن الاعتدال أيضاً ، إما لازدياد حرارته عن القدر الواجب أو نقصان حرارته عن ذلك القدر حيث يحفل العقل ( وعن الخامس ) أنه لو صح ما هوه لوجب أن يكون موضع العقل هو القفص . ولما بطل ذلك تمت فساد قولهم والله أعلم .

( مرع ) أعلم أن المعاني التي يبدأ كروها مختلفة بالقلوب قد أضاف إلى المصدر تارة وإلى القوادٍ أخرى . أما المصدر فلقوله تعالى ( وحصل ما في الصدور ) وقوله ( وليبلى الله ما في صدوركم ) وقوله تعالى ( إليه عليم ذات الصدور ) . ( وإن نفخوا ما في صدوركم أو ندعوهم ولما القواد ) فلقوله ( وقلب أفكتهم وأبصارهم ) ومن سأس من فرق بين القلب والقواد ، قال : القلب هو الحقيقة السوداء في جوف القواد دون ما مكتنفها من اللحم والشحم ، ومجموع ذلك هو القواد . ومنهم من قال القاب والقواد لفظان مترادفان ، وكيف كان فيجب أن يعلم أن من جملة العضو المسن قلباً وقواداً موضعاً حر الموضع في الحقيقة نفس والاختيار ، وأن مبطل جرم هذا العضو مسخر لذلك الموضع ، كما أن سائر الأعضاء مدخرة للقلب ، فإن العضو قد زيد أجزاؤه عن غير ازدياد المعاني المنسوبة إليه أي العقل والفرح والحزن وقد ينقص من غير نقصان في تلك المعاني ، فيحتمل أن يكون اسم القلب اسماً للأجزاء التي تحمل فيها هذه المعاني بالحقيقة ، واسم القواد يكون اسماً لمجموع العضو . فهذا هو الكلام في هذا الباب والله الموفق للصواب .

وأما قوله تعالى ( لتكونن من المنفذين ) فيدخل تحت الإذراء المدعى إلى كل واجب من علم وعمل والمنع من كل حرج لأن في الرحمن حجباً يدخل الخوف من العقاب .

وأما قوله تعالى ( بلسان عربي مبين ) فإلا بما أن تتعلق بالمعبر فيكون المنفي لتكون من الذين أئذروا بهذا اللسان . وهم خمسة هود وصالح وإسماعيل ومحمد عليهم السلام . وإذا أن تتعلق بزل فيكون المنفي نزله باللسان العربي لشذوذه لأنه لو نزله باللسان الأنجمي أقالوا له ما نفع بما لانفهم فيعبر الإذارة به . وفي هذا الوجه أن نزله بالعربية التي هي لسانك ولسان قومك تنزل له على قلبك لأنك تفهمه وفهم قومك ، ولو كان أعجمياً لكان نازلاً على سمعك دون قلبك . لأنك تسمع أمراً من سمعك لا تفهم معانيها .





فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ ﴿٦٦﴾ أَفِيْعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَأَيْتَ إِنْ  
 مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٦٩﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا  
 يُمْتَحِنُونَ ﴿٧٠﴾ وَمَا أَهْلَكَكَ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا مَا مُنْذَرُونَ ﴿٧١﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٧٢﴾

وكيف هل بهم فلا ميل إلى أن ينشروا عنهم عذابهم من الجحيم والإناكار . وهذا أيضاً ، لا يفيد  
 نفي الرسول ﷺ لأنه إذا عرف رسول الله نصرارهم على الكفر ، وأنه قد جرى قضاء الأذى  
 بذلك حصل البأس ، وفي المثل : يأمر إحدى الراحتين .

( في المسألة الرابعة ) كقوله ( كذلك ) . يمكنه في قلوب المخبرين ( يدل على أن الكمال بقضائه  
 برحمة . قال صاحب الكشاف : أراد به أنه صار ذلك التكذيب متكاملاً في قلوبهم أشد التحكم  
 فصار ذلك كالشيء الجاني ( والجواب ) أنه لما لم يحكموا أنه فعل الله فهم ما ينقص رحمة الله  
 للتكذيب على الصديق أو ما فعل ذلك فهم . فإن كان الآتي بعد الثاني سورة الأسقام على أن  
 يرجع إلى ما قبله إلى حد الحروب وجئت يحصل المقصود . فإن لم يفعل فهم ما ينقص  
 أنه جميع شيء . اشبع قوله ( كذلك سلكتكم ) كما أن صيرورة الظاهر لما لم يكن له تسبق بكفرهم .  
 اشبع : زاد الكفر إلى ذلك العلم أن .

( المسألة الخامسة ) قال صاحب الكشاف : فإن قلت ما موقع لا يؤمنون به من قوله  
 ( سلكتكم في قلوب المخبرين ) ؟ قلت موقعه منه موقع الموضح والمبين . لأنه مسوق لبيان ما ذكره  
 للحمود في قلوبهم . فاشبع ما يقرر هذا الذي من أنهم لا يزالون على التكذيب به حتى يماضوا الزمان .  
 قوله تعالى : ﴿ فيقولوا هل نحن من منظرون . أفعدائنا يستعجلون . أفأريت إن متعناهم سنين .  
 ثم جاءهم ما كانوا يوعدون . ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون . وما أهلكتنا من قرية إلا ما كنا ننذرون .  
 ذكرى وما كنا ظالمين ﴾

أعلم أنه تعالى لما بين لهم لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأكبر . وأنه بأنهم الضباب بغيره  
 أنهم بما يكون منهم عند ذلك على وجه الحسرة فقال ( فيقولوا هل نحن من منظرون ) كما يستعجل  
 الزمان عند عدم الخلاص . لأنهم يمتنون في الآخرة أن لا معصاة لكنهم يذكرون ذلك استرواحاً .  
 فلما قوبله تعالى ( أفعدائنا يستعجلون ) فإلزام أنه تعالى بين أنهم كانوا إلى الدين يستعجلون  
 العذاب . مع أن حالهم عند نزول العذاب طالب العطف ليعرف تجاوزوا الطريقين بهذين . ثم بين

وَمَا تَزِيدُ إِلَّا الشَّيْءَ ظُنًى ۖ ﴿١٧١﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا سَمِعَ عَزَّ  
نَسْمِعُ لَمَعَزُ لَوْلَا ۖ ﴿١٧٣﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونُ مِنَ الْخَاطِلِينَ ﴿١٧٤﴾

نعالي أن استعمال العذاب على وجه التكرار إنما يقع منهم ليعتدوا في الدنيا . إلا أن ذلك محذور ، وذلك لأن مدة النعم في الدنيا متناهية قليلة . ومدة العذاب الذي يحصل بعد ذلك غير متناهية . ومن في القدر مراحح ثبات متناهية قليلة على آلام غير متناهية . وعن جبريل بن مهران أنه لقي الحسن في القارافي . فقال له تعض ، فظن أنه على آخرة عدد الآية ، فقال : يعمون ، لقد دخلت فأبكت . وقرئ : يعمون . المتعذب ، ثم من أنه لم يهلك قرية إلا ، هناك بذل لهم عليهم الطاعة .  
ثم قوله تعالى ( ذكر ) . فقال صاحب المكتشف : ذكرى ، منصوبة بمعنى التذكير . إما لأن الأبرار وذكر متفردان ، فكانه قبل مدحهم وذكر ، وبما كان حال من الضمير في متفردون . حتى يحدوهم ذوي التذكير ، وإنما لا يحدوهم له على معنى أنهم يشعرون لأجل الموعظة والتذكير ، أو موقوع على أنها خبر مبتدأ محذوف معنى هذه الذكرى ، والجملة اعتراضية أو صفة تسمى متفردون فتور ذكرى . وحدثنا ذكرى لإدخالهم في التذكير ، وبما اسم فيها ، ووجه آخر وهو أن يكون ذكرى متعطفة بأهلككم مع لاله ، والمعنى وما أهلككم من أهل قرية قوم طائف إلا بعد ما أرساهم الحاجة بارسال المنصور إليهم ليكون إهلاكهم تذكير وسرعة إهلاكهم فلا يصحوا مثل عذابهم ، ( وما كذا طائفة ) فهلك قوماً غير طائفة . وهذا الوجه عليه المولى . فإن قلت كيف عرفت الوعد عن إخله بعد إلا . ولم نقول فيها في قوله ( وما أهلككم من قرية إلا ) ولما كان معلوم في قوله :  
الآن من عزل الوعد لأن إخله صفة لهم به . وإنما يريد قلنا كيد وحال الصفة بأمر صوف .

قوله تعالى : ﴿ وما تزدك به الشيطان . وما ينبغي لهم وما يستطيعون ﴾ . إنهم عن سمع لمرء لول ، فلا تخرج مع الله إما آخر فتكون من المصدقين .

اعلم أنه تعالى لما احتج على صدق محمد ﷺ بكون القرآن تنزيل من رب العالمين ، وإذا يعرف ذلك لوجهه من النصيحة في النهاية القصوى . ولأنه مشهور على فصحى المتقدمين من غير غلو ، مع أنه على السلام لم يشمل العلم والاستفادة . فكان التكفير جهولون لم لا يجوز أن يكون هذا من إلهام الحق والمضامين كذا ما يزل على التكرار . فذباب الله تعالى عنه ذلك لا يسمي للشيطان لأنهم مرجعون بأشبه ممر ، لول عن استماع كلام أهل السماء ، ولما قيل أن قول الحق يكون شياطين متبعين عن ذلك لا يحصل إلا بواسطة عبد الله الصادق ، فإذا أجبنا كونه

وَأُتِرَ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَخِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَتْ مِنْ  
 الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧٣﴾ فَمَنْ عَصَاكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَفْعَلُونَ ﴿١٧٤﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى  
 الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿١٧٥﴾ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴿١٧٦﴾ وَتَقْلِبُكَ فِي السُّجُودِ ﴿١٧٧﴾  
 إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٧٨﴾

عند تبيين صدقاً فصاحة القرآن وإجادة عن العيب . ولا يمكن إثبات كون العصاة وإن جاز  
 عن العيب معجراً إلا إذا ثبت كون تضياعهم موعوداً عن ذلك . لزم الدور وهو باطل (وجوابه)  
 لا نسلم أن العلم بكون الضالين غريباً عن ذلك لا يستغاد إلا من قول النبي . وذلك لأننا نعلم  
 الضرورة أن الاهتمام ببيان الصديق أقوى من الاهتمام بشأن العدو . وأعلم بالضرورة أن عمداً  
 يتحقق كان يلبس الضالين ويأمر الناس بامتنع . ولو كان هذا الغيب إنما حصل من إلهام الساطقين .  
 لكان تكفاره أولى بأن يحصل لهم مثل هذا العلم . فكان يجب أن يكون إلهام الكفار على مثله  
 أولى . فقام يمكن كذلك علم أن الساطقين موعودون عن ذلك . وأهم مبرهنات عن تعرف  
 القرب . ثم إنه تعالى لما ذكر هذا الجواب ابتداءً بطلب الرسول ﷺ فقال ( فلا تدع مع الله  
 شيئاً آخر ) وذلك في الحقيقة خطاب لغيره . لأن من شأن الحكماء إذا أراد أن يؤكد خطاب الله  
 فيؤيده إلى الرسول في الظاهر . وإن كان المقصود بذلك هم الاستماع . ولأنه تعالى أراد أن يشبه  
 ما يليق بذلك . فلهذه القلة أوردنا بالخطبة .

قوله تعالى : ﴿ وَأُتِرَ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ . وأخض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين . فإن  
 عصوك قل إنني بريء مما تعملون . وتوكل على العزيز الرحيم . الذي يراك حين تقوم . وتقلب في  
 السجود . إنه هو العزيز العليم ﴿

اعلموا بحكمه لما بلغ في تسلية رسوله أولاً . ثم أقام الحجة على نبوته . ثانياً ثم أورد : سؤل  
 المتكبرين . وأجاب عنه ثالثاً . أمره بعد ذلك بما يتعلق باب التبليغ والرسالة وهو مهنا أمور  
 ثلاثة ( الأولى ) قوله ( وأندر عشيرتك الأقربين ) وذلك لأنه تعالى بدأ برسوله فترعه إن دعا  
 مع الله (لما آخر . ثم أمره بدعوة الأقرب والأقرب . وذلك لأنه إذا اشتد على نفسه أولاً . ثم  
 بالأقرب فالأقرب ثانياً . لم يكن لاحقه طعن البتة وكان قوله أنفع وكلامه أجمع . وروى أنه لما  
 نزلت هذه الآية صمد الصفا قاضي الأقرب فالأقرب وقال : يا بني عبد المطلب . يا بني هاشم . يا بني  
 عبد مناف . يا عباس عم محمد . يا ضيف عمه محمد : إنني لا أملك لكم من الله شيئاً . ملو من المال

ما شتمه ، وروى أنه جمع بنو عبد المطلب وهم يومئذ أربعون رجلا على رجل شاة وقصب من امره ، وكان الرجل منهم يأكل الجدة ويشرب العس ، فأكثروا وشربوا ، ثم قال يابن عبد المطلب لو أخبرتمكم أن يرفع هذا الرجل حيلة ، أكنتم مصدقي ؟ قالوا نعم فقال : إن أحب أنكم بين يدي عذاب شديد .

( الثاني ) قوله ( واحد من صاحبك ) واعلم أن الظاهر إذا أراد أن يسطر فافزع كسر جناحه وحضنه . وإذا أراد أن يهضر للظهوران وضع جناحه بأمل حفص جناحه عدد الإحفاط مثلا في التواضع وتبين الجواب . فإن قيل الماحون لرسولهم المؤمنون والمكسك هم قال ( من ابتك من المؤمنين ) ( جوانه ) لا نسلم أن المبعين للرسول هم المؤمنون فإن كثيرا منهم كانوا يسمونه بالحقابة والنسب لا تدبر .

فأما قوله ( فإن عصوك فقل إنى يرى ) فمما نعلمون ( فمما طاهر ) قال الحارثي هذا يدل على أنه ما به السلام كان برأى من صاحبهم . وذلك يوجب أن الله تعالى أيضا يرى من علمهم كالرسول والإلا كان عاقبته . كما لو رضى من عصا الله عليه المكان كعبك ، وإذا كان تعالى برأى من علمهم فكيف يكون فعلا له ويريد أنه ؟ ( الجواب ) أنه تعالى يرى من المصاحي بمعنى أنه ما أمر بها من نهي عنها ، فأما بمعنى أنه لا يريد بها فلا نسلم والدليل عليه أنه علم وفوعها . وعلم أن ما هو معلوم الوقوع فهو واجب الوقوع والإلا لاختلب عليه جهلا وهو محال والغرض إلى المحال محال . وعلم أن ما هو واجب الوقوع فانه لا يرد عدم وفوعه فمت ما قلناه ( والثالث ) قوله ( وتوكل ) والذي كل عبارة عن نحو بعض الرجل أمره إلى من يملك أمره ويفذر على نفعه وحذره . وقوله ( على المرز الرحيم ) أى على الذى يقهر أعدائك بعونه وينصرك عليهم برحمته ثم أتبع كونه رحما على رسوله ما هو كاسب لتلك الرحمة . وهو قيامه وتقلبه في الساجدين وفيه وحوه ( أحدها ) المراد ما كان ينفذه في جوف الليل من قيامه للتهجد وتقلبه في تصفيع أحوال المجتهدين ليطلع على أسرارهم . كما يحكى أنه حين نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة يبيت أفعاله ليظهر ما يصمتون لحرصه على ما يوجد منهم من الطاعات ، فوجدها كبريات الزناهر لما يسمع منها من دندتهم . وذكر الله تعالى والمراد بالساجدين المصلين ( ورأيت ) المعنى يراك حين تقوم للصلاة بالأسر جماعة ترفع في الساجدين تصرفه فيما بينهم بقباعه وركوعه وبحموده وقموده إذا كان إلهامهم ( والثاني ) أنه لا يغنى عليه حاله كلما خفت وتقلب مع الساجدين في كفاية أمور القدين ( ورأيت ) المراد تقلب بصره فبين بصلي خلفه من قوله **يحيى** وأما الركوع والمجود فوافقه ( في الأول ) كم من خلفه ثم قال ( إنه هو السميع ) أى لما نقوله ( العليم ) أى بما نوبه ونمده . وهذا يدل على أن كونه سميا أمر مظاهر لعله بالسموعات والإلا لكان لفظ العليم مفيدا فأنده . واعلم أنه قرئ ( وتقلب ) .

واعلم أن الراضة ذهبوا إلى أن آباء النبي **عليه السلام** كانوا مؤمنين وتمسكوا في ذلك بهذه الآية

هَلْ أَنْشِئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ نَزَّلَ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢٢﴾ نَزَّلَ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٣﴾  
يَقْنُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٢٢٤﴾

والطاهر . أما هذه الآية فقولوا لله تعالى ( وتقبلك يا مساجدين ) بحمدي الروحاني ذكرتم  
ويعتدل أن يكون المراد أن الله تعالى يقبل روحه من حاحه (أي ساجد) كما يقوله من ( وإذا اعتدل  
كل هذه الوجوه وجب حمل الآية على الكل ضرورة أنه لا منافاة ولا رجحان . وأما الخبر فقولوا  
عليه السلام : « أول أقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات » وكل من كان كافراً فهو نجس  
لقوله تعالى ( وأما المشركون نجس ) قالوا : بل أنتم كنتم على فساد هنا المنع بقره تعالى ( وإذا  
قال إبراهيم وإسماعيل (آية آرد ) قلنا ( المحراب ) عنه أن لعن الأب قد يطلق على العم كما قال إسماعيل بن علقم . له  
( عبد الله وإله آبائكم إبراهيم وإسماعيل وإسحق ) فسموا بإسماعيل أباً له مع أنه كان عمه . وقال  
عليه السلام : « ردوا على أبي يعقوب النجاس » ويحتمل أيضاً أن يكون متعدياً لأنهم أب أمه بن هذا  
قد يقال له الأب قال تعالى ( ومن ذريته داود وسليمان ) إلى قوله ( يعيسى ) جعل عيسى من  
ذرية إبراهيم مع أن إبراهيم كان حمداً من غير الأمم .

واعلم أنا تمسك بقوله تعالى ( الآية آرد ) وما ذكرناه من صرف اللفظ عن طاهره . وأما حمل  
قوله ( وتقبلك يا مساجدين ) على جميع الوجوه فغير جائز لما بينا أن حملاً مشتركاً على كل معانيه  
غير جائز . وأما التمسك بغير واحد فلا يعارض القرآن .

قوله تعالى : ﴿ هل أنشئكم على من نزل الشياطين . نزل على كل أفَّاكٍ أَثِيمٍ . يلقون السمع  
وأكثرهم كاذبون ﴾

اعلم أن الله تعالى أعاد الشبهة المذمومة وأجاب عنها من وجهين ( الأول ) قوله ( نزل على  
كل أفَّاكٍ أَثِيمٍ ) وذلك هو الذي قرأناه فيها تقدم أن الكفار يدعون إلى طاعة الشيطان . ومرد  
عليه السلام كان يدعو إلى لعن الشيطان والبراءة عنه ( والثاني ) قوله ( يلقون السمع وأكثرهم  
كاذبون ) والمراد أنهم كانوا يفتنون حال الرسول ﷺ على حال سائر الكهنة فكانت قل لهم إن كان  
الأمر على ما ذكرتم فكان أن القاب على سائر الكهنة الكذب فوجب أن يكون حال الرسول ﷺ  
كذلك أيضاً . فصار يظهر في أخبار الرسول ﷺ من المنبيات إلا تصديق عيسى أن حاله بخلاف  
حال الكهنة . ثم إن المفسرين ذكروا في الآية ( وحراً ) أحدها ( أنهم الشياطين ) روى أنهم كانوا  
قبل أن يحدوا بالهم يسمعون إلى أنفلا الأعلى فيختصمون بعض ما يتكلمون به عما اطلعوا عليه  
من الغيوب . ثم يوحون به إلى أوليائهم وأكثرهم كاذبون فيما يوحى به إليهم . لأنهم يسمعونهم  
عالم يسمعون ( ونائبها ) يلقون إلى أوليائهم السمع أي المسموع من الملائكة ( ونائبها ) إلا ما كون

وَأَشْعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿١٧٥﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿١٧٦﴾

وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿١٧٧﴾ إِلَّا الَّذِينَ عَلَّمُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحِينَ وَذَكَرُوا اللَّهَ

كَثِيرًا وَأَنصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ۗ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿١٧٨﴾

يلقون السمع إلى الشياطين فيلقون المسموع من الشياطين إلى الناس ،  
وأكثر الأماكين كانوا يفترون على الشياطين ما هو سواهم ، بأن قالت بقول ماعله ؟ قلت يجوز  
أن يكون في عن نصب ، على الحال أي تتركب ملقون السمع ، ول على الحرف صفة لكل آفة في  
معنى الخلق ، وأن لا يكون له عن بأن يستأنف كأن قالوا قال : لم نزل على الأماكين ؟ فقليل يملكون  
كيت وكيت ، فإن قلت كيف قل (وأكثرهم كانوا يفترون) بعد ما مضى عليهم أن كل واحد منهم أفلا ؟  
قلت : إلا كانوا هم الذين يكفرون بالكذب ، لأنهم الذين لا ينطقون إلا بالكذب ، فأراد أن  
يقول : إلا كانوا كمن قل من يصدق منهم فيما يحكي عن الجن وأكثرهم يفترون عليهم .

قوله تعالى : ﴿ وأشعراء يتبعهم الغاؤون ﴾ ، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون ما لا يفعلون ،  
إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وذكروا الله كثيراً وأنصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين  
ظلموا أي منقلب ينقلبون .

اعلم أن الكفار لما قالوا : لم لا يعود آدم بعد أن الشياطين نزل بالقرآن على محمد كما أنهم  
يؤمنون بالكهنة على الكعبة وبالشعر على إسماعيل ، ثم إنه سبحانه فرق بين محمد صلى الله عليه وسلم  
وبين الكعبة ، وذكر ههنا ما يدل على الفرق بينه عليه السلام وبين الشعراء ، وذلك هو أن الشعراء  
يتبعهم الغاؤون ، أي الضالون ، ثم بين تلك القولية بأمرين : (الأول) : (أنهم في كل واد يهيمون)  
والمراد منه الطرق الخدعة كقولك لما في واد وأنت في واد ، وذلك لأنهم قد يندجون الشيء بعد  
أن ذموا وبالمكسر ، وقد يظلمونه بعد أن استحقروه وبالمكسر ، وذلك يدل على أنهم لا يطلبون  
شعراهم الحق ولا الصدق بخلاف أمر محمد ﷺ فإنه من أول أمره إلى آخره بنى على طريق واحد  
، هو الدعوة إلى الله تعالى والترغيب في الآخرة والإعراض عن الدنيا (الثاني) : (أنهم يقولون  
ما لا يفعلون) وذلك أيضاً من علامات الغفاه ، فإنهم يرغبون في الخلود ويرغفون عنه ، وينفرون  
عن البخل ويصرون عليه ، ويفدحون في الناس بأذى غي سدر عن واحد من أصلاتهم ، ثم أنهم  
لا يرتكبون إلا الفواحش ، وذلك يدل على القوا به والضلالة .

وأما محمد صلى الله عليه وسلم فإنه بدأ بعنه حيث قال الله تعالى له ( فلا بدع مع الله إلهاً آخر  
فستكون من المقذرين ) ثم بالآخر حيث قال الله تعالى له ( وأنتظر عشرين نكاً الأربعين )  
وكل ذلك على خلاف طريقة الشعراء . فقد ظهر بهذا الذي يشاهد أن حال محمد ﷺ ما كان يشبه حال  
الشعراء . ثم إن الله تعالى لما وصف الشعراء بهذه الأوصاف الذميمة بيأناً لهذا الفرق الدلتى عظم  
الموصوفين بأمر أربعة ( أحدهما ) الإيمان وهو قوله ( إلا الذين آمنوا ) . ( وثانيها ) العمل  
الصالح وهو قوله ( وعملوا الصالحات ) . ( وثالثها ) أن يكون شعرهم في التوسيد والقدرة  
ودعوة الخلق إلى الحق . وهو قوله ( وذكروا الله كثيراً ) . ( ورابعها ) أن لا يذكر كراماً هو أحد  
إلا على سبيل الانتصاف . ثم يهجوم . وهو قوله ( واستعزوا من بعد ما ظننوا ) قال الله تعالى ( لا يحب  
الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم ) ثم إن الشرط فيه ترك الاعتناء بقوله تعالى ( من اعتدى  
عليكم فاضربوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ) وقبل المبدأ بهذا الاستثناء . والله بن رواية وحسان  
ابن ثابت وكعب بن مالك وكعب بن زهير لأنهم كانوا يهودون قريباً ، وعن كعب بن مالك وأن  
رسول الله ﷺ قال له : أجمعهم . ثم الذي نسي يده لحو أشد عديم من رشف التيل ، وكان يقول  
حسان بن ثابت : قل وروح القدس معك .

فأما قوله تعالى ( وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ) فالذي عدى فيه والله أعلم أنه  
تعالى لما ذكر في هذه السورة ما يزيل الحزن عن قلب رسوله صلى الله عليه وسلم من الدلائل  
القطعية . ومن أعيان الأنبياء المتقدمين ، ثم ذكر الدلائل على موته عليه السلام . ثم ذكر سوان  
الشركيين في قسمة بينهم محمداً صلى الله عليه وسلم ثلاثة بالكلية . وثلاثة بالشاعر . ثم له أمال من  
الفرق بينه وبين الكاهن ( أولاً ) ثم بين الفرق بينه وبين الشاعر ( ثانياً ) ختم السورة بهذا التهديد  
العظيم ، يعني إن الذين ظلموا أنفسهم وأعرضوا عن نذر هذه الآيات ، وأكأمل في هذه البيئات فانهم  
( سيعلمون ) بهذا ذلك ( أي منقلب ينقلبون ) وقال الجمهور المراد منه الإجماع عن الطريقة التي وصف  
الله بها هؤلاء الشعراء ، والاولى أقرب إلى نظم السورة من أولها إلى آخرها والله أعلم .  
والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد النبي الأمي وآله وصحبه أجمعين وعلى أزواجه  
أهله المومنين وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .



(٢٧) سُورَةُ النَّمْلِ  
وَأَنبَأْنَاهَا ثَلَاثًا وَثَمَانِينَ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَسَّ نِكَاءُ آيَتِ الْقُرْآنِ وَكِتَابِ مُبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ

﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ مَسَّ نِكَاءُ آيَتِ الْقُرْآنِ وَكِتَابِ مُبِينٍ - هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ، الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٢﴾

اعلم أن قوله ( نكس ) إشارة إلى آيات السورة ( والكتاب المبين ) هو الفصح المحفوظ والبيان أنه قد خط فيه كل ما هو كائن ، فثلاثون مائة وثمانون في بيوت الكائنات ، وإليها نكر الكتاب المبين بصير مبهما لأن الكبير يسكون أعظم له كعبه ( في معناه صدى عند ملك مقدر ) وقراءات أبي عبيدة ( وكتاب مبين ) بالزعم على تقدير وآيات كتاب مبين لحذف المضاف وأقرب المضاف إليه مقامه ، قال قلت ما الفرق بين هذين وبين قوله ( القرآن كتاب وقرآن مبين ) ؟ قالت لا فرق لأن أو لمطلق لا يقتضي الترتيب .

أما قوله ( هدى وبشرى للمؤمنين ) فهو في محل المص أو الزعم والمص على الحال أي هادية ومبشرة . والله أعلم فيما في ذلك من معنى الإشارة . والزم على ثلاثة أوجه على معنى هي هدى وبشرى ، وعلى تبدل من الآيات ، وعلى أن يكون جراً نادر غير أي حوت آياتها آيات الكتاب وأنها هدى ، وبشرى ، واختلوا في وجه تخصيص الهدى بالمؤمنين على ( وجهين الأول ) المراد أنه يهديهم إلى الجنة وبشرى لهم كقوله تعالى ( فسيدخلهم في رحمة من فضل ويهديهم إلى صراط مستقيم ) فهذا يخص به المؤمنون ( الثاني ) المراد بالهدى الدلالة ثم ذكر وافي تخصيصه بالمؤمنين وجهاً ( أحدهما ) أنه وإليها نصه المؤمنون لأنه ذكر مع الهدى ، والبشرى ، والبشرى

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿١﴾

أَوَلَيْكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسِرُونَ ﴿٢﴾

إذا تكون المؤمن (ونانها) أن وجه الاختصاص بهم تمسكوا به خصهم بالذكر كقوله (إنما أنت منذر من يخشاها) ، (ونالها) المراد من كوما (عدى للمؤمنين) أنها زائدة في دهم . قال تعالى (وزيد الله الذين هتدوا عدداً) .

أما قوله (الذين يقيمون الصلاة) والأقرب أنها الصلوات الخمس لأن التعريف بالإلف واللام يقتضي ذلك . وإقامة الصلاة أن يؤتي بها بشرطها . وكذا القول في الزكاة فإنها من الواسعة . وإقامتها وضعها في حقها .

أما قوله (ومم الآخرة هم يوقنون) فيه سؤال وهو : أن المؤمنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة لا بد وأن يكونوا عاقلين بالآخرة ، فالوجه في ذكره مرة أخرى (جوابه) من وجهين (الأول) أن يكون من جملة صلة الموصول . ثم فيه وجهان : الأول . أن كمال الإنسان في أن يعرف الحق لذاته . والخبر لأجل العمل به . وأما عرف الحق فأنقسام كثيرة لكن الذي يستفاد منه طريق النجاة معرفة المبدأ . ومعرفة المعاد . وأما الخير الذي يعمل به فأنقسام كثيرة وأشرها فسيان : الطاعة بالنفس والطاعة بالمال كقوله (للمؤمنين) إشارة إلى معرفة المبدأ . وقوله (يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة) إشارة إلى الطاعة بالنفس والمال . وقوله (ومم الآخرة هم يوقنون) إشارة إلى علم المعاد فكأنه سبحانه وتعالى جعل معرفة المبدأ طرفة أعين . ومعرفة المعاد طرفة أعين . وأجعل الطاعة بالنفس والمال متوسطاً بينهما (الذي) أن المؤمنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة . منهم من هو جائز بالخير والشر . ومنهم من يكون شاكاً فيه إلا أنه يأتي بهذه الطاعات للاحتياط . فيقول إن كنت مصيباً فما عذرت بالسعادة . وإن كنت محضاً فما لم يفتني إلا خيرات قلبي في هذه المادة البسيرة . فمن يأتي بالصلاة والزكاة على هذا الوجه لم يكن في الحقيقة مهتدياً بالفرقان . أما من كان ساجداً بالآخرة كان مبتدئاً به . فلهذا سبب ذكر هذا التقييد (الثاني) أن يعمل قوله (ومم الآخرة هم يوقنون) جملة اعتراضية كأنه قيل وهذا الذين يؤمنون ويعملون الصالحات من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة هم الموقنون بالآخرة . وهذا هو الأقرب ويدل عليه أنه عند جملة ابتدائية وكرر فيها المبدأ الذي هو (هم) حتى صار معالها وما يؤدى بالآخرة حتى الإيقان بالأعزلاء الجامعون بين الإيمان والعمل الصالح . لأن خوفه المعاقبة يحمله على تحمل الشاق .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ . أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسِرُونَ ﴾ .

اعلم أنه تعالى لما بين ما للفرقتين من البتة أسند بها على الكفار من سوء العذاب ، فقال (إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ذنبا لهم أعمالهم) ، واختلف الناس في أنه كيف أسند تبيين أعمالهم إلى ذاته مع أنه أسنده إلى الشيطان في قوله (فزين لهم الشيطان أعمالهم) ؟ أما أصحابنا فقد أجروا الآية على ظاهرها وذلك لأن الإنسان لا يعمل شيئا آتيا إلا إذا دعاه الله تعالى إلى العمل والمعقول من الداعي هو العلم والاعتقاد ، فكل ما يكون الفعل مشتقاً على الحقيقة ، وهذا الداعي لابد وأن يكون من فعل الله تعالى الوجهين (الاول) أنه لو كان من فعل العبد لانتقر فيه إلى داع آخر ويترجم التماسد إلى وهو حال (الثاني) وهو أن العلم بما أن يكون ضرورياً أو كسبياً ، فإن كان ضرورياً فلا بد به من تصديق وتصوير ، بل يصح أن يكون مكتسباً لأن المكتسب إن كان شاعراً به فهو متصور له . وتحصيل الحاصل محال وإن لم يكن شاعراً به كان غافلاً عنه والغافل عن الشيء يمتنع أن يكون طالباً له ، فإن قلت هو مشهور به من وجه دون وجه ، قلت فالمشهور به غير ما هو مشهور به . فيرد انقسام التقدم في كل واحد من هذين الوجهين ، وإذا ثبت أن التصور غير مكتسب البتة والدائم الضروري هو الذي يكون حضور كل واحد من تصوريه كفاياً في حصول التصديق ، فالصورات غير كسبية وهي مستلزمة للتصديقات ، وإذا ثبت حصول الصورات حصل التصديق لا حاجة . ومضى لم تحصل لم يحصل التصديق لئلا ، فصور هذه التصديقات الدينية ليس بالكسب ، ثم إن التصديقات الدينية إن كانت مستلزمة للتصديقات النظرية فتشكل التصديقات النظرية كسبية ، لأن لازم الضروري ضروري ، وإن لم تشكل مستلزمة لما لم تشكل تلك الأشياء التي وضعناها عليها نظرية كذلك بل هي اعتمادات تقليدية ، لأنه لا معنى لاعتقاد الفناء إلا باعتقاد تعدي به به اعتاد . من غير أن يكون له موجب . ثبت بهذا أن العلوم بأسرها ضرورية . وبما أن سادى الأفكار هي العلوم فأفعال أفعال بأسرها ضرورية . والإنسان مضطرب صورة مختار . ثبت أن الله تعالى هو الذى زين لكل ما من عنده . والمراد من التزين هو أنه يخلق في قلبه العلم بما فيه من المنافع والنفقات ولا يخلق في قلبه العلم بما فيه من المضار والآفات ، فثبت بهذا أن لائق القاطنة العقلية وجوب مجرد هذه الآية على ظاهرها ، أما المشرقة فانهم ذكروا في أدبياتنا روحاً وأجساداً ، أى المراد بها أنهم أمر العبد وما يلزمهم أن يتسكروا به وزياد أن ما حسبه وما علم فيه من الثواب ، لأن التزين من الله تعالى لم يعمل ليس إلا وصفه بأنه حسن ، وأحب وحمد العاقبة . وهو المراد من قوله (حبيب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم) ومعنى (معبود) يدل على ذلك لأن المراد فهم يمدحون ويتحرفون عما زينا من أخلاقه (وثانها) : أنه تعالى لما منبه بطول العمر وسوء البرق سمعوا إنسان الله تعالى بذلك عليهم ذرية إلى اتباع شهادتهم وعدم الإنقياد لما يلزمهم من التكليف . فتكلم تعالى زين بذلك أعمالهم . وبه إشارة أن لا تلك عليهم سلام في قولهم (ولكن تمنيتهم وآبأهم حتى نسوا الذكر) (وثانها) : أن إله الله الشيطان ونحبته حتى يرين لهم ملائكة طاهرين



واسلامها . فلما ذكر الحكمة فم ذكر العلم (جوابه) الحكمة هي العلم بالأمور العبدية فقط والتم  
أتم منه . لأن العلم فيكون علمياً وقد يكون نظرياً والمعلوم المعرفه أشرف من العلوم العبدية . فذكر  
الحكمة المشتقة على العلوم العبدية . ثم ذكر الخليم وهو النافع في كمال العلم وكمال العلم يحصل من  
جہات ثلاثة وحده وعمره فلعنه بكل المعلومات وقدره مصوراً عن كل التغيرات . وما حدثه  
هذه الكلمات الثلاثة إلا لئلا يطمع سبحانه وتعالى .

واعلم أن الله تعالى ذكر في هذه السورة أنواعاً من القصص .

### ﴿ القصة الأولى - قصة موسى عليه الصلاة والسلام ﴾

أما قوله ( إذ قال موسى لأهله ) يدل على أنه لم يكن مع موسى عاهة السلام غير امرأته فله  
شعيب عليه السلام . وقد كنى الله تعالى عنها بالأهل فمع ذلك ورود الخطاب على لفظ الجمع وهو  
قوله ( تعطلون )

أما قوله ( إني آنست ناراً ) فمضى أنها كانت بديران نبلا ، وقد اشعه الطريق فامعها والزوف  
وقت برد وفي مثل هذا المكان تقوى الغيس ، فاشهدها من بعد لما يرجى فيها من زوال البرد  
في أمر الطريق . ومن الانتفاع بالنار للاصطلاح ، فلذلك بشرها فقال ( إني آنست ناراً ) وقد احتلوا  
فقال بعضهم المراد أصبرت ورأيت . وقال آخرون بل المراد صدفوت ووجدت فالت به .  
والأول أقرب ، لأنهم لا يفرقون بين قول ائمتنا آنست بصري ورأيت بصري .

أما قوله ( سأتبكم منها بخبر ) فالحبر ما يخبر به عن حال الطريق لأنه كان قد حبل . ثم في الكلام  
خلف وهو أنه لما أضر النار توجه إليها وقال ( سأتبكم منها بخبر ) يعرف به الطريق .  
أما قوله ( أو أتبكم بشباب قص ) فالشباب شملة أو قميص النار المقبوضة . وأصاف الشهاب  
إلى القبس لأنه يكون قبساً وغير قبس ومن قرأ القنوين جدد القبس بدلائل صفته فما فيه من  
معنى القبس محمها أسته .

( السؤال الأول ) ( سأتبكم منها بخبر ) و ( لعلى أتبكم منها بخبر )<sup>(١)</sup> كأنه داعين لأن أحدهما ترج  
والآخر ينفى ؟ يقول ( جوابه ) قد يقول نارسى إذا نوى رجاءه سأل كذا وسيكون كذا مع  
تجويزه الشبهة .

( السؤال الثاني ) كيف جاء يدن التمر يفسد ؟ (جوابه) عادة منه لأهله أنه يأومهم به ويؤا أيضاً  
لو كانت المسافة بعيدة .

( السؤال الثالث ) لماذا أدخل أوبين الأمرين وه لا جمع بينهما لحاجته إليهما معاً ؟ (جوابه)  
بني الزمان على أنه إن لم يظهر سذين المنقوصين ظهر أمدهما . إذا عداية الطريق . ربما انقاس  
انثار فله بدادة الله تعالى لأنه لا يكاد يجمع بين حرماتين على سبده .

وأما قوله تعالى (لعلكم تعقلون) فالفني لكي تعقلون وذلك يدل على ساحة بهم إلى الإصطلاح . وجاز لا يكون كذلك إلا في حال بره .

أما قوله تعالى (يودي أن يورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين) فعبارة أبحاث :  
 في البحث الأول ( أن ) أي المفسر لأن النداء فيه معنى القول ، وأما قبل له ( يورك )  
 ( تسبح ) الثاني ( احتشوا ) فمن في النار على وجوه : ( أهدا ) ( أن يورك ) بمعنى تبارك  
 ( والنار ) بمعنى النور والمعنى تبارك من في النور ، وذلك هو أنه سبحانه (ومن حولها) يعني الملائكة  
 وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما وإن كما نقطع بأن هذه الرواية موضوعة مختلفة ( وانبأ )  
 ( من في النار ) هو نور الله ، ومن حولها الملائكة ، وهو مروي عن قتادة والزجاج ( وانبأ ) أن  
 الله تعالى ناداه بكلام معناه من الشجرة في البقعة المباركة فكانت الشجرة تتلأل للكلام ، والله هو  
 المنكسر له بأن فعله منه دون الشجرة . ثم إن الشجرة كانت في النار ومن حولها ملائكة فذلك قال  
 ( يورك من في النار ومن حولها ) وهو قول الجليلي ( وانبأ ) من في النار هو موسى عليه  
 السلام لقربه منها ومن حولها يعني الملائكة ، وهذا أقرب لأن القريب من الله . قد يقال إنه فيه  
 ( وانبأ ) قول صاحب التفسير ( يورك من في النار ) أي من في مكان النار ومن حول مكانها  
 هي البقعة التي وجدت فيها وهي البقعة المباركة المذكورة ، في قوله تعالى ( من شأني ، والذي الآمين  
 في البقعة المباركة ) ويدل عليه قراءة أبي تبارك الأرض ومن حولها وعنه أيضاً يورك في النار  
 في البحث الثالث ( السجدة ) الذي لأجله يورك البقعة . ويورك من فيها وحولها ، حضرت  
 هذا الأمر أعظم بها وهو تكليم الله موسى عليه السلام وجعله رسولا وإظهار المنجزات عليه  
 ولهذا جسد الله أرض الشام موسومة بالمكانات في قوله ( ونعيناه ولو طأ إلى الأرض التي باركنا  
 فيها نقالين ) وحقت أن تكون كذلك فهي جعلت الأنيال صلوات الله عليهم ، ومهبط الوحي  
 وكفانهم أجلا وأمرنا .

( في البحث الرابع ) أنه سبحانه حمل هذا القول مقدمة لما جاء موسى عليه السلام بقوله ( يورك  
 من في النار ومن حولها ) يدل على أنه قد قضى أمر عظيم تنتشر البركة منه في أرض الشام كلها .  
 وقوله ( وسبحان الله رب العالمين ) فيه قائمان : ( إحداهما ) أنه سبحانه زده نفسه عما يليق به في  
 ذاته وحكمته لئلا يكون ذلك مقدمة في محبة رسالة موسى عليه السلام ( الثانية ) أن يكون ذلك إيذانا  
 بأن ذلك الأمر مريد ومكروه رب العالمين تبيهاً على أن انكسار من جلال الأمور وعظائم الوقائع .  
 أما قوله ( إنه أنا الله العزيز الحكيم ) فقال صاحب التفسير ( الثاني ) أنه يجوز أن يكون ضمير  
 الشان ( وأنا الله ) مبتدأ وخبر ، ( العزيز الحكيم ) صفتان للضمير ، وأن يكون زجاجاً إلى ما دل عليه ما قبله  
 يعني أن ملكك ( أنا ) والله يان لأنا و ( العزيز الحكيم ) صفتان للضمير وهذا تهيؤ لما أراد أن  
 يظهره على يده من المعجزة يريد أنا القوي القادر على ما يبعد من الآوهام كقلب العصا حية ، القابل  
 ما أملاه بحكمة وتدير . فإن قيل هذا التلذد يجوز أن يكون من عند غير الله تعالى ، فكيف علم موسى

وَالْقِيَ عَصَاكَ فَمَآ رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَّى يُعْطَبُ يَمْوَسِي  
لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمَرْسُولِ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَلْ حَسَنًا بَعْدَ سُوءٍ  
فَوَاقِي غُفُورٍ رَحِيمٍ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ بِدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ يَغْضًا مِنْ تَحْتِ سُرَّةٍ فِي  
نَسِجٍ هَالِكٍ لَكَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ قَائِلُنَا  
مُصْرَةَ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَعَدُوا بِهَا وَأَسْتَفْتَيْنَاهَا أَنْفُسَهُمْ فَظَلُّوا وَعُلُوا  
فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾

عليه السلام أنه من آفة (جوابه) لأهل السنة فيطرحان (الأول) أنه سمع الكلام المنع عن مشابة  
الحروف والأصوات فلم بالضرورة أنه صفة الله تعالى (الثاني) قول آفة ما رآه النهر وهو أنه  
عليه السلام سمع الصوت من الشجرة ففوق إنما عرف أن ذلك من الله تعالى لأموار (أحدها)  
أن الداء إذا حصل في النار أو أشجره علم أنه من قبل الله تعالى لأن أحدًا ما لا يقدر عليه وهو  
ضد احتمال أن يقال أنه يعلو داخل في النار وشجرة ثم ما دى (وثانيها) يجوز في نفس التعلل  
أن يكون قد بلغ في انطماعه بل لا يكون إلا مسجراً وهو أيضاً ضد احتمال أن لا يعرف مفادير فوى  
اللائكة والحياطين فلا قدر إلا ويجوز صدوره منهم (وكانت) أنه قد انفرد به معجز دل على ذلك .  
فقال إن النار كانت مشتعلة في شجرة فظهر له لم تحترق فصار ذلك كالمعجز . وهذا هو الأصح  
وراه أعلم .

قوله تعالى : ﴿ وَالْقِيَ عَصَاكَ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَّى يُعْطَبُ يَمْوَسِي لَا تَخَفْ ﴾  
إني لا تخف لى المرسلون ، إلا من ظلم ثم بدل حسناً بعد سوء ، فإني غفور رحيم . وأدخل يدك  
في جيبك تخرج بضاً من تحت سرة ، فإني غفور رحيم . وقومه إنهم كانوا قوماً فاسقين .  
فلما جاءهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين . وجعدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً فانظر  
كيف كان عاقبة المفسدين .

اعلم أن أكثر ما في هذه الآيات قد مر شرحه . ونذكر ما هو من خواص هذا الموضع  
بإلزام عطف قوله (والقي عصاك) ؟ (سواءه) عن يورك . لأن المعنى نودى أن يورك من  
في النار . وأن ألقى عصاك ، كلامها تفسير لنودى .

وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ صَلَاتًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ  
مَنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ إِنَّا بِمَا أَلَّفْنَا الْإِنْسَانَ عَلَى مَا نَقْطِقُ

فما قوله (كأنها جان) فالجان الحية الصغيرة سميت حائناً لأنها تستقر عن الناس، وقرأ الحسن  
جان على لغة من يهرب من انتفاخ الساكنين، فيقول شاة ودابة.

أما قوله (ولم يعجب) معناه لم يرجع، يقال تعجب المقاتل إذا لم يعد الفرار، وإيها عاص  
أنه أن ذلك لأمر أريد به، ويدل عليه (إي لا يخاف له)، المرحلون (وقال بعضهم: المراد إي  
إذا أمرهم بأجلار سحر بمعنى أن لا يخافوا فيه) يتلوه بإظهار ذلك وإلا فالمراد قد يخاف لا بحالته  
أما قوله تعالى (الأم من ظلم) معناه لكن من ظلم وهو محمول على ما يصدر من الأنبياء من  
ترك الفضل أو الصغيرة، ويشتدل أن يكون المقصود منه التبرؤ من ما وحده من موسى وهو من  
الأمراض الطغية. قال الحسن: رحمه الله: كان واقعه موسى عن ظلم بقتل القبطي ثم بدل، فانه  
عليه السلام (قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي) وقرئ: إلا من ظلم بحرف تنبيه.

أما قوله تعالى (ثم بدن حسناً بعد سوء) فالمراد حسن الثوبة وسوء المذنب، وعن أبي بكر في  
روايتنا حسناً، أما قوله (في نسخ آيات) فهو كلام مستأنف، وحرف الجر فيه يتعلق بمحذوف،  
والمنى اذهب في نسخ آيات إلى فرعون، وإفائل أن يقول: كانت الآيات إحدى عشرة، اثنا  
منها اليد والمصا، والتسع: الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطفة والجنب  
في روايتهم والقصصان في مزارعهم.

أما قوله (فلما جاءتهم آياتنا مبصرة) فقد جعل الإبصار هنا، وهو في الحقيقة لمأثلاً، وذلك  
بسبب فقرهم وفكرهم فيها، أو جعلت كأنها لظهورها تبصر فتبصر. وقرأ علي بن الحسين وفتادة  
(مبصرة) وهو نحو حجة وبهجة، أي مكاناً يكثر فيه التبصر.

أما قوله (واستغثوا أنفسهم) فالواو فيها واو الحال، وقد بعدها معضرة وفائدة ذكر  
الأنفس أنهم جحدوها بأنفسهم واستغثوها في ظوهم وشتائمهم، والإستغاثان أبلغ من الإيقان.  
أما قوله (علماً وعلوياً) فأي ظلم الأغنى من ظلم من استغنى لها آيات بينة من عند الله تعالى،  
ثم كابر بقسيتها حمراً جناً، وأما العلو فهو التكبر والترفع عن الإيمان عما جاء به حرس كقوله  
(فاستكبروا وكانوا فزواً ظالماً) وقرئ: علياً وعلياً بالضم والكسر، كما قرئ: غنياً وأنه أعلم.

﴿القصص الثانية﴾ قصة داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام ﴿

قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عَلِيًّا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ  
الْمُؤْمِنِينَ ﴾ . وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علينا منطلق الخير وأوتينا من كل شيء، إن هذا



الطَّيْرِ وَالْإِنْسَانِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَإِنْ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحِشْرَ لُيَاسُنَ  
 جُنُودَهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ  
 قَالَتْ قِمْلَةٌ بَنَاتِيهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِطَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ  
 لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ ارْزُقْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ  
 عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الْصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾

هو الفضل المبين، وحشر سليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون، حتى إذا أتوا  
 على وادى النمل قالت قملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطركم سليمان وجنوده وهم  
 لا يشعرون، فتبسم ضاحكاً من قولها وقال رب أرزقني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى

والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين ﴿١٩﴾  
 أما قوله تعالى (عَلَىٰ) فالمراد طائفة من العلم أو علماً سافراً عزيراً، فإنه قيل ليس هذا موضع  
 افتاء دون الزائر، كقولك أعطيتك فتيك؟ (جوابه) أن الشكر بالثبات إنما يحسن موقعه إذا كان  
 مسبوفاً بعمل القلوب وهو المزمع على فعل الطاعة وترك المنعصة، وبعمل الجوارح وهو الانشغال  
 بالطاعات. ولما كان الشكر بالثبات يجب كونه مسبوفاً بهما فلا جرم صار كأنه قال: ولقد  
 أنبأهما علماً، فملا به ثباتاً وفالياً، وقالوا بالثبات الحمد لله الذي فعل كذا وكذا.

وأما قوله تعالى (الحمد لله الذي فضلك على كثير من عباده المؤمنين) ففيها إجماع:

(أحدهما) أن الكثير الفضل عليه هو من لم يؤت علماً أو من لم يؤت مثلي علمهما، وفيه إجماع  
 فضلاً على كثير وضل عليهما كثير (وثانيهما) في الآية دليل على علو مرتبة العلم لأهلهما لو أن  
 من الملك عالم يؤت غيرهما ثم يكر شكهما على الملك كشكرهما على العلم (وثالثهما) أنهم لم  
 يفضلوا أنفسهم على الكل وذلك يدل على حسن التواضع (ورابعهما) أن الظاهر يقتضي أن تلك  
 الفضيلة ليست إلا ذاك العلم، ثم العلم بالله وصفاته أشرف من غيره، فوجب أن يكون هذا الشكر  
 ليس إلا على هذا العلم، ثم إن هذا العلم حاصل لجميع المؤمنين فستجعل أن يكون ذلك سبباً  
 لفضيلتهم على المؤمنين فإذا انقضت هذه المراتب يصير العلم بالله وصفاته علماً يجب بصر المرء مستترفاً

فيه بحيث لا يحطر ، والله شيء من الأشياء ولا يعقل القلب عنه في حين من الأحيان ولا ساعة من الساعات .

أما قوله تعالى ( وورث سليمان داود ) فقد اختلفوا فيه . فقال الحنفية المال لان السوء عتبه مبتدأه ولا نورث . وقال غيره بل النبوة . وقال آخرون بل الملك والسياسة ، ولو تأمل الحنفية علم أن المال إما موله الملك فهو أيضاً عتبه مبتدأه من الله تعالى . ولذلك يرث الولد إذا كان زماً ولا يرث إذا كان كافراً أو غلاماً ، لكن الله تعالى جعل سبب الإرث فليس يرث المات على ترابط ، وليس كذلك النذرة لأن الموت لا يكون سبباً لسوء الملك فمن هذا الوجه يترقق ، وذلك لا يمنع من أن يوصف بأنه ورث النبوة لا مقام به عند موته . كما يرث المال إذا قام به عند موته ونما بين ما قاله أنه تعالى لو ففس صفت وورث سليمان داود والله لم يكن لقوله ( وقال يا أيها الناس علما منطلق الطير ) معنى ( وإذا قلنا وورث مقامه من السوء والملك حسن ذلك لأن تعليل منطلق الطير يكون داخل في جملة ما ورثه . وكذلك قوله تعالى ( وأوتينا من كل شيء ) لأن وارث الملك يجمع ذلك ووارث المال لا يجمعه وقوله ( إن هذا هو الفضل المبين ) لا يلقى أيضاً إلا بما ذكرنا دون المال الذي قد يحصل لشكامل والنقص . وما ذكره الله تعالى من جنود سليمان بعده لا يلقى إلا بما ذكرناه . فبطل بما ذكرنا قول من زعم أنه لم يرث إلا المال . فاما إذا قيل ورث المال والملك ما هذا لا يبطال بالوجوده التي ذكرناها . بل بظاهر قوله عليه السلام ونحن معاشر الأنبياء لا نورث .

أما قوله ( يا أيها الناس ) فالمقصود منه تبيين قيمة الله تعالى والنبوة بها ودعاء الناس إلى التصديق بذكر المذخرة التي هي علم منطلق الطير . قال صاحب التكتشاف المتأني كل ما بصوت به من المفرد والمزلف انقبذ وقبح المفيد . وقد ترجم يعقوب كتابه بإصلاح المنطق وما أصلح فيه إلا مدرجات الكلام ، وقالت العرب نطقن الحمد تعالى ، علم سليمان عليه السلام من منطلق الطير هو ما يفهم به من بعض من بعض من مقاصده وأعراضه .

أما قوله تعالى ( وأوتينا من كل شيء ) فالمراد بكثرة ما أوتى وذلك لأن الكل والبعض الكثير يندركان في صفة الكثير . والخلافة سبع لجوار الإستمارة فلا جرم يطلق لفظ الكل على الكثير ومثله قوله ( وأوتينا من كل شيء ) .

أما قوله ( إن هذا هو الفضل المبين ) فهو تقرير لقوله ( الحمد لله الذي فضّلنا ) والمقصود منه التذكير واتحاد كما قال عليه السلام « أنا سيد ولد آدم ولا خلة » فإن قيل كيف قال ( علما وأوتينا ) وهو من كلام المتكبرين ؟ جوابه من وجهين ( الأول ) أن يراد نفسه وأما ( والثاني ) أن هذه النور يقال لها نور الواحد المضاف وكان ملكا مطلقا . وقد يعلق شعظيم الملك مصالح فيصير ذلك العظم داسبا .

وأما قوله ( وحشر سليمان جسوده من الحي والإنس والطير ) فالمحشر هو الإحضار واجمع من الأماكن المختلفة ، والمحي أنه حين الله تعالى كل هذه الأصناف جسوده ولا يكون كذلك إلا بأن يتصرف على مراده . ولا يكون كذلك إلا مع النقل الذي يصح معه التكليف ، أو يكون بتزلة المراضى التي قد قارب حد التكليف . فذلك قلنا إن الله تعالى حين التنوير في أيامه وما له محض ، وليس كذلك حال التنوير في أيامنا وإن كان فيها ما قد ألقمه الله تعالى الله فائق التي خصصت بالحاجة إليها أو خصصها الله بها لمخالف العباد كالنحل ونحوه .

وأما قوله تعالى ( هم يوزعون ) معاد يحسون وهذا لا يكون إلا إذا كان في كل قبل منها وزاع ، ويكون له تسلط على من يرده ويكفه ويصرفه بالطاير شأن هذا القدر والذي جاد في الحشر من أنهم كانوا ينفون من يتقدم فكيف معيه مع جازده على أن تعب تغير متبع .

أما قوله تعالى ( حتى إذا أتوا على وادي عجل ) فجل هو واد بالشام كثير عجل . ويقال لم عدى أتوا على ؟ جوابه من وجهين ( الأول ) أن إتيانهم كان من فوق فأتى بحرف الاستعلاء . ( والثاني ) أن مراد قطع الوادي بمرارهم من قولهم أتى على الشيء إذا بلغ آخره كأنهم أرادوا أن يزلوا عند منقطع الوادي ، وقرئ ( غلة بأبها العجل ) بعهم الميم وبعضهم ثون وأقيم وكان الأصل العجل يوزن الزحل والعجل الذي عليه لاستمالة تخفيفه .

أما قوله تعالى ( قالت غلة ) فلهي أنها تكلمت بذلك وهذا غير مستبعد ، فإن الله تعالى قادر على أن يخلق فيها العقل والطق . وعن فائدة أخرى دخل فيكونه قائم عليه أناس قد استلوا عنه شأنهم وكان أمر حذيفة رحمه الله حاضر أو هو غلام حدث فقال سار ، عن غلة سليمان أكلت ذكرا أم أنثى ؟ فسأله فأنغم . فقال أنثى حذيفة رضي الله عنه كانت أنثى فقيل له من أين عرفته فقال من كتاب الله تعالى وهو قوله ( قالت غلة ) ولو كان ذكر الختان قال غلة . وذلك لأن الغلة مثل الحمة والشاة في وقوعها على الذكر والأنثى فيعين بينهما بعلامه نحو قولهم حمة ذكر وحمة أنثى وهو وهي .

أما قوله تعالى ( ادخلوها مساكنكم ) فاعلم أن الغلة لما قاربت حد العقل ، لا حرم ذكرها بما يذكر به العقلاء فذلك قل تعالى ( ادخلوها مساكنكم ) فان قلت لا يحطونكم ما هو ؟ قلت يحتمل أن يكون حوايا الأمر وأن يكون سببا بدلا من الأمر ، والله لا يتكونوا حيث أنهم فيحسبونكم على طريقة ، لا أربنتك منها . وفي هذه الآية تنبيه على أمور ( أحدها ) أن من سمر في الطريق لا يلزمه التحرز ، وإنما يلزم من في الطريق التحرز ( وثانيها ) أن الغلة قالت ( وهم لا يشعرون ) كأنها عرفت أن النبي محصور فلا يقع منه نقل هذه الجوارات إلا على حين الضرر . وهذا تنبيه عظيم على وجوب اخراج بعضه الأنبياء عليهم السلام ( وثالثها ) ما رأيت في بعض الكتب أن تلك الغلة إنما أمرت غيرها بالدخول لأنها سافت على قريش أنها إذا رأيت سليمان في حاله ، فربما وقعت في كفران عبدة الله تعالى وهذا هو المراد بقوله ( لا يحطونكم )

## وَتَعَفَّدُ الظُّلُمَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدًى أَمْ كَانَ مِنَ الْإِنْسَانِ

سجين ( فأنزلنا بالبحر في مساكنها فلا يرى لك نعمت لا تمنع في كمون معه انه تعالى . وهذا نفيه على ان محالة ( رباب الدنيا محذورة ) ( ورابعها ) قري . منكركم ولا يحيط بكم . تنجيف . نون . وفري . لا يحيط بكم . فزع . هذا . وكسرهما وأصبا يحيط . كرم .

أما قوله تعالى ( عسى أنظركما من قولنا ) بمعنى عسى أنظركما في الجنة . معنى أنه قد تجوز عند التيسر إلى تنجيتك . وإنما تنجيتك للآخرين ( وأحدهما ) ( إنزاله على ذلك من قولها على ظهر ربحه ورحمة خذره . وعلى شجرة طاه . وحلم في باب التقوى . وذلك قولنا ( وهم لا يشعرون ) وذلك ( سروره بما آتاه الله تعالى لم يؤد أحدًا من . بهيمة الخلام أمثلة ومخاطبة بمناه .

أما قوله تعالى ( رب أنظرني ) فقال صاحب الكافي . حقيقة أرزني . اجعلني أرز شكر صديقك . وأكفه عز أن يغيب حتى . تنو ما يكون لما ذكرناك أبدأ . وهذا يرد على مدعينا . فان عندنا منزلة كل ما لمكر منه من . الألفاظ فقد صارت معمومة . طلب تحصيل الخاص عمت .

وأما قوله تعالى ( وعلى والدي ) فذلك لأنه عند نعم الله تعالى على والديه نعمة علي . ومعنى قوله ( وإن أنعم ) صراحة ( طلب الإغاثة في الشكر . وفي العمل الصالح . ثم قل . ( وأرسلني برحمتك في عبادة الصالحين ) فلما طلب في الدنيا الإغاثة في الخيرات طلب أن يجمع في الآخرة من الصالحين . وقوله ( برحمتك ) يدل على أن دخول الجنة رحمه . وفعله لا يستحقه من جارات . اتعد ( وأختم ) أن سبيل عليه السلام طلب ما يكون وجبة إلى ثواب الآخرة أو لا ثم طلب ثواب الآخرة ثانياً . أما وجبة الثواب فهي أمران ( أحدهما ) شكر النعمة النعمة ( والثاني ) الاشتغال بشار أنواع الخدمة . أما الاشتغال فذكر الخدمة السالفة . فهو قوله تعالى ( رب أرزني أن أشكر نعمتك ) في نعمه . على ( وثالثها ) الانعام على الآلهة . وهذا على الإله . لكن نسبت الإله إلى آدم . ثم هذه نعمة من الله تعالى على الإنسان . لا يجرم اشتغال بذكر نعم الله على الآلهة بقوله ( وعلى والدي ) . وأما الاشتغال بشار أنواع الخدمة . فقولنا ( وأن أعمل صالحاً ترضاه ) وإنما طلب ثواب الآخرة بقوله ( وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين ) فإن قيل درجات الأنبياء أحسن من درجات الأولاد . والله ليس . في السداد . في أن الإنسان بطالبون بدمهم من الصالحين فقال يوسف ( توفني مسلماً وألحقني بالصالحين ) وقال سليمان ( أدخلني برحمتك في عبادك الصالحين ) ( وجرابه ) الصالح الكامل هو الذي لا يحصى الله تعالى ولا يهم تكميله وهذه درجة عالية . والله أعلم .

قوله تعالى : ﴿ وَتَعَفَّدُ الظُّلُمَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدًى أَمْ كَانَ مِنَ الْإِنْسَانِ ﴾ . في عذبه عذاباً

لَا عَذَابَ وَعَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَا أَذْبَحْتَهُ أَوْ لَأَنْتَ بِنْتِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٥١﴾ فَكَيْتَ غَيْرَ  
 بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحْطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَلٍ يَنْصُرُنِي ﴿٥٢﴾ إِنِّي وَجَدْتُ  
 أَمْرًا تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَهَذَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٥٣﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا  
 يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ  
 فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٥٤﴾

شديداً أو لأذبحته أو لأنتي سلطان مبين . فكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئت  
 من سبأ غياغبين . إني وجدت أمراً تمسكهم وأوتيت من كل شيء . وهذا عرش عظيم . وجدها  
 وقومها يدجذون أنفسهم من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدتهم عن السبيل فهم  
 لا يهتدون ﴿٥٤﴾

اعلم أن سليمان عليه السلام لما تفقد طائر أوم ذئب أنه إنما تفقده لأمر يخص به ذلك  
 الطير ، واحتفظوا عينه لأجله ففقد على رجوعه (أخذها) فدل أنه أفل بالروية التي كان يربها  
 لذلك الغص (وثابها) أنه تفقده لأن ما ليس الماء كانت إليه ، وكان يعرف الفصل بين عريه  
 وبينه . فبحاجة سليمان إلى ذلك طيره وتفقده (وثابها) أنه كان يفعله من الشمس ، فلما وجد ذلك  
 تفقده .

أما قوله ( فقال مالي لا أرى الغدده لم كان من العاترين ) فأنه من المفقطة نظر إلى مكان  
 الغدده فلم يجره هناك إلى لا أراه . على معنى أنه لا يراه وهو حاضر لئلا يترد أو غير ذلك  
 ثم لاج له أنه غائب فأضرب عن ذلك وأخذ يقول : أهر غائب كأنه يسأل عن صحبه فما لاج له .  
 ومنه قولهم : إليها ليل لم تاد .

أما قوله ( لا عذبة عذاباً شديداً أو لأذبحه أو لأنتي سلطان مبين ) فهذا لا يجوز أن  
 يقوله إلا نبى هزم مكاف أو فيمن قارب العقل يصلح لأن يؤدب . ثم احتفوا في قوله ( لا عذبة )  
 فقال ابن عباس إنه تنب الرضى والإفراء في الشمس . وقيل أن بطل بالقطرات وبشمس . وقيل  
 أن بلى من فأكله . وقيل بإساعه الغص . وقيل بتريق بينه وبين إمامه . وقيل لأمره بحبة  
 الأضداد . وعن بعضهم : أضيق سجون من الشرة لأضداد . وقيل لأمره خدمة أفراته .

لما قوله ( فبكث ) فقد نرى . يعنى انكاف وضحا ( غير بعيد ) كقوله عن قريب .

ووصف مكانه قصر المدة الدلالة على إسماعه خرواً من سبائك ولعل كيف كان الطير من خرواً له .  
أما قوله ( أعطت ) تألم تحذف به ( فيه ) نسبة سليمان على أن في أدنى حلقاته تعالى من أحاط  
عناً باسم يحط به ، فيكون ذلك المقادير في ترك الإعجاب والإحاطة بالشئ . عناً أن يعلم من  
جميع جهاته .

أما قوله ( وحشك من ميا مائتين ) فاعلم أن ما قرئ ، بالصرف ومنت ، وقد روى  
بكون الجاء ، وعن ابن كثير في رواية سليمان كقولهم ذهبوا أيدي ميا وهو ميا برشحب  
ابن يربوع بن قهطان ، فمن جهة اسم القليلة لم يصرف ، ومن جهة اسم الجي أو الألب لا كثر  
صرف ، ثم حبت مدينة مأرب اسماً وبينها وبين صمداء مسيرة ثلاثة أيام . ونشأ الخبر الذي بهتان .  
وقوله ( من ميا ميا ) من علس الكلام الذي يسبق باللفظ وشروط حسنة صحة المعنى . ولقد  
جاء مياراً أيضاً على الصفة نفس لفظاً ومعنى ، ألا ترى أنه لو وضع مكان ميا خبر المكان الذي  
صحيحاً . ولكن لفظاً أيضاً أولى له فيه من الزيادة التي يظاها وصف الحال .

أما قوله ( إني وجدت امرأة تملككم ) فالمرأة بلفظ بنت شراحيل . وكان أبوها ملك أرض  
البن وكنت هي وقومها مجوساً يحدون الشمس . والخدم في تملككم راجع إلى ميا ، فإن أراد  
به القوم فالمر ظاهر . وإن أريدت المدينة فغناء تلك أهلها .

وأما قوله ( وأوتيت من كل شئ ) ففيه سؤال وهو أنه كيف قال ( وأوتيت من كل شئ )  
مع قول سليمان ( وأوتيت من كل شئ ) فكان أفصح سوى يهسا ( جواه ) أن قول سليمان عليه  
السلام يرجع إلى ما أوتى من القوة والحكمة . ثم إلى الملك وأسباب الدنيا . وأما قول المفسر  
فلم يكن إلا إلى ما يتعلق بالدنيا .

وأما قوله ( ولما عرش عظيم ) ففيه سؤال . وهو أنه كيف أن عرشاً نهضت عرشها مع ما كان  
يرى من ملك سليمان ؟ وأيضاً فكيف سوى بين عرس بقرين وعرش الله تعالى في الوصف  
بالعظيم ؟ ( والجواب ) عن ( الأول ) يجوز أن ينصرف حالها إلى حال سليمان فاعظم لها ذلك  
العرش ويجوز أن لا يكون لسليمان مع جلالة مثله كما قد يفتق بعض الأمراء شئ . لا يكون مثله  
عد السلطان . وعن ( الثاني ) أن صف عرشها بالعظيم تعظم له بالإضافة إلى عرش أبناء جنسها من  
الملوك ووصف عرش الله بالعظيم تعظم له بالنسبة إلى سائر ما خلق من السموات والأرض ،  
واعلم أن هذا محتمل .

( البحث الأول ) كما أن الملاحظة طلت في هذه الفقرة من وجوه : ( أحدها ) أن هذه الآيات  
انشطت على أن الفقرة والمقدمة تكمل الكلام لا يصدر ذلك الكلام إلا من المقدم . وذلك بحرف  
الفسفة ، فإننا لو جردنا ذلك لا أننا في الجملة التي تقدمها في زمانها هذا ، أن تكون لعل بالهندسة  
من إقليدس ، والنحو من ديوبه ، وكذا القول في الفقرة وقصديان ، ويجوز أن يكون فهم

وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٦﴾ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٧﴾ أَذْهَبَ بِكَ نَبِيٌّ هَذَا فَاخْلُفْهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ قَوْلَ نَفْسِهِمْ فَلَنَنْظُرَ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾

الاحد والثلاثين ، المعجزات ، ومعلوم أن من جوز ذلك كان إلى الجنون أقرب (وثانيها) أن ساجدين عليه السلام كان بالتمام فكيف طار الهمد في تلك المنطقة المظلمة من الشام إلى اليمن ثم رجع إليه ؟ (وثالثها) كيف خفي على ساجدين عليه السلام حال مثل تلك المادحة العظيمة مع ما يقال إن ابن و الإسم كبر في طاعة ساجدين ، وإنه عليه السلام كان ملك الدنيا بالكلية وكان تحت راية طائفة علي ما يقال اثنا عشر ألف ملك تحت راية كل واحد منهم مائة ألف ، ومع أنه يقال إنه لم يكن بين ساجدين وبين هذه بقية حال طائران أحدهما إلا مسيرة ثلاثة أيام (ورابعها) من أين حصل للهمدة معرفة الله تعالى ووجوب السجود له وإكمال سجودهم للشمس وإضافته إلى الشيطان وزينه ؟ (والجواب) عن (الأول) أن ذلك الاحتمال قائم في أول العمل ، وإعنا يدفع ذلك بالإجماع ، وعن الثاني أن الإيمان باعتقاد العالم إلى القادر المختار يزيل هذه الشكوك .

في الحديث الثاني : قالت ، الكفرة (يسجدون للشمس من دون الله ، وزين لهم الشيطان أعمالهم) [يدين على أن هل العبد من جهنم لأنه تعالى أضاف ذلك إلى الشيطان بت إضائه لهم ولأنه أوردته مورد المدح والثناء بين أنهم لا يسمون (والجواب) من وجوه : (أحدها) أن هذا قول اغتد به فلا يكون حجة (وثانيها) أنه متروك الطاهر ، فإنه قال (يخدم عن السبل) (وخدمه الشيطان ما حصد الكافر عن السبل) إذ لو كان مصدوداً عنهم ما سقط عنه التكليف ، فلهذا لا إلا التمسك بفصل المدح والثناء (والجواب) أنه يقدم عنه مراراً فلا فائدة في الإعادة والله أعلم .

قوله تعالى : ﴿ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُحْفُونَ وَمَا يُنْشِرُونَ ، اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ، أَذْهَبَ بِكَ نَبِيٌّ هَذَا فَاخْلُفْهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ قَوْلَ نَفْسِهِمْ فَلَنَنْظُرَ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ . وفيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ اعلم أن في قوله تعالى (ألا يسجدوا) قراءات أحدها قراءة من قرأ بالفتح ، ألا للفتح وبأحرف النداء وماداه محذوف ، كما حذفه من قال :

أَلَا يَا أَسْلَى بِأَدَايِ عَنِ الْبَلَى [ولا زال مثلاً بحر عاتك للقطر]

(ونائج) بالتشديد أراد قهدهم عن السبيل لئلا يسجدوا. لحذف الجار مع أن ويجوز أن تكون لا مزبدة، ويكون المعنى فهم لا يهتدون إلا أن يسجدوا (والأشياء) وهي سرف عبد الله وقراءة الأعمش: هلا غلب القهزة. و«عن عبد الله هلا تسجدون بمعنى ألا تسجدون على الخطأ» (ورأيها) قرأه أنى (ألا يسجدون لله الذي يخرج الحب من السموات والأرض ويعلم سركم وما تعلمون).

المسألة الثانية ﴿ قال أهل التحقيق قوله (ألا يسجدوا) يجب أن يكون بمعنى الأمر لأنه لو كان بمعنى المنع من السجدة لم يكن لوصفه تعالى بما يوجب أن يكون السجود لله وهو كونه قادراً على إخراج الحب، عالمياً، الأبرار معنى. »

المسألة الثالثة ﴿ الآية دلت على وصف الله تعالى بالقدر والعلو. أما بقدرته فقوله (يخرج الحب من السموات والأرض) يسمى الخبير بالمصدر، وهو يتناول جميع أرباع الأركان والأحوال وإخراجها من السهبة بالغيث، ومن الأرض بالنبات، وأما العلم بقوله (ويعلم ما تحفون وما تفتنون) واعلم أن القهز من هذا الكلام الرد على من يبعد الشمس وتحرر الله لآلة هكنا: الإله يجب أن يكون قادراً على إخراج الحب، وعالمياً بالخفيات، والشمس أبدت كذلك فهي لا تكون إلهاً وإذا لم تكن إلهاً لم يجر السجود لها، أما أنه سبحانه وتعالى يجب أن يكون قادراً عالمياً على لوجه الله كونه، ولما أنه واجب لذاته فلا تختص قدرته وعالته ببعض المقدورات والمعلومات دون البعض، وأما أن الشمس ليست كذلك فلا لها سبب دناه، وكل ما كان متتابعاً في الذات كان متتابعاً في الصفات، وإذا كان كذلك لجبذ لا يعلم كونه قادراً على إخراج الحب عالمياً بالخفيات. فإذ لم يعلم من حالها ذلك لم يعلم من حالها كونه قادراً على جلب المنافع ودفع المضار، فراجع حاصل الدلالة إلى ما ذكره إبراهيم عليه السلام في قوله (لم تعبدوا ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً) وفي قوله (الله الذي يخرج الحب من السموات والأرض) وحده آخر وهو أن هذا إشارة إلى ما استدل به إبراهيم عليه السلام في قوله (رب الذي يحيى ويميت) وفي قوله (إن الله يأتى بالشمس من المشرق فأتى بها من المغرب) وذلك لأنه سبحانه وتعالى هو الذي يخرج الشمس من المشرق بعد أن خرجها في المغرب فهذا هو إخراج الحب من السموات وهو القدر من قول إبراهيم عليه السلام (لا أرب إلا الله) ومن قوله (فأن الله يأتى بالشمس من المشرق فأتى بها من المغرب) ومن قول موسى عليه السلام (رب المشرق والمغرب) وحاصله يرجع إلى أن أقول الشمس وطلوعها يدلان على كونها تحت تدبير قادر فكانت العبادة لها مفرها والمصرف فيها أول، وأما إخراج الحب من الأرض فهو يتناول إخراج النطفة من الصلب والرائب وتكوين الجنين منه، فإن قيل إن إبراهيم وموسى عليهما السلام قسما دلالة الأنفس على دلالة الآفاق فإن إبراهيم قال (رب الذي يحيى ويميت) ثم قال (فأن الله يأتى المشرق من المشرق) وموسى عليه السلام قال (ربكم رب آياتكم



قَالَتْ يَتَيْبَا أَلَمْ نَأْتِ الْبَقِيَّةَ لَنَكْتُبَ كَرِيمٌ ﴿١٨٣﴾ إِنَّمَا تَزْكِي مِنَ الْمُسْتَكْبِرِينَ وَآيَاتُهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١٨٤﴾ أَفَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ وَأَنُوتِنِ مُسْلِمِينَ ﴿١٨٥﴾ قَالَتْ يَتَيْبَا

الأولان) ثم قال (رب المشرق والمغرب) فإذ كان الأمر بها بآياتي فقدم خب السوات على خب الأرض (جوابه) أن إبراهيم وموسى عليهما السلام ناطقاً مع من ادعى إلهة الغش ، فلا حرم ابتداء بإبطال إلهة غيرهم ، انتقالاً إلى إبطال إلهة السماوات ، وههنا المناظرة مع من ادعى إلهة الشمس لقوله ( ووجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله ) فلا حرم ابتداء بذكر السماويات ثم بالأرضيات .

أما قوله (الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم) فالمراد منه أنه سبحانه لما بين انقضاء السموات والأرض وما بينهما إلى المبدى ذكر بعد ذلك أن ما هو أعظم الأجسام فهو مخلوق ومروية وذلك يدل على أنه سبحانه هو المقتضى في القدرة والبرية إلى ما لا مزيد عليه والله أعلم .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ قيل من (أحاطت) إلى (المنطق) كلام الله وما غير كلام رب العزة .

﴿ المسألة الخامسة ﴾ قلنا أن جملة الثلاثة واجبة في شراطين جميعاً وهو قول الشافعي وأبي حنيفة راحة لله عليهما لأنهم أجروا على أن سمات القرآن أربع عشرة سجدة . وهذا واحد منها وثلاث مواضع السجدة إما أمر بها أو مدح لمن أتى بها أو ذم من تركها . واحدى القرآن لمر باليهود والآخرى ذم لما ذكره ثبت أن الذي ذكره الزجاج من وجوب السجدة مع التحذير دون التشديد غير ملغى إليه .

﴿ المسألة السادسة ﴾ يقال من يفرق الوقت بين القرآنين (أخواتيه) نعم إذا شقق وقت على (نعم لا يبتدون) أم ابتداء (بالا يسجدوا) وإن شاء نصف على (ألا يا) ثم ابتداء (بالسجود) وإن شاء لم يقف إلا على (العرش العظيم) .

أما قوله (من ينظر الذي هو النازل) وأراد صدقت أم كذبت إلا أن (لم كنت من الكاذبين) ألغى لأنه إذا كان مبروراً بالكذب كان نبياً ، الكذب بها أحقره فلم يوجب به ، وإنما قال (فألقه إليهم) على لفظ الجمع لأنه قال ( ووجدتها وقومها يسجدون للشمس ) فقال ( فألقه إليهم ) أى إلى الذين هذا دينهم .

أما قوله (ثم برز عنهم) أى شاع عنهم إلى مكان قريب مما يرى فيه ليكون ما بقوله يسمع منك ويرجمون من قوله أنزل (راجع بعضهم إلى بعض القول) وقال دخل عليها من كونه وأتى إليها الكتاب ونحوه في السكون .

قوله تعالى : ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَى الْإِنِّى إِلَى كِتَابِ كَرِيمٍ ﴾ (هـ) من سجدت وإنه بسم الله الرحمن

الْمَلَأُوا أَفْوَنِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴿٦٠﴾ تَقُولُوا نَحْنُ أَوَّلُوا قُرْعَةً  
وَأَوَّلُوا بِئْسَ شَدِيدٌ وَالْأَمْرُ إِلَيْكَ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٦١﴾

الرحيم ، ألا تعلموا على وأفوني مسلمين ، قالت يا أبا الملا أفوني في أمرى ما كنت قاطعة أمرًا حتى تشهدون ، قالوا نحن أولوا قرة وأولوا بأس شديد والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين ﴿٦٠﴾  
لأنهم أن قوله ( قالت يا أبا الملا ) في آتى إلى كتاب كريم ( بمعنى أنه يقال إن الهدى آتى إليها الكتاب فهو محفوظ كأنه ثابت ، وروى أنها كانت إذا دغمت غلقت الأبواب ووضعت المذابيح تحت رأسها دخل من كوة وخرج الكتاب على نحرها وهي مستظية ، وقيل قرعها فاقطعت قرة .

أما قوله ( كتاب كريم ) فيه ثلاثة أوجه ( أحدها ) حسن معنونه ، كما فيه ( وثانيها ) وصفه بالكرم لأنه من عند ملك كريم ( وثالثها ) أن الكتاب كان غنماً وقال عليه السلام ذكرتم الكتاب عنه وكان عليه السلام يكتب إلى العجم ، فبقي له إنهم لا يغيثون إلا كتاباً عليه خاتم فاعخذ له خاتماً .

أما قوله ( إله من سليمان وإله من الرحمن الرحيم ) فيه أربع :

في البحث الأول ( ) أنه استأنف وتبين لما آتى إليها كأنها لما قالت إني آتى كتاب كريم في إله من هو ودا هو فقال إله من سليمان وإله كرت وكبت ، وقرأ عبد الله ( إله من سليمان وإله اسم الله ) محققاً على ( إني ) وقرى ( أنه من سليمان وإله ) والفصح وفيه وجهان ( أحدهما ) أنه بدل من كتاب كأنه قيل إني إلى إله من سليمان ( وثانيها ) لأن يريد أنه من سليمان ولأنه بسم الله كأنها علقت كرمه بكرم من سليمان وتصديره بسم الله وقرأ آتى إن من سليمان وإله بسم الله على أن المفسرة ، وإن في أن لا تعلموا مفسرة أيضاً ومعنى لا تعلموا لا تستكبروا ولا تفعل الملوك ، وقرأ ابن عباس بالغين معجمة من العلم وهي مجاوزة الحد .

في البحث الثاني ( ) كما يقال لم قدم سليمان اسمه على قوله ( بسم الله الرحمن الرحيم ) ؟ ( حواشي ) ما نقله من ذلك بل أيضاً هو . بسم الله الرحمن الرحيم ، وإنما ذكرت بلفظ أن هذا الكتاب من سليمان ثم حكيت ما في الكتاب والله تعالى حكى ذلك فالتقديم وقع في الحكاية .

في البحث الثالث ( ) أن الأعياد عليهم السلام لا يطلون بل يقتصرون على المقصود ، وهذا الكتاب مشتمل على تمام المقصود ، وذلك لأن المطلوب من الخلق ، إما العلم أو العمل والعلم مقدم على العمل بقوله ( بسم الله الرحمن الرحيم ) مشتمل على إثبات الهداية سبحانه وتعالى وإثبات كونه عالماً غائباً حياً مبدءاً حكيمياً رحيماً .

قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا لَهَا لَغْزَةً أَهْلَهَا أَذًى وَكَذَلِكَ  
يَفْعَلُونَ ﴿٢٤﴾ وَإِلَى مُوسَى بَعَثْنَا نَبِيًّا فَقَاظِرَةً يُرْجِعُ أَمْرَهُمْ لَوْ كَانَهُ  
سَلِيمًا قَالَ أَتَأْتِدُونَنِي بِمَالٍ قَلِيلٍ أَتَأْتِينَ اللَّهَ تَحِيْرًا أَنْتُمْ كُنْتُمْ يَدْبِرُونَ  
تَفَرِّحُونَ ﴿٢٥﴾ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَهُمْ بِعِزٍّ لَّا قَبْلَ لَهمُ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذًى  
وَهُمْ صَافِرُونَ ﴿٢٦﴾

وأما قوله (ألا تفعلوا علي) فهو من معنى من الأعيان لطيفة النفس، الخوف من السكر،  
والترغيب (وأتوني مسلين) فأنزل من المسم (ما لا يفسد أو القوم، وقد أن هذا الكتاب  
على وعازته يحوى كل ما لا يدع في الدين والديانة، فإن من النبي عن الاستعلاء والأمر، لا يفرق  
قبل إقامة الصلاة على كونه رسولاً حقاً يدل على الإكراه، الطلوع، وواجب (معاد الله أن يكون  
هناك تقيد وذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يلقى من كان المذهب المذهب، والمخرج  
على وجوه الصانع وعلى صفاته وحال على صدق النبي، فبما كانت تلك الرسالة، لأنه الله على  
الوحيد والنبوة لا يرمم لم يذكر في الكتاب وأبداً آخر

أما قوله (يا أيها الملأ أفرئوني) أمرى (أفرضى عن الخوف في المذلة الشفقة على طريق  
الاستعارة من المعنى في التبرأى أحسن في الأمر القنى، ووصفت بأفقتناع إليهم واستطاع  
رأهم تطبيق طوبى ما كنت فاعلة أفرأنى لا أفرأهم، ولا يحسن ذكر.

أما قوله (قالوا نحن أولو قوة) فالمراد قوة الأجسام وقوة الآلات والمراد بالمأسر الحسة  
والذات في الحرب، وحين الجواب أن القوم ذكرهم (أفرئوني) يظهر القوة الذاتية  
والعربية يُظهر أنها (إن أرادته للدفع والطرب وحدهم بحيث تزيه، والأخر قولهم (والأمر  
إليك فانظري ماذا نقدر) يوفى ذلك إظهار الفاعل أن أرادته، ولا يمكن ذكر جواب  
أحسن من هذا وإنه أعلم.

قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا لَهَا لَغْزَةً أَهْلَهَا أَذًى وَكَذَلِكَ  
يَفْعَلُونَ﴾. وفي مرسله إليهم بعبارة فاعله: ثم يرجع المرسلون، فبما جاء سبحانه، قال أفندون  
قال يا آتاني الله خير مما أتاكم بن أنتم مدبرون، ارجع إليهم مثلاً بهم بخبر لا قبل  
فهم بما ولخرجهم من أذًى وهم صافرون ﴿٢٦﴾.



## قَالَتْ مَا يَنْصُرُكُمْ نَعْتَهُ ۖ وَكُنْتُمْ فَرِحًا رَبِّي عَنِّي كَرِيمٌ ﴿٤١﴾

أما آيةك به قول أن يريد إليك طرفك فلما رآه مستغراً عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأنكر أم لا أنكر ومن شكر ما ما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم ﴿٤١﴾  
اعلم أن في قوله تعالى ( قال يا أيها الملأ أياكم يأتي بيئى برشها ) دلالة على أنها عزم على اللحق بسليمان . ودلالة على أن أمر ذلك العرش كان مشهوراً ، فأحب أن يحصل عنده قبل حضورها ، واختلفوا في غرض سليمان عليه السلام من إحصاء ذلك العرش على وجوه ( أحدها ) أن المراد أن يكون ذلك دلالة ليقين على قدرة الله تعالى وعلى نبوة سليمان عليه السلام . حتى تنضم هذه الدلالة إلى سائر الدلائل التي سلفت ( وثانيها ) أراد أن يؤتى بذلك العرش فيغير ويذكر . ثم يصر عليها حتى أنها هل ترفع أو تنكسر . والمقصود استبار عقلاً . وقوله تعالى ( قال نكروا لها عرشها ننظر أأنهedy ) كالدلالة على ذلك ( وثالثها ) قال خازن : أراد أن يأخذها قبل إسلامها . لعلمه أنها إنما أسلمت لم يحل له أخذ مالها ( ورابعها ) أن العرش سرير المملوك . فأراد أن يعرف مقدار مملكتها قبل وصولها إليه .

أما قوله ( قال عفریت من الجن ) فالعفریت من الرجال الخبيث الذمير يسفر أقرانه ، ومن الشياطين الخبيث المارد .

أما قوله ( قبل أن تقوم من مقامك ) فالقنى من مجلسك . ولا بد به من عادة معاونة حتى يصح أن يؤتى . فقيل أراد مجلس الحكم بين الناس . وقبل الوقت الذي يحط به الناس . وقيل إلى انقضاء النهار .

وأما قوله ( لقوى ) أى على حله أمين أى به كما هو لا احتزل منه شيئاً .

أما قوله ( قال الذى عنده علم من الكتاب ) نفيه عنان :

( الأول ) اختلفوا في ذلك الشخص على قولين : قيل كان من الملائكة . وقيل كان من الإنس . فن قال بالأول اختلفوا . قيل هو جبريل عليه السلام . وقيل هو ملك أيد الله تعالى به سليمان عليه السلام . ومن قال بالثاني اختلفوا على وجوه ( أحدها ) قول ابن مسعود : إنه المختصر عليه السلام ( وثانيها ) وهو المشهور من قول ابن عباس : إنه أخو بن برخية وزير سليمان . وكانت صديقاً يعلم الاسم الأعظم إذا دعا به أجيب ( وثالثها ) قول قتادة : رجل من الإنس كان يعلم اسم الله الأعظم ( ورابعها ) قول ابن زيد : كان رجلاً صالحاً في حوزة في البحر . خرج ذلك اليوم بطر إلى سليمان ( وخامسها ) بل هو سليمان نفسه . والمخاطب هو العفریت الذى كله . وأراد سليمان عليه السلام إظهار معجزة فتدوام لولا . ثم بين للعفریت أنه يتأتى له من سرعة الإتيان بالعرش ما لا يتأتى للعفریت . وهذا القول أقرب لرجوه ( أحدها ) أن لفظة الذى موضوعه في

اللمة للامثلة إلى شخص معين عند محاولة تعريفه بقصة معلومة والشخص المعروف بأنه عند علم الكتاب هو سليمان عليه السلام . فوجب انصرافه إليه ، انتهى ما في الباب أن يقال ، كان آصف كذلك أيضاً لكننا نقول إن سليمان عليه السلام . كان أعرف بالكتاب منه لأنه هو النبي ، فكان صرف هذا القطع إلى سليمان عليه السلام أولى (ثاني) أن إحسان العرش في تلك الساعة الطيفة درجة عالية ، فلو حصلت لآصف دون سليمان لاقضى ذلك تخصيص آصف على سليمان عليه السلام ، وأنه غير جائز (الثالث) أن سليمان عليه السلام ، لو افتقر في ذلك إلى آصف لامتضى ذلك قصور حال سليمان في عين المخلوق (الرابع) أن سليمان قال (هذا من فضل ربي ليبلوني أشكر أم أكفر) وظاهره يقتضي أن يكون ذلك المميز قد أظهره الله تعالى بعبارة سليمان .

(البحث الثاني) اختلصنا في الكتاب . فضيل الوج المحفوظ . والذي عنده علم من جبريل عليه السلام . وقيل كتاب سليمان ، أو كتاب بعض الإنجيل ، ومعلوم في الجملة أن ذلك مدح . وأن لهذا الوصف تأثيراً في نقل ذلك العرش ، فلذلك قالوا إنه الإله الأعظم وإن عنده رفعت الإجابة من الله تعالى في أسرع الأوقات .

أما قوله تعالى (أنا أنيك به قبل أن يرتد إليك طرفك) فيه بحثان :

(الاول) أنك في الموضوعين ، يجوز أن يكون فعلاً واسم فاعل .

(الثاني) اختلصنا في قوله (قبل أن يرتد إليك طرفك) على وجهين (الاول) أنه أراد المبالغة في السرعة ، كما تقول لصاحيك أقبل ذلك في لحظة . وهذا قول مجاهد (الثاني) أن تحريره على ظاهره ، والظرف تحريك الأجفان عند النظر ، فإذا شمت الجفن قد ينوم أن نود العين امتد إلى الحرف ، وإذا أغمضت الجفن قد ينوم أن ذلك التوراد ارتد إلى العين ، فهذا هو المراد من ارتداد الطرف (وهنا سؤال) وهو أنه كيف يجوز والمساواة بعيدة أن ينقل العرش في هذا القدر من الزمان ، وهذا يقتضي إما القول بالظفرة أو حصول الجسم الواحد دصة واحدة في مكانين (جوابه) أن المهتمسين ظفراً ككرة الشمس مثل كرة الأرض مائة وأربعة وستين مرة . ثم إن زمان طلعها زمان قصير . فإذا قسمنا زمان طلوع تمام القمر على زمان القدر الذي بين الشام والجن كانت المسعة كثيرة فلما تمت فعلاً إمكان وجود هذه الحركة السريعة . ونويت أنه تعالى قادر على كل السمكات زال السؤال . ثم إنه عليه السلام (لما رآه مستغراً عنه قال هذا من فضل ربي ليبلوني أشكر أم أكفر) والكلام في تفسير الابتلاء قد مر ضربه . ثم إنه عليه السلام بين أن نفع الشكر عائد إلى الشاكر لا إلى الله تعالى . أما أنه عائد إلى الشاكر فلوجوه (أحدها) أنه يفرح عن عبدة ما وجب عليه من الشكر (وثانيها) أنه يستمد به المزيد على ما قال (لن شكرتم لأزيدنكم) . (وثالثها) أن المشتغل بالشكر مشغول بالذات الحسية وفرق ما بينهما كفرق ما بين المضم والصفة في الشرف ، ثم قال (ومن كفر فإن

قَالَ نَكُرُوا لَهُ عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَنْتَدَىٰ أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأَوَيْتَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تُعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾

روى غنى كريم ( غنى عن شكره لا يضرمه كفره ) . كبره لا يقطع عنه نعمه بسبب إجماعه عن الشكر .

قوله تعالى : ﴿ قال نكروا لها عرشها نظرا أتندى أم تكون من الذين لا يهتدون ﴾ . فلما جاءت قيل أهكذا عرشك . قالت كأنه هو ، وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين . وصداها ما كانت تعد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين ﴿ ٤٣ ﴾ .

اعلم أن قوله ( نكروا ) مداهم أجدولة العرش منكرا متغيرا عن شكله كما ينكر الرجل للباس مثلا يعرفه . وذلك لأنه لو ترك على ما كان لمعرفته لا محالة . وكان لا يدل معرفته به على ثبات عقلها وإذا عبر ذلك معرفتها لم توفقها فيه على فضل عقل . ولا يمنع صحة ما قيل إن سليمان عليه السلام أتى بآية أن فيها نقصان عقل لكي لا يتزوجها أو لا يحظى عنده على وجه الحمد ، وأراد بها ذكرنا اختيار عقلها .

أما قوله ( نظرا ) فخرى . بالجرم على الجواب ويألف على الاستئناف ، واختلفوا في ( أتندى ) على وسرين ( أحدهما ) أنعرف أنه عرشها أم لا ، كما قدسنا ( الثاني ) أنعرف به نبوة سليمان أم لا ولذلك قال ( أم تكون من الذين لا يهتدون ) وذلك كالعدم ولا يليق إلا بطريقة الدلالة . فكانه عليه السلام أحب أن تنظر تشرف به نبوته من حيث ما . منتقلا من المكان البعيد إلى هناك . وذلك يدل على صفة الله تعالى وعلى صدق سليمان عليه السلام . ويعرف بذلك أيضا فضل عقلها لأغراض كانت له . ضد ذلك سألها .

أما قوله ( أهكذا عرشك ) فاعلم أن هـ هكذا ثلاث كلمات ، حرف تنبيه وكان التنبيه واسم الإشارة ، ولم يقل أهذا عرشك . ولكن أمثل هذا عرشك إلا يكون تلقينا قالت ( كأنه هو ) ولم يقل هو هو ولا ليس به وذلك من كمال عقلها حيث توقفت في محل التوقف .

أما قوله ( وأوتينا العلم من قبلها ) فمعه سؤالان . وهو أن هذا الكلام كلام من ؟ وأيضا فعلى أي شيء . عطف هذا الكلام ؟ وعن جرأنا ( الأول ) أنه كلام سليمان وقومه . وذلك لأن بلقيس

قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا فَإِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ ۖ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١﴾

لما سئلت عن عرشها، ثم إنها أجابت قولها (كأنه هو) بالظاهر أن سليمان رقرعه قالوا إنها قد أصابت في جوابها وهي عائلته لئلا يفتخر الإسلام، ثم عطفوا على ذلك قولهم (وأمرتنا نحن العلم بالله وبقدرة قبل عليا ويكون غرضهم من ذلك شكر الله تعالى في أن خصهم بجزية) فندم في الإسلام (الثاني) أنه من كلام بلقيس موصولا بجزءها (كأنه هو) وأنشئ حوارنا العلم بالله وبصفة نبوة سليمان قبل هذه المعجزة أو قبل هذه الحالة، ثم إن قوله (وصداها ما كانت شيد من دون الله إلى آخر الآية تكون من كلام رب العزة).

أما قوله تعالى ( وعددها ما كانت تعد من دون الله ) فيه وجهان ( الأول ) المراد . وعددها عبادها تغير الله عن الإيمان ( الثاني ) وعددها الله أو سليمان عما كانت تعد بتغير سخط الجار وإيصال الفصل ، وقرئ ، أنها بالفتح على أنه بدل من فاعل وعد ، ويعني لأنها ، واحتجت المذنبات لهذه الآية فقالوا لو كان تعالى خلق الكفر فيها لم يكن الصاد لها كفرها المتقدم ولا كونها من جملة الكفار ، بل كان يكون الصادها عن الإيمان تجدد خلق الله الكفر فيها ( وال جواب ) أما على التأويل الثاني فلا شك في سقوط الاستدلال . وأما على الأول لجوابنا أن كونها من جملة الكفار صار سبباً للحصول الداعية المستمرة للكفر ، وحينئذ يبي ظاهر الآية موافقاً لقولنا والله اعلم .

قوله تعالى: ﴿ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ﴾ فقرأته حسية لجة وكشفت عن سابقها قاله إنه صرح  
مرد من نوادر، قالت رب إني ظلمت نفسي وأستعفف مع سليمان بن رباب الساجين ﴿ اعلم أنه تعالى لما حكى إقامتها على الكفر مع كل ما تقدم من الدلائل ذكر أن سليمان عليه  
السلام أظهر من الأمر ما صار داعياً لها إلى الإسلام وهو قوله قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ، والصَّرْح  
القصر كقولهم ( يا هاهنا ابن لي صرحاً ) وقيل حصن الدفر ، وقرأ ابن كثير عن سابقها بالهمز  
ووجهه أنه جمع مؤنثاً مجرى عليه الواحد ، والمراد المجلس ، روى أن سليمان عليه السلام  
أمر قبل قدومه أني له على ضربتها قصر من زجاج أبيض كاللؤلؤ ، ثم أرسل الملائكة تحته وألقي  
فيه السمك وغيره ووضع سريره في صدره فجلس عليه وعكفت عليه الإنس والجن والطير ، ولما  
فعل ذلك لم يردوا استعظماً لأمره وتحتاً بآيائه ، ووزعوا أن الجن كرهوا أن يقر بها فتدفعن



وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى نُوحٍ آحَامَهُمْ صَالِحًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ  
 ⑤ قَالِ يَنْقُومَ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ  
 تُرْحَمُونَ ⑥ قَالُوا أَطِيعُوا نَايِكَ وَرِجْلَيْكَ قَالَ عَلَيْكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُفْسِدُونَ  
 ⑦ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ نِسَاءٌ رَهِطٌ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصَلُّونَ ⑧ قَالُوا  
 تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ

إليه بأسرارهم لأنها كانت بقت حنة . وقيل عافوا أن يركبوا منها ولد فيجتمع له نطفة الحن  
 والإنس فيخرجون من ملك سليمان إلى ملك هو أشد . فقالوا إن في عافنا نفعنا وإياها شرنا  
 السابقين ورجلها ككافر حار حار حار سليمان عليها . فالتكبير التمرير . والتخذ الصريح يتصرف سابقها .  
 ومعلوم من حال الزواج اتصاف أنه يكون كاللص . فها أنصرت ذلك طئته ما بدأ . فكذلك  
 عن سابقها فتعوضه . فذا هي أحسن الناس سابقاً . وهذا على طريقة من يقول تزوجها .  
 وقال آخرون كان المقصود من الصريح تهويل المجلس وتطبيع . وحصل كشف الصالح على سابق  
 التبع . طلق قبل فها هو صريح نوح من قواير استترت . ونجبت من ذلك . واستدلت به على الترحيد  
 والشرة . فقالت (رب إني ظلمت نفسي) فيها تقدم بالثبات على الكفر ثم قالت (وأشدت مع سليمان  
 له رب العالمين) وقيل حبيت أن سليمان عليه السلام يعرفني في نتيجة . فقامت ظلمت نفسي بسوء  
 على سليمان . واختلوا في أنه هل تزوجها أم لا . وأنه تزوجها في هذه الحال أو قيل أن كشفت عن  
 سابقها . والأظهر في كلام الناس أنه تزوجها . وليس بذلك ذكر في الكتاب . ولا في خبر يفتوح  
 بصحته . ويروي عن ابن عباس أنها لما أسدت قال لها اختاري من قومك من أزواجك منه فقالت  
 مثلي لا يتكح الرجال مع سلطان . فقال التكاكح من الاسلام . فقالت إن كان كذلك فزوجني ذاتي  
 ملك همدان فزوجها إليه ثم ردها إلى اليمن . ولم يزل بها مفككة وافته المنية .

### ﴿ القصة الثالثة — قصة صالح عليه السلام ﴾

قوله تعالى : ﴿ ولقد أرسلنا إلى نوح آحامهم صالحاً أن اعبدا الله اصفاهاهم فريقتان يختصمون . قال  
 يا قوم لم تستعجلون بالسبي قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلمكم تركون . قالوا طاعتنا بك وعن  
 معك قال طاعتكم عند الله بل أنتم قوم تفتنون . وكان في المدينة نسوة رطه يفسدون في الأرض  
 ولا يصنعون قالوا قاسموا بالله لنبئنه وأهله ثم لنقولن لولييه ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون .

﴿١٥﴾ وَمَكْرُؤًا مَكَرًا وَمَكْرَنَا مَكَرًا وَأَمَّهُمْ لَا يَسْمُرُونَ ﴿١٦﴾ فَأَنْظِرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ  
مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَفُتِنَهُمْ أَعْمَعِينَ ﴿١٧﴾ فَبَلَغَ يَوْمَهُمْ خَاوِبَةً يَبِئْسَ ظَلَمُوا إِنْ فِي ذَلِكَ  
لَآيَةٌ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٩﴾ .

ومكروا مكرًا أو مكرًا نكرًا أو لم لا يسْمُرُونَ . فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين .  
فبَلَغَ يَوْمَهُمْ خَاوِبَةً يَبِئْسَ ظَلَمُوا إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يفتنون ﴿١٦﴾  
قوله ﴿أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ بالنظم على إنباج النون الآية ١٧ .  
أما قوله ﴿يَوْمَهُمْ فَرِيقَانِ﴾ ففيه قولان : (أحدهما) المراد فريق مؤمن وفريق كافر (الثاني)  
المراد قوم صالح قبل أن يؤمن منهم أحد .

أما قوله ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ فمعنى أنه الذين آمنوا إنما آمنوا لإلهم بطروا في حجة فمروا بها .  
وإذا كان كذلك فلا بد وأن يكون خصمها لهم لم يقبها . وإذا كان هذا الإحصاء في باب الدين دل  
ذلك على أن الجدل في باب الدين حق وفيه إمكان التقليد .

أما قوله ﴿يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالْجَنَّةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ ففيه بحثان : (الأول) في تفسير استعجال  
بالجنة قبل الحسنة وجهان : (أحدهما) أن الذين كذبوا صالحًا عليه السلام لم يدفعهم الحجاج  
فوجدوا صالح عليه السلام بالعذاب فقالوا (اقتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين) على وجه  
الاستهزاء . بعده قال صالح (لم تستعجلون بالسنة قبل الحسنة) والمراد أن الله تعالى قد مكذبكم من  
الترسل إلى رحمة الله تعالى بخوايه . فلماذا تعجلون عنه إلى استعجال عذابه (وثانيهما) أنهم  
كافروا يقولون لجلهم إن العقوبة التي يفرضها صالح وإن وقعت على زعمه أنها حينئذ واستعزما  
حينئذ يقل الله توبتنا ويدفع العذاب عنا . فخطبهم صالح على حسب اعتقادهم . وقال هل نستعجلون  
الله قبل نزول العذاب فإن استعجال الخير أولى من استعجال الشر .

(البحث الثاني) في أن المراد بالجنة العقاب وبالجنة النار . وأما وصف العذاب بأنه دينة  
فهو بجاز وسبب هذا التفسير . إما لأن العقاب من تولاه أو لانه يشبه في كونه مكرهًا . وأما  
وصف الرحمة بأنها حسنة فهم من قال إنه حقيقة ومنهم من قال إنه مجاز والأول أقرب . ثم إن  
صالحًا عليه السلام لم يقرر هذا الكلام لخلق أجياله بكلام فارد . وهو قولهم (المطيرنا بك) أي

١٥ : الآية ١٥ من قصص نوح عليه السلام . ١٦ : الآية ١٦ من قصص نوح عليه السلام . ١٧ : الآية ١٧ من قصص نوح عليه السلام . ١٨ : الآية ١٨ من قصص نوح عليه السلام . ١٩ : الآية ١٩ من قصص نوح عليه السلام .

تدأنا بك لأن الذي يصيبنا من شدة وقطع نهر يشترك في شؤم من معك .

قال صاحب الكشف كان الرجل يخرج مسافراً فيس بطائر في حرة قال مر ساعاً ليمر وإن مر بارحاً تشاءمنا نسير الطير والشر إلى الطائر استعير ما كان تغير وانشر هو قدراته ونحوه . فأجاب صالح عليه السلام بقوله ( طائر عند الله ) أي السبب الذي منه يحيى ويميت ويحكم عدا الله وهو قضائه وقدره إن شاء رزقكم وإن شاء حرّمكم . وقيل بل المراد بإن شاء الله تعالى فعدكم عند الله وهو العقاب . والأقرب الوجه الأول لأن القوم أشاروا إلى الأمر الحاصل فيجب في جوابه أن يكون فيه لاقى غيره . ثم وإن هذا جهل منهم بقوله ( بل أنتم قوم تقتلون ) فيحتمل أن غيرهم دعاهم إلى هذا القول . ويحتمل أن يكون المراد أن الشيطان يغتكب بوسوسته . ثم إنه سبحانه قال ( وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ) والأقرب أن يكون المراد تسعة جمع إذ الظاهر من اللفظ الجماعة لا الواحد . ثم يحتمل أنهم كانوا قتل . ويحتمل أنهم دخلوا تحت السدة لا اختلاف صفتهم وأحوالهم للاختلاف السبب . فبين تعالى أنهم يفسدون في الأرض ولا يترجون ذلك العذاب . من الصلاح . فلها قال ( يفسدون في الأرض ولا يصلحون ) ثم بين تعالى أن من جملة ذلك ما هموا به من أمر صالح عليه السلام .

أما قوله ( فها هم بالله ) فيحتمل أن يكون أمراً أو خيراً أو محلاً لخال يفتخر به . أي قالوا متفامين . والبيان متابعة المدح لئلا .

أما قوله ( ثم لنفوزن ) لوليه ما شهدنا مهلك أهله ) حتى لو اتهمنا فوبه حشاهم أنما نخضر . وفري . مهلك يفتح الميم واللام وكسر الهمزة من هلك وذهب بضم الميم من أهلك . ويحتمل المصدر والمكان والزمان . ثم إنه سبحانه قال ( ومكروا مكراً ومكراً مكراً وهم لا يشعرون ) وقد احتجوا في مكرا لله تعالى على وجوه : ( أحدها ) أن مكرا الله إهلاكهم من حيث لا يشعرون . شبه بمكر المكركر على سبيل الاستعارة . روى أنه كان لصالح عليه السلام مسجد في الحجر في شعب بعضي فيه . فقالوا زعم صالح أنه يفرغ منا إلى ثلاث ففتح ففرغ منه . وس أهله قبل ثلاث فخرجوا إلى الشعب وقالوا إنا جاء بصلى قتلاه . ثم رجعنا إلى أهله فقتلناهم . فمكرا الله تعالى مخزاة غلبت الصخرة عليهم فلم انقلب فهلكوا . هلك الباقون بالصيحة ( وثانيها ) جاءوا بالخير سيوفهم وقد أرسل الله تعالى الفلائكة على دار صالح فدمروهم بالحجارة . يرون الأحجار ولا يرون رايها ( وثالثها ) أن الله تعالى أخبر صالحاً بمكرهم فخرج عنهم فمكرا الله تعالى في حجبهم .

أما قوله ( إنا دمرناهم ) استئناف . ومن قرأ بالفتح دمه بدلاً من الملقاة أو خبر متداً محذوف تقديره هي تدمرهم أو نصب على معنى لآنا أو على أنه خبر كان أي كان عاقبة مكروهم الدمار .

أما قوله ( عاقبة ) فهو حال عمل فيها ما دل عليه تلك : وقرأ عيسى بن عمر عاقبة بالرفع على خبر مبتدأ محذوف والله أعلم (١٦)

وَلَوْلَا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٦١﴾ أَهَسْكَرْتُمْ أَنْتُمْ  
الرِّجَالُ شُهُورَةً مِنَ الدُّونِ النِّسَاءُ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّجَاهِلُونَ ﴿٦٢﴾ فَبَكَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ  
إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ أَلَا لَوْ طَمَعْنَا فَرِيضَتَكُمْ مِنْ أَنْتُمْ أَنْتُمْ بَتَّعْتُمُوهُمْ ﴿٦٣﴾ فَأَجَابَتْهُ  
وَأَهْلُهُمْ : إِلَّا أَمْرًا نَعْمَ قَدَرْنَا مِنْهُ مِنَ الْغَيْرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنْظَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ  
الْمُنْذَرِينَ ﴿٦٥﴾

### ﴿المقصود الرابع - قصة لوط عليه السلام﴾

قوله تعالى : ﴿ولولا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون﴾ أشكر أنأتون الرجال  
شهوراً من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون . فبكان جواب قومه إلا أن قالوا أخْرِجُوا آلَ لُوطٍ  
مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ لَأَسْأَفُوهُ . فأجيباه وأهله إلا امرأته قدوة لها من الغيبرين . وأنظرنا عليهم  
مطراً فساء مطر المنذرين ﴿

قال صاحب الكشاف : وإذا ذكر لوطاً أو أريد امرأته بأبدلناه وأند أرسلنا عليه . وإذا بدل على  
الأول طرف على الثاني .

أما قوله ( أتأتون الفاحشة ) فهو نبي وجهه الشكر وإن كان بلفظ النفي فهمام وربما كان  
الترجيح ينش هذا اللفظ أبلغ .

أما قوله ( وأنتم تبصرون ) فعبارة وجوه ( أحدها ) أنهم كانوا لا يتعاضدون من إظهار ذلك  
على وجه الخلاعة ولا يتكاثرون وذلك أحدهما لاجله عظم ذلك الفعل منهم عندك في توبيخه لهم  
ماله عظم ذلك الفعل ( وثانيها ) أن الأفراد بصير القلب أي تدعون أنها فاحشة لم تسبقوا إليها وأن  
أفع تعالى لم يخاف المذكر فقد ذكر فهو مضادة في حكمته ( وثالثها ) تبصرون آثار العصاة فليكن  
ومارين بهم . فإن قال فسرت تبصرون بالمعنى وبعد بل أنتم قوم تجهلون فكيف يكونون عاكسين  
وحيلاً ؟ قال أراد تدعون فعل الجاهلين بأنها فاحشة مع عظيم بذلك أو تجهلون العاقبة أو أراد  
بالجمل استغفاه والجائفة التي كانوا عليها . ثم إنه مالى بين جهلهم بأن حكم عليهم أنهم أجابوا عن هذا  
الكلام بما لا يصلح أن يكون جواباً له فقال ( فبكان جواب قومه إلا أن قالوا أخْرِجُوا آلَ  
لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ لَأَسْأَفُوهُ ) جملوا الذي لاجله يخرجونهم من هذا الموضع  
الفاحش وهذا جواب توبيخهم وتضييعهم أول لكن في المفسرين من قال ( إنما قالوا ) ذلك على

قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ۗ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يَشْرِكُونَ ﴿٢٠٥﴾  
 أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ  
 بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنتَبِهُوا شَجَرَهَا ۚ أَوَلَمْ تَعْلَمْ مَعَ اللَّهِ يَلَىٰ هُمْ قَوْمٌ يَعِدِلُونُ ﴿٢٠٦﴾

وجه المزمع: ثم بين تعالى أنه تعالى وأهلها إلا امرأته وأهلك الباقين وقد تقدم كل ذلك متروكاً والله أعلم. وهذا آخر التخصيص في هذه السورة والله أعلم.

(القول في خطاب الله عز وجل مع محمد ﷺ)

قوله تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يَشْرِكُونَ﴾ في هذه الآية قولان (الأول) أنه منطلق بما فيه من التخصيص والمعنى المخرجه على إهلاكهم وسلام على عباده الذين اصطفى بأن أرسلهم ونحوهم (الثاني) أنه مبتدأ فإنه تعالى لما ذكر أحوال الأنبياء عليهم السلام وكان محمد ﷺ كالغالبين قبله في أمر العذاب لأن عذاب الاستئصال مرتفع عن قومه، أمره تعالى بأن يشكروا له على ما خصه بهذه النعم، وبأن يسم على الأنبياء عليهم السلام الذين صبروا على مشاق الرسالة.

وأما قوله (اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يَشْرِكُونَ) فهو تنكيح للعشركين ونحوهم بحالهم. وذلك أنهم آثروا عبادة الأصنام على عبادة الله تعالى، ولا يؤزر عاقل شيئاً على شيء إلا لزوماً خيراً ومنفعة، فقبل لهم هذا الكلام تنبيهاً على نهاية صلاحهم وجهلهم وقري، (يشركون) بالباء والنون، عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا قرأها قال: **يَلَىٰ اللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى وَأَجَلٌ وَأَكْرَمٌ**.

ثم اعلم أنه سبحانه وتعالى تكلم بعد ذلك في عدة فصول:

(الفصل الأول) في الرد على عبدة الأوثان، ومدار هذا الفصل على بيان أنه سبحانه وتعالى هو المطلق لاصول النعم والحرمان، فكيف نحسن عبادة ما لا منفعة منه البتة، ثم إنه سبحانه وتعالى ذكر أنواراً:

(المرجع الأول - ما يتعلق بالسماوات)

قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنتَبِهُوا شَجَرَهَا ۚ أَوَلَمْ تَعْلَمْ مَعَ اللَّهِ يَلَىٰ هُمْ قَوْمٌ يَعِدِلُونُ﴾ وفيه مسائل:

(المسألة الأولى) قال صاحب الكشف: الفرق بين أم وأم في (لما يشركون) و(أمن خلق) أن الأولى متصلة لأن المعنى أليها خير وهذه منقطعة بمعنى في، والحديقة البستان عليه سور من الإحداق وهو الإحاطة، وقيل (ذات) لأن المعنى جماعة حدائق ذات بهجة، كما يقال البستان ذهب

أَمْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًا وَجَعَلَ بَيْنَ

الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَمْ يَعْزِزْهُم بِأَلْأَمْرِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾

وانهجة الحسنة ، لأن النظر يشجع ، (أما مع الله) غيره يقرن به ويعمل شريكاً وتقرى (الجامع الله) بمعنى تدعون أو تتركون .

﴿ المسألة الثانية ﴾ : أنه تعالى بين أنه الذي اختصر بأن حاق السموات والأرض ، وجعل السماء مكاناً للسماء ، والأرض قناتاً . وذكر أعظم أنعم وهي الخلق ذات النية ، وبه ثبات على أن هذا الإنبات في الخلق لا يحد عليه إلا الله تعالى ، لأن أحداً لو قدر عليه لما احتاج إلى عرس ومصارعة على ظهور الثمر ، وإنما كان تعالى هو المختص بهذا الإنعام وجب أن يخص بالعبادة ، ثم قال (بل هم قوم بدلون) وقد اختلفوا فيه قليل يسئلون عن هذا الحق الظاهر وقيل ، يبدلون بآله سواء وتظهر هذه الآية أول سورة الإنعام .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ : يقال ما حكمة الالتفات في قوله (فأجبتا) ؟ جوابه أنه لاشبهة للعاقل في أن حاق السموات والأرض ومزل السماء من السماء ليس إلا الله تعالى ، وربما عرضت الشبهة في أن دبت الشجرة هو الإنسان ، فإن الإنسان يقول أنا الذي أتى بالقر في الأرض الحرمة واستفها الماء وأسمي في انقياسها ، وأعمل السبب فاعل السبب ، فإذا أنا الشئ للشجرة فلما كان هذا الاحتمال قائماً ، لا حرم أنزال هذا الاحتمال مرجع من لفظ النية إلى قوله (فأجبتا) وقال (ما كان لكم أن تنبتوا شجرهما) لأن الإنسان قد أتى بالقر والسق والكرب (١) والقسمين ثم لا بآي على وفق مراده والذي يسمع على وفق مراده فإنه يكون جاهلاً بضعفه ومقداره وكيفيته فكيف يكون داعلاً له ، فلهذه النكتة حس الالتفات هو .

( الترتيب الثاني - ما يتعلق بالأرض )

قوله تعالى : ﴿ أمن جعل الأرض قراراً وسمن خلائعها أنهاراً ورجل فيها رواسي وجعل بين البحرين حاجزاً أَلَمْ يَعْزِزْهُم بِأَلْأَمْرِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

قال صاحب التفسير ( أمن جعل ) وما بعده ، من ( أمن خلق ) فكان حكمها حكمه .  
واسم أنه تعالى ذكر من منافع الأرض أموراً أربعة .

( المنفعة الأولى ) كونها قراراً وذلك لوجوه ( الأولى ) أنه دحاها وسواها المستقرار ( الثاني ) أنه تعالى جعلها متوسطاً في الصلابة والرخاوة لطلب في الصلابة كالبحر الذي يأنم الإنسان بالاضطجاع عليه وليست في الرخاوة كالنار الذي يفرس فيه ( الثالث ) أنه تعالى جعلها كثيفة

تجراً ليستقر عليها النور ، ولو كانت لطيفة لما استقر النور عليها ، ولو لم يستقر النور عليها لصلوات من شدة بردها بحيث تحوت الحيرانات ( الرابع ) أنه سبحانه جعل الشمس بسبب ميل مدارها عن مدار منطقة الكل بحيث تبد تارة وغرب أخرى من تحت الرأس ، ولولا ذلك لما اختلفت الفصول ، ولما حصلت الاقانع ( الخامس ) أنه سبحانه ونعمت جعلها ساكنة فإنها لو كانت متحركة لكانت إما متحركة على الاسطوانة أو على الاستدارة ، وعلى التقديرين لا يحصل الارتفاع بالسكنى على الأرض ( السادس ) أنه سبحانه جعلها كفاً للأشياء والأموال وأنه يطرح عليها كل فيج ويخرج منها كل طبع .

( الموضع الثاني : الأرض ) قوله ( وجعل خلالها أنهاراً ) فاعلم أن أقسام المياه المنبثة من الأرض أربعة ( الأول ) ماء العيون السبالة وهي تنبعث من أبحرة كثيرة كثيرة المادة قوية الارتفاع تغمر الأرض قوة ، ثم لا يزال يستنقع جزء منها جزءاً ( الثاني ) ماء العيون الراكدة وهي تحدث من أبحرة بلغت من قوتها أن اندفعت إلى وجه الأرض ولم تبلغ من قوتها وكثرة مادتها أن يطردها سائماً ( الثالث ) مياه القنى والآبار وهي متولدة من أبحرة ناهضة القوة عن أن تنفق الأرض ، فإذا أزيل عن وجهها غل الغراب صادفت حينئذ تلك الأبحرة متفذاً تندفع إليه بأدى حركة ( الرابع ) مياه الآبار وهي نبعية كماء الآبار ، إلا أنه لم يجعل له ميل إلى موضع يسيل إليه ونسبة القنى إلى الآبار نسبة العيون السبالة إلى العيون الراكدة فقد ظهر أنه لولا صلاحية الأرض لما اجتمعت تلك الأبحرة في باطنها إذ لولا اجتماعها في باطنها لما حدثت هذه العيون في ظاهرها .

( الموضع الثالث : للأرض ) قوله ( وجعل لها رواسي ) والمراد منها الجبال ، فنقول أكثر العيون والسحب والمعدنيات إما تكون في الجبال أو فيها يقرب منها ، أما العيون فلأن الأرض إذا كانت رخوة وشفت الأبحرة منها فلا يتجمع منها قدر يستدبره ، فأن هذه الأبحرة لا يتجمع إلا في الأرض الصلبة والجبال أصلب الأرض ، فلا جرم كانت أفواها على حبس هذا البلبل حتى يتجمع ما يصلح أن يكون مادة للعيون ويشبه أن يكون مستقر للبلبل منقراً ماء ، ويكون الجبل في حقه الأبحرة مثل الأنبيئ الصلب المدد للتقطير لا بدع شيئاً من البخار يتحلل ونفس الأرض التي تحت كالقرفة والعيون كالآذانب والبخار كالغوازل ، ولذلك فإن أكثر العيون إنما تغمر من الجبال وأقلها في البراري ، وذلك الأقل لا يكون إلا إذا كانت الأرض صلبة . وأما أن أكثر السحب تكون في الجبال فمردوه ثلاثة ( أحدها ) أن في باطن الجبال من التناورات مما لا يكون في باطن الأرضين الرخوة ( وثانيها ) أن الجبال بسبب ارتفاعها أرد فلا جرم يبق على ظاهرها من الاندفاع ومن الثلج مما لا يبقى على ظهر سائر الأرضين ( وثالثها ) أن الأبحرة الصاعدة تكون محبوسة بالجبال فلا تنفرد ولا تتحلل ، وإذا ثبت ذلك ظهر أن أسباب كثرة السحب في الجبال أكثر لأن المادة فيها طاهرة وأعلى أكثر ، والارتفاع أشد والسحب المحلل وهو الحر أول ، ( ذلك كانت السحب في الجبال أكثر . وأما المعدنيات المتناوعة إلى أبحرة يكون اختلاطها بالأرضية أكثر

أَمِنْ حُجْبِ الْمُضْطَرِّ إِذَا دَعَا وَكَتِيفُ السَّوَى وَبِجَعْلِكَ خَلْقَاءَ الْأَرْضِ أَوْكًا

مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٦﴾

وإلى بقا هذه طريفة يتم تصحيحها مما لا شيء لها في هذا المعنى كالحبال .

في النسخة الرابعة للأثر في قوله ( وجعل بين البحرين حاجراً ) مالفه ورد منه أن لا يفسد العذب مالا احتياطاً ، وأيضاً فليفتح بذلك الحاجر . وأيضاً المؤمن في قلبه بحر الإيمان والحكمة وبحر العلمانيان والسوء وهو يتوهمه جعل بينهما حاجراً لكي لا يفسد أحدهما بالآخر . وقال ابن كثير في قوله : مرج البحرين يلتقيان . بينهما مرج لا يتقيان قال عند عدم النسي ( مرج منها التور والرجان ) ففسد عدم النسي في القلب يخرج الدين والإيمان بالشكر ، فإن قيل ولم جعل البحر ملحاً ؟ قلنا لا لا ملحته لاحتراقها ونفسه فساد أجود في الأرض وأحدث الوباء العام . وأعلم أن اختصاص البحر بحجاب من الأرض دون جانب البحر من وجه على الخلق أن البحر يتقل في مدة لا تضطرب التورج ليقوله من قرن إلى قرن لأن أشد داء البحر في الأكل من الأم . والأخبار تستند في الأكل من العيون . وقد جاء السبأ قال حدثنا في فضل دينه دون فضل من لا يعبون ولا مياه السبأ . نحن أن تشابه أحوالها في بقاء واحدة بأعبائها تشابه مستعراً فإن كثيراً من العيون يغور ، وكثيراً ما تخطئ السبأ فلا بد حبيطة من تصويب الأودية والآبار فمرحس بسبب ذلك تطرف حجار ، وإذا حدثت العيون من مناسبات آخر حدثت الآثار هناك تحدث البحر من تلك الحجاب . ثم أنه سبحانه لما بين أنه هو المختص بالعبادة على خلق الأرض التي فيها هذه المنافع الخفية وحجب أن يكون هو الغرض الإلهية . ومن بقوله تعالى ( من أكثر من لا يعقلون ) على تطالب جهنم بالذهاب عن هذا التفكير

في النوع الثالث ما يتعلق باحتياج الخلق إليه سبحانه )

قوله تعالى : ﴿ أَمِنْ حُجْبِ الْمُضْطَرِّ إِذَا دَعَا وَكَتِيفُ السَّوَى وَبِجَعْلِكَ خَلْقَاءَ الْأَرْضِ أَوْكًا مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾

أما أنه سبحانه به في هذه الآية على أمرين ( أحدهما ) قوله ( أمن بحجب المضطر إذا دعاه ) قال صاحب التفسير : الضرورة الخالة المحوكة إلى الالتجاء والاضطرار اقتضت منها : يقال اضطره إلى كذا أو فاعل والمفعول مضطر ، وأعلم أن المضطر هو الذي أحوجته مرض أو خطر أو غيره من بؤس أو زل أو قهر إلى التصريح إلى الله تعالى ، وعن السدي : الذي لا حول له ولا قوة . وقبل المذهب إذا استغفر ، فثبت قبل قد علم المضطر بقوة ( أمن بحجب المضطر إذا دعاه ) وكبر من مضطر يدعو فلا يحجب ( جوابه ) قد بينا في أسرار الفقه أن المفرد المعروف لا يفسد



أَمْسَ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَأَنْجَحِرْ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيحَ بِشْرًا بَيْنَ يَدَيَّ وَخَلْفِي  
أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣٧﴾

النعيم وإنما بعد المأجبة ط ، والحكم الكثير للداعية يكنى في هتفه تروى في فرد واحد من أفراد المأجبة . وأيضاً فهو تعالى وعند الاستعانة وفريد كراهه يستعجب في الخلق ، ونظام القول في شروط المأجبة ، والواجب المذكور في قوله تعالى ( وقال ربك لا تدعى أنتجت لكم ) الله ، فهو تعالى ( ويكشف السوء ) فهو كالمسير الاستعانة ، فهو لا يهدى أحد على كشف ما دمع إليه من قهريل غوى ومرص إلى جهة ، صين إلى جهة إلا القائد الذي لا يجهل وأخاه الذي لا يدع ( وأما ) قوله ( ويحكمكم خلقاً ) الأرض ( والمراد بوليتهم سكانها والتصرف فيها ) فربما به . فمن وأراد بالخلالة المظلمة والظلمة ، وقرى . ( يذكرون ) . الآية مع الإلحاح مع الإلحاح وبالخلق وما مزينة أي يذكرون تذكر أخطايا ، والمعنى في التذكير رغبة تستعمل في منسى . ( النوع الرابع ) ما يتعلق أيضاً باستيعاب الخلق وألكه ، ساحه خاصة في وقت خاص .

قوله تعالى : ﴿ أمس يهدىكم من ظلمات الليل والبحر ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمتي إله مع الله تعالى الله عما يشركون ﴾ .

اعلم أنه تعالى في هذه الآية على أمرين ( الأول ) قوله ( أمس يهدىكم ) والمراد يهديكم بالنعيم في الحياة والعلامات في الأرض إذا من الليل عليكم مسافرين في الليل والشمس ( الثاني ) قوله ( ومن يرسل الرياح ) فإنه سبحانه هو الذي يحرك الرياح فأنزل أمواجاً ثم تنسحب إلى حيث حيث يشاء ، فإن قيل لا نسلم أنه تعالى هو الذي يحرك الرياح ، فإن الفلاحة : قال الرياح إنما تنزل عن السطح وليس الشأن كله هو الجسم الأسود المرتفع من أسفلى السطح ، بل كل جسم أرضي يرتفع بتصفية الحرارة سواء كان الحرارة حرارة أشعة أو حرارة الشمس فهو دخان فالرأى وتولد الرياح من الأدخنة على وجهين أحدهما أكثرى ، والأخر أقل ، أما الأكثرى فهو أنه إذا صعدت أدخنة كثيرة إلى فوق فتمتد وصولها إلى الطبقة الباردة ، فإذا أنزل ينكسر حرها به ذلك الهواء ، أو لا ينكسر فإن انكسر فلا حمة ينقل ويحل فيحصل من رويها موج الهواء فتحدث الريح ، وإن لم ينكسر حرها بهود ذلك الهواء فلا بد وأن يتصل بعد ذلك أن يتصل إلى كرة شار المتحركة بحركة الفلك ، وحينئذ لا يمكن من التصعود بسبب حركة النار وتر مع تلك الأدخنة وتصير ريحاً ، لا يقال لو كان الهواء هذه الأدخنة بسبب حركة الهواء العالي لما كانت حركتها إلى أسفل بل إلى جهة حركة الهواء العالي لأنها تقول الجواب من وجهين ( أحدهما ) أنه رعا أو حب جهة صعود تلك الأدخنة وجهة لحرق المادة بها أن يتحرك إلى خلاف جهة الفتح

**أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ مِنْ رِزْقِكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَأَلَيْكَ مَعَ أَفَقٍ**

**قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢١﴾**

المنافع. كالسهم يصيب جسماً متحركاً فيه طرفة تارة إلى جهة إن كان الجالس كما يقدر على صرفه المتحرك عن متوجهه يقدر أيضاً على صرفه إلى جهة حركة نفسه وتارة إلى خلاف تلك الجهة إذا كان المقارن يقدر على الحبس ولا يقدر على الصرف (الثاني) أنه ربما كانت صعود بعض الأذخنة من تحت مانعاً للأذخنة الأخرى من فوق إلى أن يتسفل ذلك فلاجل هذا السبب يتحرك إلى سائر الجوارب ، واعلم أن لأهل الإسلام هنا مقامين (الأول) أن يتم الدلالة على فساد هذه اللغة برياه من وجهين (الأول) أن الأجزاء الدخانية أرضية فهي أسفل من الأجزاء البخارية الثانية ، ثم إن البخار لما يبرد ينزل على الخط المستقيم مطراً كالدهان لما يبرد فلماذا لم ينزل على الخط المستقيم بل ذهب عنه وبسرة ؟ (الثاني) أن حركة تلك الأجزاء إلى أسفل طبيعة وحركتها عنه وبسرة عوحدة والطبيعة أقوى من العرضية . وإنما لم يكن أقوى فلا أقل من المساواة ، ثم إن الريح عند حركتها عنه وبسرة ربما تقوى على قلع الأشجار وري الجدار بل الجبال ، فذلك الأجزاء الدخانية عند ما تحركت حركتها الطبيعية التي لها وهي الحركة إلى أسفل وجب أن تهدم السقف ، ولكننا نرى النبار الكثير ينزل من الهواء ويسقط على السقف ولا يحس بزواله هنالك عن أن يهتد فثبت فساد ما ذكره (المقام الثاني) حب أن الأمر كما ذكره ولكن الأسباب الفاعلية والتأثيرية لها مخلوقة لله سبحانه وتعالى ، فانه لا الشمس وتأثيرها في تعصيب الأبخرة والأذخنة ولولا طبقات الهواء ، لما حدثت هذه الأمور ، ومعلوم أن من وضع أسباباً فأدت إلى منافع عجيبة وحكم بالغة فذلك المراعض هو الذي فصل تلك المنافع ، فلي جمع الأحوال لابد من شهادة هذه الأمور على مدير حكمه واجب لذاته ، تحللاً لأسئلة المناجيات .

(الفرع الخامس - ما يتعلق بالحشر والنشر)

قوله تعالى: ﴿ **أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ، وَمَنْ رِزْقِكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَأَلَيْكَ مَعَ أَفَقٍ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٢﴾**

اعلم أنه تعالى لما عدد نعم الدنيا أتبع ذلك بنعم الآخرة بقوله ( **أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ** ) لأن نعم الآخرة بالثواب لا تتم إلا بالإعادة بعد الإنداء والإبلاغ إلى حد التكليف فقد تضمن الكلام كل هذه النعم ، وعلمهم أنها لا تتم إلا بالأرزاق فذلك قال ( **وَمَنْ رِزْقِكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ** ) ، ثم قال ( **أَلَيْسَ مَعَ أَفَقٍ** ) متكرراً لما هم عليه ، ثم بين بقوله ( **قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** ) أن لا رهان لكم فاذن م مطلقون ، وهذا يدل على أنه لابد في الدعوى من

قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ  
يَبْعَثُونَ ﴿٢١١﴾ بَلِ أَذْرَكَ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ بَلِ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلِ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ

﴿٢١١﴾

وعلى سائر التغليب . فإن قيل كيف قيل لهم ( أم من يمشي الخلق ثم يبعده ) وهم منكرون للإعادة ؟  
( جوابه ) كانوا مشغولين بالابتداء . ودلالة الابتداء على الإعادة دلالة ظاهرة قريبة . فلما كان الكلام  
مقروناً بالدلالة الظاهرة صاروا كأنهم لم يبين لهم عذر في الإنكار . وهذا آخر الدلائل المذكورة  
على كمال قدرة الله تعالى .

قوله تعالى : ﴿ قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان  
يبعثون . بل أذكرك عليهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون ﴾

اعلم أنه تعالى لما بين أنه المختص بالقدرة فكذلك بين أنه هو المختص بعلم الغيب . وإذا ثبت  
ذلك ثبت أنه هو الإله المعبود . لأن الإله هو الذي يصبح منه مجازاة من بشئ الثواب على  
على جه لا يلبس بأهل العقاب . فإن قيل الاستثناء حكمه إخراج ما يولاه لموجب أو لصح دعواه  
تحت المستثنى منه وذلك الآية هنا على استثناء الله سبحانه وتعالى عن في السموات والأرض  
فوجب كونه من في السموات والأرض وذلك يوجب كونه تعالى في المكان ( والجواب ) هذه  
الآية متروكة الظاهر لأن من قال إنه تعالى في المكان زعم أنه فرق السموات . ومن قال إنه ليس  
في مكان فقد زعمه عن كل الأكسنة . ثبت بالإجماع أنه تعالى ليس في السموات والأرض . فإذا  
وجب تأويله فنقول إنه تعالى من في السموات والأرض كما يقول المتكلمون : الله تعالى في كل  
مكان على معنى أن علمه في الأماكن كلها . لا يقال إن كونه في السموات والأرض مجاز وكونهم  
فيهن حقيقة وإرادة المتكلمين عبارة واحدة حقيقة ومجازاً غير جائزة . لأننا نقول كونهم في السموات  
والأرض . كما أنه حاصل حقيقة وهو حصول ذواتهم في الاحتمال فكذلك حاصل مجازاً . وهو  
كونهم عالمين بذلك الاحتمال فالحاصل هذه الآية على المعنى المجازي وهو أن يكون فيها بمعنى العلم  
دخل الرب سبحانه وتعالى والعيد فيه نصح الاستثناء .

أما قوله ( وما يشعرون ) فهو صفة لأهل السموات والأرض في أن يكون لهم علم الغيب  
وذكر في جملة الغيب على اليمين بقوله ( أيان يبعثون ) فأبان بمعنى متى وهي كلمة مركبة من أي  
والآن وهو الوقت ونرى . ( أيان ) بكسر الهمزة .

أما قوله ( بل أذكرك عليهم في الآخرة ) فاعلم أن كلام صاحب الكشف فيه مرتب على  
ثلاثة أمثلة :



وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيذًا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاءُنَا أَمْشَرُحُونَ ﴿٦٥﴾ لَقَدْ  
 وَعَدَنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٦﴾ قُلْ سِيرُوا  
 فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٧﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا  
 تَكُن فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٩﴾  
 قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٠﴾ وَإِنْ رَيْدَكَ لَتَدُو  
 تُضِلَّ عَلَى النَّاسِ وَلَنْ تَكُنَ أَكْثَرُهُمْ لَا يُسْكَرُونَ ﴿٧١﴾ وَإِنْ رَيْدَكَ لَيُعْلَمَنَّ مَا  
 تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا

فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٧٣﴾

قوله تعالى : وقال الذين كفروا لئن كنا لنرانا عبادا للعل  
 والآباء من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين : فوسعوا في الآرض واطلوا كيف كان عامة المجرمين  
 ولا حزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون . ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين . قل  
 عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون . وإن ريدك لدر فحصل على السوء والكل أكثرهم  
 لا يسكرون . وإن ريدك ليعلم . تسكن صدورهم وما يعلنون . وما من غائبة في السماء والأرض  
 إلا في كتاب مبين .

اعلم أنه سبحانه لم يسكنكم في حال انكساركم بعده في حال المعاد . وذلك لأن نيتك في  
 المعاد لا ابتداء إلا من الله في كمال القدرة . أو في كمال العلم . فبما نيت كونه تعالى  
 قادر على كل المستحبات . وحاشا كل القليلات . نيت أنه تعالى يسكنكم بغير أجر . بل كل  
 واحد من المكاتب عن أجزائه بغير غيره . ونيت أنه قادر على أن يبدل التركيب والهيئة أيها . وإذا  
 نيت إمكان ذلك منه صحة القول بأحضر . ولما بين الله تعالى عبود الأميين . وبما قرأه الآية  
 لا جرم لم يحكم في هذه الآية . بل في عدم أهم نهجوا من غير أجهاد أيها . وقد صاروا من أولي الضعف  
 فيه من وجهين : الأول : أنهم قوم (لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا) أي هذه كلامه كما قيل لما أخذ قول لمن

فأما : لم يظهر أنه أمرهم ذلك من أساطير الأولين يربطون ، إلا يصح من الآثار . من قبل ذكر  
هنا : لقد وعدنا هذا نحن وإبليس ، وفي آية أخرى : لقد وعدنا نحن وإبليس هذا . فإما الفرق ؟ قلنا  
القديم دليل على أن القديم هو القديم الأصلي وأن التكلام سبق لأجله . ثم إنه سبحانه لما كان  
قد بين الدلالة على حنين الأحياء . ومن الظاهر أن كل من أحاط به فقد عرف صحة الخبر والظن  
نبت أنهم أعرضوا عنه ولم يأملوه . وكان سبب ذلك الإعراض حب الدنيا وحب الرئاسة والجاه  
وعدم الاعتقاد للغير . لا يرم القصر على بيان أن الدنيا قانية زائلة فحال ( قل سيروا في الأرض  
فاستقروا كيف كان عاقبة المجرمين ) وفيه سؤالان :

( السؤال الأول ) لم لم يقل ( كيف كانت عاقبة المجرمين ) ؟ ( جوابه ) لأن تأنيدهم غير حقيق  
ولأن المعنى كيف كان أمرهم .

( السؤال الثاني ) لم لم يقل عاقبة الكافرين ؟ ( جوابه ) المرص أن يحصل التحويل لكل المصاة  
ثم إنه تعالى صرح رسوله على ما يتلوه من هؤلاء المكذاب فقال ( ولا تحزن عليهم ولا تشك في ضيق  
عذابهم ) ( جمع بين إله الله أنه يكفرهم وبين إزالة الحزن من جانبهم . وصار ذلك كالتمثيل  
بصرته عليهم وقوله ( ولا تشك في ضيق ) أي في حرج قلب هذا ضيق الشوق ضيقاً بالبعث  
والكسر والعنق تخفيف الضيق . ويحور أن يراد في أمر ضيق من محكوم ( الوجه الثاني ) المكافأة  
فولم ( متى هذا الوعد ) وقوله ( إن كنتم صادقين ) دل على أنهم ذكروا ذلك على سبيل التجربة  
فأجاب الله تعالى بقوله ( عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون ) وهو عذاب يوم  
يبدؤ . فزبدت الهم ثمة كيد كالباء في زولا تقوا ما يديكم ) أو نحن معنى فعل يتبدى باللام نحو  
دما لكم وأردف لكم . ومعناه تبعكم ولحقكم . وقرأ الأعرج ( ردف لكم ) بوزن ذهب ومها  
نحو . والكسر أنصح . ومها نجان :

( البحث الأول ) أن عسى ولعل في وعد الملوك . ووعيدهم يدلان على صدق الأمر .  
وإنما يمتون ذلك إظهاراً وقاراً . وأنهم لا يعجلون بالإنتقام لأنهم يأن عدوهم لا يعجزهم .  
فصل ذلك جرى وعد الله ووعده .

( الثالث ) أنه قد ثبت بالدلائل العقلية أن عذاب الحجاب أشد من عذاب النار . ولذلك  
قال ( كلا أنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ) ثم إنهم أصابوا الجميع : فقدم الحجاب على الجميع . ثم  
لهم كانوا محجوبين في الحال . فكان سبب العذاب بكماله حاصل . إلا أن الاستغفار بالله وبأهلها  
كالعائق عن إزالته ذلك الألم . كما أن العدو المحذور إذا مسه النار . فإن سبب الألم حاصل في  
الحال . لكنه لا يحصل شعور بذلك إلا في انقضاء العائق . فإذا زال العائق عظم الألم . فكذلك هنا  
إذا زال البدن عظم عذاب الحجاب . قوله سبحانه ( عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي  
تستعجلون ) يعني مقتضى له والمؤثر فيه حاصل . وتماه إنما يحصل بعد الموت . ثم إنه سبحانه بين

إِنْ هَذَا الْقُرْآنُ يَقْصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٣٥﴾  
وَأَنَّهُ هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٦﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ  
الْعَلِيمُ ﴿٣٧﴾ تَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٣٨﴾ إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا  
تَسْمِعُ الْأَعْمَى الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٣٩﴾ وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ  
إِنْ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٤٠﴾

الحبيب في ترك تعجيب المذنب حال (وإن ربك لذو فضل على الناس) والفضل الإحصاء، ومما أنه متفضل عليهم بتأخير العقوبة. وأكثرم لا يعرفون هذه النعمة ولا يشكرونها. وهذه الآية تجعل قول من قال إنه لا نعمة لله على الكفار. ثم بين سبحانه أنه مطلع على ما في قلوبهم فقال (وإن ربك ليطلع ما تكن صدورهم وما يعلنون) وهذا بحث عقلي، وهو أنه قد علم ما تكنه صدورهم على ما يعلنون من العلم. والسبب أن ما تكنه صدورهم هو الهواهي والنقصود، وهي أسباب لما يعلنون، وهي أفعال الجوارح، والعلم بالعلّة علة لعلل بالعلل، فهذا هو الحبيب في ذلك التعظيم، فري "تكن يقال كثفت الشيء" واكتته إذا سترته وأخفيه، يعني أنه تعالى يعلم ما يخفون وما يعلنون من عبادة الرسول ومكائدهم.

أما قوله (وما من غائبة) فقال صاحب الكشف: معنى الشيء الذي يغيب ويخفى غائبة وغائبة. وكانت الباء فيها بمنزلة في الغائبة والمغفوة والطبيعة والذبيحة والرية في أنها أسماء غير صفات، ويجوز أن يكونا صفتين وتأوّهما للبالغة كالرواية في قولهم: وهل للشاعر من رواية السوء. كأنه تعالى قال: وما من شيء شديد الغيرة والحقار، إلا وقد علمه الله تعالى وأحاط به، وأنت في اللوح المحفوظ والمبين الظاهر البين لمن ينظر فيه من الملائكة.

قوله تعالى: ﴿إِنْ هَذَا الْقُرْآنُ يَقْصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾. وإياه هدى ورحمة للمؤمنين. وإن ذاك يقضى بينهم بحكمه وهو العزيز العليم. فتوكل على الله إنك على الحق المبين، إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين، وما أنت بهادي العمى عن ضلالهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون ﴿٤٠﴾

اعلم أنه سبحانه لما ذكر تكلام في إثبات المداد والذباد، ذكر بعد ذلك ما يتعلق بالبرية، ولما كانت البعثة الكبرى في إثبات نعمة محمد ﷺ هو القرآن. لا يجرم بين الله تعالى أولاً كونه

مستجرة من وجوه (أسماء) بأن الأفاضل من الكفرة في القرآن مرفضة لما كانت مذكورة في التوراة والإنجيل مع العلم بأنه عليه الخلافة والسلام كان أمياً ، وأنه لم يخالف أحداً من الملوك ولم يتشغل قط بالإستعدادة وتسلّم . فإذن لا يكون ذلك إلا من قبل الله تعالى ، واعتبرا أفعال بعضهم أراد به ما اختلفوا فيه وتنازوا ، وقال آخرون أراد به ما حرقه بعضهم ، وقال بعضهم بل أراد به أحوار الأسياء ، والآن أنزل (وتأمله) قوله (وإنه يهدي ورحمة للذين) وألك لأن بعض الناس قال إنما تأملوا القرآن فوجدوا فيه من الدلائل العقلية على التوحيد والوحدانية والتوراة ونخرج صفات الله تعالى وبيننا نبوت جلاله ما لم يجد في شيء من الكتب ، ووجدنا ما فيه من الشرائع مطابقة معقول موافقة لما ، ووجدناه براء عن التناقض والتناقض ، فكان هدى ورحمة من هذه الجهات ووجدناه أقوى الشبهة فاصرة عن جمع كتاب على هذا الوجه ، ومننا أنه ليس إلا من عند الله تعالى ، فكان القرآن معجزاً من هذه الجهة (وتأمله) أنه هدى ورحمة للذين ، للوجه في القصص إلى حيث تجرّوا عن معارضته وذلك معجز ، شجّره تعالى بين كونه معجزاً دالاً على الرسالة ذكر مدته أمراً : (الآل) قوله (إن ربي يقص بهم بحكمه وهو العزيز العليم) والمراد أن القرآن وإن كان يقص عن بني إسرائيل أكثر الذي هم به يخفون ، لا تكسر لا تسكن أدت في فهمهم ، فإن ربي هو الذي يقص بهم ، أي من المصداق والمخطئ ، منهم ، وذلك كالمحرر للكفار فلذلك قال (وهو العزيز) أي القادر الذي لا يجمع النعم بما يحكم ولا يكون إلا الحق . فإن قيل القضا والحكم شيء ، وأسد محوله (يقص بحكمه) كقوله يقص يقصه ويحكم يحكمه (والجواب) أي قوله (يحكمه) أي يحكمه وهو عدل ، لأنه لا يقص إلا بالعدل ، أو أراد بحكمه ، ويدل عليه قراءة من قرأ بحكمه جمع حكمه (الثاني) أنه قد أتى امره بعد ظهور حجة رسالته بأن يتوكل على الله . ولا يفتقر إلى أحد ، أنه ، ويسرع في تشيئة مهادن الرسالة قلب قري ، فقال فتوكل على الله ، ثم على ذلك أمرين (أحدهما) قوله (إنك على الحق المبين) وفيه بيان أن الحق حقيق بصره الله تعالى وأنه لا يبدل (والثاني) قوله (إنك لا تسمع الحق) وإنما حس جعله حساً لا مراً بالتوكل ، وذلك لأن الإنسان ما دام يطمع في أحد أن يأخذ منه شيئاً فإنه لا يقوى عليه على إظهار مخالفته ، فإذا قطع طمعه عنه قوى قلبه على إظهار مخالفته ، فافهم سبحانه وتعالى قطع محمداً ﷺ عنهم بأن بينه أنهم كانوا في وكالهم وكانهم فلا يفهمون ولا يسمعون ولا يهتدون ولا يلتفتون إلى قوله من الدلائل : وهذا سبب لقوة طيه عليه الصلاة والسلام على إظهار الدين كما ينبغي ، فإن قيل ما معنى قوله (إذا ولو أحد برين) (جوابه) هو أنك عليه حال الإصم ، لأنه إذا تبع عن الداعي بأن تول عنه مدبراً كان أبعد عن إدراك صوت

أما قوله تعالى (إن نسمع إلا من يؤمن بآياتنا) فالعلمى ما يسمي إسماعيل إلا الذين علم الله أنهم يؤمنون بآياته ، أي يصدّقون بما نهم مسلمون ، أي يخلصون من قوله (بل من أسلم وجهه لله)



وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ  
 كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٤١﴾ وَيَوْمَ نَخْسِفُ مِنْ كُلِّ آيَةٍ فَوْجًا مِّمَّنْ يَكْذِبُ بِآيَاتِنَا  
 فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٤٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ أَكْذَبْتُمْ بِآيَاتِنَا وَلَمْ يُحِطُوا بِهَا عِلْبًا أَمْ ذَا  
 كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ لَا يَسْعَافُونَ ﴿٤٤﴾ أَلَمْ  
 يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا آلَآءَ لَيْسَ كُنُوفِهِمُ وَالنَّهَارَ مِصْرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ  
 يُؤْمِنُونَ ﴿٤٥﴾

يعني جعله سائفة تعالى خالصاً له ، والله أعلم .

قوله تعالى : ﴿٤١﴾ وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا  
 بآياتنا لا يوقنون ، ويوم نخسف من كل آية فوجاً ممن يكذب بآياتنا هم يوزعون . حتى إذا جازا  
 قال أكنتم بآياتي لم تحيطوا بها عداً لماذا كنتم تعملون ، ووقع القول عليهم بما ظنلوا فهم  
 لا ينطقون ، ألم يروا أننا جعلنا آلاءنا في أنفسهم ما كانوا يوقنون ، وفي ذلك آيات لقوم يوقنون ﴿٤٢﴾  
 اعلم أن الله تعالى بين يالده لائق القاطرة كمال القدرة وبكأن العلم . ثم فرع عليهم القول بذلك  
 الحضر ، ثم بين الوجه في كونه القرآن معصراً ، ثم فرع عليه نبوه محمد ﷺ ، ثم : الحكم الآن في  
 مقدمات قيام القيامة ، وإنما أخر تعالى الكلام في هذه الآيات عن إثبات نبوة ، ما أن هذه الآيات  
 لا يمكن معرفتها إلا بقول النبي مصداق وهذا هو النهاية في حادثة الله تعالى . واعلم أنه تعالى ذكر  
 ثارة ما يكون كالعلامة لقيام القيامة ، وثارة الآخر التي قطع عند قيام القيامة ، فذكر أولاً من  
 علامات القيامة دابة الأرض ، والناس تكلموا فيها من وراء أحدعها في مقدار جسمها . وفي  
 الحديث أن طولها سنون دراعاً ، وروي أيضاً أن رأسها تلعب السحاب . وعن أبي هريرة ما بين  
 قرنها فرسخ لفرأكب ، (و ثابها) في كيفية حلقها وروى أن لها أربع ألوانهم وزغب ورش و حناجر  
 وعن ابن جريج في وصفها : رأس ثور وعين حنظل وأذن فيل وقرن أسد وصور أسد وتكون بر  
 وخامسة غرة وذنب كبش وخف امرؤ (و ثالثاً) في كيفية خروجها عن علي عنه "السلام أنها  
 تخرج ثلاثة أيام والناس ينظرون فلا يخرج إلا ثابها . وعن الحسن : لا يتم خروجها إلا بعد ثلاثة  
 أيام (ورابعاً) في موضع خروجها وسئل النبي ﷺ من أين تخرج الدابة ؟ فقال من أعظم المساجد

حرمة على الله تعالى المسجد الحرام ، وقيل تخرج من الصفا فتكلمهم بالعربية ( وخاسمها ) في تعدد خروجها . فروى أنها تخرج ثلاث مرات ، تخرج بأقصى النهر ، ثم تكثر ، ثم تخرج بالبادية ، ثم تكمن دهرأ طويلا ، فبين الناس في أعظم المساجد حرمة وأكرمها على الله فأبوهم ( إلا خروجها من بين الركبتين ) هذا دار بني عزم عن بين المأزج من المسجد . ثم يرون ونوم يفتقون . ( واعلم ) أنه لا دلائل في الكتاب على شيء من هذه الأمور . قال صح الخبر فيه عن الرسول ﷺ قبل ولا لم يثبت إليه .

أما قوله تعالى ( وإذا وقع القول عليهم ) فالمراد من القول شملته وهو ما وعدوا به من قيام الساعة ووقوعه حصوله . والمراد مشاركة الساعة وظهور أثراتها . أما دابة الأرض فقد عرفنا . وأما قوله ( تكلمهم ) فمضى تكلمهم من الكلام وهو الجرح . وروى أن الدابة تخرج من الصفا ومما عصا موسى عليه السلام وعلمت سبلان . فتضرب المؤمن بين عبده وبهائم ومن عليه السلام فتكثرت سكتة يضاء فتمشوا تلك السكتة في وجهه حتى يضي لها وجهه ، وتكثرت الكافر في أنفه فتمشوا السكتة حتى يسود لها وجهه . واعلم أنه يجوز أن يكون تكلمهم من الكلام أيضا على معنى التذكير يقال فلان مكل . أي يجرح . وقرأ أن تكلمهم . وقرأ ابن مسعود تكلمهم بأن الناس ، والقرآن أن مسورة حكاية لقول الدابة ذلك ، أو هي حكاية لقول الله تعالى من به أنه أخرج النجاسة هذه البلية . فإن قيل إذا كانت حكاية لقول الدابة فكيف يقول بآياتها ؟ ( جوابه ) أن قولها حكاية لقول الله تعالى . أو على معنى آيات ربنا ، أو لاحتصاصها بآية تعالى أضافت آيات الله إلى نفسها ، كما يقول بعض خاصة أمك خيلنا ولعلنا . وإنما هي غيل مرلاه وبلاعه . ومن قرأ بالفتح قبل حذف الجار . أي تكلمهم بأن الله ليس كانوا بآياتنا لا يرفقون .

وأما قوله ( يوم نحشر من كل أمة فوجا من يكذب بآياتنا ) فاعلم أن هذا من الأمور الراقعة بعد قيام الساعة ، فالعرف بين من الأول والثانية . أن الأول للبيد ، والثانية للثبوت كقوله ( من الأول والثاني ) .

أما قوله ( فم ) ( يوم يوزعون ) معناه يحبس أولهم على آخرهم حتى يحشروا فيكذبوا في السار . وهذه عبارة عن كثرة العدد وتعدد أطرافه . كما وصفت جنود سليمان بذلك وقوله ( حتى إذا جازوا قال أ كذبتم بآياتي ) فهذا وإن احتمل معجرات الرسل كما قاله بعضهم . فالمراد كل الآيات فيدخل فيه سائر الكفار الذين كذبوا بآيات الله أجمع أو بشيء منها .

أما قوله ( ولم نحضر بها علما ) فالمراد بالحال كأنه قال أ كذبتم بها . أي الرأى من غير فكر ولا نظر يؤدي إلى إحاطة العلم بكنهها .

أما قوله ( أملاذا كنتم تعملون ) فالمراد بالعلم استغلوا بذلك النسل المهم . فأى شيء كنتم تعملونه بعد ذلك كأنه قال كل عمل سواه فكانه ليس بعمل . ثم قال ( ووقع القول عليهم ) يريد أن

وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتُزْعَمَنَّ فِي السَّمَكَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ

شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَنْوَةٍ ذَاتِ حَرْنٍ ﴿٥٧﴾

العذاب الموعود يشاهم بسبب تكديهم بأبواب الله فيشاهم عن النطق والإعتدال كقولهم : هذا يوم لا ينطقون (ثم إنه سبحانه يمد أن خوفهم بأحوال تبعية ذكر كلامه يصلح أن يكون دليلاً على التوحيد وعلى الحشر وعلى السورة معلقة في الإرشاد إلى الإيمان والمخلص من الكفر ههنا (ثم رواه أنا جملنا التفسير لئلا يكونوا في النهار مبصرين) أما وجه دلالة على التوحيد فلما صار في القول أن الخطيب من الصور إلى الطلقة ، ومن الطلقة إلى النور ، لا يحصل إلا بقدرته قاهرة عالية . وأما وجه دلالة على الحشر فلأنه لما ثبت قدرته تعالى في هذه الصورة على القلب من النور إلى الطلقة وبالعكس . فأي امتناع في ثبوت قدرته على القلب من الحياة إلى الموت مرة . ومن الموت إلى الحياة أخرى . وأما وجه دلالة على النبوة فلأنه تعالى يخلق ما يشاء من الملائكة والطوائف المذمومة ، وفي قصة الأنبياء والمرسل إلى خلق منافع عظيمة . فإلا ما منع من بعثهم إلى الخلق لأجل تحصيل تلك المنافع ؛ فقد ثبت أن هذه الكلمة أو أحدها كافية في إقامة الدلالة على تصحيح الأصول الثلاثة التي منها يفتقد كفرهم واستحقاقهم العذاب . ثم في الآية سبب الإتيان :

(سؤال الأول) ما السبب في أن جعل الإبرار في النار وهو لأهله؟ (جوابه) تبعاً على حال هذه الصفة فيه .

(سؤال الثاني) لما قال : جعل لكل الليل لئلا يكونوا فيه (ثم لم يجعل والتهديد لتصوراته) ؟ (جوابه) لأن الكون في الليل هو المقصود من الليل . وأما الإبرار في النهار فليس هو المقصود بل هو وسيلة إلى جانب المنافع الدينية والدنيوية .

وأما قوله : (إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) خص المؤمنين بالذكر ، وإن كانت أدلة لكل من حيث الاختصاص بالقول والافتتاح على ما تقدم في نقاشه .

قوله تعالى : وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتُزْعَمَنَّ فِي السَّمَكَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَنْوَةٍ ذَاتِ حَرْنٍ ﴿٥٧﴾ .

اعلم أن هذا هو الدلالة الثانية لقيام الضميمة .

أما قوله (ويوم ينفخ في الصور) ففيه وجوه : (أحدها) أنه تعالى شيعه بالقرآن ، وأن إسرائيل عليه السلام ينفخ فيه بأذن الله تعالى ، فإذا سمع الناس ذلك الصوت وهو في القعدة بحيث لا غفلة طلائعهم يزعجون عنده ويصفقون ويحيون . وهو كقوله تعالى (فإذا نفخ في الصور) وهذا قول الأكثرين (وثانيها) يجوز أن يكون تحيلاً له . فلو أن حرد جهنم من قبورهم كروج الجيش

وَرَى الْجِبَالِ نَحْسَهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَضَ  
كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٥٥﴾

مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ﴿٥٦﴾ وَمَنْ جَاءَ

عند حجاج صوت الأنة ( والثابت أن الدور جمع الصور و حملوا المنصع بها بفتح الـ و والاول  
أورب لدلالة الظاهر عليه ولا مانع من معناه .

أما قوله ( تَمُرُّ مَرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَمِنْ فِي الْأَرْضِ ) فاعلم أنه إنما قال فزع ولم يقل فزع  
للاستعمال بتحقيق الفزع وتوحيده . وأنه كائن لا علة لأن العمل المتماضي يدل على وجود الفعل وكونه  
مفعولاً به والمراد فزعهم عند النفخة الأولى .

أما قوله ( إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ) فالمراد لا من ثبت الله قلبه من الملائكة فالمراد هم جبريل وميكائيل  
وإسرافيل . وملك الموت . وقيل : شهداء . وعنى المنصعك الحور وحزنه أشد وحلة العرش . وعن  
سائر مفسريهم أنهم لأنه صنف مرة ومثله قوله تعالى ( وتقع في الصور فزعهم من في السموات ومن  
في الأرض إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ) وليس فيه غير مقطوع . والكتاب إنما يدل على الجملة .

أما قوله ( وكل أنوفه داعرين ) فمضى أنوفه وأنادر غرين ودارس فاعلم على المعنى وأنه جيد  
على القفظ والمباخر والداعر الضائر . وقيل معنى الإتيان حضورهم الموقف بعد النفخة الثانية .  
ويحوز أن يراك جوعهم إلى أمر الله وأضيادهم له .

قوله تعالى : ﴿ وَرَى الْجِبَالِ نَحْسَهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَضَ كُلَّ شَيْءٍ  
بِهِ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ .

اعلم أن هذا هو التلاوة الثالثة لقيام القيامة وحمل نسيم الجبال . والوجه في حجابهم أنها جامدة  
فلأن الأجسام السكاوير إذا تحركت حركة سريعة على نهج واحد في سمت والكيفية عن الناظر  
بها أها والوجه مع أنها تمر مر حثيثاً .

أما قوله ( صُنِعَ اللَّهُ ) فهو من المصادر المؤكدة كقوله ( وعد الله ) و ( صيغة الله ) لأن مؤكده  
يختلف وهو المناسب ليوم بفتح . والمعنى أنه لما قدم ذكر هذه الأمور التي لا يقدر عليها سواه  
جعل هذا الصنيع من جملة الأشياء التي أعجزها وأقربها على الحكمة والصواب قال الفاضل عبد الجبار  
فيه . لأنه على أنه الصانع ليست من خلقه وإلا وجب وصفها بأنها متفنة ولكن الإجماع مانع منه  
( والجواب ) أن الإنفاق لا يحصل إلا في المركبات فيجتمع وصف الأعراض بها والله أعلم .

قوله تعالى : ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ﴾ ومن جاء بالمعصية فكيف

بِالنَّسِيئَةِ فَنُكِبَتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ

وجوههم في النار هل يجزون إلا ما كنتم تعملون .

اعلم أنه تعالى لما نكس في علامات القيامة شرح بعد ذلك أحوال المكلفين بعد قيام القيامة والمكاتب إما أن يكون معيباً أو عاصياً ، أما المضع فهو الذي جاء بالحسنة وله أمران ( أحدهما ) أن له ما هو خير منها وذلك هو الثواب ، فإن قيل الحسنة التي جاء بها فبماذا بدخل فيها معرفة الله تعالى والإخلاص في الطاعات والثواب ، إنما هو الأكل والشرب فكيف يجوز أن يقال الأكل والشرب خير من معرفة الله (جوابه) من وجوه : ( أحدها ) أن ثواب المعرفة النظرية الحاصلة في الدنيا هي المعرفة الضرورية الحاصلة في الآخرة ، ولذا النظر إلى وجهه الكريم سبحانه وتعالى ، وقد دلت الأدلة على أن أشرف السعادات هي عنه المنة ، ولو لم تحصل الآية على ذلك لزم أن يكون الأكل والشرب خيراً من معرفة الله تعالى وأنه باطل ( وثالثها ) أن الثواب خير من العمل من حيث إن الثواب دائم والعمل مفضى ولأن العمل فعل القصد ، والثواب فعل الله تعالى ( وثالثها ) أنه خير منها ( أي له خير حاصل من جهتها وهو الجنة .

( السؤال الثاني ) الحسنة لفظ مفردة معرفة . وقد ثبت أنها لا تعيد للمعصية بل يكفي في نفعها حصول فرد ، وإذا كان كذلك فمنحسناً على أكل الحسنات شاةً وأغلاها درجة وهو الإيمان ، فهذا قال ابن عباس من أفراد الحسنة كلمة الشهادة . وهذا يرجع انفعاً بأن لا يضاف أهل الإيمان ( وجوابه ) ذلك الخبر هو أن لا يكون عقابه محضاً ( الأمر الثاني ) أنه ملحق هو أنهم آمنون من كل فرع ، لا كما قال بعضهم إن أحوال القيامة هم المؤمن والكافر ، فإن قيل ليس أنه تعالى قال في أول الآية ( فخرج من في السموات ومن في الأرض ) فكيف بي الفرع هنا ( جوابه ) أن الفرع الأول هو ألا يظلمه أحد عند الإحساس لشدة نفع وهو نفعاً من رعب وهيبه وإن كان المحسن يأمن وحصول ذلك الضرر إليه لا قبل ، يدخل الرجل بصدر هيب وقلب وجاب ، وإن كانت ساعة إعرار وشكره ، وأما الثاني فالخوف من العذاب ، أما فراده من فراس فرع بالتوحيث فهو تحصيل متين من فرع واحد وهو خوف العذاب ، وأما ما يلحق الإنسان من الحية والرعب عند مشاهدة الأوهال فلا يفتك منه أحد ، وفي الاعتبار ما يدل عليه ، ومن فرع شديد مغرط الشدة لا يكتفه الوصف ، وهو خوف النار وأمن بسدى الجدار ونفسه كقوله تعالى ( أأمنوا ) مكران فلا يأمن مكر الله ( فهذا شرح حال الظالمين ، أما شرح حال العصاة فهو قوله ( ومن جاء بالحسنة ) فبالحسنة الإتيان ( فكيث وجوههم في النار ) فاعلم أنه يبر عن الجنة بالتوجه والرأس والرافية فكانه قيل فكجوا في النار كقوله ( فكجكوا ) ويجوز أن يكون ذكر الوجوه إيداعاً بأنهم يلقون على وجوههم فيها مكبوبين .

إِنَّمَا أَمَرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّتِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَإِنَّمَرْتُ  
 أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ الَّذِي أُحْيِي بِهِ الْأَمْيَاتَ فَمِنَّمَا يَهْتَدِي  
 لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ قَبْلُ إِنَّمَا أَتَانِ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ  
 عَائِشَةُ فَتَمَرُّ قَوْلَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٣٨﴾

أما قوله (هل تجزون إلا ما كنتم تعملون) يجوز فيه الانقلاط ، وحكاية ما يقال لهم عند  
 الكذب بإظهار القول .

قوله تعالى : إنا إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة التي حرّمها وله كل شيء . وأمرت أن أكون  
 من المسلمين . وأن أتلو القرآن في أهدى فأنما يهتدى لنفسه ومن ضلّ قبل (إنا أنا من المنذرين ،  
 وفل الحمد لله سبّحكم آياته فتمرّ قَوْلَهَا وما ربك بغافل عما تعملون ) .

اعلم أنه سبحانه وتعالى لما بين المبدأ والنهاية والبدء والسيور ومقدمات القيامة وصفة أهل القيامة  
 من ذنوب والمعاصي ، وذلك كإي ما يتعلق ببيان أصول الدين ختم الكلام بهذه الحائفة الشريفة  
 فقال : قل يا محمد إني أمرت بأشياء (الآل) أي أمرت أن أحصر الله وحده بالعبادة ولا تأخذ  
 له شريكاً ، وأن الله تعالى لما قدم الدلائل التوحيد فكانه امر محمد بأن يقول لهم هذه الدلائل  
 التي ذكرتها لكم إن لم تفعلوا لكم تقولوا بالتوحيد فقد أهدت ل ذلك مسوا قبلتم هذه الدعوة أو  
 أعرضتم عنها . فإني مصر عينا غير مرغاب فيها . ثم إنه وصف الله تعالى بأمرين (أحدهما) أنه رب  
 هذه البلدة والمراد مكة وإسمها اختصها من بين سائر البلاد بإضافة اسم إليها لأنها أحب بلاد  
 إليه وأكرمها عليه وأشار إليها إشارة تعظيم لها دالا على أنها موضع نبيه ومبسط وجهه .

أما قوله (التي حرّمها) ففري التي حرّمها . وإنما وصفها بالنعيم لوجوه (أحدها) أنه  
 حرم فيها أشياء على من يعج (وثانيها) أن اللاحي إليها آمن (وثالثها) لا يهلك حرّمها إلا ظالم  
 ولا يفسد غيرها ولا يفسد حبيدها وإنما ذكر ذلك لأن العرب كانوا معترفين بكون مكة حرمة  
 وعلموا أن تلك القضية ليست من الأصنام بل من الله تعالى ، فكانه قال لما علمت وعلمت أنه  
 سبحانه هو المشرى لهذه النعم واجب على أن أخصه بالعبادة (وثانيها) وصف الله تعالى بقوله (وله  
 كل شيء) وهذا إشارة إلى ما تقدم من الدلائل المذكورة في هذه السورة على التوحيد من كونه  
 تعالى خالقاً لجميع النعم فأجل هنا تلك المقدمات ، وهذا كمن أراد صفة بعض الملوك بالقوة  
 فيعد تلك التفاصيل ثم بعد الشواويل يقول إنه كل العالم له وكل الناس في طاعته (الثاني) أمر بأن يكون

من المسلمين (الثالث) أمر بأن يتلو القرآن عليهم ، ولقد قام بكل ذلك صلوات الله عليه آثم قام من  
الهندى في هذه المسائل الثلاث المتقدمة وهو التوحيد والخير والبر ( فانما يهتدى لنفسه ) أى  
منفعة لعباده راحة إليه ( ومن ضل ) فلا على وما أنا إلا رسول منذر ، ثم إنه سبحانه ختم هذه  
[السورة] بخاتمة في نهاية الحسن وهي قوله ( وقل الحمد لله ) على ما أعطاني من نعمة العلم والحكمة  
والنبوة أو على ما وفقني من الغيام لأداء الرسالة وبالإنذار ( سيدكم آياته ) القاهرة ( تنصرفون بها )  
لشكر حين لا ينفعكم الإيمان ( وما ربك بغافل عما تعملون ) لأنه من وراء جزاء العاملين . والله أعلم

تم تفسير السورة والحمد لله رب العالمين ، وصلاته على سيدنا محمد وآله الأئمة

وعلى آله وصحبه أجمعين وعلى أزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين .

والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين

(٢٨) سُورَةُ الْقَصَصِ نَكِيَّةٌ  
وَأَنبَأَ الْهَامِلَانِ وَتَنَبَّأَتَا

نَكِيَّةٌ كَمَا إِذَا قُلْنَا الَّذِينَ آمَنُوا بِالْكِتَابِ مِنْ قَبْلِهِ ثُمَّ بِهِ يُوْمَنُونَ - بَلَى قُوَّةٌ - لَا يَشْفِي  
الْمُجْرِمِينَ - وَقُلْ لَا آيَةَ وَهِيَ (إِنْ لَمْ يَرْضَ عَلَيْكَ تَعْرَافُ) الْآيَةُ وَهِيَ سَجْدَةُ  
أَوْ تُحْسِنُ وَتُؤْمِنُونَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَدَ ① تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ أَنزَلْنَاهُ عَلَيْكَ مِنْ تَبَرُّقَاتٍ مُوَسَّيَةٍ  
وَقُرْعَانٍ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ② إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَهَا شَيْعًا  
يَسْتَضِيعُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يَذِخُّهُ أَيْنَ لَهُمْ وَنَنصَحِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُمْ مُكْسِدِينَ  
③ وَزُرِّيذُ أَنْ تَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَاعُوا فِي الْأَرْضِ وَتَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَتَجْعَلَهُمُ  
الْأَوَّلِينَ ④ وَنَعَسَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَزُرِّي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا  
كَانُوا يَحْتَدِرُونَ ⑤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَدَ - تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْكِتَابِ، تَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ تَبَرُّقَاتٍ مُوَسَّيَةٍ وَزُرِّيذُ - فُلُوقُ الْقَوْمِ يُؤْمِنُونَ،  
إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَهَا شَيْعًا يَسْتَضِيعُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يَذِخُّهُ أَيْنَ لَهُمْ وَنَنصَحِي نِسَاءَهُمْ  
إِنَّهُمْ مُكْسِدِينَ - وَزُرِّيذُ أَنْ تَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَاعُوا فِي الْأَرْضِ وَتَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَتَجْعَلَهُمُ  
الْأَوَّلِينَ - وَنَعَسَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَزُرِّي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْتَدِرُونَ  
اعلم أن قوله تعالى (طَسَدَ) كسائر العوابع وقد تقدم القول فيها (وذلك) إشارة إلى آيات  
السورة (والكتاب المبين) هو إما التوراة وإما الكتاب الذي وعدناه بزيادته على عهد موسى عليه  
عليه وسلم فبين أن آيات هذه السورة هي آيات ذلك الكتاب ووصفه بأنه مبين لأنه بين فيه  
الحلال والحرام، أو لأنه بين بفضاحته أنه من كلام الله دون كلام العباد، أو لأنه بين صدق بوعد  
عهدنا بزيادة بين حبر الأولين والآخرين، أو لأنه بين كيف انتخلص عن شبهات أهل الضلال.



أما قوله تعالى ( قل عنيك ) أي على إسماعيل عليه السلام لأنه كان نوحاً على محمد حتى يحفظه ، وقوله ( من أنتم موسى وفرعون ) فهو مفعول ( قل عنيك ) أي أنت عنيك مني سرهما بالحق محققين ، كقوله ( تبنت طائفه ) وقوله ( قوم يؤمنون ) وبه وجهان ( أحدهما ) أنه تعالى قد أراد بذلك من لا يؤمن أيضاً لاختلافه حسب المؤمنين ، ولذا ذكر الأهم طويلاً ، وانضموا فهو كفوفه ( هدى للنفوس ) ، ( ولأنه ) يعتدل أنه تعالى علم أن الإصلاح في تفرقه هو إلى ما هم ، ولذا كونه لإرادته لم لا يؤمن كلهم ، فونه تعالى ( لم فرعون على في الأرض ) فريء فرعون بصره ما وكبرها ، والكبر أحسن وهو كالقضاة والقسطن ( إلا ) المنكر ونفسه ، تنفيضه ، وهي والمراد به قوة الملك ، وهو في الأرض يعني آص منكم ، ثم فصل الله تعالى بعض ذلك بقوله ( وحمل أهلها شيئاً ) أي فرعون يشبهونه على ما تريد ، بطريقه لأنك أحد منهم بحضرة أو يشبه بعضهم بعضاً ، استخدمه أو أصحافاً في استخدامه أو فرقة عذابه قد ألقى بهم العداوة ليذكرنا أنه أنشراح أو المراد أسرهم قوله ( يستضعف طائفة منهم ) أي يستعصمهم ، ويذبح أسرارهم ، ويسعى فسارهم ، فهذا هو المراد بالضعف ، فونه ( يستضعف طائفة منهم ) تلك الطائفة من إسرائيل ، وهي حسب ذبح الأبناء ، وجود ( أحدهما ) أن كاهناً قال له يولد مولود في بني إسرائيل في الله كذا ذهب ملكك على يده ، فوله تلك الليلة الساعة غلاماً ضلهم ، وعند أكثر المفسرين في هذا الحديث في بني إسرائيل حين كثيرة ، قال وهب قتل القبط في طلب موسى عليه السلام تسعين ألفاً من بني إسرائيل ، قال بعضهم في هذا دليل على حق فرعون ، فإنه إن صدق الكهان لم يذبح القتل الكبار وإن كذب فواجه القتل ؟ وهذا السؤال قد يذكر في تعريف علم الأحكام من علم النجوم ، وما يقوله ما يقوله نفاة التكليف إن كان زيد في علم الله وفي قضائه من السعداء فلا حاجة إلى طاعة ، وإن كان من الأتقياء فلا طاعة في الطاعة ، ثم أيضاً فهذا السؤال لمرشح لطلب علم التعمير ونفعته ، وأيضاً أغوار النجوم أن النجوم ذات على أنه جرم ولا لم يقتل أصار كذا وكذا ، وعلى هذا التقدير لا يكون السعي في قتله عبثاً .

واعلم أن هذا الوجه عتيق لأن إسماعيل مثل هذا الخبر إلى الكهان اعتراف بأنه قد عثر عن الغيب على سبيل التفصيل ، ولو جوزناه لطلعت دلالة الإخبار عن الغيب على صدق الرسل وهو راجع للمسلمين بأهل ( وثانيها ) وهو قول السدي أن فرعون رأى في منامه أن ناراً أقلت من بيت المقدس واشتمت على مصر فأحرق القبط دون بني إسرائيل فقال عن رؤياه فقالوا يخرج من هذا البلد الذي جاء هو إسرائيل منه رجل يكون على يده هلاك مصر ، فأمر بقتل الذكور ( وثالثها ) أن الإنجيل الذين كانوا قبل موسى عليه السلام بشروا بتبعه وفرعون كان قد سمع ذلك فلما كان يذبح أبناء بني إسرائيل ، وهذا الوجه هو الأول بالقول ، قال صاحب الكتف : ( يستضعف ) حال من الضمير في وجعل أو صفة تشبهاً ، أو كلام مستأنف ، أو ( يذبح ) بدل من ( يستضعف )

وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلَيْهِ فِي السَّيِّئِ وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠﴾ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِلِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَتْ أُمُّ مُوسَىٰ قُرَيْشٌ فُرْتُ عَلَيْكَ وَلَكَّ لَا تَأْتِيَنَّهُ عَمِيَّ أَنْ يَنْفَعَا أَوْ تَغْدُرَ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٢﴾

وأوله (إليه كان من المومنين) يدل على أن ذلك الفئس ما حصل منه بالإتصاف ، وأنه لا أثر له في دفع خصه الله تعالى .

أما قوله (أوريد أن من) هو صيغة معطوفة على قوله (إن فرعون علا في الأرض) لأنها خبر في ذلك وهو عما تفسيرا لأمر موسى عليه السلام وفرعون واتصافاً له ، واللفظ في قوله (أوريد) الاستعجال ، ولكن أريد به حكاية حال عاضية ويجوز أن يكون حالاً من (يستضعف) أي يستضعف فرعون ومعه ريد أن من تأليم ، فإنه قيل كيف يستضعف استضعفهم وإرادته الله تعالى لهم عليهم ، وإنما أراد الله شيئاً كان ولم يتوصل إلى وقت أسرته فقام لما كان منه الله عليهم بتخليصهم من فرعون فريده الوقوع حصلت إرادته وقربها كأنها مقارة لاستضعفهم .

أما قوله (وأخذه) أي مقبضين في اليد والمعنى مجاهد دناؤه إلى الخير وعن قتادة رلاه كفراً (وجعلكم ملوكاً) (ونجسهم الزانية) يعني ملوك فرعون وأرضه وما في يده .

أما قوله (ونجسهم في الأرض) فاعلم أنه يقال مكَّن له إذا جعل له مكاناً يقعد عليه فوطئه ومده . وظفه أرضه ، بمعنى الجحش لم في الأرض وهي أرض مصر والتمام أن يبعد أكرم وخصه الله بهم وقوه (وآمرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) (ويرى فرعون وهامان وجنودهما) أي يرون منهم ما كانوا يخافون منه من ظفاهم ملكهم وهلاكهم على ما مولود يورس إسرائيل .

قوله تعالى : وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فإذا خفت عليه فألَيْهِ في السَّيِّئِ وَلَا تَحْزَنِي وَلَا تَحْزَنِي (إرادته ذلك وجاعلوه من المرسلين) فالتمطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطلين . وقالت أم موسى لرب عيني ليؤتلك لا تأخذ ولدك .

اعلم أنه تعالى لما قال (وورثه أن بن علي الذين) ابتداء بذكر أوائل نسبه في هذا الباب بقوله (وأوحينا إلى أم موسى) والكلام في هذا الرمي ذكرناه في سورة طه في قوله (ولمجد ما عليك مرة أخرى ، إذا أوحينا إلى أمك ما يوحى) وقوله (أن أرحمهم) كالدلالة على أم الأرملة وليس في القوم حد ذلك ، فإذا ضمت عليه أن يخطئ به حبرك وبسمه من صوته عند البكاء ، فأنتبه في ألم قال ابن جريج : إنه صد أربعة أشهر صاح فألقى في ألم والمراد بأنهم عنها تليل (ولا تخافي ولا تحزني) واخوف غم يحصل بسبب مكروه يتوقع حصوله في المستقبل ، والحزن غم يلحقه بسبب مكروه حصل في الماضي ، فكانه قيل ولا تخافي من هلاكه ولا تحزني بسبب فراقه فلما رأتوه [أيك] لتكوني أنت المرحمة له (و ساعطوه من المرحلين) إلى أهل مصر والثام وفقه الإنقاذ في ألم قد تقدمت في سورة طه . وقال ابن عباس إن أم موسى عليه السلام لما تغارب ولادها كانت غابة من الغوايق التي وكلني فرعون ناطقاً مصفاة لأم موسى عليه السلام فلما أحست بالاطلاق أرسلت إليها وقالت لما قد زل في ما زل ولربما اليوم حذك إني بلطقت انفاله غلبا وقع موسى عليه السلام إلى الأرض فها هو نود بين عبده فله نفس كل مفصل عنها ، ودخل حب موسى عليه السلام قلبها فصالت بهذه ، أنتك إلا تخلي مرؤوك . والكئي وحدت لابتك هذا حياً شديداً ما تنظف بابتك هاته أرا ، عدونا ، فلما خرجت ثقابة من عندها أبصرها بعض العبيون فجاء إلى بابها ليدخل على أم موسى فقالت أنته بأمام هذا الحرم فنهت ووضعت في تور مسجور فطاش غلبا علم ففعل ما صنع . فدخلوا فإذا التور مسجور ورأوا أم موسى لم يتغير لما لون ولم يظهر لها لين فقالوا لم حدثت القالة عليك ؟ قالت إني حبيبة لي دخلت للزيارة . فخرجوا من عندها ورجع إليها عقلاً فصالت لأخت موسى أين الصبي ؟ قالت لا أدري سمعت بكاء في التور فأنطلقت إليه وقد جعل الله النار عليه برداً وسلاماً فأخذته ، ثم إن أم موسى عليه السلام لما رأت فرعون جد في طلب الولدان خافت على إنيها فتدفق الله في قلبها أن تتخذ له نايوتاً ثم قددف النايوت في النيل ، فذهبت إلى نجار من أهل مصر فاشتريت منه نايوتاً فقال لها ما تصنعين به ؟ فقالت ابن لي أختني عليه كيد فرعون أخبؤه فيه وما عرفت أنه يفتني ذلك الخبر ، فلما اتصرفت ذهب التجار ليخبر به النبا حين فلما جدم أمسك الله لسانه وجعل يشير يده ، فضر به وطردوه فلما عاد إلى موطنه رد الله عليه نطقه فذهب مرة أخرى ليخبرهم به فضرهم به فضرهم وطردوه فلما عاد إلى موطنه رد الله نطقه ، فذهب مرة أخرى ليخبرهم به فضرهم وطردوه فأخذ الله بصره ولسانه ، فجعل يده تعالى أنه إن رد عليه بصره ولسانه فإنه لا يدعهم عليه فلم الله تعالى منه الصدق فرد عليه بصره ولسانه وانطلقت أم موسى وألفته في النيل ، وكان فرعون بت لم يكن له ولد غيرها وكان لها كل يوم ثلاث حاجات ترغبها إلى أبيها وكان بهار صر شديد وكان فرعون قد شاور الأكلاء والسحرة في أورها ، فقالوا أيها الملك لا تبرأ هذه إلا من قبل البحر يومئذ شبه الإنسان فيزحف من ريقه فيطبخ به برصها فبرأ من ذلك ، وذلك في يوم

كذا في شهر كذا حين أشرق الشمس ، فلما كمل ذلك اليوم غدا فرعون إلى مجلس كان له على شاطئ النيل ومنه آية بنت مزاحم وأقبلت بنت فرعون في حوارها حتى جلست على الشاطئ ، إذ أمرت النيل بانزول نهره الأمواج وتعلق بشجرة ، فقال فرعون اتشوبى به فابتدوه بالسفن من كل جانب حتى وضموه بين يديه فمالوا فتح الباب فلم يقدروا عليه . وعالجوا كسره فلم يجدوا عليه ، فغارت آية برأت ورأى في جوف اثاثات لم يره غيرها فضالطة ومحتة ، فإذا هي بصبي صغير في المهد وإذا بور بن عبيته فألقى الله محبة في قلوب القوم . وحدثت ابنة فرعون إلى ربه فطلعت به برصها برأت وختمت إلى صدرها فقالت الثواء من قوم فرعون إنا نظن أن هذا هو الذي تحفر منه ربي في البحر فرأى ملكهم فرعون يقتله فاستجبهت امرأة فرعون وبنته قرك فله . أما قوله ( فالتقطه آل فرعون ) فالألفاظ إصابة الشيء من غير طلب ، والمراد بآل فرعون حواريه .

أما قوله ( ليكون لهم عدواً وحزناً ) فليست به ضرورة أن هذه اللام يراد بها العداوة قالوا وإلا نقض قوله ( وغارت امرأة فرعون فرقة عين لي ولك ) ونقض قوله ( وألقيت عليك محبة مني ) ونظير هذه اللام قوله تعالى ( ولقد ذرأنا لجهنم ) وقول الشاعر :  
لداو الموت وأمنوا للخراب

واعلم أن التبعيقي ما ذكره صاحب الكشف وهو أن هذه اللام هي لام التمثيل على سبيل المجاز ، وذلك لأن مقصود الشيء وغرضه يقول إليه أمره فاستطاع هذه اللام فيما يقول إليه اتشوبى على سبيل التشبيه ، كما ضلقت لفظ الاء على الشجاع والبلد على الخمر ، فأمر حرة والكائن حزناً يضم الحاء وسكون الزاي والياقوت بالفتح وهما لغتان مثل السقم والسقم .

أما قوله ( كانوا عاصين ) فيه وجهان أحدهما ( قال الحسن عني ) كانوا عاصين ( ليس من الخطبة بل من المن وهم لا يشعرون أنه الذي يذهب بملكهم . وأما جمهور المفسرين فقالوا معناه كانوا عاصين فيما كانوا عليه من السخر والظلم ، معانهم الله تعالى بأن وبى عدوم ومن هو سبب هلاكهم على أيديهم . وقرئ ( عاصين ) تخفيف عاصين أي عاصين الصواب إلى الخطأ ومن ندل أنها لفظه ليكون فرقة عين لها وله جميعاً ، قال ابن السكيت إن الله تعالى ألقى محبة في قلبها لأنه كان في وجهه ملاحمة كل من رآه أحبه ، ولأجها حين فتحت اثاثات رأت النور ، ولأنها لما فتحت اثاثات رآه يتنصص لصبيته ، ولأن ابنة فرعون لما انطقت برصها برقة وال برصها ويقال ما كان لها ولد فاسته . قال ابن عباس لما قالت ( فرقة عين لي ولك ) فقال فرعون يكون لك وأما أنا فلا حاجة لي فيه . فقال عليه السلام والذي يحلف به لو أن فرعون أن يكون فرقة عين له كما أقرت لهداه الله تعالى كما هداه قال صاحب الكشف ( فرقة عين ) خبر مبتدأ محذوف ولا يخفى أن جعل مبتدأ ( ولا تقتلوه ) خبراً ولو نصب لكان أقوى . وقرائة ابن مسعود دليل على أنه خبر ، فأمر ( لا تقتلوه فرقة عين لي ولك ) ، وذلك لتقديم لاقتلوه ، ثم قالت المرأة ( عسى أن ينصنا ) فتصيب

وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أَمِّ مُوسَىٰ فَارِعًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِئَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾

منه خبراً (أو نخذه ولداً) لأنه أهل البني .

أما قوله (وم لا يشعرون) فأكثر المفسرين على أنه ابتداء كلام من الله تعالى أي لا يشعرون أن هلاكهم نسيبه وعلى يده ، وهذا قول مجاهد وقادة والضحاك ومقاتل ، وقال ابن عباس يريد لا يشعرون إلى ماذا يصير أمر موسى عليه السلام ، وقال آخرون هذا من تمام كلام المرأة أي لا يشعرون بنوا إسرائيل وأهل مصر أنا الشيطان ، وهذا قول الكلبي .

قوله تعالى : ﴿١١﴾ وأصبح فرعون أم موسى فارعاً إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين . وقالت لأخته نصب نصرت به عن جنب وهم لا يشعرون .

ذكروا في قوله (فرعون أم موسى فارعاً) رجوعاً (أعدها) قال الحسن فارعاً من كل شيء إلا من هم موسى عليه السلام (وأنابها) قال أبو مسلم فرأى الفرعون الخوف والاشفاق كقوله (وأفدسهم هواء) ، (وأنابها) قال صاحب الكشف فارعاً صفرأ من الغفل . والمعنى أنها حين سمعت بوجوه في يد فرعون طائر عجلها من فرط الخزع والخوف (ورأيها) قال الحسن ومحمد بن إسحق فارعاً من الوسى الذى أوجعنا إياها (أن ألقيه في اليم ولا تخافى ولا تحزنى إنا رادوه إليك) فجاءها الفيضان فكان لها كرمه أن يقتل فرعون ولذلك يكون لك أمر فتوليت إهلاكه : ولما أنابها خبر موسى عليه السلام أنه وقع في يد فرعون فأناها عظم السلاء ما كان من عبد الله إليها ، (وخامسها) قال أبو عبيدة : فارعاً من الحزن لدلها بأنه لا يقتل اعتياداً على تكافل الله بمصلحته قال ابن تيمية . وهذا من العجائب كيف يكون فرعوناً من الحزن والله تعالى يقول (لولا أن ربطنا على قلبها) وهل ربط إلا على قلب الجازع الحزون ، ويمكن أن يجاب عنه بأنه لا يتبع أهاشدة قتها برعد الله لم تخف عند إظهار اسمه ، وأيقنت أنها وإن أظورت فإنه يدم لأجل ذلك الوعد إلا أنه كان في المعلوم أن الإظهار يصير ربط الله على قلبها ، ويحتمل قوله (إن كادت تبدي به لولا أن ربطنا على قلبها) بالروح فأمنت وزال عن قلبها الحزن ، فهبل هذا الوجه يصح أن يقال على أن قلبها لم من الحزن على موسى أصلاً ، وفيه وجه ثالث : وهو أنها سمعت أن امرأة فرعون عطف على رقبته (إن كادت لتبدي به) بأنه وليها لأنها لم تملك نفسها فرسا بما سمعت ، لولا أن سكننا ما بها من شدة الفرج والابتهاج (لشكون من المؤمنين) (فرأى

وَحَرَمَتَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١١﴾ قَرَرَدَتْهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلْتَكُنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٢﴾

بوعد الله تعالى لابنتي امرأة فرعون المصين وبطلها ، وقرى ، فرغا أى غائبا من قولهم أمرنا بالغه من صغر الإباء ، وفرغ الفتا ، وفرغا من قولهم : دعائهم بهم فرح .  
أى هند يعنى بطل غلبها من شدة ماورد عليها .

أما قوله ( إن كادت لتبدي به ) فاعلم أن على قول من فسر المراضع بالفرع من الحرف ، أنه ذكرنا تفسير قوله ( إن كادت لتبدي ) وأما على قول من فسر المراضع بحصون الخوف فذكروا وجوها ( أحدها ) قال ابن عباس كادت تخبر بأن الذى وجدتموه أبى ، وقال فى رواية عنكم كادت تقول وإنيأ من شدة وحدها به وذلك حين رأته الوح يوح ويضع ، وقال الكلبي ذلك حين سمعت الناس يقولون إنه ابن فرعون ، وقال السدي لما أخذ أنها كادت تقول هو أبى فصمصها الله تعالى . ثم قال ( لولا أن ربطنا على غلبها ) بالمقام لصبر كما يربط على الشيء المفضل لتبشر وبطلان ( لشكون من المؤمنين ) من المصدقين بوعده الله وهو قوله ( إن يأتواكم به اليك ) .

ثما قوله ( وقالت لأخته قصه ) أى اتبعى أثره وانطرقى إلى أين وقع وإلى من صار وكانت أخت لآية وأمه واسمها مريم ( فبصرت به ) قال ابن عباس رضى الله عنها أبصرته . قال المبرد : أبصرته وبصرت به بمعنى واحد وقوله ( عن حنن ) أى عن بعد وقرئ عن حبيب وعن جانب والجانب الجلب أى نظرت نظرة من وراء منجانية ( وهم لا يشعرون ) بمحادثه وغرصها .

قوله تعالى : وحرمتا عليهما المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولتسكن أكثرهم لا يعلمون ﴿١١﴾  
اعلم أن قوله ( وحرمتا عليهما المراضع من قبل ) يقتضى تحريمها من قبله فلا لم يصح بالتبدي واليهي لتعذر التميز فلا بد من فعل سواء وذلك الفعل يعتمد أنه شال مع حاسته إلى اللبن أحدث به عار الضع عن لبن سائر النساء . فذلك لم يرضع أو أحدث فى لبن من الطعام ما يغير عنه طعمه أو وضع فى لبن أمه لهذا لم يرضعها لاجرم كان بكرة ابن غيرها . وعن الضحاك كانت أمه قد أرضعته ثلاثة أشهر حتى عرف ربحها ( والمراضع ) سبع مرضع . وهى امرأة التى ترضع أو جمع مرضع وهو موضع الرضاع أى الثدي أو الرضاع وقوته ( من قبل ) أى من قبل أن رددناه إلى أمه ومن قبل بحى أخت موسى عليه السلام . ومن قبل ولادته فى حننا ونصاها فقدها ذلك قالت

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٣١﴾

وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَةِ هَٰذَا  
وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغْنَتْهُ الَّتِي مِّنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّتِي مِّنْ عَدُوِّهِ فَوَكَّهَهُ  
مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ

أخذه (هل أهلك على أهل بيت بكه لونه لك) أي يفسدون رعاياه والقيام بمصالحه وهم به ناصحون  
لا يضره ما يفسد في رعيته وإخلافه ، ولا يعمدونك فيه والنصح إخلاص العمل من شائبة الفساد .  
يقال المدي إليها قالت (وهي له ناصحون) دل ظاهر ذلك على أن أهل البيت يعمرونه فقال لما  
هذان قد عرفت هذا الغلام فذلت على أهله فقالت ما أعرفه ، ولكني إنما قلت هم لكم ناصحون  
ليزول شغل قلبه . وكل ما روي في هذا الباب يدل على أن عروص كان بمهلة آسية في شدة محبة  
لموسى عليه السلام . لا يخفى ما قال من زعم أنها كانت مختصة بذلك فقط ثم قال تعالى (فرددناه إلى  
أهلها) هذا لغريب من اللطف (كي نقر عينها ولا تخون) ونعم أن وعد الله حق (لئى فيما كان  
وعدها من أنه يرد إليها) ، ولقد كانت غافلة بذلك ، ولكن ليس الأمر كالبيان ففهمقت بوجود  
المرء (ولكن أكثرهم لا يعلمون) فيه وجود أربعة : (أحدها) ولكن أكثر الناس في ذلك  
أعمى وقد لا يعلمون لا تراهم عن آخر في آيات الله (وثانيها) قال تضحك ومعاذ يعني أهل  
مصر لا يعلمون أن الله وعدهم إياها (وثالثها) هذا كالتعريض بما فرط منها حين سمعت خبر  
موسى عليه السلام فخرعت وأصبح مؤانها فإياها (ورابعها) أن يكون المعنى إياها رددناه إليها  
(لنعلم أن وعد الله حق) والمقصود الأصلي من ذلك الرد هذا الغرض الذي ، ولكن لا كثر  
لا يعلمون أن هذا هو الغرض الأصلي ، وأن ما سواه من قوة تبيين وذهاب الحزن : مع . قال  
الضحاك لما دل عليها قال هان إنك لأمه ، قالت لا قال فما بذلك فإني لميك من بين النساء .  
قالت أيما ليلك إلى امرأة عليه أربع حمرة الله ماشم ريحي صبي إلا أقبل على تحدي . فلو اصدقه .  
فمن أحد من آل فرعون إلا أهدها إليها وأحبها بالذهب والخواهر .

قوله تعالى : ﴿٣١﴾ ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلماً وكذلك نجزي المحسنين . ودخل  
المدنة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغنه  
التي من شيعته على التي من عدوه فوكله موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو

إِلَى ظِلِّهِ نَفْسِي فَأَخْفِيَ لِي فَغَشِيَ لِي إِهْلَاؤُهُ هُوَ تَعَفُّوهُ أَرْحِمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَتَعَسَّ عَلَىٰ قَلْبِي أَن أَكُونَ ظَاهِرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾

مفضل بن، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لا إله إلا هو الغفور الرحيم، قالوا: يا أبا عبد الله، على ما نأمر أن نكون منهم؟

انظر أن في قوله (ياح أشد) والسوي (عزيتي) (أشدهما) نسبة، وهي واحدة وهو الاستكثار  
القوة والاعتدال المزاج والعدة (والشئ) وهو الأصح فيها معية من غير أن له اختلافاً على - وهو  
أشده، وهو الأقرب أن الأشد عبارة عن كمال القوة الجسمانية العقلية، والاستواء عبارة عن  
كمال القوة العقلية (والشئ) الأشد عبارة عن كمال القوة، والاستواء عبارة عن كمال سوية والصفة  
(والأشياء) الأشد عبارة عن "تخرج" والاستواء عبارة عن كمال الخفة (مرادها) قال ابن عباس  
الأشد عبارة عن كثرة صفة - إلى الثلاثين ثم من الثلاثين صفة إلى الأربعين، وفي قوله من غير  
زيادة ولا نقصان - ومن الأربعين بأحد في نقصان، وهذا الذي قلناه من عباس رضى الله عنهما  
حتى لا يكون الإنسان مكوناً في أوله الجرم في النحر والخصر ثم سبي من بعد زيادة ولا نقصان، ثم يأخذ  
في الانقباض ووجه هذه الآراء من أولها - من إلى العشرين ومن العشرين إلى الثلاثين يكون الانقباض  
قليلاً والقوة قوية جداً، ثم من الثلاثين إلى الأربعين ينقب ولا يزداد ولا ينقص ومن الأربعين  
إلى السبعين بأحد في الانقباض الخفى، ومن السبعين إلى آخر الدهر يأخذ في الانقباض البين الضعيف،  
ويروى أن لم يمتد إلى (إلا على رأس أربعين سنة) والحكمة فيه ظاهرة لأن الإنسان يكون إلى أربعين  
الأربعين قرناً الجسمانية في الشهوة والغضب والغش قوية مستكثرة فيكون الإنسان مجتنباً إليها  
فأما انتهى إلى الأربعين أنشط القوى الجسمانية في الانقباض، والقوة العقلية في الأربعين ثم إلى  
مكون في الأربعين الكمال ما يكون، ولهذا أمر بتأجيله قبل هذا العشر للرجوع.

**المسألة الثانية** اختصموا في واحد الإلتداد، قال القوم: الإلتداد واحد في القياس، وبما صح له  
توابعه، وقالوا بغيره: واحد الإلتداد شدة، لأن واحد الأسم معهما، والشدة القوة والخلافة  
لما عرفت، والعدد حكماً أولياً، فيه وجهان (الأول) أنه الشدة وما يقرى بها من تعميم  
والاختلاف، وعلى هذا التقدير ليس في الآية دليل على أن هذه الآية كانت قبل هذا القطع، أو  
بعد، لأن الزاوي في قوله ارتحل أممية لا تفيد الترتيب (الثاني) إنشاء الحكمة والعلم قال نيل  
إبراهيم خليلي في بيوتكم من آيات الله والحكمة، وهذه القول أولى لوجوده أحدهما، أن  
يكون أعلى القدرجات العشرية، وقد وأن تكون حكمة بالتحكم في العلم والتدبير المرضية التي هي



أحلاق الكبرياء واحكاماً ( وثالثها ) أن قوله ( ووجدك نعوى المحبين ) يدل على أنه إنما أعطاه الحكم وألمح بجازائه على إسماعه والعبودية لا تكون جزاء على إسماع ( وثالثها ) أنه المراد بالحكم والعلم لو كان هو الدعوة ، لموجب حصوله ، ولة الحكم من ذلك من المحبين بقوله ( ووجدك نعوى المحبين ) لأن قوله ( ووجدك ) إشارة إلى ما تقدم ذكره من الحكم وتسميهم ، ثم بين بعده أنه قبل قال القبطي ، وفيه مستلزم .

❖ **المسألة الأولى** في اختلافوا في المدينة فالجمهور على أنها هي المدينة التي كان يسكنها فرعون . وهي قرية على رأس مرسين من مصر ، وقال الضحاك : هي عين شمس .

❖ **المسألة الثانية** في اختلافوا في معنى قوله ( على حين غفلة من أهلها ) على أقوال ( والقول الأول ) أن موسى عليه السلام لما بلغ أشده واستمرى وأقامه الله الحكم والعلم في دينه ودين آتائه ، ثم أن فرعون وغومه على التباطل ، فتكلم بالحق وعاب دينهم ، واشهر ذلك منه حتى أتى الآراء إلى أن أخافوه وخافهم . وكان له من بني إسرائيل شعبة يفتدون به ويسمعون منه ، وبلغ في الخوف بحيث ما كان يدخل مدينة فرعون إلا خائفاً ، فدخلها يوماً على حين غفلة من أهلها ، ثم الأكثرون على أنه عليه السلام دخلها نصف النهار وقت داهم قانون . وعن ابن عباس يزيد من المغرب وثالثها ، والأول أولى ، لأنه تعالى أضاف الغفلة إلى أهلها ، وإذا دخل المارة مستتراً لأجل خوف ، لا يضاف الغفلة إلى القوم ( انظر الثاني ) قال السدي : إن موسى عليه السلام حين كبر ترك سراكب فرعون ، ولبس مثل ما لبس ، ويدعى موسى ابن فرعون ، ترك يوماً في أثره وأدركه القيل في موضع ، فدخلها نصف النهار ، وقد غلبت القرى ، هو قوله ( على حين غفلة ) ( القول الثالث ) قال ابن زيد : ليس المراد من قوله ( على حين غفلة من أهلها ) حصول الغفلة في تلك الساعة ، بل المراد الغفلة من ذكر موسى وأمره ، فإن موسى حين كان صغيراً مغرب رأس فرعون بالعصا ونفخ فيه ، فأراد فرعون قتله ، فجلى بجمع فأخذه وطرحه في فيه ، ثم غفلة إسماع ، فدخل فرعون : لا أقتله ، ولكن أخرجوه عن الدار والبلد ، فأخرج ولم يدخل عليهم حتى كبر ، والقوم نسوا ذكره وذلك قوله ( على حين غفلة ) ولا مطمع في ترجيح بعض هذه الروايات على بعض ، لأنه ليس في القرآن ما يدل على شيء منها .

❖ **المسألة الثالثة** في قال تعالى : فوجد فيها رجسين يقتلانا . هذا من شيعة وهذا من عدوه ( قال الزجاج : قال : هذا وهذا هما عائشان على وجه التكاية ، أي وجد فيها رجسين يقتلانا . إذا نظر "ساطر إليها قال هذا من شيعة وهذا من عدوه ، ثم اختلفوا ، فقال مقاتل : الرجلان كانا كافرين . ولا أن أحدهما من بني إسرائيل ، والآخر من القبط ، وأصح عليه أن موسى عليه السلام قال له في اليوم الثاني ( ذلك نعوى ميين ) والمشهور أن الذي من شيعة كان مسلماً ، لأنه لا يقال بين يخالصه الرجل في دينه وطريقه : إنه من شيعة ، ولعل أن يعطى كذا يخر الإسرائيلي كان

طباخ فرعون ، استغفوه خل الخطب إلى مطبخه ، وقيل الزجلان القتلان : أحدهما السامري وهو الذي من شيعته ، والآخر طباخ فرعون . والله أعلم بكيفية الحال . فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه . أي سأله أن يخلصه منه واستغفره عليه . فذكره موسى عليه السلام ، والوكر الدهن بأطراف الأصابع ، وقيل بجمع الكعب . وقرأ ابن مسعود : فذكره موسى ، وقال بعضهم : الوكر في السدر والذكر في الظاهر ، وكان عليه السلام شديد الطش ، وكان بعض القصرين : فذكره بصاه ، قال المفضل هذا غلط . لأنه لا يقال ذكره وإنما (هضمي شبه) أي آمانه وقلة .

( المسألة الرابعة ) احتج هذه الآية من طعن في عصية الآباء عليهم السلام من وجوه ( أحدها ) أن ذلك القتل إما أن يقال إنه كان مستحق القتل أو لم يكن كذلك . فإن كان الأول فلم قال ( هذا من عمل الشيطان ) ولم قال ( رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي ) ولم قال في سورة أخرى ( فقتلوا إذا ) وأنا من الضالين ) فإن كان الثاني وهو أن ذلك القتل لم يكن مستحق القتل كان قتله مسببة وزدباً ( ورائياً ) أن قوله ( وهذا من عدوه ) يدل على أنه كان كافراً حارباً فكان دمه مباحاً لم يستغفر عنه ، والاستغفار عن الفعل المباح غير جائز . لأنه يوم في المباح كونه حراماً ( ورائياً ) أن الوكر لا يفصده القتل طاهراً ، فكان ذلك القتل قتل خطأ ، فلم يستغفر منه ( والجواب ) عن الأول لم لا يجوز أن يقال إنه كان لكفره مباح الدم .

أما قوله ( هذا من عمل الشيطان ) فيه وجوه ( أحدها ) لعل الله تعالى وإن أباح قتل الكافر إلا أنه قال لا تؤخر قتلهم إلى زمان آخر . فبما قتل فقد ترك ذلك الذنوب فقله ( هذا من عمل الشيطان ) معناه إقصاء على ترك الذنوب من عمل الشيطان ( ورائياً ) أن قوله هنا إشارة إلى عمل المقتول لا إلى عمل نفسه فقله ( هذا من عمل الشيطان ) أي عمل هذا المقتول من عمل الشيطان . المراد منه بيان كونه عذافاً لله تعالى مستحقاً للقتل ( ورائياً ) أن يكون قوله هذا إشارة إلى المقتول ، يعني أنه من جند الشيطان وحربه ، يقال فلان من عمل الشيطان ، أي من أعدائه . أما قوله ( رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي ) فلي نرجع قول آدم عليه السلام ( ربنا ظلمنا أنفسنا ) والفراد أحد وجهين ، إما على سبيل الانقطاع إلى الله تعالى والاعتراف بالتقصير عن القيام بحقوقه . وإن لم يكن هناك ذنب قط ، أو من حيث حرم نفسه الثواب بترك الذنوب .

أما قوله ( فاغفر لي ) أي فاغفر لي ترك هذا الذنوب ، وفيه وجه آخر ، وهو أن يكون المراد ( رب إني ظلمت نفسي ) حيث قتلت هذا الملعون ، فإن فرعون لو عرف ذلك لقتلني به ( فاغفر لي ) أي فاستره على ولا توصل خبره إلى فرعون ( فغفر له ) أي ستره عن الموصول إلى فرعون . ويدل على هذا التأويل أنه على عليه قال ( رب بما أئمت على ظن ) أكون ظميراً للعبدين ) ولو كانت إمامة المؤمن منها سبباً للعصية لما قال ذلك .

وأما قوله ( فقتلوا إذا وأنا من الضالين ) فلم يقل إني صرت بذلك حالاً ، ولكن فرعون لما

## فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِحُهُ قُلٌّ

ادعى أنه كان كافراً في حال الغنى أو عن نفسه كونه كافراً في ذلك الوقت ، واعترف بأنه كان حالاً  
أبى منهج الاستصريح ما يجب عليه أن يفهمه وما غيره في ذلك ، أما قوله إن كان كافراً حراً فم استصغر  
عن قوله ؟ قلما يكون ككافر مانع الدم أمر يختلف باختلاف الشرائع فصل قتلهم كان حراماً في ذلك  
الوقت ، أو إن كان مسلماً لكان الأولى تركه عليه قوماً . فإذ ذلك الفعل كان قتل خطأ ، فلما لا يسلط  
فعل الرحيل كان مشرباً وموياً عليه السلام كان في نهاية الكثرة ، أو كره كان قاتلاً فضلاً ، ثم إن سلطنا  
ذلك والكل لعله عليه السلام كان يشككه أن يخلص الإسرائيل من يده بدون ذلك الوكر الذي كان  
الأولى تركه ، فظننا أنهم على الاستغفار . على أما وإن دلالة هذه الآية على حدوث المعصية  
لكننا يجب أنه لا دليل التتالي على أنه كان ومولاً في ذلك الوقت . فيكون ذلك حادثاً بعد ذلك النبوة .  
وذلك لا نزاع فيه .

في المسألة الخامسة : قالت المذنبات الآية دل على بطلان قول من نسب المصطفى إلى أنه  
قتل لأنه عليه السلام قال (عندما من عمل الشيطان) وبب المصيبة إلى الشيطان ، ولو كانت بحسب  
الله قتال الشيطان عن الله لا من الشيطان وهو كقول يوسف عليه السلام (من يد أن يخون  
الشيطان بيني وبين ربّي) وقول صاحب موسى عليه السلام (وما أنسابه إلا الشيطان) وقوله  
تعالى (لا يغتلبكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة) .

أما قوله (رب بما أنعمت على قلبي أن أكون ظهيراً للمجرمين) فبعبه وجوه (أحدها) : أن ظاهره  
يدل على أنه قال إنك لما أنعمت على بهذا الإنعام إلى لا أكون معاً لأحد من المجرمين بل  
أكون معاً للمسلمين . وهذا يدل على أن ما أنعم عليه من إمامة الإسرائيل على النبي كان  
مطاعة لا معصية ، إذ لو كانت معصية ، انزل الكلام منزلة ما إذا قيل إنك لما أنعمت على خيراً ،  
فربى عن تلك المعصية ، فإن أكون مواظباً على مثل تلك المعصية (وثانيها) : قال القائل : كأنه  
أقسم بما أنعم الله عليه أن لا يظهر بجرماً ، وثالثها : القسم أي بدمك على (وثالثها) : قال الكاشي  
والمراد أنه خير . ومعناه الدعاء كأنه قال فلا تخطئ ظهيراً ، قال الفراء : وفي حرف عبد الله (فلا  
تخطئ ظهيراً) ، وأما أن في الآية دلالة على أنه لا يجوز مدونة الطلبة والقسمة : وقال ابن عباس :  
لم يستن ولم يقل من أكون ظهيراً إن شاء الله ، فأدلى به في اليوم الثاني ، وهذا ضيف لاء في اليوم  
الثاني ترك الإضافة ، وأما خلفه ذلك فهو قول (إن يزيد إلا أن تكون جباراً في الأرض)  
لا أنه وقع منه .

قوله تعالى : فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِحُهُ قَالَ لَهُ

لَهُ مُوسَىٰ ذُنُوبٌ كَثِيرَةٌ ۖ وَلَئِن لَّا رَأَيْنَا أَنَّهُ مُصَيَّرٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٠﴾ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْطَلِقَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لِّمَا قَالَ يَحْمُوسَىٰ أَتَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِكَ مِمَّا تُمُنُّ بِكَ كَمَا تَفْتُلُ كَيْفَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِن تَرْبُدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تَرْبُدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٠١﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَحْمُوسَىٰ إِنَّ الْأَمْلَ بِأَتَمَرُونَ بِكَ يَهْلِكُونَ أَفَنُفْلِكُكَ فَأَخْرَجَ إِلَىٰكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿١٠٢﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٣﴾

موسى (إلى لقوى مين . فلما أن أراد أن ينطش بالذى هو عدو لما قال ياحموسى أتريد أن تعلى كما قتلت نفساً بالأمس أن تريد إلا أن تكون جباراً فى الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين ، وجاء رجل من أقصى المدينة يسى قال ياحموسى أن الاملا بأنتمرون بك ليقولوك فآخرج إلى لك من الناسحين . فخرج منها خائفاً يترقب قال رب نجى من القوم الظالمين ﴿١٠٠﴾ اعلم أن عند موت ذلك الرجل من الوكر أصبح موسى عليه السلام من غد ذلك اليوم خائفاً من أن ينهر أنه هو الغافل فيطلب به . وخرج على اسذار ( فإذا الذى اسنصره ) وهو الإسرائيلى ( بالامس يستصرخه ) يعال نصرة بصباح وصراخ ، قاله موسى (إلى لقوى مين) قال أهل اللغة القوى يجوز أن يكون قبلا بمعنى مفعول أى إنك لظو لقوى ماني ونعت بالامس فيها وقعت فيه بسبك ، ويجوز أن يكون على القوى . واحتج به من ادخ في عصمة الانبياء عظيم السلام ، فقال كيف يجوز لموسى عليه السلام أن يقول (رجل من شيمته يستصرخه (إلى لقوى مين) ؟ (والجواب ) من وجهين ( الأول ) أن فرم موسى عليه السلام كانوا علافاً جفاة ألا ترى إلى قولهم بعد مشاهدة الآيات ( احزن لنا بما كلفنا آفة ) فالمراد بالورى المدين ذلك ( الثانى ) أنه عليه السلام إنما ساءه غراً لأن من تكثر معه الخصمة على وجه يتفكر عليه دفع خصمه عما يرومه من ضرره يكون خلاف طريقة الرشد . وادخلوا الى قوله تعالى ( قال ياحموسى أتريد أن نقتلى كما قتلت ) فهو من كلام الإسرائيلى أو القلى ، فقال بعضهم لما خاطب موسى الإسرائيلى بأنه نوى رداً على نصيب من لما هم بالبطش أنه يريد . فقال هذا القولى ، وزعموا أنهم يعرف قتله بالامس للرجل إلا هو ، وصار ذلك سبباً لظهور القتل ومزيد الخوف ، وقال آخرون بل هو

وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ سَبِيلٍ ﴿٢٣﴾ وَلَمَّا  
 وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ  
 تَذَوَّدَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصَدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٤﴾  
 فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لَمَّا أُتْرُكْتُ إِلَىٰ مِن نَّحْنُ فَفَصِّرْ ﴿٢٥﴾  
 فَجَعَلَهُ أَحَدُهُمَا نَسِيًّا عَلَىٰ نَسِيحَةٍ وَقَالَتْ إِنَّ ابْنِي يَدْعُوكَ لِجَعِزِكَ لَئِنْ أَجَرْنَا

قوله الظل . وقد كان عرف القصة من الإسرائيل . ولما عرف هذا توجه لاه تعالى قال بهذا أن أباد  
 يعيش الذي هو عسر لها قال ياموسى ( فهذا تقول إن من لا من غيره وأبناً بقوله ( إن زيد  
 إلا أن تكون جباراً أن الأرم ) لا يلقى إلا أن يكون مولا للآخر .

واعلم أن الجبار الذى يعمل ما يريد من الضرب وقتل بظلم لا يعطى الموابى ولا يدع  
 ما يلقى من أحسن وقيل المنظر الذى لا يواضع لأمر أحد . ولما وقعت هذه الواقعة انقسم  
 الحديث فى المدينة واستمر إلى فرعون وهما يقتله .

أما قوله ( وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى ) قال صاحب الكشف يسعى يحوز ارتفاعه  
 وصلاً لرجل . وأصله حالاً عنه . لأنه قد تخصص بقوله ( من أقصى المدينة ) والانتهاز المشهور  
 يقال الرجلان بأمران لأن كل واحد منهما بأمر صاحبه يسعى أو يسير عليه بأمر . والمعنى يتناولون . ون  
 بسلك . وأكثر المفسرين على أن هذا الرجل مؤمن أنه فرعون . فله وجه الإشتاق لمصرع إليه  
 ليحرره بأن الملك بأنهم من ملك ليعتلك .

أما قوله ( أخرج منها خائفاً يترقب ) أى خائفاً على نفسه من آل فرعون يتطهر هل يلحقه  
 طلب هو خفى . ثم التجأ إلى الله فقال اعطه بأنه لا ملجأ سواه فقال ( رب نجى من الغوم الضالين )  
 وهذا يدل على أن قلبه لذلك القبط لم يكن ذنباً . وإلا لكان هو الظالم لهم وما كانوا ضالين له بسبب  
 ظلمهم إياه لبقوه قصاصاً .

قوله تعالى : ﴿٢٦﴾ ولما توجه تلقاه مدين قال عسى ربى أن يهدى سبيلى . ولما ورد مدين  
 وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امراًين تذكوان قال ما خطبك قالا لا نسقى  
 حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير . فسقى لهما ثم تولى إلى ظل فقال رب إنى لمت أتركك فى من  
 غير غير . فجعله أحدهما نسي على نسيح . فالتفت إلى ابن يدعوك ليعجزك أجرة . فالتفت إلى  
 جاء وأمس عليه التخصص قال لا تخف نجوت من الغوم ظالمين . قالت إحداهما يا أبت استأجره

سَقَبَتْ لَكَ فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَفَّسَ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَحْزَنْ تَبَيَّنَ مِنَ الْقَوْمِ  
 الْفَاطِلِينَ ﴿٢٥﴾ فَأَتَتْ إِحْدَاهُمَا بِنَاتٍ اسْتَشِيرَهُ إِنْ خَبَرَ مِنْ اسْتَشَجَرَتِ الْقَوَى  
 الْأَمِينِ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَمْكِكَ إِحْدَى ابْنَتَي هَٰئِنِ عَلَيَّ أَنْ تَأْجُرْنِي نَفْسِي  
 بِحَبِّ حَبِّ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا مِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِِنْ  
 شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ قُلْ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجْلَيْنِ تَخْتِمْ فَلَا  
 عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾

إن خير من استجرت القوى الأمين . قال إني أريد أن أملكك إحدى ابنتي هاتين على أن  
 تأجرنني نفسي بحب حبيب . فإن أتممت عشرًا من عندك وما أريد أن أشق عليك مشجعت إن شاء الله  
 من الصالحين . قال تلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل ﴿٢٥﴾  
 اعلم أن الناس استلقوا في قوله ( ولما توجه تلقاء مدين ) فقال بعضهم إنه خرج وما قصد مدين  
 ولكنه سلم بعده إلى الله تعالى وأخذ بمنى من غير معرفة بأمر الله تعالى إلى مدين ، وهذا قول  
 ابن عباس ، وقال آخرون لما خرج قصد مدين لأنه وقع في نفسه أن ينضم إليه فخرج وما قصد مدين  
 وله مدين بن إبراهيم عليه السلام . وهو كان من بني إسرائيل لم يكن له علم بالطريق بل اعتمد  
 على فضل الله تعالى ، ومن الناس من قال بل جاء جبريل عليه السلام ، وعليه الطريق وذكر ابن  
 جرير عن السدي لما أخذ موسى عليه السلام في السير جاءه ملائكة على فرس فسجد له موسى من  
 الفرح . فقال لاتعمل وإنهم . فأتته نحو مدين . واحتج من قال إنه خرج وما قصد مدين بأمرين :  
 ( أحدهما ) قوله ( ولما توجه تلقاء مدين ) ولو كان قاصداً للذهاب إلى مدين فقال . ولما توجه إلى  
 مدين ولما لم يقل ذلك بل قال ( توجه تلقاء مدين ) علينا أنه لم توجه إلا إلى ذلك الجانب من غير أن  
 يعلم أن ذلك الجانب إلى أين ينهي ( وثاني ) قوله ( عسى ربّي أن يهدي سبيلي ) وهذا  
 كلام شاك لا علم والأقرب أن يقال إنه قصد الذهاب إلى مدين وما كان عالماً بالطريق . ثم إنه كان  
 يسأل الناس عن كيفية الطريق لأنه يبعد عن موسى عليه السلام في عقله وذكراته أن لا يسأل ، ثم  
 قال ابن إسحاق خرج من مصر إلى مدين بغير زاد ولا ظهر . وبهيهما مسير ذو ثمانية أيام ولم يكن له  
 طعام إلا ورق الشجر

أما قوله (عنى ربى أن يدعى سواه نسيلا) فهو طير قول جند إبراهيم عليه السلام (إنى ذاهب إلى ربى سيدى) وروى عليه السلام قذا يذكر كلاماً في الاستدلال والخراب والعداء والنصرع إلا ما ذكره إبراهيم عليه السلام . وهكذا الخلف الصنف لثلاث الصالح صفوات الله عليهم وعلى جميع العالمين المأهولين (والماء ورد ماء مدين) وهو الماء الذى يساق منه وكان يترأى فيها دوى وورود بحره والوصول إليه (بوحده عليه) أى فوق شفيره ومنسقاء (أمة) جماعة كثيرة العدد (مرأى) من أناس مختلفين (ووجد من دونهم) فى مكان أسفل من مكانهم (أمرأى) تفردان) والذى دللهم والطرد ففعله تفردان أى تحسب ثم فيه أقوال : (الأول) تحسان أفعالهما واختلقوا فى حلة ذلك الحسب عن وجوه : (أحدها) قال الزجاج لأن عن الماء من كان أقوى منهما فلا يتمكنان من السق (وثانيها) كان تذكران المزاوجة على الماء (وثالثها) لا تخطط أغنامهما بأغنامهم (ورابعها) لا تخطط بالرجال (القول الثانى) كانا تفردان عن وجوهما فشرأ الناس ليراهما (والقول الثالث) تفردان الناس عن غنمهما (القول الرابع) قال الفراء تعبدتها عن أن تفردى وتسررب (قال ما خططكا) أى ما شأنكما وعقبته ما خططبك أى عطفبك من الزباد فسمى الخطوب خطاً كما يسمى المشون شأناً فى قولك ما شأنك (هذان لاسق حتى يصدر الزباد أو موتاً شيخ كبير) وذلك يدل على ضعفهما عن السقى من وجوه : (أحدها) أن البادية فى السق فرحال . والثاء بضم من عن ذلك (وثانيها) ما ظهر من ذودهما المثابة على طريق التأخير (وثالثها) قوله حتى يصدر الزباد (ورابعها) اعطفهما لما بقى من القوم من الماء (وخامسها) قولها (وأوتوا) شبح كبير : ودلالة ذلك على أنه لو كان قوماً حضروا وهو حضر لم يأتوا آخر السقى . فبعد ذلك سقى لها قبل صدر الزباد . وعادنا إلى أيهما قبل ثبوت المدا . قرأ أبو عمرو وابن عامر وعاصم بفتح الباء وخم الدال . وقرأ الباقون بضم الباء . وكسر الدال فالدنى فى القراءة الأولى حتى يصرفوا عن الماء ويرجعوا عن سقيهم وحده صد ورد . ومن رأى نهم مياه فافهم فى القراءة حتى يصدر القوم مواشيهم .

أما قوله (فسيقوا) أى سق غنمهما لأجلهما . وفى كعبه السقى أقوال (أحدها) أنه عليه السلام سأل القوم أن يسمحوا فسمحوا (وثانيها) قال قوم عهد إلى نر على رأسه صخرة لا يذهب إلا عشرة . وقيل أوتوا . وقيل عانة فحلبها بنفسه واستنى الماء من ذلك البئر (وثالثها) أن القوم لما زاحمهم موسى عليه السلام نعموا بإلقاء ذلك الحجر على رأس الشرفى عليه السلام روى ذلك الخبر روى لهما . وأمس بين ذلك فى القرآن واذا أعيم بالصحيح منه . لكن المرافة وصفت موسى عليه السلام بالقوة قبل ذلك على أنها شاهدت منه ما يدل على فضل قوته . وقال تعالى (ثم تولى إلى النضر) وفيه دلالة على أنه سقى لها فى شمس وحر . وفيه دلالة أيضاً على كمال قوة موسى عليه السلام . قال السكاكى : لأن موسى أهل انشاء فأنهم دلوا من ماء . فقالوا به إن

ثبتت اثنتا الدلو فاستق لها قال نعم ، وكان يجمع على اللولو أو رمون وجلا حتى يخرجوه من البئر فأخذ موسى عليه السلام الدلو فاستقى به وحده وهرب في الخوض ودعا بالبركة ثم قرب غنميها فشربت حتى رويت ثم سرحهما مع غنميها ، فإن قيل كيف سراح لذي الله الذي هو شعيب أن رضى لادبه سبق أنساخه ؟ قلنا ليس في القرآن ما يدل على أن أباهما كان شعيباً وأناس يختلفون فيه ، فقال ابن عباس وعنى الله عنهما إن أباهما هو جبرون أو أسى شبيب وشعيب مات بعد ما عصى وهو اختيار أبي عبيد (وقال) الحسن إنه رجل ممن قبل الذين عن شعيب على أنها وإن سلباً أنه كان شعيباً عليه السلام سكن لا مفسدة فيه لأن الذين لا يأباه ، وأما المروءة فالناس فيها يختلفون وأحوال أهل الأدب تغير أحوال أهل الشرف ، لا سيما إذا كانت الحالة حالة الضرورة .

وأما قوله ( قال رب إني لب أزلت إل من خير فقير ) فلهذا إني لاى شيء أنزلت إني من خير قليل أو كبير نعت أو سمى فقير ، وإنما عدى فقيراً باللام لأنه ضمن معنى سائل و طالب . (واعلم) أن هذا الكلام يدل على الحاجة ، إما إلى الطعام أو إلى غيره ، إلا أن المفسرين حملوه على الطعام قال ابن عباس يريد طعاماً يأكله ، وقال الضحاك مكث سبعة أيام لم يلق فيها طعاماً إلا بقل الأرص ، وروى أن موسى عليه السلام لما قال ذلك دفع صوته لسمع المرائين ذلك ، فإن قيل إنه عليه السلام لما نبي معه من القوة ما قدر بها على حمل ذلك الدلو العظام ، فكيف يلحق بهمه أن يطلب الطعام ، أليس أنه عليه السلام قال « لا تحمل الصدقة الخو ولا إلى قوة سوى » ؟ قلنا أما رجع الصوت بذلك لاسماع المرائين وطلب الطعام فذلك لا يلحق بموسى عليه السلام البه فلا يقل تلك المروءة ولكن لحله عليه السلام قال ذلك في نفسه مع ربه تعالى ، وفي الآية وجه آخر كأنه قال رب إني بسبب ما أنزلت إلي من خير فليدين صرت فقيراً في الدنيا لأنه كان عند فرعون في ملك وثرثرة ، فقال ذلك رضى بهذا النك وفرحانه وشكر الله ، وهذا التأويل أثبت بحال موسى عليه السلام .

أما قوله تعالى ( فجاءته إحدىهما نسي على استحياء ) فقوله على ( استحياء ) في موضع الحال أي مستحيية ، قال جرير المصنوع قد استشرت بكم فيصها ، وذل ماشية على بعد مائة عن الرجال وقال عبد العزيز من أبي حازم عن رجل له ومنهم من يقف على قوله ( نسي ) ثم يتدى فيقول ( على استحياء ) قالت ( إن أبي يدعوك ) يعني أنها على الاستحياء ، قالت هذا القول لأن الشكر إذا دعا غيره إلى الصفاة يستحي ، لا سيما المرأة وفي ذلك دلالة على أن شعيباً لم يكن له منين سواهما وروى أنهما لما رجعا إلى أبيهما قتل الناس ، قال لها ما أجلكما قائما رجدا رجلا صاعدا رحما فسق ابا ، فقال لإحداهما ادعي فلادعي له ، أما الاختلاف في أن ذلك الشيخ كان شعيباً عليه السلام أو غيره فقد تقدم ، والإكثرون على أنه شعيب . وقال محمد بن اسحاق في المبتئين أهم الكبري صفودا ، والصفري ليه ، وقال غيره صفودا وصغيرا ، وقال الضحاك صفودا وأنى حالت إلى



موسى عليه السلام على الكبرى عن قول الأكراب: وقال السكاني عن الأكراب: ونسب في القرآن دلالة على نسب من هذه النواصب.

أما قوله (فألقه) فذلك إن أبي بكر عوك لم يركب البحر من قبل أن يهبط (بشكالات: (أحدهم) كيف ما كان لموسى عليه السلام أن يعلل فقال له: وأنت عيسى - وهو - هي أخته - فذلك يورث أهمية الخطيئة - وقال عليه السلام: وأما عيسى عليه السلام - أو ثانياً: أنه حق أحمداً تقريباً إلى الله تعالى وبكره - بل يبق به أحد الأسماء عليه في ذلك غير جائز في المروءة - ولا في الشريعة - ووثابها) أنه يرفق ففهم وقرأ أبهى ونحوهم وأنه عليه السلام كان في نهاية القوة بحيث كان يملكه من كتب "الكثير بأكثر من" - ولكنه - يلقى شروعة في طلب الأجرة على ذلك أكثر من السبق من "تبيع" "تعبير والمرأة العقيمة" (ورابها) كيف يلقى بتدبير التي عليه السلام أنها تربت الله الشاب إلى رجل شاب فمن العلم يكون ذلك الرجل عصباً أو فاسداً (والجواب) عن الأول: أن قول: أما العمل بمثل امرأة شكا - عمل غيره الواحد حراً كان له عدداً كذا كان له ابن في الإحسان وما كانت إلا عقيمة عن أبيها، وإنما التي مع المرأة فلا بأس به مع الاحتياط والنورع (والجواب) عن الثاني: أن المرأة وإن كانت ذلك فليس موسى عليه السلام ما ذهب إليهم طلباً للأجرة بل للشكر برؤية ذلك الشيخ - وروى أنها لما قالت نبح: شك كره ذلك - وثاباً قدم فيه العلم المصحح - وقال: إنما نحن بدت لا نبيع ديداً بديننا - ولا بأخذ على المعروف - حتى قال شيب عليه السلام هذه عادة مع كل من يزل شاة - وأيضاً أليس يذكر أن الخويع قد بلغ إلى حيث ما كان يضيق بعمه قبل ذلك على سبيل الأسطرار - وهذا هو (الجواب) عن الثالث فإن الثغور ذات نبيح الثغور ذات (والجواب) عن الرابع أنه عليه السلام كان قد علم بالوحي منها ما كان يصعد عليها -

أما قوله (فلمسا جاده) قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقام يمشي والجارية أمامه فوثق الرمح فكشفت فيها فقال موسى عليه السلام: إن من عنبره أحمه عليه السلام فكوفى من خلق حتى لا ترفع الرمح يملك غارى ما لا يعلل - فلما دخل على شعب فاداً فقامه من موضع - فقال شيب ناول يلقى - فقال موسى عليه السلام أعوذ بالله - قال شيب ولم: قال لأن من أهل بدت لا نبيع ديداً على الأرض ذهاباً - فقال شيب ولكن عاذني وخادع أباي أعطاهم الضيف فجلس موسى عليه السلام فأكل - وإنما كره أكل الطعام خشية أن يكون ذلك أسرة له عن عمله - ولم يكره ذلك مع الخضر حين قال (لو شئت لأخذت عليه أجراً) وأقرروا أن أخذ الأجرة على الصدقة لا يجوز - أما الاستحسان اجتناباً فهو مكره -

أما قوله (ونصص عليه النصص) فالنصص مصدر كالأجل سمي به انتصوص - قال أنصحت لما دخل عليه قال له من أنت يا عبد الله - فقال أأمرسى بن عمران بن بصير بن قاه - بن لاوى بن يثروب - وذكر أنه جميع أمره من الذين ولادته وأمر القربل والمرابيع والقندق في اليوم - وخلق

تلقئاً وانهم يطلبونه لبقائه . فقال شبيب ( لا تخف نجوت من القوم الظالمين ) أى لا سلطان له بأوصافه على ذلك . وليس في الآية دلالة على أنه كان ذلك عن الوحى أو على ما تقتضيه العادة . فان قيل المفسرون قالوا إن زوجك يريدك عاتق موسى عليه السلام ركب في ألف ألف وستائة ألف . فالتاء الذي هذا شأنه كعب . يعنى أن لا يكون في ما كرهية على بعد ثمانية أيام من دار تركته . فلما هذا وإن كان نادراً إلا أنه ليس بمحال .

أما قوله ( قالت إحداهن يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين ) فيه مسائل :  
**المسألة الأولى** : رصمه بالقوة لما شاهدت من كبره . فمن والأمانة لما حكيت من شخص بصره حال نودها الحاشية وحال سعيه لها حال مشيه من يديها إلى أبيها .

**المسألة الثانية** : ( إنما حمل ) خير من استأجرت ( استأجر ) ( أقوى الأمين ) خير مع أن العكس أولى لأن الثمانية هي سبب التفرغ .

**المسألة الثالثة** في القوة والأمانة لا يكفيان في حصول المقصود . فمالم ينظم الجهد المقتضى والكفاية . فلم آمن أمر الكفاية ؟ ويمكن أن يقال إنها واحدة في الأمانة . عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال : أرى الناس ثلاثة بنت شعب وصاحب يوسف وأيوب في عمره .

أما قوله ( قال إن يريد أنكحك إحدى ابنتي هاتين ) فلا شبهة في أن هذا اللفظ . وإن كان على التردد لكنه عند الزوج عين ولا شبهة في أن العقد وقع على أن الأجلين . فكانت الزيادة كالزجر . والفقهاء ربما استدلوا به على أن العمل أنه يكون مهرًا كالمسال وعلى أن إطلاق الزيادة بالثنى والمثنى حائر . ولكنه شرع من قبل فلا يلزمنا . ويدل على أنه قد كان سابقاً في تلك الشريعة أن يشترط الثرى منفعة . وعلى أنه كان جائزاً في تلك الشريعة نكاح المرأة بغير بدل لمنعه المرأة وعلى أن عقد النكاح لا يقصد الشرط التي لا يوجبها العقد . ثم قال ( على أن أجري نصف حج ) تأجرني من أجرته إذا كنت له أجيراً ( ونسألي حجج ) طرفة أو من أجرته كذا إذا أتته إياه ومنه أحرك الله ( ونسألي حجج ) مدفوع به ومساءرة رعية ( نسألي حجج ) ثم قال ( وما أريد أن أشق عليك ) وفيه وجهان ( الأول ) لا أريد أن أشق عليك بإتزام أتم الرحاين . فإن قيل ما حقيقة قولهم شقت عليه وشق عليه الأمر ؟ قلنا حقيقة أن الأمر إذا تعاطاك فكأنه شق عليك فذلك باق . قول ثاراً أطلقه ونالوه لا أطلقه ( الثاني ) لا أريد أن أشق عليك في الرعى ولكني أسألك فيها وأسألك بقدر الإمكان ولا أكملك الاحتياط الشديد في كعبة الرعى . وهكذا كان الأبناء عليهم السلام أخذوا بالأصح في مسائل الناس . ومنه الحديث : كان رسول الله ﷺ يفتح شريكه فكان غير شريك لا يدارى ولا يشارى ولا يشارى . ثم قال ( يستصحب إن شاء الله من الصالحين ) وفيه وجهان ( الأول ) يريد بالأصلاح حسن العادة ( وإن الجواب ( الثاني ) يريد بالأصلاح على العموم ويدخل تحته حسن العادة . وإنما قال إن شاء الله لانهكال على تربيته ومعرفته .

فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ  
انْكَبُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا تَلْعَلْ هِيَ مِنْ رَبِّي أَوْ جَدْوَةٌ مِنَ الْبَارِئِ فَعَلُوا مِمَّا  
أَمَرُوا ۖ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ  
الشَّجَرَةِ أَنْ يَسْمُوعِي إِلَهَ آدَمَ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝ وَأَنْ أَلْقِي عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا هَتَّتْ  
كَأَنَّهُ جَانٌّ وَلِي مُدِيرٌ ۖ وَلَزَّ يُعْقِبُ يَسْمُوعِي أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ۝  
أَسَأَلَكَ بِذَلِكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَةً مِنْ غَيْرِ سَوٍ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنْ  
الرَّهْبِ ۖ فَذَلِكَ بَرَهْنَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا مُنْكَسِرِينَ ۝

وإن فيه للعقد كيف ينفذ مع هذا شرط . فانك لو قلت امرأتى طالق إن شاء الله لا تطلق ؟  
فلما هذا ؟ لا يخاف بالشرع .

أما قوله تعالى ( قال ذلك بين وبينك ) فاعلم أن ذلك مبتدأ وبينك غيره وهو إشارة إلى  
ما عاهده عليه شعب عليه السلام . يريد ذلك الذي قلته وعاهدتني عليه قائم بيتاً جبرئلاً لا يخرج  
كلاماً عداً لا أنا عما شرطت على ولا أنت عما شرطت على نفسك ، ثم قال ( أليس الأجلين قضيت ) من  
الأجلين أضربها الذي هو الشر أو أقصرها الذي هو النسيان ( فلا عدوان على ) أي لا ابتدئ على  
في طلب الزيادة أراك بذلك تقرر أمر الحيزر يعني أن شاء هذا وإن شاء هذا ويكون اختيار  
الأجل الزائد هو كولا إلى رأي من غير أن يكون لأحد عليه إحصاء ، ثم قال ( والله على ما نقول  
وكبير ) والوكيل هو الذي وكل إليه الأمر ولم يستعمل المركب في معنى الشاهد عدى على  
هذا السبب .

قوله تعالى : فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا قال لأهله  
انكبتوا إن آنست نارا لعل أنبيكم منها خبر أو جدوة من النار لعلكم تصطلون ، فلما أتاهم نودي  
من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين ، وأن  
ألقي عصاك فلما رآها هتت كأنها جان ولي مدبراً ولم يعقب يا موسى أقبل ولا تخف إنك من  
الأمين أسألك بذلك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء ، وأضمم إليك جناحك من الرهب فذلك



(الثاني) قول أبي الحسن الأشعري وهو أن الكلام الذي ليس بحرف ولا صوت يمكن أن يكون مسموعاً، كما أن الذات التي ليست بحسم ولا عرض يمكن أن تكون مرئية. ففي هذا القول لا يبعد أنه سمع الحرف والصوت من الشجرة وسمع الكلام فتقدم من الله تعالى لا من الشجرة ولا مناداة بين الأمرين، واحتج أهل السنة بأن عمل قوله (إني أنا الله رب العالمين) لو كان هو الشجرة لكان قد قالت الشجرة إني أنا الله، والمنزلة أجابوا بأن هذا إنما يلزم لو كان المتكلم بالكلام هو عمل الكلام لا عمله وهذا هو أصل المسألة. أجاب أهل السنة بأن الفراع المسموم قال لا تأكل مني فإن مسموم فمعاذ ذلك الكلام حوامته تعالى، فإن كان المتكلم بالكلام هو ما عمل ذلك الكلام لزم أن يكون الله قد قال لا تأكل مني فإني مسموم، وهذا باطل، وإن كان المتكلم هو عمل الكلام لزم أن تكون الشجرة قد قالت إني أنا الله وكل ذلك باطل.

المسألة الثانية (ج) يحتمل أن يقال إنه تعالى خلق فيه علماً ضرورياً بأن ذلك الكلام كلام الله وانصرفه لا يرضون بذلك قالوا لأنه لو علم بالضرورة أن ذلك الكلام كلام الله لوجب أن يعلم بالضرورة وجود الله تعالى لأنه يستحيل أن تكون الصفة معلومة بالضرورة والذات معلومة بالنظر ولو علم موسى أنه الله تعالى بالضرورة لزال التكليف. ويحتمل أن يقال إنه تعالى لما سمعه الكلام الذي ليس بحرف ولا صوت عرف أن مثل ذلك الكلام لا يمكن أن يكون كلام الخلق ويحتمل أن يقال إن ظهور الكلام من الشجرة كظهور النسيم من الحصى في أنه يعلم أن مثل ذلك لا يكون إلا من الله تعالى، ويحتمل أن يكون المنعجز هو أنه رأى ثمار في الشجرة الرطبة فلم أنه لا يقدر على الجمع بين التبرؤين خضرة الشجرة إلا الله تعالى، ويحتمل أن يصح ما يروى أن إبليس لما قال له كيف عرفت أنه ندا الله تعالى؟ قال لأن سمعت بجميع أجزائي. فلما وجد حس السمع من جميع الأجزاء علم أن ذلك ما لا يقدر عليه أحد سوى الله تعالى، وهذا إنما يصح على مذهبي حيث قلنا الحقية ليست شرطاً.

المسألة الثالثة (ج) قال في سورة النمل (نودي أن بورك من في ثمار ومن حولها) وقال فيها نودي (إني أنا الله رب العالمين) وقال في طه (نودي إني أنا ربك) ولا منافاة بين هذه الأقسام فخر تعالى ذكر الشكك إلا أنه حكى في كل سورة بعض ما اشتمل عليه ذلك التاء.

المسألة الرابعة (ج) قال الحسن إن موسى عليه السلام نودي نداً بالوحي لأداء الكلام والدليل عليه قوله تعالى (واستمع لما يوحي) قال الجمهور إن الله تعالى كلمه من غير واسطة والدليل عليه قوله تعالى (وكلم الله موسى تكليماً) وسائر الآيات. وأما الذي نسب به الحسن ضيق لأن قوله (واستمع لما يوحي) لم يكن بالوحي لأنه لو كان كذلك أبدأ بالوحي لا تنهى آخر الأمر أن يكلم بدمه المكاف لا بالوحي وإلا لزم التسلسل بل المراد من قوله (واستمع لما يوحي) وحشته بأن يشهد في الأمور التي تصل إليه في مستقبل الزمان بالوحي.

أما قوله (وَأَنَّ الْقِيَامَةَ عَلَيْكَ) فلما رأى أنها كانت لها جان وبى مدمراً ولم يعقب بأمر موسى أقبل ولا تحب ذلك من الآمنين) فقد تقدم تفسر كل ذلك، وقوله كأنها جان صريح في أنه تعالى شبهها بجان ولم يقل إنه في نفسه جان، فلا يكون هذا منافقاً لكونه شيئاً بل شبهها بجان من حيث الاعتزال والحركة لا من حيث المقدار، وقد تقدم الكلام في حروفه، ومعنى (وَلَمْ يَعْقِبْ) لم يرجع، يقال عقب القاتل إذا كرر يده القتل، وقال وهب إنها لم تدع شجرة ولا صخرة إلا ابتليتها حتى سمع موسى عليه السلام صرير أسنانها وسمع قفقه الصخر في جوفها حينئذ، ولى، واختلافوا في الاتصال وجوده (أحدهما) قالوا إن شيئاً كانت عنده هي الأتية عليهم السلام، فقال لموسى يتألى إذا دخلت ذلك نوبت فخذ عصا من تلك العصا، فأخذ عصا سقط بها آدم عليه السلام من الحة ولم تزل الأتية تنوارتها حتى وفدت إلى شبيب عليه السلام فقال آرى أنها طسها وكان مكفوءاً فعن بها فقال خذ غيرها فما وقع في يده إلا هي سبع مرات فلم أن له معها شيئاً (وروى) أيضاً أن شيئاً عليه السلام أمر أخته أن تأخذ عصا من تلك العصا، فدخلت البيت وأخذت عصا وأتته بها فلما رآها انتبج قال ألقها بغيرها، فألقها وأرادت أن تأخذ غيرها فلم يقع في يدها غيرها، فلما رآى الشبح ذلك رحنى به ثم ندم بعد ذلك وخرج يطلب موسى عليه السلام فلما لقيه قال أعصى أمراً، قال موسى هي عصاى وأنى أن يعصيه إذا ما فاختصها، ثم توافها على أن يجعلها بينهما أول رجل يلحقها فألتامها ملك بنى وقضى بينهما فقال صودها على الأرض فمحلها فملى له ما ملها الشبح فلم يطق وأخذها موسى عليه السلام بسوقه، فركبها الشبح له ورعى له عشر سنين (والشبح) روى ابن صالح عن ابن عباس قال كان في دار يرون من أحيى شبيب بيت لا يدخله إلا يرون وأبنة التي زوجها من موسى عليه السلام، وأنها كانت تمكسه وتظفقه، وكان في ذلك البيت ثلاث عشرة عصا، وكان يرون أحد سمر ولد آمن الذكور وكلها أدرك منهم ولم أفره بدخول البيت وإخراج عصا من تلك العصا فربيع موسى ذات يوم إلى منزله، فلم يجد أهله واحتاج إلى عصا رعية فدخل ذلك البيت وأخذ عصا من تلك العصا وخرج بها فلما غشت امرأته ذلك انقضت لى أبا وأحمره بذلك فسر فلذلك يرون وقال فلما كان رجب هذا لى، وإن له مع هذه العصا لثأراً (وثالثها) في بعض الأخبار أن موسى عليه السلام لما عقد العقد مع شبيب وأصبح من العقد وأراد الزوى قال له شبيب عليه السلام اذهب بهذه الأغنام فإذا سألت مغربى الطريق فخذ على يسارك ولما تأخذ على يمينك وإن كان الكلب بها أكثر فإن بها شيئاً عظيماً وحشى عليك وعلى الأغنام منه، وذهب موسى بالأغنام فلما بلغ مغربى الطريق أحضت الأغنام ذات النبين فاجهد موسى على أن يدخلها فلم يجد فسار على أثرها ورأى عضباً كثيراً، ثم إن موسى عليه السلام نام والأغنام نعى وإذا بالنبي قد جاء فقامت عصا موسى عليه السلام فقالت حتى قتلت وعادت إلى جنب موسى وهي ذمية فلما احتفظ موسى عليه السلام رأى العصا ذمية والنين

مفتولاً ما تاج لحمل وعلم أن الله تعالى في تلك المواقف وآفة . ولقد رأى شعب عليه السلام  
 ذلك سريراً فحينئذ ناداهم فقالوا يا أيها الناس انزلوا من ذلك فاجره موسى عليه  
 عليه السلام بالقتل فخرج بذلك وطلب إلى موسى عليه السلام وعنده ثأناً ، فلما أن جازى موسى  
 عليه السلام على حشر ربه في كراهة أو بغيره (لأنه كان ابن وهدى لك من الدخال التي تصدها  
 أغصان في هذه المسألة التي أنت وسفاهة ، فأرسل الله تعالى إلى موسى عليه السلام أن اصبر وصدك  
 ابنك الذي أنسى نعم الله ففعلت ثم حتى لا يصبره ولا أمركت واحدة منها ولا وسعت حلها  
 وابن أطلق وبلغا . ثم لم يلبث أن ذلك ربه وسفاهة الله تعالى إلى موسى عليه السلام وأمر أنه مرفى  
 في شراطة (وراهما) قال بعضهم تلك الصداقة عليه السلام وإن جازى عليه السلام  
 أحد لك الصداقة موت ثم عليه السلام . فكانت معه حتى قتلها موسى عليه السلام وبه نيل  
 (وحاشاك) قال الحسن ما ياب إلا عصا من شجر اعترضوا انتم أيضاً أي أحد منكم . عرض  
 الشجر فكان اعترض إمام . بخير . وعن الكوفي : الشجرة التي منها ودى شعرة التورسج . ومنها  
 كان . عصا ولا مضطج في ترجيع بعض هذه توجد على بعض ذئب أس في القرآن ما يدل عليها  
 والأخبار متعارضة والله أعلم به .

أما قوله تعالى (اصمم بك لي جناحك) من غير سور . فاعلم أن الله تعالى قد عبر عن  
 هذا المعنى بثلاث عبارات (أحدها) صمم (ثانيها) قوله في صمم (واصمم بك لي جناحك  
 تخرج بضمة) والثالثة قوله في الغفل (واصمم بك لي جناحك) قال المصنف في غريب القرآن  
 (صمم بك لي جناحك) أدخلها فيه .

أما قوله (واصمم إليك جناحك من الرهب) فأحسن التفسير كلامه عليه . قال صاحب الكشف :  
 وهو معناه (أحدها) أن موسى عليه السلام لما طلب الله له العصا حية فزع واضطرب فلقاها  
 بيده كما يفعل الخائف من الشبه . فقبر له إيد الجناح بذلك فيه غشقة عند الإعداد . فإنما ألقبها  
 وكما نقاب حية فأدخل بك تحت عضدك مكان . فقال لك بها . ثم أخرها أيضاً ليحصل الأمان  
 اجتناب ما هو غشقة عليك وإظهار معجزة أخرى . والمراد بما جامع اليد لأن سبي الإنسان  
 تنزله مناسي الظاهر . وإذا أدخل يده اليمنى تحت عضده اليسرى فقد صمم جناحه إليه (الثاني) أن  
 يراد صمم جناحه إليه تجده وصطفه نفسه واشده عند انقلاب العصا حية حتى لا يضطرب ولا  
 يرهب استغارة من نفس الظاهر . لأنه إذا انحرف نثر جناحه وأرجاهما وإلا لجناحه مضطرباً  
 إليه مضطرباً . ومعنى قوله (من الرهب) من أحل الرهب . أي إذا أصابت الرهب عند رؤية الحية  
 فاصمم إليك جناحك وقوله (صمم بك لي جناحك) على أحد التفسيرين واحد . ولكن خولف  
 بين العبارتين . وما ذكره المعنى الواحد لا اختلاف الفرضين . وذلك أن الفرض في أحدهما  
 خروج اليد يهنا وفي الثاني إخفاء الرهب . فإن قيل قد جعل الجناح وهو اليد في أحد الموضعين

قَالَ رَبِّ إِنِّي فَتَّاتٌ مِنْهُمْ فَقَاتِلْهُمْ أَنِ يَقُولُوا رَبِّي هُوَ  
فَصَحَّحَ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلَهُ مَعِي رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿١٠٠﴾  
قَالَ مَثَبُكُمْ عِندِي زَلِيلٌ وَتَعْمَلُونَ لَكُمْ مَتَاعًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمْ بِأَيْنِسَانَانِ  
وَمِنْ أَتْبَعَكُمْ الْغُلَامُونَ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا  
إِلَّا سِحْرٌ مُضْتَرٌّ وَمَا صَحِّفَتْ بِهِدَانِي أَبَائِنَا إِلَّا أَوَّلِينَ ﴿١٠٢﴾ وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ  
جَاءَ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُمْ عَذَابَةُ الدَّرَجَةِ لَا يَفْلَحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٠٣﴾

مضموماً وأى الآخر مضموماً إليه ، وذلك قوله ( واسمك إليك حساك ) وقوله ( واسمك عندك ليل حساك ) فان الذين بينهما أقتلوا الموت بأخراج المضموم هو الـ اسمى ، والمضموم إليه الـ يد الصغرى ، وكل واحد من بين الـ يد وسراهما خارج ، هذا كله كلام صاحب التفسير وهو فى بهار الخس .

أما قوله تعالى ( وما كنت ) فهي " حقيقاً وعندها ، فأنقضت متى ذاك ، وأشدت متى ذاك ، قوله  
( برهاناً من ربك ) جهتان : إحداهما على صدقه في تنويه وصحة ما يدعيه إليه من التوحيد ، وظاهر  
الكلام يقتضي أنه تعالى أمره بذلك قبل نقضه ، وعون حقه ، شرف ما الذي يظهره عليه من المعجزات .  
لأنه تعالى حكى بعد ذلك عن موسى عليه السلام أنه قال ( إني كنت منهم غيباً فأصاف أبى يثرون )  
قال القاضي : وإذا كان كذلك فيجب أن يكون في حال ظهور البرهان منك من دعاء إليه .  
من أهله أو غيرهم ، إذ المعجزات إنما تظهر على الرسل في حال الإرسال لا قبله ، وإنما تظهر لكي  
يستدل بها غيرهم على الرسالة وهذا ضيق ، لأنه لئب أنه لابد في إظهار المعجزة من حكمة ولا  
حكمة أعظم من أن يستدل بها الغير على صدق المدعي ، وأما كونه لا حكمة منها فلا نسف ، فقبل  
هناك أوتياً من الحكيم والناقص سوى ذلك ، لا سيما وهذه الآيات متعاقبة على أنه لم يكن هناك  
مع موسى عليه السلام أحد .

قوله تعالى: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُقْبَلُوا مِنِّي وَأَنْ أُصَلِّىَ هُوَ آخِصٌ لِّى



ما هنا إلا صريح مغرر وما سمعنا بهذا في آياتنا الأولى ، وقال موسى ربى أعلم بمن جاء بالحقى من عنده ومن أتكون له جانية الدار إليه لا يطلع الظالمون .

اعلم أنه تعالى لما قال ( فأتاك برهان من ربك إلى فرعون ومثله ) تضمن ذلك أن يذهب موسى بهذين البرهانيين إلى فرعون وقومه ، فحينئذ طلب من الله تعالى ما يقوى قلبه ويثبت قومه . فقال ( رب إني خشيت منهم غضباً فأخاف أن يقتلون ، وأخشى فرعون هو أن يصح منى أسأناً ) لأنه كان في لسان حبة ، إما في أصل مختلف ، وإما لأجل أنه وضع الجرة في فيه عند ما تنفخ لجة فرعون .

أما قوله : فأرسله معي ردأ يصدقى ( فيه أمثال :

( البحث الأول ) : الردء اسم ما يستعان به فعل بمعنى مفعول به ، كما أن الخذف اسم لما يذفأ به . يقال ردأت الحائط أردؤته إذا دعت بهتت أو غيره لئلا يفسد .

( البحث الثاني ) : قرأ تابع ردأ غير مصر ولا يكون بالهمز ، وقرأ عاصم وحزمه يصدقى رفع القاف ، ويروى ذلك أيضاً عن أن عمرو والباطون يحزم القاف وهو المشهور عن أبي عمرو . فن رفع فالتقدير ردأ مصدقاً ، ومن جزم كان على معنى الجزاء . يبنى أن أرسله صدقى . وتظهره قوله ( فهب لي من له ثقتى وليأتى ) يحزم ثقتى من يأتى . ويروى السدى عن بعض شيوخه ردأ كتباً يصدقى .

( البحث الثالث ) : الجمهور على أن التصديق لفرعون . وقال مقاتل : المسمى كى يصدقى فرعون والمعنى أرسل معي أخى حتى يعاصدنى على إظهار الحجلة والسان ، عند اجتياح البرهانيين ، وما حصل المقصود من تصديق فرعون .

( البحث الرابع ) : ليس المترشح تصديق فرعون أن يقول له صدقت ، أو يقول للناس صدق موسى ، وإنما هو أن ياتخصر بسلامة التصريح وجوه الدلائل ، ويجيب عن الشبهات ويخالف به الكفار فهنا هو التصديق المفيد ، ألا ترى بل قوله ( وأرسى فرعون هو أنصح من أسأناً وأرسله معي ) وعلمة انقضاة إنما تظهر فيما ذكرناه لا في مجرد قوله ( صدقت )

( البحث الخامس ) : قال الحائى : إنما سأل موسى عليه السلام أن يرسل فرعون بأمر الله تعالى . وإن كان لا يدري هل يصالح فرعون أم لا ، فلم يكن لسأله ما لا يأمن أن يجاب أو لا يكون حكمة . ويحتمل أيضاً أن قال إنه سألته لا مطلقاً من مشروطاً على معنى : إن أمنت الحكمة ذلك في غيره الداعي في دعائه .

( البحث السادس ) : قال السدى : إن بين وبين وآبين أقوى من نبي واحد وآية واحدة . قال الفاضل : الذى قاله من حجة زيادة أقوى علمه من حجة الدلالة فلا يرقى بين معجزة ومعجزتين سوى ويثبت لأن المعجزة إنه من نفس في أيها كان علم ، وإن لم يخفف فالحالة واحدة . هذا إذا

كانت طريقة الدلالة في المعجزتين واحدة ، فأما إذا اختلفت وأمكن في إحداها إزالة الشبهة ما لا يمكن في الأخرى ، فغير متعجب أن يحتلوا ويصلح عند ذلك أن يقال إنهما معجموعهما أقوى من إحداهما على ما قاله السدي ، لكن ذلك لا يتأتى في موسى وهرون عليهما السلام ، لأن معجزتهما كانت واحدة لا متباينة .

أما قوله ( سندد عضدك بأخيك ) فاعلم أن العضد قرام اليد ويشتدنا نسد ، يقال في دعا الخبر شد الله عضدك ، وفي جندة أنت الله في عضدك . ومعنى سندد عضدك بأخيك ستقويك به ، وإنما أن يكون ذلك لأن اليد تشتد لشدة العضد وأخوة تقوى بشدة اليد على مرأولة الأعداء ، وإما لأن الرجل شبه باليد في اشتدادها باشتداد العضد فجعل كأنه يد مشددة بعضد شديدة .

أما قوله ( وتعمل لك سلطاناً فلا يصلون إليك ) فالحق صوره أن الله تعالى آتاه بما كان يحذر فان قيل بن تعالى أن السلطان هو بالآيات فكيف لا يصلون إليهما لأجل الآيات أو ليس هرون قد وصل إلى صلب السحرة وإن كانت هذه الآيات ظاهرة ، فلما إن الآية التي هي قلب النماحية بما أنها معجزة فهي أيضاً تمنع من وصول ضرر فرعون إلى موسى وهرون عليهما السلام . لأنهم إذا علموا أنه متى ألقاهما صارت حبة عظمية وإن أراد إرسالها عليهم أهلكتهم زجرهم ذلك عن الإقدام عليها فصارت مادة من الوصول إليهما بالقتل وغيره وصارت آية ومعجزة باعتمدت بين الأمرين ، فأما صلب السحرة ففيه خلل ففهم من قال ما صلوا وليس في القرآن ما يدل عليه راسخ . بلنا ذلك ولكنه تعالى قال ( فلا يصلون إليك ) فالتعويض أنهم لا يقدرين على إيصال الضرر إليهما وإيصال الضرر إلى غيرها لا يفتح فيه ، ثم قال ( أنها ومن اتبعكها الغالبون ) والمراد إما العلبة بالحق والبرهان في الحال ، أو العلة في الدولة والمملكة في ثاني الحال والأول أقرب إلى الظبط .

أما قوله ( فلما جازم موسى آياتنا بينات ) فقد بينا في سورة طه أنه كيف أطلق لفظ الآيات وهو جمع على العسا واليد .

أما قوله ( قللوا ما هذا الا سحر مفرى ) فقد احتلوا في مفرى . فقال بعضهم المراد أنه إذا كان سحراً وقاطعه يوم خلقه فهو المفرى . وقال الجبائي المراد أنه منسوب إلى الله تعالى وهو من ذله فكأنهم قالوا هو كذب من هذا الوجه ثم صعدوا إليه ما يدل على حيلهم وهو قوله لم يؤمن سمعت بهذا في آياتنا الأولى ( أي ما حدثنا بكونه فيهم ) ولا يعلم من أنه يكونوا كاذبين في ذلك وقد صعدوا مثله أو يريدوا أنهم لم يصعدوا بمثله في قضائه . أو ما كان الكهان يخبرون بظهور موسى عليه السلام وبجيته بما جاء به .

واعلم أن هذه الشبهة باعتماد لأن ساعداها يرجع إلى التردد ولأن الأوائل لا يخلو من رجوس . إما أن لا يورد عليهم بمثله هذه الحجة فثبت الفرق ظاهر لم يورد عليهم وقدفوه فينفذ

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَأْتِيَانِي الْأَعْلَاءُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْنَعُنَ عَلَى  
 النَّارِ فَأَجْعَلَ لِي صَرْحًا تَعْلَى أَطْلِعُ إِلَيْكَ إِلَهِي مُوسَى وَإِنِّي لَأُظْهِرَنَّ الْكَذَّابِينَ  
 ﴿٢٦﴾ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُم إِلَيْنَا لَا رُجُوعَ  
 ﴿٢٧﴾ فَخَذَّاهُ وَجُنُودُهُ فَنَيْدَتْهُمْ فِي أُنْجٍ فَأَنْظَرُ كَيْفَ كَانَ عَذَابُهُ الظَّالِمِينَ  
 ﴿٢٨﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَهْلَةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْفَيْصَةِ لَا يُبْصَرُونَ ﴿٢٩﴾ وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي  
 هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْفَيْصَةِ هُمْ مِنَ الْمُقْبِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى

لا يجهون جبل جهلهم وغطتهم حجة، ففقد ذلك قال موسى عليه السلام وقد عرف منهم العناد (يرى)  
 أعلم بين جاء بالهدى من عنده ومن تكوّن له عاقبة الدار) فإن من أظهر الحجة ولم يجد من الخضم  
 أكثرها عليها وإنما لما وجدته العناد صح أن يقول وفي أعلم بين منه أغدى والحجة بنا حية  
 ومن هو على الباطل ويضمر إليه طريقة الوعيد والتنويف وهو قوله (ومن تكوّن له عاقبة الدار)  
 من ثواب على تنسك بالحق أومن خطاب وعاقبة الدار هي العاقبة المصودة والدليل عليه قوله تعالى  
 (أولئك هم عقبى الدار، جنات عدن) وقوله (وسيطم الكفار لمن عقبى الدار) والمراد بالدار  
 الدنيا وعاقبتها ونعناها أن يحتم لعبد بالرحمة والرحمة وتلقى الملائكة بالشرى عنه أفوت فإن  
 قيل العاقبة المصودة والمصومة كتابها يصبح أن قسمي عاقبة الدار، لأن الدنيا قد تكونت  
 خاتمتها بخير في حق البعض وبشر في حق البعض الآخر، فلم اخصت خاتمتها بالخير بهذه السمية  
 دون خاتمتها بالشر؟ قلنا إنه قد وضع الله سبحانه الدنيا مجازاً إلى الآخرة وأمر عباده أن لا يعملوا  
 فيها إلا الخير ليلغوا خاتمة الخير وعاقبة الصنف، فمن عمل فيها خلاف ما وضعها الله له فقد خرف،  
 فإن عاقبتها الأصلية هي عاقبة الخير، وأما عاقبة سوء فلا أعداد بها لأنها من نتائج تعريف  
 للفساد، ثم إنه عليه السلام أكد ذلك بقوله (إله لا يطلع الظالمون) والمراد أنهم لا يظفرون  
 بالفرود والتجاة والتابع بل يحصلون على ضد ذلك وهذا نهاية في ذمهم عن العناد الذي ظهر منه.  
 قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي بِأَعْدَادٍ عَلَى الطِّينِ  
 فَأَجْعَلَ لِي صَرْحًا تَعْلَى أَطْلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأُظْهِرَنَّ الْكَذَّابِينَ وَجُنُودُهُ فِي  
 الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُم إِلَيْنَا لَا رُجُوعَ﴾، فأخذناه وجنوده فيضنهم في اليوم فأنظر كيف كان

الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَمَلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ  
يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٤﴾

عاقبة الظالمين . وجملام آتة يدعون إلى البار و يوم القيامة لا بصرون ، وأبصار في هذه الدنيا  
لغة و يوم القيامة هم من المنبر حين . ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أملكنا القرون الأولى  
بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون ﴿

اعلم أن فرعون كانت عادته متى ظهرت حجة موسى أن يتعلق في دفع تلك الحجة بشبهة  
بروحها على أغمار قومه وذكر ههنا شبهتين ( الأولى ) قوله ( ما علمت لكم من إله غيري ) وهذا  
في الحقيقة يشتمل على كلامين ( أحدهما ) نفي إله غيره ( والثاني ) إثبات إلهية نفسه : فأما الأول  
فهو كان اعتقاده على أن ما لا دليل عليه لم يجر إثباته . أما أنه لا دليل عليه فلا لأن هذه الكواكب  
والأعلاك كافية في اختلاف أسرارها هذا العالم السفلي فلا حاجة إلى إثبات صانع . وأما أن ما لا  
دليل عليه لم يجر إثباته فالأمر فيه ظاهر .

واعلم أن الحق في الأولى كاذبة فإنا لا نعلم أنه لا دليل على وجود تصانع وذلك لأننا إذا عرفنا  
بالدليل حدوث الأجسام عرفنا حدوث الأعلاك والكواكب ، وعرفنا بالضرورة أن الحدث  
لا يبدؤه من حدث فحينئذ نعرف بالله دليل أن هذا العالم له صانع ، والواجب أن جماعة اعتدوا في نفي  
كثير من الأشياء على أن قالوا لا دليل عليه فوجب نفيه ، قالوا وإني نفاي له لا دليل لأننا جئنا  
وسيرنا فلم نجد عليه دليلاً ، فربيع حاصل كلامهم بعد التحقيق إلى أن كل ما لا يعرف عليه دليل  
وجب نفيه ، وإن فرعون لم يقطع بإنفي بل قال لا دليل عليه فلا أثبتة بل أثبتة كاذبة في دعواه .  
ففرعون على نهاية جهله أحسن حالا من هذا المستدل . أما الثاني وهو إثباته إلهية نفسه . فاعلم أنه  
ليس المراد منه أنه كان يدعي كونه خالقاً للسموات والأرض والبحار والجبال وخالقاً لقوات  
الناس وصفاتهم . فإن العلم بالمتناع ذلك من أوائل العقول فالحشك فيه يقتضي زوال العقل . بل الإله  
هو المعبود فالزجل كان ينق التصانع ويقول لا تكليف على الناس إلا أن يعطوا ملككم وينقادوا  
لأمره . فهذا هو المراد من ادعائه الإلهية لا ما ظنه الجمهور من ادعائه كونه خالقاً للسموات والأرض .  
لا سيما وقد دلت في سورة طه في تفسير قوله ( فن دبك يا موسى ) على أنه كان عارفاً بالله تعالى  
وأه كان يقول ذلك ترويحاً على الأغمار من الناس ( فليسه الإثنية ) قوله ( فأوردني يا هامان على  
الطين فاجلس لي صرحاً لعلني أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين ) ومنها إجماع :

( الأول ) خلفت المشبهة بهذه الآية في أن الله تعالى في السماء قالوا لولا أن موسى عليه السلام  
دعاه إلى تلك لما قال فرعون هذا القول ( والجواب ) أن موسى عليه السلام دل فرعون بقوله

( رب السموات والأرض ) ولم يقل هو الذي في السماء دون الأرض ، وأوم فرعون أنه يقول إن إلهي في السماء . وذلك أيضاً من حيث فرعون ومكره ودهائه .

في ثلثي مج اختفوا في أن فرعون هل بقي هذا الصرح ؟ فقال قوم إنه بناء قالوا إنه بناء أمر منه الصرح جمع هاهنا لئلا حتى احتجب خمسون ألف بناء سوى الاتباع والأحرار . وأمر بطبع الأحرار والجهر ونهر الخشب وحضره المسامير فشدوه حتى بلغ عالم يطلع بهيان أحد من الخلق . فصبت الله تعالى جمر بل عليه السلام عند غروب الشمس فحضره بجانبه فقطعه ثلاث قطع فطعمه وقمت على عسكر فرعون فذات ألف ألف رجل ونصف وقت في البحر وقطعه في المغرب . ولم يبق أحد من عماله إلا وقد هلك . ويروى في هذه القصة أن فرعون لما رقى فرقه ردى من غشابة نحو السماء فأراد الله أن يغتهم بردت إليهم وهي مطبوخة بالشم . فقال قد فلتك إله موسى . فعد ذلك بعدد الله تعالى جبريل عليه السلام لحده . ومن الناس من قال إنه لم يبق ذلك الصرح لأنه بعد من له قتلا . أن يضروا أهم بصود الصرح يفررون من السماء مع عليهم أن من على أعلى الجبال شاهد هذا يرى السماء كما كان يرأها حين كان على قرار الأرض . ومن شك في ذلك خرج عن حد العقل . وهكذا القول فيما يقدر من ردى السم إلى السماء ورجوعه مطلقاً منهم . فإن كل من كان كمال العقل يعلم أنه لا يمكنه اتصال السم إلى السماء . وأن من حاول ذلك كان من الخائين فلا يليق بالعقل والدين حمل القصة التي حكها الله تعالى في القرآن على محلي صرف فساد بضرورة انقراض . فيصير ذلك مشرعاً قرياً على أحب الناس في القرآن . فالأقرب أنه كان أوم السماء ولم يكن لو كان هذا من نفسه قوته ( ما علمت لكم من إله غيري ) حتى لا يسيل إلى إثباته بالتدليل . فإن حركات سكون كعب كافية في تغير هذا العالم ولا يسيل إلى إثباته بأحد . فإن الاحتماس به لا يمكن إلا بعد صدق سبحانه . وذلك بما لا يسيل إليه . ثم قال عند ذلك فاعلم ( أي لي صرحاً أبلغ به أسباب السموات ) . وإثباته قال ذلك على سبيل تنهك فيه جموع هذه الأشياء . قرر أنه لا دليل على الصانع . ثم إنه رتب الدجاجة عليه فقال ( وروى لألفه من الكافرين ) فهذا التأويل أولى بما عداه .

في الثالث : ما إذا قال ( أودعني بأهليان على الطين ) ولم يقل أودعني في البحر وأغنه لأنه أودع من عمل البحر وهو بعد الصنعة . ولأن هذه العبارة أليق بهصاحة القرآن وأشد بسلام اجابة وأمر هاهنا . وهو وزير . لا يقدح على الطين فنادى باسمه يافى وسط الكلام دليل على العظم والجبر . والحلوع والاحلاص الصدود يقال طلع الجبل وأطلع بمعنى واحد .

أما قوله ( واستنكر هو وجنوده في الأرض بغير الحق ) فاعلم أن الاشتكبار بالحق إنما هو لله تعالى وهو المستنكر في الحقيقة أي المانع في كبرياء الشأن . قال عليه السلام فيها حكم عظيم . استنكر ياء ذلك والمطعة إن أرى . من نأوى واحداً بينهما أنتبه في الحذر . وكل مستنكر سواء . واستنكره بغير الحق .

﴿ المسألة الثانية ﴾ قال الجبائي الآية تدل على أنه تعالى ما أعطاه الملك وزلا لكان ذلك يعنى وهكذا اكل مذهب . لا كما ليس ملك على أمة عند تعاليم أن ملكهم من الله تعالى فان الله تعالى قد جاز في كل خاص حكم الله أنه أخذ ذلك بغير حق . وأعلم أن هذا ضئيف لأن وصول ذلك الملك إليه ، إما أن يكون من أمر من الله تعالى ، أو لا من الله تعالى ، فان كان من الله لم يقدر عليه غيره . ومن كان الصانع أو لا . وأخذ كثير من المتول للأمر : وإن كان من الله تعالى فقد صح انحراف . وإن كان من سائر الناس لم اجتمعت دعوى الناس على نصرته أحدها وخلاف الآخر ؟ وأعلم أن هذا أظهر من أن يربط به العقل .

أما قوله ( وظنوا أنهم إله ) لا بد دعوى ( فهذا يدل على أنهم كانوا عارفين بالله تعالى إلا أنهم كانوا يسكنون تحت فلاجل ذلك تردوا وظنوا ) .

أما قوله ( فأخذناه وحشوه فبهدهم في اليوم ) فهو من الكلام المقصود الذي دل به على عظم شأنه . وكما أنه سخطه . منهم استحقاقاً لهم واستغلا لا يندم . وإن كانوا الكبر الكثير والجهم الغفير محضيات الله من أخذ في كفه فخرين في البحر . ونحو ذلك وقوله ( وألقينا فيها رؤسنا مشاغلات ) وحسب الأرض والجبال هلك ذكراً واحدة . وما قدرنا الله حتى قدره . والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة . ونحوها من طويات بيته ) سبحانه وتعالى وليس الترخص به ولا تصوير أن كل مقدور . وإن عظم فهو حقير باقياس إلى قدرته .

أما قوله ( وجعلناهم أشبه بدعوى إلى الدار ) فقد تضمنت به الإصحاح في كونه تعالى حافظاً للخبر والشر . قال الجبائي المراد بقوله ( وجعلناهم ) أي بينا ذلك من حالهم وسببهم به . ومنه قوله ( وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً ) ونحوه أهل الجنة في نفسهم ونحوه جعله فاسقاً وعيلاً . لا لأنه سقيم لأنه كان حاشه ثم كانوا أضعافاً . وقال الكمي : إنما قال ( وجعلناهم أشبه ) من حيث خلق بهم وبين ما فعلوه ولم يعامل بالقنوية . ومن حيث كفروا ولم يتعهم بالفسر . وذلك كقولهم ( وأرادهم رحماً ) لما أرادوا عندنا وظاهر ذلك أن الرجل يدان ما يشغل عليه . وإن أمكنه قذاً بخلافه قيل لما قيل جنت فلا عيلاً . قد بطلته . وقال أبو مسلم معنى الإمامة التقدم فلما نقل الله تعالى لهم الثواب صاروا متقدمين لما رزقهم من الكافرين . واعلم أن الكلام فيه قد تقدم في سورة مريم في قوله ( إنا أرسلنا الشياطين على الكافرين ) ومعنى دعوهم إلى النار دعوتهم إلى الجحيم . من تكبروا الله حتى ذن أحد لا يدعو إلى النار . وإنما جعلهم الله تعالى أشبه في هذا الباب لأهم بدعوى في هذا الباب أقصى التوابع . ومن كان كذلك استحق أن يكون إماماً يفتدى به في ذلك الباب . ثم بين تعالى أن ذلك التقرب سيتركهم على وجه لا يمكن تخلفه منه . وهو معنى قوله ( ويوم نقبله لا ينصرون ) أو يكون منته . ( ويوم القيامة لا يصرون ) كما ينصرون لأمة الدعوة إلى الجنة .

وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ  
 ٣٩ وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو  
 عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَلَكِنَّكَ كُنَّا مُرْسِلِينَ ٤٠ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن  
 رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ٤١ وَلَوْلَا  
 أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ قَيِّلُوا لَرَبِّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا

أما قوله ( وأنشأنا في هذه الدنيا لعنة ) معناه لعنة الله واللائكة لهم وأمره تعالى بذلك فيها  
 للزمنين ، وبين أنهم يوم القيامة من المذبحين أي المبعدين الملعونين ، والفتح هو الإبعاد ، قال الليث  
 يقال فبعده الله ، أي غناه عن كل خير . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : من المشرعين بدواد الوجه  
 وزرقة العين ، وعلى الجنة فالأولون حلوا التبع على التبع الروحاني وهو الطرد والإبعاد من رحمة  
 الله تعالى ، والباقيون حلوه على التبع في الصور . وقيل فيه إنه تعالى يقبح صورهم ويقبح عليهم  
 عملهم ويجمع بين القضايتين . ثم بين تعالى أن الذي يجب التمسك به ما جاء به موسى عليه السلام  
 فقال ( ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى ) والكتاب هو التوراة ،  
 ووصفه تعالى بأنه بصائر قاس ، من حيث يتنصر به في باب الدين ، ويعدى من حيث يستدل به ،  
 ومن حيث إن التمسك به يفوز بطلبه من الثواب ، ووصفه بأنه رحمة لأنه من نعم الله تعالى على  
 من تعبد به . ودوى أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال وما أهلك الله تعالى قوما من القرون  
 بعداب من السماء ، ولا من الأرض منذ أنزل التوراة ، غير أهل القرية التي سخطها فردة .

أما قوله ( لعلمهم يتذكرون ) فالمراد أنكي يتذكركم ، قال القاضي : وذلك يدل على إرادة  
 التذكير من كل مكلف سواء اختار ذلك أو لم يختره ، فيه إبطال مذهب المجرة الذين يقولون  
 ما أراد التذكير إلا من يتذكر . فأما من لا يتذكر فقد كره ذلك منه ، ونصر القرآن دافع لهذا  
 القول ، فلنا ليس أنكم حلتم قوله تعالى ( ولقد نزلنا لهم ) على العاقبة . فلم لا يجوز حمله هنا على  
 العاقبة ، فإن عاقبة الكل حصول هذا التذكير له وذلك في الآخرة .

قوله تعالى : ٣٩ وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين ،  
 ولكننا أنشأنا قرونا تطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا في أهل مدین تاتل عليهم آياتنا ولكننا  
 كنا مرسلين . وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتندد قوما ما أتاهم من نذر

## فَتَتَّبِعْ أَتَائِكَ وَتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾

من فلك عليهم بذلك . ولولا أن نصيبهم نصيبه بما قدمت أيديهم بقولوا ربنا لولا أرحمتك علينا ، لولا فتابع أيتائك وتكون من المؤمنين . اعلم أن في الآية - مؤالات :

( السؤال الأول ) الجانب موصوف ، ونحوه صفة ، فكيف أضاف الموصوف إلى الصفة ؟ ( الجواب ) هذه مسألة خلافية بين النحويين ، فمذهب البصريين لا يجوز إضافة الموصوف إلى الصفة إلا بشرط حاصر ، سنذكره . وعند الكوفيين يجوز ذلك مطلقاً حجة البصريين ، أن إضافة الموصوف إلى الصفة تقتضي إضافة الشيء إلى نفسه ، وهذا غير جائز فذلك أيضاً غير جائز ، وإن اللازمة أنك إذا قلت جادى زيد الغربى ، فلفظ الضريف يدل على شيء معين في نفسه مجهول بحسب هذا اللفظ حصصت له الطرافة ، وإذا انفصلت على زيد عرفنا أن ذلك الشيء الذى حصصت له الطرافة هو زيد . إذا ثبت هذا ، فلو أضفنا ( زيدا ) إلى ( الغربى ) ، كنت قد أضفت زيدا إلى زيد ، وإضافة الشيء إلى نفسه غير جائزة ، وإضافة الموصوف إلى صفته واجب أن لا يجوز ، إلا أنه جاء على خلاف هذه القاعدة العاط ، وهى قوله تعالى في هذه الآية ( وما كنت بجانب الغربى ) وقوله ( وذلك دين القيمة ) وقوله ( حتى تتبع ) ( ونسار الآخرة ) ويقال صلاة الأولى ومسجد الجامع وبقعة اخفاء ، فقالوا التاريل فيه جانب الغربى ودين المنة القيمة وحق الشيء البقعة ودار الساعة الآخرة وصلاة الساعة الأولى ومسجد المكان الجامع وبقعة الحجة اخفاء ، ثم قالوا في هذه المواضع : المضاد إليه ليس هو المنة ، بل المنعوت ، إلا أنه حذف المنعوت وأبقى التمت حقاؤه فيها ، نظر إن كان ذلك التمت كائنين لذلك المنعوت ، حسن ذلك وإلا فلا ، ألا ترى أنه ليس لك أن تقول عيسى جيد على معنى شدى درهم جيد ، ويجوز مررت بالغيبه على معنى مررت بالرحل الغيبه ، لأن الغيبه يعلم أنه لا يكون إلا من الناس والجيد قد يكون درهما وقد يكون غيره ، وإذا كان كذلك حسن قوله جانب الغربى ، لأن الشيء الموصوف بالغربى الذى يضاف إليه الجانب لا يكون إلا مكاناً أو ما يشبهه ، فلا يجرم حسن هذه الإضافة ، وكذا القول في "بوقا" والله أعلم .

( السؤال الثانى ) ما معنى قوله : ( إذ قضينا إلى موسى الأمر ) ؟ ( الجواب ) الجانب الغربى هو المكان الواقع في شرق الغرب . وهو المكان الذى وقع فيه ميقات موسى عليه السلام من أطوار ، وكتب الله في الألواح والأمر لمضى إلى موسى عليه السلام الروحى الذى أوحى إليه ، والمخاطب للرسول . <sup>صلى الله عليه وسلم</sup> بقوله : وما كنت حاضر المكان الذى أوجبت فيه إلى موسى عليه السلام ، ولا كنت من جهة الشاهدين للروحى إليه أو على المرحى إليه ، وهى لأن الشاهد لابد وأن يكون حاضراً وهم شهود الذين اختارهم للنبوة .



(السؤال الثالث) لما قال وما كنت بجانب الغربي ثبت أنه لم يكن شاهداً ، لأن الشاهد لابد أن يكون حاضراً ، فالتأشيد في إعادة قوله ( وما كنت من الشاهدين ) ؟ (الجواب) قال ابن عباس رضي الله عنهما : التقدير لم يحضر ذلك الموضع ، ولو حضرته فيها شاهدت تلك الوقائع ، فإنه يجوز أن يكون هناك ، ولا يشبه ولا يرى .

(السؤال الرابع) كيف ينصل قوله (ولكننا أنشأنا زرواً) بهذا الكلام ومن أي وجه يكون استزاد كاله ؟ (الجواب) معنى الآية : ولكننا أنشأنا بعد عهد موسى عليه السلام إلى عهدك فرداً كثيرة فتطاول عليهم العمر وهو القرن الذي أنت فيه ، فاندست العلوم فوجب إرسالك إليهم ، فأرسلناك وعرفناك أحوال الأنبياء وأحوال موسى ، فالخاصل كأنه قال وما كنت شاهداً لموسى وما جرى عليه ، ولكن أوحينا إليك مذكر سبب الرحي الذي هو [طالة] تغثرة ودل به على السبب ، وأن هذا الإصدارك شبه الاستدراكين بعده ، واعلم أن هذا تنبيه على المحرر كأنه قال إن في إخبارك عن هذه الأشياء من غير حضور ولا مشاهدة ولا نعلم من أهل ، دلالة ظاهرة على نبوتك كما قال ( أو لم تأتني بينة ما في الصحف الأولى ) .

أما قوله ( وما كنت تأذياً في أهل مدين ) فاللهي ما كنت ضيقاً فيه

وأما قوله ( تلذ عنهم آياتنا ) فيه وحيان ( الأول ) قال مقاتل : يقول لم تشهد أهل مدين فغضبوا على أهل مكة خرم ( ولكننا كنا مرسلين ) أي أرسلناك إلى أهل مكة وأرسلنا عليك هذه الأنبياء ، ولو لا ذلك لما علمنا ( الثاني ) قال الضحاك : يقول إليك ما بعد لم تكن فرسول إلى أهل مدين تلذ عنهم الكتاب ( وأما كان غيرك ولكننا كنا مرسلين في كل زمان رسولاً ، فأرسلنا إلى أهل مدين نبياً وأرسلناك إلى العرب لتكون حاتم الأنبياء .

أما قوله ( وما كنت بجانب نظور إذ نادينا ) يريد مناداة موسى ليلة المشاجعة وتكليمه ( ولكن رحمة من ربك ) أي عليك رحمة ، وقرأ عيسى بن عمر بالرفع أي هي رحمة ، وذكر المفسرون في قوله ( إذ نادينا ) وروحاً آخر ( أحدها ) إذ نادينا أي فلما لموسى ( ورحمته وسعت كل شيء ) أي قوله ( أأرسلناكم أم المصحف ) ، ( وثانيها ) قال ابن عباس إذ نادينا أمك في أصلاب آبائهم وبإمامة محمد أحببتكم قبل أن تدعوني ، وأصحبكم قبل أن تدعوني ، وغفرت لكم قبل أن تستغفروا ، قالوا ( ما قال الله تسأل ذلك حين اختر موسى عليه السلام سبعين رجلاً مثقات ربه ) ( وثالثها ) قال وحب لما ذكر الله لموسى فضل أمه محمد صلى الله عليه وسلم قال رب أرنيهم قال إليك لن تدركهم وإن شئت أصابعتك أصواتهم قال بلى يارب فقال سبحانه يا أمه محمد فأجابه من أصلاب آبائهم فأسمعه الله تعالى أصواتهم ثم قال : أحببتكم قبل أن تدعوني ، والحدث كما ذكره ابن عباس ( ورابعها ) روى سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله ( وما كنت بجانب نظور إذ نادينا ) قال كتب الله كتاباً قبل أن يخلق الخلق بألأى عام ثم وضعه على العرش ثم

نادى وبأمانة محمد بن رضى سبقت فضي أعطيتكم قبل أن تسألوني وغفرت لكم قبل أن تستغفروا من لقيتمكم يشبه أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله أدخلته الجنة .

أما قوله ( أنتذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك ) فالإسار هو التخريف بالعقاب على المصيبة (واعلم) أنه تعالى لما بين قصة موسى عليه السلام قال لرسوله (وما كنت بحاجب العرف) وما كنت ثابراً في أهل دفين ، وما كنت بحاجب الطور ( فجمع تعالى من كل ذلك لأن هذه الأحوال الثلاثة هي الأحوال العظيمة التي اخفت لموسى شبه السلام إذ المراد بقوله : إذ قضيت إلى موسى الأمر) إزال التوراة . حتى تكامل ديه واستقر سره وانفراد بقوله (وما كنت ثابراً) أول أمره والمراد تاديبه وسط أمره وهو ليلة النجاة ، ولما بين تعالى أنه عليه السلام لم يكن في هذه الأحوال حاضر أبين تعالى أنه بعث وعرفه هذه الأحوال رحمة للدينين ثم فسرت تلك الرحمة بأن قال ( أنتذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك ) واعتبروا فيه فقال بعضهم لم يبعث إليهم نذير منهم ( وقال بعضهم ) حجة الأنبياء كانت قائمة عليهم ولكنه ما بعث إليهم من بعد تلك الحجة عليهم ، وقال بعضهم لا يبعد وقوع الفترة في التكليف فبعث الله تعالى نذيراً ثانياً للتكليف وإزالة تلك الفترة .

أما قوله ( ولولا أن نصبهم مصيبة ) الآية فقال صاحب الكشف : تولا الأولى امتناعية وحواهم أغلظت . والثانية تحضيضية . والثالثة في قوله فبقولوا لعصاف . وفي قوله للطف . وفي قوله ( فنتع ) جواب لولا لكونها في حكم الأمر من قبل أن الأمر بات على الفعل . واندعت والمختص من واحد واحد . والمعنى ونولا أنهم قالوا : إذا عرفوا بما غدوا من الشر لولا الفاضل : هذا أرسلت إلينا رسولاً . محتمين علينا بذلك لما أرسلنا إليهم . يعني إنا أرسلنا الرسول لإزالة لهذا الضر وهو كقولهم ( فلا يكون الناس على الله حجة بعد الرسل ) أن يقولوا ما جاز من بشر ولا نذير . لولا أرسلت إليهم رسولاً فنتع آياتك ) واعلم أنه تعالى لم يزل ولولا أن يقولوا هذا العنك أرسلنا . بل قال ( ولولا أن نصبهم مصيبة فبقولوا ) هذا المدرك أرسلنا وإنا قال ذلك لكونه وهي أنهم لو لم يدعوا مثلاً وقد عرفوا بطلان دينهم لما قالوا ذلك ، بل ( إنما يقولون ذلك إذا ناهم العقاب فيك ذلك على أنهم لم يذكر هذا العذر ناسقاً على كفرهم . بل لأنهم ما أطاعوا وبه نبيه على استحكام كفرهم ورسوخه فيهم كقولهم (ولو ردوا عادوا لما نوا عنه) وفي الآية مسائل :

المسألة الأولى : احتج الجاني على وجوب فعل اللطف قال لو لم يجب ذلك لم يكن لهم أن يقولوا : هذا أرسلنا رسولاً فنتع آياتك ، إذ من الجائز أن لا يبعث إليهم وإن كانوا لا يجتازون إلا بمسانة إلا عنده على قول من خالف في وجوب اللطف كما مر أن الجائز إذا كان في المعلوم لو خلق له لم يمكن إلا أن يفعل ذلك .

فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوْنِي مِثْلَ مَا أُوْنِي مُوسَىٰ لَوَلَّىٰ  
يَكْفُرُوا بِمَا أُوْنِي مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُمْ لَكَافِرُونَ ﴿٢٥﴾  
قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٦﴾  
فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّهُمْ لَا يُبْعَثُونَ قُلْ هُوَ أَهْوَأُ مِنْهُ وَمَنْ أَضَلُّ مِنْ أُنْبِيَ  
هُوَ يُبْعَثُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٧﴾ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا  
عَلَيْهِمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ

﴿ المسألة الثانية ﴾ اخرج الكشي به على أن الله تعالى يغفل حجة العباد وليس الأمر كما يفعله  
أهل السنة من أنه تعالى لا يغفل الحجة وظهر به أنه ليس المراد من قوله (لا يزال عما يغفل)  
ما يبطئه أهل السنة، وإذا ثبت أنه يغفل الحجة وجب أن لا يكون فعل اتبعت بفتح الله تعالى. وإلا  
لما كان تذكراً أعظم حجة على الله تعالى.

﴿ المسألة الثالثة ﴾ قال القاضي: فيه إبطال القول بالجبر من جهات (أحداها) أن أمثالهم  
وإيمانهم موقوف على أن يخلق الله ذلك فيهم سواء أُرسل الرسول إليهم أم لا (وثانيها) أنه  
إذا خلق القدرة على ذلك فيهم وجب سواء أُرسل الرسول أم لا (وثالثها) إذا أُرسل ذلك وجب  
أرسل الرسول إليهم أم لا. وأي فائدة في وقوعهم هذا لو كانت أفعالهم مخلوقة تعالى؟ يقال للقاضي  
هب أنك تازعت في الخلق والإرادة ولكنك وافقت في العلم فإذا علم الكفر منهم فهل يجب  
أم لا، فإن لم يجب أمكن أن لا يوجد التكفر مع حصول العلم بالكفر وذلك يجمع بين الضدين  
وإن وجب لم يملك ما أورثه علينا. وأعلم أن الكلام وإن كان قوياً حسناً إلا أنه إذا تراجعه عليه  
الغرض الذي لا يحصر عنه، فكيف يرعى العاقل بأن يقول عليه؟

قوله تعالى: ﴿ قلها جاءهم الحق من عندنا قلوا لولا أوني مثل ما أوني موسى لو لوى يكفروا  
بما أوني موسى من قبل قلها سحران تظاهرا وقالوا إنا بكل كافرون قل فأتوا بكتاب من  
عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنكم لا تبصرون أهواءهم  
ومن أضل ممن أتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين ولقد وصلنا لهم القول  
لعلهم يتذكرون الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون وإذا نزل عليهم قلوا آتانا به فإنه

يُؤْمِنُونَ ﴿٢١﴾ وَإِذَا بَشَّرْنَاهُمْ عَلَىٰ آلِهِمْ قَالُوا قَوْلًا مَّسْمُومًا ۖ يَدَّعُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَتَيْنَا مِنْ قَبْلِهِ  
 سُلَيْبِينَ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا ۖ وَبَدَّرُوا مِنَ الْمَلَائِكَةِ  
 النَّبِيَّةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا سَمِعُوا النَّغْرَ أَهْرَؤًا مِمَّا عَمِلُوا قَالُوا لَنَا  
 أَهْلُنَا وَلَكِنْ أَهْمَلْنَاكَ مُسْلِمًا مِمَّا كَانَتْ لَكِ لَازِمَتُنِي الْغَابِلِينَ ﴿٢٤﴾

الحق من ربنا إنما كنا من قبله مسلمين ، أولئك يؤتوا أجرهم مرتين بما صبروا ويدرأون أنفسهم  
 السبيل وما رزقناهم ينفقون ، وإذا سمعوا النغرا هروا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أهملناكم  
 سلام عليك لا يتنفي الجاهلون ﴿٢٤﴾

إعلم أنه تعالى لما حكى عنهم أنهم عند النغرى قالوا هلا ربنا ، أتينا رسولنا فتنع آياتك ،  
 من أبعاد أنه بعد الإرسال إلى أهل مكة قالوا الولاء لى ما أوتى موسى يقولوا قبل العنة  
 نعلمون شبهة وبدل عنة ينفقون بأخرى ، وظهر أنه لا مفسد لهم سوى الزبج والحداد  
 أما قوله (لما سلم الحق من عندنا) أى حليم الرسول تصدى بالكتاب المعجز مع سائر  
 المبعرات فلما الولاء لى ما أوتى موسى من الكتاب المجلد واحدة ومن سائر المجهزات  
 أكلت العصا حية واليد البيضاء من البحر وأطبل ليلهم والحداد الجبر ليلهم والحزن والسوى  
 ومن أن الله كانه وكتب له في الألواح وغدا من الآيات خاتمة الآية أحاطت الدنيا على السموات  
 والعداوة قالوا نولاً أن له كذا أو جاء به ملك وما أشبه ذلك .

(واعلم) أن الذي اقتضوه غير لازم لأنه لا يجب في معجرات الأعيان عليهم السلام أن  
 تكون واحدة ولا يباين أن يكون على وجه واحد إذ الإصلاح قد يكون  
 في إزالته نحو ما كانوا أو هو فأكالهم ، ثم إنه تعالى أجاب عن هذه العدة بقوله (أولم يكفروا  
 بما أوتوا موسى من قبل) واستأنفوا في أن الصبح في قوله (أولم يكفروا) بلى من يهود ، وذكروا  
 وجهاً (أحدها) أن اليهود أعمروا غريباً أن يسألوا عما أن يؤتى مثل ما أوتى موسى عليه السلام  
 فقال تعالى (أولم يكفروا بما أوتى موسى) بلى أولم تكفروا بأولئك اليهود الذين استخرجوا  
 هذا القرآن موسى عليه السلام مع تلك الآيات العظيمة (وثانيها) أن الذين أوردوا هذا الاقتراح  
 كفار مكبرين والذين كفروا بموسى هم الذين كفروا في زمان موسى عليه السلام إلا أنه تعالى جعلهم  
 كالنفس الواحدة لاجم في الكفر والعتق كالنفس الواحدة (وثالثها) قال الكلبي إن مشركي مكة  
 بضاروا عطاً إلى يهود الذين يسألهم عن عهده وشأنه فقالوا إلا نجده في سورة نعت وصفته ، فبما

وجع الرعدة إليهم وأخبرهم قوله اليهود قتلوا إله كان ساحراً كما أن محمداً ساحراً . فقال تعالى ( أولم يكفروا بما آتوا موسى ) ( وادعها ) قال الحسن قد كان ظرب أصل في إلهام موسى عليه السلام لعنه على هذا أولم يكفروا بآؤهم بأن قالوا في موسى وهرون ساحران ( وادعها ) قال قتادة أولم يكفروا اليهود في عصر عبد بما آتوا موسى من قتل من البشاة ببسبي ومحمد عليهما السلام ضلوا ساحران ( وادعها ) وهو الظاهر عدى أن كفار قريش ومكة كانوا منكرون طبع النبوات ثم أنهم لما طلبوا من الرسول ﷺ معجزات موسى عليه السلام قال الله تعالى ( أولم يكفروا بما آتوا موسى من قبل ) يعني آتوا جميع الأنبياء من قبل ، فدعنا أنه لا عرض لكم من هذا الافتراج إلا النصب . ثم إنه تعالى حكى كيفية كفرهم بما آتوا موسى من وجهين ( الأول ) قولهم ( ساحران ) لظاهرهم ، ثم ( آتوا ) من غيرهم وأهل المدينة ساحران بالآلاف وقرأ أهل الكوفة بغير ألف وذكروا في تفسير ساحرين وجرحاً ( أجمعاً ) المراد هرون وموسى عليهما السلام فظاهر أني تعاونوا وقري . اظهروا على الإذعان . وحران يعني ذوى سحر وجعلوا محرين بمالعة في وصفهما بالسحر وكتبوا من القميين فسروا قوله ( ساحران ) بأب المراد هو القرآن والسورة واعتادوا عبادة الفراء بالآلاف لأن الظاهرة بالناس وأنصافهم أشبه منها بالكتب ( وجوابه ) إن هذا أن قوله ( ساحران ) يمكن حمله على الرحالة وتقدير أن يكون المراد الكتابين لكن لما كان كل واحد من الكتابين بنوى الآخر لم يبعد أن يقال على سبيل الخلل تعاونوا كما تقول تظاهرت الاختيار وهذه التأويلات . فما تصح إذا حلف قوله ( أولم يكفروا بما آتوا موسى ) إما على كتمان مكة أو على الكفار الذين كانوا في زمان موسى عليه السلام ولا شك أن ذلك اللفظ يمتنع الآية ( الثاني ) هو قوله ( إيا بكل كفرون ) أي بما آتوا على محمد وموسى وسائر الأنبياء عليهم السلام ومعلوم أن هذا الكلام لا يليق إلا بالفسركين لا باليهود وذلك مبالغة في أنهم مع كثرة آيات موسى عليه السلام كدودها الذي ينزع من منه في عهد ﷺ وإن ظهرت حجة . ولما أجاب الله تعالى عن شبههم ذكر الخجة المذاه على صدق محمد ﷺ فقال . ( قتلوا ) بكتاب من عداقة هو أهدى دمعاً أتبعه ( وهذا ) عليه على يجرهم عن الإيمان بالله . قال الزجاج أتبعه بالجرم على الشرط ومن وراء أتبعه بالرفع فكأنهم أتبعوه . ثم قال ( من لم يستجبوا لك ) قال ابن عباس يريد فإن لم يؤمنوا بما حثت به من الحجج . وقال مقاتل فإن لم يمكنهم أن يأتوا بكتاب العدل منهما وهذا أتبعه بالآية فإن قبل الإجابة فلهذا دعا . فإني أظن هذا . فلما قوله ( ما أتوا بكتاب ) أمر والأمر دعاء إلى العمل ثم قال ( عظم أنما يجهلون أمورا ) يعني قد صاروا ملذمين ولم يبق لهم شيء إلا اتباع الحموى ثم رتب طريقته بقوله ( ومن أصل من أتبع هواه بغير هدى من الله ) وهذا من أعظم الدلائل على صدق التأييد وأنه لا بد من الحجة والاستدلال ( إن الله لا يهدي القوم الظالمين ) وهو عام يقتل الكافر لقوله ( إن التبرك لعظم عظيم ) واحتج الأصحاب به في أن معاذة الله تعالى حاصه بالمؤمنين .



عالم عبد الله بن سلام ومنشوده وهو يقول سلام عليكم ثم قال (ويؤمنون بالحسنه السعيه) والمؤمن  
 [يؤمنون] بالطاعة المعصية المتقدمة ، ويؤمنون أن يكون المراد : هموا بالفضو والصبح الأدنى ، ويؤمنون  
 أن يكون المراد من الحسنه : استقامتهم من المصالح لأن نفس الامتناع عنه وبقيع ما تولاه فكان  
 حيله ، ويؤمنون التوبه والإنابة والإستمرار عليها . ثم قال (وعما رزقناهم ينفقون) .  
 واعلم أنه تعالى مدحهم أولاً بالإيمان ثم بالطاعات البدنيه في قوله (ويؤمنون بالحسنه السعيه)  
 ثم بالطاعات الخساليه في قوله (وعما رزقناهم ينفقون) قال القاضي دل هذا المدح على أن الحر لم  
 لا يكون رزقاً (جوابه) أن كلفه من تلاخيص فدل على أنهم استحقوا المدح بانفاقهم ما كان  
 رزقاً ، وعن هذا التفسير يفسر الاستدلاله ، لم لا يبين كيفية استقامتهم بالطاعات والأعمال الحسنه من  
 كيفية انقراضهم عن الجهال فقال (وإذا جمعوا المداخر ضوايعه) والضمير ما عطف أن يجمع ويترك  
 من الحب وغيره وكانوا يصعدون ذلك فلا يجمعون فيه بل يصرصون عنه بغير رضا مباله  
 قال تعالى (وقالوا اننا أعمالا) ولكم أعداكم سلام عليكم (وما أحسن ما قال الحسن) رحمه الله في أنه  
 هذه كلمه نعيه بين المؤمنين : وعلمه الاحتمال من الجاهلين . ونظيره هذه الآية قوله تعالى (وعما)  
 الرحمن الذين يمشون على الأراض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً) ثم أكد تعالى ذلك  
 بقوله ما كذبهم (لا يفتنون الجاهلين) والمراد لا يتجاوزهم بإبطال على باطلهم ، قال قوم سح ذلك  
 بالأمر بالعدل وهو جريد لأن ترك المسافه مدحوب ، وإن كان القتال واحداً .

بحمد الله ثم الجزء الرابع والعشرون ، وفيه الجزء الخامس والعشرون  
 وأوله تفسير قوله تعالى (إلى لا تهدي من أحببت والكره الله يهدي من يشاء) من سورة القصص





## فهرست

## الجزء الرابع والعشرون من التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي

صفحة	صفحة
١٠٠ قوله تعالى (كل من عذر الله عما عذر به)	٢ قول الله تعالى (من يبيت أدرك الله أن
١٠١ إلهه الغفور)	يرفع بالآيات)
١٠٢ معنى قوله تعالى (وقه مثلك السموات)	٣ السموات التي غشاها الله تعالى في الآيات)
(والأرض)	٤ معنى قوله تعالى (رجال لا تلهيهم أعمالهم)
١٠٣ معنى قوله تعالى (وإن الله المصور)	٥ معنى قوله تعالى (يحافظون يوماً انتفت
١٠٤ قول الله تعالى (ألم تر أن الله يوحى	فيه الغيوب والأخبار)
بأنزل القرآن)	٦ معنى قوله تعالى (ليبرزهم الله أحسن
١٠٥ معنى قوله (وإن حال السحاب	ما علموا)
١٠٦ معنى قوله تعالى (ويرسل من السماء من	٦ معنى قوله تعالى (ويهدم من بعده)
سحاب فيها من برد)	٦ قوا الله تعالى (والذين كفروا أعمالهم
١٠٧ معنى قوله تعالى (يصبب من السماء	كبراب بغيره) الآيات)
١٠٨ ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ١٠١ ١٠٢ ١٠٣ ١٠٤ ١٠٥ ١٠٦ ١٠٧ ١٠٨ ١٠٩ ١١٠ ١١١ ١١٢ ١١٣ ١١٤ ١١٥ ١١٦ ١١٧ ١١٨ ١١٩ ١٢٠ ١٢١ ١٢٢ ١٢٣ ١٢٤ ١٢٥ ١٢٦ ١٢٧ ١٢٨ ١٢٩ ١٣٠ ١٣١ ١٣٢ ١٣٣ ١٣٤ ١٣٥ ١٣٦ ١٣٧ ١٣٨ ١٣٩ ١٤٠ ١٤١ ١٤٢ ١٤٣ ١٤٤ ١٤٥ ١٤٦ ١٤٧ ١٤٨ ١٤٩ ١٥٠ ١٥١ ١٥٢ ١٥٣ ١٥٤ ١٥٥ ١٥٦ ١٥٧ ١٥٨ ١٥٩ ١٦٠ ١٦١ ١٦٢ ١٦٣ ١٦٤ ١٦٥ ١٦٦ ١٦٧ ١٦٨ ١٦٩ ١٧٠ ١٧١ ١٧٢ ١٧٣ ١٧٤ ١٧٥ ١٧٦ ١٧٧ ١٧٨ ١٧٩ ١٨٠ ١٨١ ١٨٢ ١٨٣ ١٨٤ ١٨٥ ١٨٦ ١٨٧ ١٨٨ ١٨٩ ١٩٠ ١٩١ ١٩٢ ١٩٣ ١٩٤ ١٩٥ ١٩٦ ١٩٧ ١٩٨ ١٩٩ ٢٠٠ ٢٠١ ٢٠٢ ٢٠٣ ٢٠٤ ٢٠٥ ٢٠٦ ٢٠٧ ٢٠٨ ٢٠٩ ٢١٠ ٢١١ ٢١٢ ٢١٣ ٢١٤ ٢١٥ ٢١٦ ٢١٧ ٢١٨ ٢١٩ ٢٢٠ ٢٢١ ٢٢٢ ٢٢٣ ٢٢٤ ٢٢٥ ٢٢٦ ٢٢٧ ٢٢٨ ٢٢٩ ٢٣٠ ٢٣١ ٢٣٢ ٢٣٣ ٢٣٤ ٢٣٥ ٢٣٦ ٢٣٧ ٢٣٨ ٢٣٩ ٢٤٠ ٢٤١ ٢٤٢ ٢٤٣ ٢٤٤ ٢٤٥ ٢٤٦ ٢٤٧ ٢٤٨ ٢٤٩ ٢٥٠ ٢٥١ ٢٥٢ ٢٥٣ ٢٥٤ ٢٥٥ ٢٥٦ ٢٥٧ ٢٥٨ ٢٥٩ ٢٦٠ ٢٦١ ٢٦٢ ٢٦٣ ٢٦٤ ٢٦٥ ٢٦٦ ٢٦٧ ٢٦٨ ٢٦٩ ٢٧٠ ٢٧١ ٢٧٢ ٢٧٣ ٢٧٤ ٢٧٥ ٢٧٦ ٢٧٧ ٢٧٨ ٢٧٩ ٢٨٠ ٢٨١ ٢٨٢ ٢٨٣ ٢٨٤ ٢٨٥ ٢٨٦ ٢٨٧ ٢٨٨ ٢٨٩ ٢٩٠ ٢٩١ ٢٩٢ ٢٩٣ ٢٩٤ ٢٩٥ ٢٩٦ ٢٩٧ ٢٩٨ ٢٩٩ ٣٠٠ ٣٠١ ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٠٤ ٣٠٥ ٣٠٦ ٣٠٧ ٣٠٨ ٣٠٩ ٣١٠ ٣١١ ٣١٢ ٣١٣ ٣١٤ ٣١٥ ٣١٦ ٣١٧ ٣١٨ ٣١٩ ٣٢٠ ٣٢١ ٣٢٢ ٣٢٣ ٣٢٤ ٣٢٥ ٣٢٦ ٣٢٧ ٣٢٨ ٣٢٩ ٣٣٠ ٣٣١ ٣٣٢ ٣٣٣ ٣٣٤ ٣٣٥ ٣٣٦ ٣٣٧ ٣٣٨ ٣٣٩ ٣٤٠ ٣٤١ ٣٤٢ ٣٤٣ ٣٤٤ ٣٤٥ ٣٤٦ ٣٤٧ ٣٤٨ ٣٤٩ ٣٥٠ ٣٥١ ٣٥٢ ٣٥٣ ٣٥٤ ٣٥٥ ٣٥٦ ٣٥٧ ٣٥٨ ٣٥٩ ٣٦٠ ٣٦١ ٣٦٢ ٣٦٣ ٣٦٤ ٣٦٥ ٣٦٦ ٣٦٧ ٣٦٨ ٣٦٩ ٣٧٠ ٣٧١ ٣٧٢ ٣٧٣ ٣٧٤ ٣٧٥ ٣٧٦ ٣٧٧ ٣٧٨ ٣٧٩ ٣٨٠ ٣٨١ ٣٨٢ ٣٨٣ ٣٨٤ ٣٨٥ ٣٨٦ ٣٨٧ ٣٨٨ ٣٨٩ ٣٩٠ ٣٩١ ٣٩٢ ٣٩٣ ٣٩٤ ٣٩٥ ٣٩٦ ٣٩٧ ٣٩٨ ٣٩٩ ٤٠٠ ٤٠١ ٤٠٢ ٤٠٣ ٤٠٤ ٤٠٥ ٤٠٦ ٤٠٧ ٤٠٨ ٤٠٩ ٤١٠ ٤١١ ٤١٢ ٤١٣ ٤١٤ ٤١٥ ٤١٦ ٤١٧ ٤١٨ ٤١٩ ٤٢٠ ٤٢١ ٤٢٢ ٤٢٣ ٤٢٤ ٤٢٥ ٤٢٦ ٤٢٧ ٤٢٨ ٤٢٩ ٤٣٠ ٤٣١ ٤٣٢ ٤٣٣ ٤٣٤ ٤٣٥ ٤٣٦ ٤٣٧ ٤٣٨ ٤٣٩ ٤٤٠ ٤٤١ ٤٤٢ ٤٤٣ ٤٤٤ ٤٤٥ ٤٤٦ ٤٤٧ ٤٤٨ ٤٤٩ ٤٥٠ ٤٥١ ٤٥٢ ٤٥٣ ٤٥٤ ٤٥٥ ٤٥٦ ٤٥٧ ٤٥٨ ٤٥٩ ٤٦٠ ٤٦١ ٤٦٢ ٤٦٣ ٤٦٤ ٤٦٥ ٤٦٦ ٤٦٧ ٤٦٨ ٤٦٩ ٤٧٠ ٤٧١ ٤٧٢ ٤٧٣ ٤٧٤ ٤٧٥ ٤٧٦ ٤٧٧ ٤٧٨ ٤٧٩ ٤٨٠ ٤٨١ ٤٨٢ ٤٨٣ ٤٨٤ ٤٨٥ ٤٨٦ ٤٨٧ ٤٨٨ ٤٨٩ ٤٩٠ ٤٩١ ٤٩٢ ٤٩٣ ٤٩٤ ٤٩٥ ٤٩٦ ٤٩٧ ٤٩٨ ٤٩٩ ٥٠٠ ٥٠١ ٥٠٢ ٥٠٣ ٥٠٤ ٥٠٥ ٥٠٦ ٥٠٧ ٥٠٨ ٥٠٩ ٥١٠ ٥١١ ٥١٢ ٥١٣ ٥١٤ ٥١٥ ٥١٦ ٥١٧ ٥١٨ ٥١٩ ٥٢٠ ٥٢١ ٥٢٢ ٥٢٣ ٥٢٤ ٥٢٥ ٥٢٦ ٥٢٧ ٥٢٨ ٥٢٩ ٥٣٠ ٥٣١ ٥٣٢ ٥٣٣ ٥٣٤ ٥٣٥ ٥٣٦ ٥٣٧ ٥٣٨ ٥٣٩ ٥٤٠ ٥٤١ ٥٤٢ ٥٤٣ ٥٤٤ ٥٤٥ ٥٤٦ ٥٤٧ ٥٤٨ ٥٤٩ ٥٥٠ ٥٥١ ٥٥٢ ٥٥٣ ٥٥٤ ٥٥٥ ٥٥٦ ٥٥٧ ٥٥٨ ٥٥٩ ٥٦٠ ٥٦١ ٥٦٢ ٥٦٣ ٥٦٤ ٥٦٥ ٥٦٦ ٥٦٧ ٥٦٨ ٥٦٩ ٥٧٠ ٥٧١ ٥٧٢ ٥٧٣ ٥٧٤ ٥٧٥ ٥٧٦ ٥٧٧ ٥٧٨ ٥٧٩ ٥٨٠ ٥٨١ ٥٨٢ ٥٨٣ ٥٨٤ ٥٨٥ ٥٨٦ ٥٨٧ ٥٨٨ ٥٨٩ ٥٩٠ ٥٩١ ٥٩٢ ٥٩٣ ٥٩٤ ٥٩٥ ٥٩٦ ٥٩٧ ٥٩٨ ٥٩٩ ٦٠٠ ٦٠١ ٦٠٢ ٦٠٣ ٦٠٤ ٦٠٥ ٦٠٦ ٦٠٧ ٦٠٨ ٦٠٩ ٦١٠ ٦١١ ٦١٢ ٦١٣ ٦١٤ ٦١٥ ٦١٦ ٦١٧ ٦١٨ ٦١٩ ٦٢٠ ٦٢١ ٦٢٢ ٦٢٣ ٦٢٤ ٦٢٥ ٦٢٦ ٦٢٧ ٦٢٨ ٦٢٩ ٦٣٠ ٦٣١ ٦٣٢ ٦٣٣ ٦٣٤ ٦٣٥ ٦٣٦ ٦٣٧ ٦٣٨ ٦٣٩ ٦٤٠ ٦٤١ ٦٤٢ ٦٤٣ ٦٤٤ ٦٤٥ ٦٤٦ ٦٤٧ ٦٤٨ ٦٤٩ ٦٥٠ ٦٥١ ٦٥٢ ٦٥٣ ٦٥٤ ٦٥٥ ٦٥٦ ٦٥٧ ٦٥٨ ٦٥٩ ٦٦٠ ٦٦١ ٦٦٢ ٦٦٣ ٦٦٤ ٦٦٥ ٦٦٦ ٦٦٧ ٦٦٨ ٦٦٩ ٦٧٠ ٦٧١ ٦٧٢ ٦٧٣ ٦٧٤ ٦٧٥ ٦٧٦ ٦٧٧ ٦٧٨ ٦٧٩ ٦٨٠ ٦٨١ ٦٨٢ ٦٨٣ ٦٨٤ ٦٨٥ ٦٨٦ ٦٨٧ ٦٨٨ ٦٨٩ ٦٩٠ ٦٩١ ٦٩٢ ٦٩٣ ٦٩٤ ٦٩٥ ٦٩٦ ٦٩٧ ٦٩٨ ٦٩٩ ٧٠٠ ٧٠١ ٧٠٢ ٧٠٣ ٧٠٤ ٧٠٥ ٧٠٦ ٧٠٧ ٧٠٨ ٧٠٩ ٧١٠ ٧١١ ٧١٢ ٧١٣ ٧١٤ ٧١٥ ٧١٦ ٧١٧ ٧١٨ ٧١٩ ٧٢٠ ٧٢١ ٧٢٢ ٧٢٣ ٧٢٤ ٧٢٥ ٧٢٦ ٧٢٧ ٧٢٨ ٧٢٩ ٧٣٠ ٧٣١ ٧٣٢ ٧٣٣ ٧٣٤ ٧٣٥ ٧٣٦ ٧٣٧ ٧٣٨ ٧٣٩ ٧٤٠ ٧٤١ ٧٤٢ ٧٤٣ ٧٤٤ ٧٤٥ ٧٤٦ ٧٤٧ ٧٤٨ ٧٤٩ ٧٥٠ ٧٥١ ٧٥٢ ٧٥٣ ٧٥٤ ٧٥٥ ٧٥٦ ٧٥٧ ٧٥٨ ٧٥٩ ٧٦٠ ٧٦١ ٧٦٢ ٧٦٣ ٧٦٤ ٧٦٥ ٧٦٦ ٧٦٧ ٧٦٨ ٧٦٩ ٧٧٠ ٧٧١ ٧٧٢ ٧٧٣ ٧٧٤ ٧٧٥ ٧٧٦ ٧٧٧ ٧٧٨ ٧٧٩ ٧٨٠ ٧٨١ ٧٨٢ ٧٨٣ ٧٨٤ ٧٨٥ ٧٨٦ ٧٨٧ ٧٨٨ ٧٨٩ ٧٩٠ ٧٩١ ٧٩٢ ٧٩٣ ٧٩٤ ٧٩٥ ٧٩٦ ٧٩٧ ٧٩٨ ٧٩٩ ٨٠٠ ٨٠١ ٨٠٢ ٨٠٣ ٨٠٤ ٨٠٥ ٨٠٦ ٨٠٧ ٨٠٨ ٨٠٩ ٨١٠ ٨١١ ٨١٢ ٨١٣ ٨١٤ ٨١٥ ٨١٦ ٨١٧ ٨١٨ ٨١٩ ٨٢٠ ٨٢١ ٨٢٢ ٨٢٣ ٨٢٤ ٨٢٥ ٨٢٦ ٨٢٧ ٨٢٨ ٨٢٩ ٨٣٠ ٨٣١ ٨٣٢ ٨٣٣ ٨٣٤ ٨٣٥ ٨٣٦ ٨٣٧ ٨٣٨ ٨٣٩ ٨٤٠ ٨٤١ ٨٤٢ ٨٤٣ ٨٤٤ ٨٤٥ ٨٤٦ ٨٤٧ ٨٤٨ ٨٤٩ ٨٥٠ ٨٥١ ٨٥٢ ٨٥٣ ٨٥٤ ٨٥٥ ٨٥٦ ٨٥٧ ٨٥٨ ٨٥٩ ٨٦٠ ٨٦١ ٨٦٢ ٨٦٣ ٨٦٤ ٨٦٥ ٨٦٦ ٨٦٧ ٨٦٨ ٨٦٩ ٨٧٠ ٨٧١ ٨٧٢ ٨٧٣ ٨٧٤ ٨٧٥ ٨٧٦ ٨٧٧ ٨٧٨ ٨٧٩ ٨٨٠ ٨٨١ ٨٨٢ ٨٨٣ ٨٨٤ ٨٨٥ ٨٨٦ ٨٨٧ ٨٨٨ ٨٨٩ ٨٩٠ ٨٩١ ٨٩٢ ٨٩٣ ٨٩٤ ٨٩٥ ٨٩٦ ٨٩٧ ٨٩٨ ٨٩٩ ٩٠٠ ٩٠١ ٩٠٢ ٩٠٣ ٩٠٤ ٩٠٥ ٩٠٦ ٩٠٧ ٩٠٨ ٩٠٩ ٩١٠ ٩١١ ٩١٢ ٩١٣ ٩١٤ ٩١٥ ٩١٦ ٩١٧ ٩١٨ ٩١٩ ٩٢٠ ٩٢١ ٩٢٢ ٩٢٣ ٩٢٤ ٩٢٥ ٩٢٦ ٩٢٧ ٩٢٨ ٩٢٩ ٩٣٠ ٩٣١ ٩٣٢ ٩٣٣ ٩٣٤ ٩٣٥ ٩٣٦ ٩٣٧ ٩٣٨ ٩٣٩ ٩٤٠ ٩٤١ ٩٤٢ ٩٤٣ ٩٤٤ ٩٤٥ ٩٤٦ ٩٤٧ ٩٤٨ ٩٤٩ ٩٥٠ ٩٥١ ٩٥٢ ٩٥٣ ٩٥٤ ٩٥٥ ٩٥٦ ٩٥٧ ٩٥٨ ٩٥٩ ٩٦٠ ٩٦١ ٩٦٢ ٩٦٣ ٩٦٤ ٩٦٥ ٩٦٦ ٩٦٧ ٩٦٨ ٩٦٩ ٩٧٠ ٩٧١ ٩٧٢ ٩٧٣ ٩٧٤ ٩٧٥ ٩٧٦ ٩٧٧ ٩٧٨ ٩٧٩ ٩٨٠ ٩٨١ ٩٨٢ ٩٨٣ ٩٨٤ ٩٨٥ ٩٨٦ ٩٨٧ ٩٨٨ ٩٨٩ ٩٩٠ ٩٩١ ٩٩٢ ٩٩٣ ٩٩٤ ٩٩٥ ٩٩٦ ٩٩٧ ٩٩٨ ٩٩٩ ١٠٠٠ ١٠٠١ ١٠٠٢ ١٠٠٣ ١٠٠٤ ١٠٠٥ ١٠٠٦ ١٠٠٧ ١٠٠٨ ١٠٠٩ ١٠١٠ ١٠١١ ١٠١٢ ١٠١٣ ١٠١٤ ١٠١٥ ١٠١٦ ١٠١٧ ١٠١٨ ١٠١٩ ١٠٢٠ ١٠٢١ ١٠٢٢ ١٠٢٣ ١٠٢٤ ١٠٢٥ ١٠٢٦ ١٠٢٧ ١٠٢٨ ١٠٢٩ ١٠٣٠ ١٠٣١ ١٠٣٢ ١٠٣٣ ١٠٣٤ ١٠٣٥ ١٠٣٦ ١٠٣٧ ١٠٣٨ ١٠٣٩ ١٠٤٠ ١٠٤١ ١٠٤٢ ١٠٤٣ ١٠٤٤ ١٠٤٥ ١٠٤٦ ١٠٤٧ ١٠٤٨ ١٠٤٩ ١٠٥٠ ١٠٥١ ١٠٥٢ ١٠٥٣ ١٠٥٤ ١٠٥٥ ١٠٥٦ ١٠٥٧ ١٠٥٨ ١٠٥٩ ١٠٦٠ ١٠٦١ ١٠٦٢ ١٠٦٣ ١٠٦٤ ١٠٦٥ ١٠٦٦ ١٠٦٧ ١٠٦٨ ١٠٦٩ ١٠٧٠ ١٠٧١ ١٠٧٢ ١٠٧٣ ١٠٧٤ ١٠٧٥ ١٠٧٦ ١٠٧٧ ١٠٧٨ ١٠٧٩ ١٠٨٠ ١٠٨١ ١٠٨٢ ١٠٨٣ ١٠٨٤ ١٠٨٥ ١٠٨٦ ١٠٨٧ ١٠٨٨ ١٠٨٩ ١٠٩٠ ١٠٩١ ١٠٩٢ ١٠٩٣ ١٠٩٤ ١٠٩٥ ١٠٩٦ ١٠٩٧ ١٠٩٨ ١٠٩٩ ١١٠٠ ١١٠١ ١١٠٢ ١١٠٣ ١١٠٤ ١١٠٥ ١١٠٦ ١١٠٧ ١١٠٨ ١١٠٩ ١١١٠ ١١١١ ١١١٢ ١١١٣ ١١١٤ ١١١٥ ١١١٦ ١١١٧ ١١١٨ ١١١٩ ١١٢٠ ١١٢١ ١١٢٢ ١١٢٣ ١١٢٤ ١١٢٥ ١١٢٦ ١١٢٧ ١١٢٨ ١١٢٩ ١١٣٠ ١١٣١ ١١٣٢ ١١٣٣ ١١٣٤ ١١٣٥ ١١٣٦ ١١٣٧ ١١٣٨ ١١٣٩ ١١٤٠ ١١٤١ ١١٤٢ ١١٤٣ ١١٤٤ ١١٤٥ ١١٤٦ ١١٤٧ ١١٤٨ ١١٤٩ ١١٥٠ ١١٥١ ١١٥٢ ١١٥٣ ١١٥٤ ١١٥٥ ١١٥٦ ١١٥٧ ١١٥٨ ١١٥٩ ١١٦٠ ١١٦١ ١١٦٢ ١١٦٣ ١١٦٤ ١١٦٥ ١١٦٦ ١١٦٧ ١١٦٨ ١١٦٩ ١١٧٠ ١١٧١ ١١٧٢ ١١٧٣ ١١٧٤ ١١٧٥ ١١٧٦ ١١٧٧ ١١٧٨ ١١٧٩ ١١٨٠ ١١٨١ ١١٨٢ ١١٨٣ ١١٨٤ ١١٨٥ ١١٨٦ ١١٨٧ ١١٨٨ ١١٨٩ ١١٩٠ ١١٩١ ١١٩٢ ١١٩٣ ١١٩٤ ١١٩٥ ١١٩٦ ١١٩٧ ١١٩٨ ١١٩٩ ١٢٠٠ ١٢٠١ ١٢٠٢ ١٢٠٣ ١٢٠٤ ١٢٠٥ ١٢٠٦ ١٢٠٧ ١٢٠٨ ١٢٠٩ ١٢١٠ ١٢١١ ١٢١٢ ١٢١٣ ١٢١٤ ١٢١٥ ١٢١٦ ١٢١٧ ١٢١٨ ١٢١٩ ١٢٢٠ ١٢٢١ ١٢٢٢ ١٢٢٣ ١٢٢٤ ١٢٢٥ ١٢٢٦ ١٢٢٧ ١٢٢٨ ١٢٢٩ ١٢٣٠ ١٢٣١ ١٢٣٢ ١٢٣٣ ١٢٣٤ ١٢٣٥ ١٢٣٦ ١٢٣٧ ١٢٣٨ ١٢٣٩ ١٢٤٠ ١٢٤١ ١٢٤٢ ١٢٤٣ ١٢٤٤ ١٢٤٥ ١٢٤٦ ١٢٤٧ ١٢٤٨ ١٢٤٩ ١٢٥٠ ١٢٥١ ١٢٥٢ ١٢٥٣ ١٢٥٤ ١٢٥٥ ١٢٥٦ ١٢٥٧ ١٢٥٨ ١٢٥٩ ١٢٦٠ ١٢٦١ ١٢٦٢ ١٢٦٣ ١٢٦٤ ١٢٦٥ ١٢٦٦ ١٢٦٧ ١٢٦٨ ١٢٦٩ ١٢٧٠ ١٢٧١ ١٢٧٢ ١٢٧٣ ١٢٧٤ ١٢٧٥ ١٢٧٦ ١٢٧٧ ١٢٧٨ ١٢٧٩ ١٢٨٠ ١٢٨١ ١٢٨٢ ١٢٨٣ ١٢٨٤ ١٢٨٥ ١٢٨٦ ١٢٨٧ ١٢٨٨ ١٢٨٩ ١٢٩٠ ١٢٩١ ١٢٩٢ ١٢٩٣ ١٢٩٤ ١٢٩٥ ١٢٩٦ ١٢٩٧ ١٢٩٨ ١٢٩٩ ١٣٠٠ ١٣٠١ ١٣٠٢ ١٣٠٣ ١٣٠٤ ١٣٠٥ ١٣٠٦ ١٣٠٧ ١٣٠٨ ١٣٠٩ ١٣١٠ ١٣١١ ١٣١٢ ١٣١٣ ١٣١٤ ١٣١٥ ١٣١٦ ١٣١٧ ١٣١٨ ١٣١٩ ١٣٢٠ ١٣٢١ ١٣٢٢ ١٣٢٣ ١٣٢٤ ١٣٢٥ ١٣٢٦ ١٣٢٧ ١٣٢٨ ١٣٢٩ ١٣٣٠ ١٣٣١ ١٣٣٢ ١٣٣٣ ١٣٣٤ ١٣٣٥ ١٣٣٦ ١٣٣٧ ١٣٣٨ ١٣٣٩ ١٣٤٠ ١٣٤١ ١٣٤٢ ١٣٤٣ ١٣٤٤ ١٣٤٥ ١٣٤٦ ١٣٤٧ ١٣٤٨ ١٣٤٩ ١٣٥٠ ١٣٥١ ١٣٥٢ ١٣٥٣ ١٣٥٤ ١٣٥٥ ١٣٥٦ ١٣٥٧ ١٣٥٨ ١٣٥٩ ١٣٦٠ ١٣٦١ ١٣٦٢ ١٣٦٣ ١٣٦٤ ١٣٦٥ ١٣٦٦ ١٣٦٧ ١٣٦٨ ١٣٦٩ ١٣٧٠ ١٣٧١ ١٣٧٢ ١٣٧٣ ١٣٧٤ ١٣٧٥ ١٣٧٦ ١٣٧٧ ١٣٧٨ ١٣٧٩ ١٣٨٠ ١٣٨١ ١٣٨٢ ١٣٨٣ ١٣٨٤ ١٣٨٥ ١٣٨٦ ١٣٨٧ ١٣٨٨ ١٣٨٩ ١٣٩٠ ١٣٩١ ١٣٩٢ ١٣٩٣ ١٣٩٤ ١٣٩٥ ١٣٩٦ ١٣٩٧ ١٣٩٨ ١٣٩٩ ١٤٠٠ ١٤٠١ ١٤٠٢ ١٤٠٣ ١٤٠٤ ١٤٠٥ ١٤٠٦ ١٤٠٧ ١٤٠٨ ١٤٠٩ ١٤١٠ ١٤١١ ١٤١٢ ١٤١٣ ١٤١٤ ١٤١٥ ١٤١٦ ١٤١٧ ١٤١٨ ١٤١٩ ١٤٢٠ ١٤٢١ ١٤٢٢ ١٤٢٣ ١٤٢٤ ١٤٢٥ ١٤٢٦ ١٤٢٧ ١٤٢٨ ١٤٢٩ ١٤٣٠ ١٤٣١ ١٤٣٢ ١٤٣٣ ١٤٣٤ ١٤٣٥ ١٤٣٦ ١٤٣٧ ١٤٣٨ ١٤٣٩ ١٤٤٠ ١٤٤١ ١٤٤٢ ١٤٤٣ ١٤٤٤ ١٤٤٥ ١٤٤٦ ١٤٤٧ ١٤٤٨ ١٤٤٩ ١٤٥٠ ١٤٥١ ١٤٥٢ ١٤٥٣ ١٤٥٤ ١٤٥٥ ١٤٥٦ ١٤٥٧ ١٤٥٨ ١٤٥٩ ١٤٦٠ ١٤٦١ ١٤٦٢ ١٤٦٣ ١٤٦٤ ١٤٦٥ ١٤٦٦ ١٤٦٧ ١٤٦٨ ١٤٦٩ ١٤٧٠ ١٤٧١ ١٤٧٢ ١٤٧٣ ١٤٧٤ ١٤٧٥ ١٤٧٦ ١٤٧٧ ١٤٧٨ ١٤٧٩ ١٤٨٠ ١٤٨١ ١٤٨٢ ١٤٨٣ ١٤٨٤ ١٤٨٥ ١٤٨٦ ١٤٨٧ ١٤٨٨ ١٤٨٩ ١٤٩٠ ١٤٩١ ١٤٩٢ ١٤٩٣ ١٤٩٤ ١٤٩٥ ١٤٩٦ ١٤٩٧ ١٤٩٨ ١٤٩٩ ١٥٠٠ ١٥٠١ ١٥٠٢ ١٥٠٣ ١٥٠٤ ١٥٠٥ ١٥٠٦ ١٥٠٧ ١٥٠٨ ١٥٠٩ ١٥١٠ ١٥١١ ١٥١٢ ١٥١٣ ١٥١٤ ١٥١٥ ١٥١٦ ١٥١٧ ١٥١٨ ١٥١٩ ١٥٢٠ ١٥٢١ ١٥٢٢ ١٥٢٣ ١٥٢٤ ١٥٢٥ ١٥٢٦ ١٥٢٧ ١٥٢٨ ١٥٢٩ ١٥٣٠ ١٥٣١ ١٥٣٢ ١٥٣٣ ١٥٣٤ ١٥٣٥ ١٥٣٦ ١٥٣٧ ١٥٣٨ ١٥٣٩ ١٥٤٠ ١٥٤١ ١٥٤٢ ١٥٤٣ ١٥٤٤ ١٥٤٥ ١٥٤٦ ١٥٤٧ ١٥٤٨ ١٥٤٩ ١٥٥٠	

صفحة	صفحة
٢٥ معنى قوله تعالى ( كما استخف الدين من مله )	١٩ التقديم الرابع من جهة الصوت .
٢٦ معنى قوله تعالى ( بعدوني لا يضر كون في شدأ )	١٩ . الخامس ، ، الاطلاق
٢٦ معنى قوله تعالى ( ومن كفر بعد ذلك )	١٩ . السادس ، ، الناسل .
٢٦ قول الله تعالى ( واقموا الصلاة واتوا الزكاة )	١٩ معنى قوله تعالى ( لقد اترك آيات بيجات )
٢٦ معنى قوله تعالى ( لانه من الذين كفروا معجزين في الارض )	١٩ . ، ، ( ولله عدى من يشاء ، إلى صراط مستقيم ) .
٢٧ معنى قوله تعالى ( وما أوعم النار والبن المصير )	٢٠ قول الله تعالى ( ويقولون آياته وبالرسول ) الآيات .
٢٧ قول الله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين مانتكم أذنتكم ) الآيات عموم الاستئذان في الآية .	٢٠ . سبب نزول هذه الآية .
٢٨ بيان المصود من ذلك الثمن .	٢٠ معنى قوله تعالى ( ويقولون آياته وبالرسول وما أولئك بالمؤمنين ) .
٢٨ سبب نزول الآية .	٢١ معنى قوله تعالى ( أن تقوم مرمس أم أناتوا ) الآية .
٢٩ هل الاستئذان على طريق التبع أو الإيجاب	٢٢ قول الله تعالى ( إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الآيات .
٣٩ موع الخلو وعلاماته .	٢٢ معنى قوله تعالى ( واتصموا بآية حمه أيمانهم ) .
٣٠ احتلاهم في الإثبات هل موع علامة أم لا	٢٣ معنى قوله تعالى ( لا تقسموا طاعة معروفة ) .
٣٠ اعتبار بلوغاً .	٢٣ معنى قوله تعالى ( قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ) .
٣١ الموراة الثلاث .	٢٣ قول الله تعالى ( وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ) الآية .
٣٢ وجوب الاستئذان في كل حال .	٢٤ معنى التوعده .
٣٢ هل يقتضي إباحة كشف المورة للحصم	٢٤ معنى قوله تعالى ( ليستخفهم في الارض ويمسكن لهم ) الآية .
٣٣ الأمر باستئذان رمز بقاونه	٢٥ في الآية دليل على أمانه الاغفال لاربية .
٣٣ اشارة بقوله تعالى ( يضمن ثيابن )	
٣٣ حقيقة الشبرج .	
٣٤ قوله تعالى ( ليس على الأعمى شرح ) الآية	

صفحة

صفحة

- ٣٤ ما المراد من دفع الخرج عن الأعمى .  
 ٣٥ إباحة الأكل وهو تنويع الاستعداد .  
 ٣٦ المراضع التي أبيع الأكل منها هي أحد عشر مريضاً .  
 ٣٧ هو الرحم إذا سرق .  
 ٣٧ سبب زول قوله تعالى ( ليس بغيركم جناح ) .  
 ٣٧ تنبيه قوله تعالى ( ماذا يكظم بيوتاً ملأوا على أنفسهم ) .  
 ٣٨ قول الله تعالى ( إنما المؤمنون الذين آمنوا ) الآيات .  
 ٣٩ بيان الأمر الجامع .  
 ٣٩ معنى قوله تعالى ( إن الدين يساد ذوقك ) .  
 ٣٩ ع ع ع ( لا تحمقوا دعاء الرسول الآية ) .  
 ٤٠ معنى قوله تعالى ( طبعوا الذين عاقبوا عن أمره ) .  
 ٤٠ معنى قوله تعالى ( قد يعلم الله الذين يتسللون ) .  
 ٤٢ معنى قوله تعالى ( ألا نسب لله ما في السموات والأرض ) الآية .  
 ٤٤ نصير سورة الفرقان .  
 ٤٤ قول الله تعالى ( تبارك الذي زل الفرقان ) .  
 ٤٤ معنى تبارك في اللغة .  
 ٤٥ كلمة الذي والمراد الفرقان .  
 ٤٥ المراد باليد صاحبها محمد صلى الله عليه وسلم .  
 ٤٦ وصف الله ذاته بصفات أربع .  
 ٤٧ معنى قوله تعالى ( وخلق كل شيء فخصمه )

- تقديراً ) .  
 ٤٨ قول الله تعالى ( وانحدوا من دونه الحق ) .  
 ٤٨ هل فعل العبد مخلوق لله تعالى .  
 ٤٩ قول الله تعالى ( وألذين كفروا إلى هذا إلا بائس ) .  
 ٥٠ الآية نزلت في المنصرين بالحوادث .  
 ٥٠ معنى قوله تعالى ( لقد جنوا المكادوراً ) .  
 ٥١ ما المراد بالأساطير .  
 ٥١ معنى قوله تعالى ( فهي نمل عليه بكراً وأصبلاً ) .  
 ٥١ معنى قوله تعالى ( قل أنزلني الذي يعلم السر ) .  
 ٥٢ ما أفراد بالمر ٩ .  
 ٥٢ شبه الخس في الرسول .  
 ٥٢ قول الله تعالى ( تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك ) الآيات .  
 ٥٤ معنى قوله تعالى ( بل كذبوا باساعة ) .  
 ٥٥ الاستعجاج بأن الجنة مخلوقة .  
 ٥٥ ع بأن السبعين سعد في بطن أمه .  
 ٥٥ مقهب القائلين بأن البقية ليست شرعاً في الحياة .  
 ٥٦ صفات جهنم .  
 ٥٧ جنة المله التي وعد المتقون .  
 ٥٨ الوعد والجزل .  
 ٥٨ استدلال المعتزلة بأن الله لا يفتقر عن صاحب التكبير .  
 ٥٩ معنى قوله تعالى ( لهم ما يشاءون عند ربهم ) .  
 ٥٩ ع ع ع ( كان على ربك وعداً )

صفحة	صفحة
خير مستقراً .	مستقراً (
٧٣ كيف تصح القنينة في النار والجنة ؟	٦٠ قول الله تعالى ( ويوم نحشرهم وما
٧٤ قول الله تعالى ( ويوم تشقق السماء	يعدون ) .
بالدخان ) الآية .	٦١ دحض دعوى القائلين بأن الله يعزل
٧٥ معنى قوله تعالى ( ويوم بعض الظالم على	عباده
يديه ) الآية .	٦٢ معنى قوله تعالى ( ما كان ينبغي لنا أن
٧٦ معنى قوله تعالى ( لقد أضلنا عن الذكر )	نستعين بذلك من أولياء )
الآية .	٦٣ معنى قوله تعالى ( ولكن معنهم وآباءهم
٧٧ قول الله تعالى ( وقال الرسول يازيد	حتى نسوا الذكر ) .
إن قومي اتخذوا هذا القرآن ) الآية .	٦٤ معنى قوله تعالى ( فقد كذبتم بما
٧٨ قول الله تعالى ( وقال الذين كفروا	يقولون ) .
لولا نزل عليه القرآن لكانت ميتة واحدة ) الآية	٦٥ معنى قوله تعالى ( ومن يظلم مكاً من ذنوبه
٨٠ قول الله تعالى ( وقد أثبتنا موسى )	هذا كبيراً )
الكذاب ) الآية .	٦٥ معنى قوله تعالى ( وما أرسلنا من قبلك
٨١ قول الله تعالى ( وغمر نوح لما كذبوا	من المرسلين )
أمرنا ) الآية .	٦٥ معنى قوله تعالى ( وجعلنا منكم لجنين
٨٢ قول الله تعالى ( وعاد وأمرود وأصحاب	فناء ) الآية .
الرسل ) الآية .	٦٧ قول الله تعالى ( وقال الذين لا يرجعون
٨٣ قول الله تعالى ( ولقد أنزلنا على القرية	لغداً ) الآية .
تنين أمطرت مطراً السوء ) الآية .	٦٨ ادعاء المجسمة بأن الله تعالى جسم .
٨٤ قول الله تعالى ( ألم نزل إليك كيف	٦٨ معنى قوله تعالى ( لقد استكبروا في
مداغل ) الآية .	أنفسهم ) الآية .
٨٨ بيان الظالم ومعه واقف .	٦٩ استحقاق رؤية تعالى على مذهب المعتزلة
٨٩ معنى قوله تعالى ( وهو الذي جعل لكم	ومعاد ذلك على مذهب أهل السنة
الليل للناس ) الآية .	٧٠ معنى قوله تعالى ( يوم يرون الملائكة
٩٠ معنى الطهور وآراء الفقهاء فيه	٧١ معنى قوله تعالى ( وقدما إلى ما عملوا )
٩٨ قول الله تعالى ( ولقد صرفناه بينهم ) الآية	الآية .
١٠٠ قوله تعالى ( وهو الذي مرج البحرين	٧٢ معنى قوله تعالى ( أصحاب الجنة يومئذ

صفحة	صفحة
١١٣ معنى قوله تعالى ( فأولئك يبدل الله دينهم حثثت الآية )	١٠١ قول الله تعالى ( وهو الذى خلق من الماء بشرا )
١١٤ معنى قوله تعالى ( ومن تلب وعمل صالحاً الآية )	١٠٢ قول الله تعالى ( ويؤمنون من دون الله الآية )
١١٣ معنى قوله تعالى ( والذين لا يشهدون الزور )	١٠٣ قول الله تعالى ( الذى خلق السموات والأرض الآية )
١١٣ معنى قوله تعالى ( وإذا مروا باللغو مروا كراماً )	١٠٤ لم تغير المخلوق والابحار وما التفتير ؟
١١٤ قول الله تعالى ( والذين إذا ذكروا طابت ذكركم )	١٠٤ معنى قوله تعالى ( ثم استوفى على المرعى الآية )
١١٤ قول الله تعالى ( والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا الآية )	١٠٥ معنى قوله تعالى ( وإذا قيل لهم اصعدوا الرحمن الآية )
١١٥ قول الله تعالى ( أولئك يجزون العرفه بما عبروا الآية )	١٠٦ قول الله تعالى ( تبارك الذى جعل فى السماء روحاً الآية )
١١٦ قول الله تعالى ( ويقولون بها نعمة وسلاماً )	١٠٧ قول الله تعالى ( وعاد الرحمن الذين يشقون على الأرض هرباً الآية )
١١٦ معنى قوله تعالى ( خالدين فيها حدثت مسفرة ومقاماً )	١٠٨ معنى قوله تعالى ( والذين يشقون لهم سجداً وقياماً الآيات )
١١٦ معنى قوله تعالى ( قل ما بينا وبينكم رضى لولا دعاؤكم )	١٠٨ معنى قوله تعالى ( والذين يقولون رب انصرف عنا عذاب جهنم الآية )
١١٧ معنى قوله تعالى ( فقد كذبهم خسوف يكون راعياً )	١٠٩ معنى قوله تعالى ( والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا الآية )
١١٨ تفسير سورة الشعراء	١١٠ معنى قوله تعالى ( والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر الآية )
١١٨ قول الله تعالى ( حلستم تلك آيات المدين )	١١١ معنى قوله تعالى ( ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق الآية )
١١٩ ع ع ع ( وما بأنهم من كرم الرحمن حدثت إلا كانوا عنه مرضين )	١١٢ معنى قوله تعالى ( يصاعقه المذاب يوم القيامة الآية )
١٢٠ معنى قوله تعالى ( فسبأنيهم أنادما كانوا به يستهزئون )	

صفحة	صفحة
١٢٤	١٢٠
تفسير قوله تعالى (فألقى موسى عصاه)	عني قوله تعالى (أو أنزلنا إلى بردا)
(فألقى الحجر فاجدها)	الأرض كرم أخصبا بها)
١٢٥	١٢٠
قوله الله تعالى (فألقم له قبل أن آتاك لك)	عني قوله تعالى (إن في ذلك لآية وما
١٢٨	كان أكثرهم مؤمنين)
(فأوحينا إلى موسى)	١٢١
١٤١	قوله الله تعالى (ورأى الذي ركب موسى
(ورأى عليه بأبراهيم)	د د د (أن آتاهم العود الطالين)
١٤٣	١٢٢
(الذي خلقني صهيب)	د د د (فأمر رب إلى أحاد
١٤٦	أن يكذبون)
(رب عبي لي حكما)	١٢٢
١٤١	د د د (فأرسل إلى هرون)
(وأرسلت الجنة المدينين)	١٢٣
١٥٢	د د د (قال كلا فانهما آياتي)
(كذبت قوم نوح)	١٢٤
١٥٦	د د د (إيا مدكم مستمعون)
(كذبت عاد المرسلين)	١٢٤
١٥٨	د د د (إنا رسول رب العالمين)
١٦٠	د د د (أن أرسل منثاني إسرائيل)
(كذبت قوم لوط)	د د د (ألم نريك مباهة)
الموسلين	١٢٥
١٦٢	د د د (رأيت من الكافرين)
(كذبت أصحاب الأيكة)	د د د (قال فقام إذا وامن الصالحين)
١٦٥	١٢٦
(وليه نزل رب العالمين)	د د د (صهرت سكمنا صفتكم)
١٦٦	١٢٧
(أرلم يكن لهم آية أن	د د د (وتلك نعمة نعمنا على)
يملكه عليا بنى إسرائيل)	د د د (قال فرعون وسارب العالمين)
١٧٠	١٢٨
(فيقولوا هل نخرج منطرون)	د د د (وما زب العالمين)
١٧١	١٢٩
(وما تفرات به الصباطين)	عني قوله تعالى (إن كنتم عضلون)
١٧٢	١٣١
(وأبذر عشرينك	د د د (لأجعلنك من
الآقرين)	المسجونين)
١٧٤	قوله الله تعالى (فألقى حماء
(علي أنفكم على من نزل	١٣٢
الصباطين)	د د د (لجميع الحرة ليقدر
١٧٥	يوم معلوم)
(والشعرا ينبعم نذرون)	١٣٣
١٧٦	د د د (قال لهم موسى أتعوا
(وسيلم الذين ظلموا)	١٣٤
١٧٧	تفسير قوله تعالى (ألقوا حبلهم
تفسير سورة النحل	
قوله الله تعالى (طس تلك آيات القرآن)	

صفحة	صفحة
٢٠٩ قول الله تعالى (أمن بعدكم في ظلمات	١٧٨ قول الله تعالى (إن الذين لا يؤمنون
المر والرجز).	بالآخرة)
٢١٠ (أمن بعد الخلق ثم يجده)	١٨٠ (وإنك لتلقى القرآن)
١١٢ (قل لا يهضم مر في	١٨١ قصة موسى عليه السلام
السموات والأرض)	١٨٢ قول الله تعالى (وأتقوا عاصاك)
(وقال الذين كفروا إذا	١٨٤ (ولقد آتينا داود
كنازاً أباً)	وسليمان علماً)
٢١٥ (إن هذا القرآن ينقص)	١٨٥ (وحشر سليمان جنوده)
٢١٧ (وإذا وقع القرآن عليهم)	١٨٨ (ونفذ العذر)
٢١٩ (ويوم ينفع من نصره)	١٨٩ (لأنهم جحدت امرأة فلكنهم)
٢٢١ (ويزي الحبال تحميم جالدة)	١٩١ (الآن يسجدوا لله الذي
٢٢٢ (إنما أمرت أن أعبد	بمخرج الحب)
رب هذه القبلة)	١٩٣ (قالت يا أيها الملأ أئني
٢٣١ تفسير سورة القصص	أئني إلى كتاب كريم)
قول الله تعالى (علمهم . تلك آيات	١٩٦ (قال يا أيها الملأ أئني
الكتاب المبين)	بأئني برسها).
٢٣٢ (وأوحينا إلى أم موسى)	١٩٩ قول الله تعالى (قال شكر والماعر شها)
٢٣٩ (وأصبح نواد أم موسى)	٢٠٠ (قبل ادخلى الصرح)
٢٣٠ (وحرمنا عليه أن يصعد	٢٠١ (ولقد أرسنا إلى نود)
من قبل)	قصة صالح عليه السلام
٢٣١ (ولما لم أشده واستوى)	٢٠٤ قول الله تعالى (ولو طأ إذا قال لقومه)
٢٣٢ (رب إني طلبت غنى)	قصة لوط عليه السلام
٢٣٥ (وأصبح في المدينة خائفاً	٢٠٥ خطاب الله عز وجل محمداً ﷺ
بترقب).	قول الله تعالى (فمن أحسنه وصلاح
٢٣٦ (فأوحى إليك لنوى معين)	على عبادته)
٢٣٧ (ولما توهه تغلق عينين)	٢٠٦ (أمن جعل الأرض قراراً)
٢٣٩ تفسير قوله تعالى (عسى ربي أن يجدني	٢٠٨ (أمن يحجب المنظر إذا
سواء السبيل)	دعاه).

صفحة	صفحة
٢٥١ قول الله تعالى ( وقال فرعون يا أيها الملأ عاتيتكم من يله غيري ) .	٢٤٩ تفسير قوله تعالى ( اسق لهم من نهرنا ) ( الفلق )
٢٥٢ معنى قوله تعالى ( واستكبر هو وجنوده في الأرض ) .	٢٥٠ ( وقال رب اني لما انزلت الي من جبر عقير )
٢٥٣ معنى قوله تعالى ( وغنوا لهم إنا لا نرجعون ) .	٢٥١ ( قالت إن آت بدعوك أيجزيك أجر ما سقيت لنا )
٢٥٤ معنى قوله تعالى ( فأخذناه وجنوده فبذناهم في اليم ) .	٢٥٢ ( وقصر عليه القصص )
٢٥٥ معنى قوله تعالى ( وحملناهم آتاء بعدون إلى النار ) .	٢٥٣ ( قالت إحداهما يا أبت استأجره )
٢٥٥ معنى قوله تعالى ( وأنبأوا في هذه الدنيا لعة )	٢٥٤ ( قالوا إني أريد أن تكفك إحدى البنتين فإتين )
٢٥٥ معنى قوله تعالى ( عليهم ينزل كرون )	٢٥٥ ( قال ذلك بيدي وبيدك أيتها الإبلان )
٢٥٥ معنى قوله تعالى ( وما كنت بجانب الغرب ) .	٢٥٦ قول الله تعالى ( تناقض موسى الأسس )
٢٥٧ معنى قوله تعالى ( وما كنت ثاوياً في أهل مدين ) .	٢٥٧ معنى قوله تعالى ( فلما أنشأها نردى من شاطئ الوادي الأيمن ) .
٢٥٧ معنى قوله تعالى ( وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ) .	٢٥٨ معنى قوله تعالى ( وأن ألق عصاك ) .
٢٥٨ معنى قوله تعالى ( لتنتفر قوماً ما أنعم ) .	٢٥٩ ( اسلكك ملك في جيتك )
٢٥٨ ( ولولا أن تصفهم مصيبة )	٢٦٠ ( واخضع إليك جنتك من الذهب )
٢٥٩ قول الله تعالى ( فلما جاءهم الحق من عند ربهم نفوا بأسلافهم أن يفتنون )	٢٦١ معنى قوله تعالى ( فأرسله معي رداً )
٢٦٠ معنى قوله تعالى ( أولم يكفروا بما آتوا من موسى من قبل )	٢٦٢ ( سئدد عضدك بأخييك )
( ثم الفهرست )	٢٦٣ معنى قوله تعالى ( فلما جاءهم موسى بأياتنا )